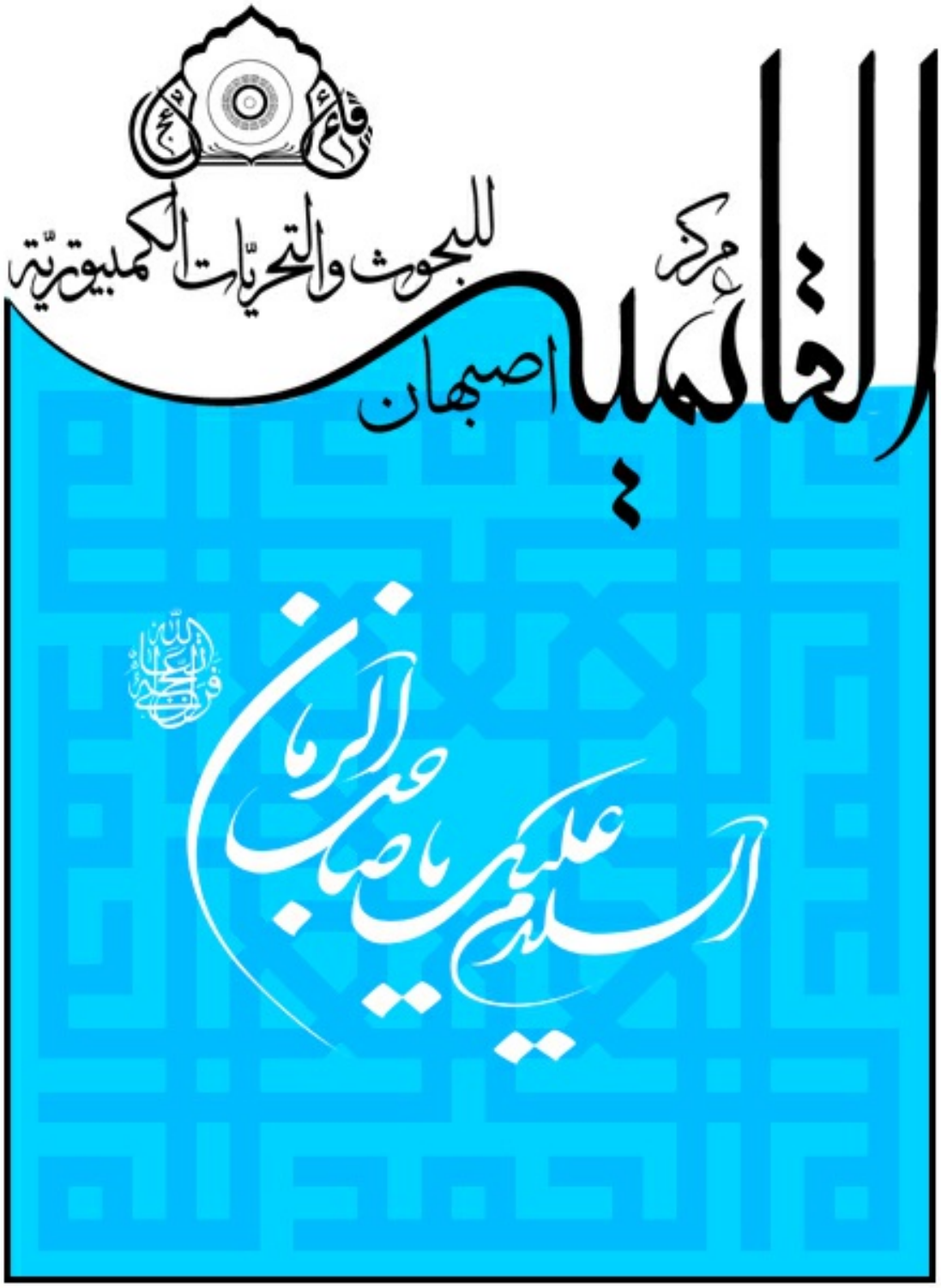

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

زينب الكبرى عليها السلام

من المهد الى اللحد

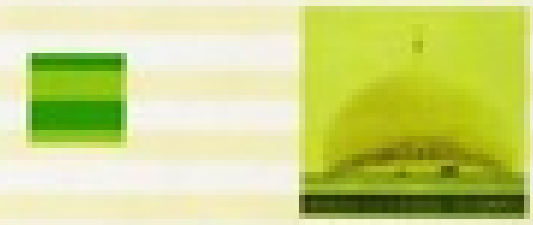

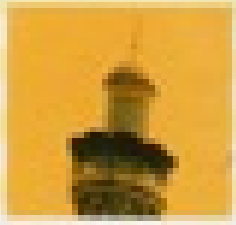

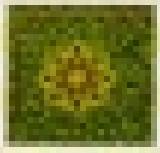

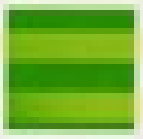

السيد
محمد كاظم القزويني

طبعة كاملة محققة

بسم الله الرحمن الرحیم

زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد

كاتب:

آية الله السيد محمد الكاظم قزويني

نشرت في الطباعة:

دار المرتضي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد 11

هوية الكتاب 11

اشارة 12

تقديم 15

مؤلّف الكتاب 23

الإهداء 32

المقدّمة 34

الفصل الأول 40

إشارة 40

تاريخ ميلاد السيّدة زينب 42

ولادة السيِّدة زينب 46

إسمُها وكُنْيتُها 48

الفَصل الثاني 52

إشارة 52

السيِّدة زينب في عَهْد جدِّها الرسول 54

السيِّدة زينب في عَهْد أُمِّها البتول 62

السيّدة زينب في عَهْد والدها أمير المؤمنين 64

السيّدة زينب مع اخيها الإمام الحسن المجتبى 78

العلاقات الوديَّة بين السيّدة زينب واخيها الإمام الحسين 80

الفصل الثالث 84

إشارة 84

زواج السيِّدة زينب عليها السلام 86

عبد الله بن جعفر 97
لماذا لم يَخرج عبْد الله مع الإمام الحسين (عليه السلام)؟ 107
الفصل الرابع 111
إشارة 111
أولاد السيّدة زينب (عليها السلام) 113
مروان يَخطب بنتَ السيّدة زينب عليها السلام ليزيد بن معاوية 115
الفَصل الخامس 137
إستعراض موجَز لحياة السيّدة زينب الكبرى 137
الفَصل السادس 143
إشارة 143
السيّدة زينب وفاجِعة كربلاء 145
مَجيء ابن زياد إلى الكوفة 149
يومُ التَرّوية 151
الإمامُ الحسين يَصْطحِبُ العائلة 164
الإمامُ الحسين في طريق الكوفة 170
الفَصل السابع 172
إشارة 172
وصولُ الإمام الحسين إلى أرض كربلاء 174
زَحفُ الجيش الأمَوي نَحو خِيام آلِ محمّد (عليهم السلام) 182
الفَصل الثامِن 186
إشارة 186
ليلة عاشوراء 188
أزمَة الماء 202
الفَصل التاسع 206
إشارة 206

يوم عاشوراء 208
مَقتل سيّدنا على الأكبر 210
مَقتل أولاد السيّدة زينب 212
مَقتل سيّدنا أبي الفضل العباس 216
مَقتل الطفل الرضيع 220
الفَصل العاشِر 224
إشارة 224
الإمامُ الحسين (عليه السلام) يُودّعُ ولَدَه المريض 226
الإمامُ الحسين يودّع السيّدةَ زينب 232
الإمام الحسين يَخرج إلى ساحَة الجِهاد 236
عَودَة فَرَس الإمام الحسين إلى المُخيّم 244
ذهاب السيّدة زينب إلى المعركة 246
الفَصل الحادي عشر 252
إشارة 252
الهجوم على المخيّمات لسَلْب النساء 254
إحراق خِيام الإمام الحسين عليه السلام 260
السيّدة زينب تَجمَع العِيال والأطفال 264
ليلة الوَحْشة 266
تَرحيل العائلة مِن كربلاء 270
نياحة السيّدة زينب على سيّد الشهداء 274
الفَصل الثاني عشر 280
إشارة 280
مدينة الكوفة 282
قافلة آل الرسول تَصِلُ الكوفة 286
الفَصل الثالث عشر 290

إشارة 290
خُطبة السيّدة زينب في الكوفة 292
نَصُّ خطبة السيّدة زينب في الكوفة 296
شرح خُطبة السيّدة زينب في الكوفة 300
كيفَ ولماذا قَطعوا 348
نَصّ خطبة السيّدة زينب برواية أُخرى 352
الفَصل الرابع عشر 356
إشارة 356
دار الإمارة 358
السيّدة زينب في مجلس ابن زياد 360
ماذا جَرى بَعْدَ ذلك؟ 366
الفَصل الخامس عشَر 372
إشارة 372
تَرْحيل آل رسول الله إلى الشام 374
السيّدة زينب الكُبرى في الشام 384
الدخول في مجلس الطاغية يزيد 392
ماذا حَدَثَ في مجلس يزيد؟ 394
رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مَجلس الطاغية يزيد 398
الفَصل السادس عشَر 402
إشارة 402
لماذا خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد؟ 404
خُطبة السيّدة زينب عليها السلام في مجلس الطاغية يزيد 408
شَرح خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد 420
نَصّ خُطبة السيّدة زينب على رواية أُخرى 498
الفَصل السابع عشر 504

إشارة ـــــ 504
آلُ رسول الله في خَرِبَة الشام ـــــ 506
حِوارٌ بين مِنهال والإمام زين العابدين عليه السلام ـــــ 508
مَجيء زوجة يزيد إلى خَرِبَة الشام ـــــ 510
آلُ رسول الله يُقيمونَ المَآتِم على الإمام الحسين (عليه السلام) في الشام ـــــ 516
بين الإمام زين العابدين (عليه السلام) ويزيد بن معاوية ـــــ 520
تَرحيل عائلة آل الرسول مِن دمشق إلى المدينة المُنوّرة ـــــ 522
الفَصل الثامِن عشر ـــــ 526
إشارة ـــــ 526
يوم الأربعين ـــــ 528
الرجوع إلى مدينة الرسول ـــــ 534
الفَصل التاسع عشر ـــــ 540
إشارة ـــــ 540
بعضُ ما رُوي عن السيّدة زينب ـــــ 542
بعضُ ما رُوي عن السيّدة زينب ـــــ 542
1 - خُطبة السيّدة فاطمة الزهراء ـــــ 544
2 - حديث أُمّ أيمَن ـــــ 576
3 - مُتَفَرِّقات ـــــ 590
الفَصل العشرون ـــــ 602
إشارة ـــــ 602
تاريخ وفاة السيّدة زينب عليها السلام ـــــ 604
مَرقد السيّدة زينب الكبرى ـــــ 608
مَرقد السيّدة زينب الكبرى ـــــ 608
دراسة القول الأول ـــــ 610
دراسة القول الثاني: ـــــ 614

دراسة القول الثالث: 623
الفَصل الواحِد والعِشْرون 632
بعضُ ما قيلَ فيها مِن الشِعْر 632
مِن مصادر هذا الكتاب 696
الفِهْرس 700
كُتُب مَطبُوعَة للمؤلّف 707
تعريف مركز 710

زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد

هوية الكتاب

سرشناسه :قزوینی ، سیدمحمدکاظم ، 1308 - 1373.

عنوان و نام پدیدآور :زینب الکبری علیها السلام من المهد الی اللحد/تالیف محمدکاظم القزوینی.

مشخصات نشر :دار المرتضی بیروت

مشخصات ظاهری 696ص.

شابک :964-8166-08-0 ؛ چاپ دوم979-964-8166-08-7 :

یادداشت :عربی.

یادداشت : 1427 ق.

یادداشت :کتابنامه: ص. [696] - 696؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع :زینب (س) بنت علی (ع)، 6 - 62ق.

موضوع :واقعه کربلا، 61ق.

رده بندی کنگره :BP52/2 /ز9ق43 1426

رده بندی دیویی :297/974

زينب الكبرى عليهاالسّلام

من المهد الى اللحد

السيّد محمّد كاظم القزويني

طبعة كاملة محققة

دَارالمرتَضي

المحرر الرقمي: محمدرضا دهقانزاد

اشارة

زینب الکبری علیهاالسّلام

من المهد الی اللحد

ص: 2

زينب الكبرى عليهاالسّلام

من المهد الى اللحد

بقلم المرحوم

السيّد محمد كاظم القزويني

حققه وعلق عليه ولده

السيد مصطفى القزويني

دَار المرتَضى

بَيْروتْ

ص: 3

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص: 4

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمـدُ لله ربّ العالَمين، والصـلاة والسـلام على افضل الخَلْق أجمعين سـيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، ولعنة الله على اعدائهم لعنةً دائمة إلى يوم الدين .

وبعد...

السـيّدة زينب الكبرى: ثاني أعظم سـيّدة في سـيّدات أهل البيت المُحمّدي، كانت حياتها تَزدحم بالفضائل والمكرُمات، وتَموج بِمُوجِبات العظمة والجلالة، والقداسة والروحانيّة، وتَتَراكم فيها الطاقات والكفاءات والقابليّات، ومُقوّمات الرُقي والتفَوّق.

مِن هنا .. فكلُّ صفحةٍ مِن صفحات حياتها المُشرِقة جَديرة بالدراسة والتحقيق، فمِن ناحية تُعتبر القراءة في مَلَف حياتها نوعاً مِن أفضل أنواع العبادة وسُبُل التقرّب إلى الله سبحانه، لأنّها

إطّلاع على حياة سادات أولياء الله تعالى .

ومِن ناحيـة أُخرى: التـدبّر في اللَقْطات التاريخيّـة التي وَصـلتْ إلينا عن حياة هـذه السـيّدة يُعطي الانسانَ دروساً مفيـدة تَنفعه في كثير مِن مَجالات حياته .

يُضاف إلى ذلك: أنّ التأليف عن حياتها المتلألأة يُعتبر مُحاولة لإعطاء صورة واضـحة عن خير قُدوةٍ للنساء المؤمنات، بل خير مُقتدى لكلّ امرأة تَبحث عن السعادة في الحياة، والفَوز بَجنّةٍ عرضُها السماوات والأرض.

وكم هو جيّدٌ وجميل ان نَقرأ حياة هـذه السـيّدة العظيمـة في كتابٍ خُطّ بقلم واحدٍ مّن المع المُتالّقين في سـماء الخِطابة والتأليف، ورجلٍ شجاع مِن أبرز المجاهدين – في سبيل الله – بلسانه وقلمه، ألا وهو العلّامة الكبير، والخطيبُ البارع: السـيّد محمّد كاظم القزويني، رضوان الله عليه .

إنّ طبيعـة كون العلّامة القزويني خطيباً حُسـينياً مُميّزاً، ومُحاضِراً اجتماعياً قديراً، كانتْ تَجعَلُه يَتوصّل إلى كثير مِن النتائج النافعة في مَجال دراسة حياة السيّدة زينب الكبرى عليها السلام.

ولعـلّ أولَ مرّةٍ انقَدَحتْ في ذهنه فِكرة التـأليف عن حيـاة السـيّدة زينب، هو يوم كـان مشـغولاً بتأليف كتابه عن حياة سـيّدة نساء العالَمين الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام سنة

1396 ه-، لكنَّ العَوائق كانتْ تَحولُ بَينه وبين تطبيق الفِكرة وتحقيق تلك الأمنية.

وإلى أنْ عَزم على الكتابة، وبَدأ بالتأليف عن حياة السيّدة، في سنة 1409ه-.

لقد كان العلامة القزويني يُحاول - بكلّ جِدّ - جَمْع مَواد تاريخيّة كافية عن مرحلة ماقبلَ فاجعة كربلاء في حياة السيّدة زينب، وتَسليط الأضواء الكشّافة على جوانب تلك المَرحلة، وتناولها بلَمسات تحليليّة، فلقد عاشت السيّدة - قبل الفاجعة العظمى - حوالي سِتّاً وخمسين سنة، وكانتْ حياتها مَليئة بالحوادث والوقائع والمُستجدّات، وكان لها دور مُهم في جميع تلك الحوادث، فقد كانت قويّة الشخصيّة، وسيّدة مَواقف، وصاحبة كلمة، وزعيمة دور قيادي لنساء أهل البيت .. بل للنساء المؤمنات جَمعاء.

لكن ..

لكن ماذا عن حياتها يومَ كانت طفلةً في عُمْر الزهور وفَقَدتْ أُمَّها الزهراء؟!

وماذا عن حياتها يومَ كانت بنتاً في دار أبيها؟!

وماذا عن حياتها حين كانت سَنَداً وظَهْراً لِوالدها وأخَويها؟!

وماذا مِن عيّنات ومعلومات عن حياتها الزوجيّة؟!

وماذا كانتْ مَناهجُها في تربية أطفالها وثَمرات فؤادها؟!

وماذا كان سِرُّ نجاحها في إدارة بَيتها العائلي؟!

وما هي تفاصيل دورها القيادي والإصلاحي في التَوجيه النسَوي؟

وماذا عن دروسها ومُحاضراتها التي كانت تُلقيها على نساء الكوفة مُدّةَ أربع سنوات؟

وكيف استطاعت أنْ تَجمَع بينَ الحجاب والثقافة، والعِفّة والتعليم، والدين والحضارة، والمَنزل والمُجتمع؟؟!

وماذا عن جانب العبادة، والزُهد، والسَخاء، وحُبِّ الخير للآخرين .. في حياتها؟؟!

وماذا عن العلوم التي وَصَلتْ إليها مباشرةً .. ودون التعلُّم مِن أحَد؟!!

وما هي – بالضبط – مُميّزاتها الفريدة التي جعلَتْها – بجدارة – ثاني أعظم سيّدة في نساء أهل البيت .. بل في سيّدات تاريخ البشر؟

وما هي مُواصفاتها النَفسيّة النادرة التي أهّلتْها أن تَبقى كوكباً مُضيئاً يُحلّق في سماء المَجْد والخُلود؟ ويَظلّ إسمُها لامعاً – إلى جَنب إسم أخيها الإمام الحسين – رَمْزاً لخير مَن نَصرَ الدين، وصَرَخَ في وجْه الظالمين؟!

وما هي الصورة الواضحة التي أعطتْها السيّدة زينب عن المرأة المؤمنة المثاليّة؟!

وماذا .. وماذا ..؟؟

اجل ..

كان العلّامـة القزويني يَبـذل قُصارى جُهـده في جَمْع المواد التاريخيّة عن حياة هذه السـيّدة العظيمة، لكنّه – مع الأَسف – أُصـيبَ بمَرض عضال، وصار المرضُ يَنخَر في جسمه بسرعة، ويَجعل سَيرَ التأليف بَطيئاً، حتّى أودى به إلى الوفاة، قبل إكمال بعض فصول هذا الكتاب.

وقد كتَبَ بعض صـفحات هذا الكتاب على سـرير «مستشفى ابن سينا» في الكويت، حيث كان راقداً هناك لإجراء بعض الفحوصات الطبيّة ومحاولة إكتشاف علاج لِمرضه.

وقد كانت رغبتُه لإنجاز وإكمال هذا الكتاب شديدة ومُلحّة، لأسباب مُتعدّدة، منها:

1 – أنه رأى في المنام رُؤياً شجّعَتْه على مواصلة هذا التأليف .

2 – لإحتمال وفاته بِسَبَب المرض الّذي أصابه .

أمّا الرؤيا، فإنه – في أثناء تأليف الكتاب وبعـد فراغه مِن كتابـة فصل (مروان يَخطب بنتَ السـيّدة زينب ليزيـد بن معاويـة) – رأى في المنام المجتهد الفقيه آية الله السيد حسين القُمّي – المتوفّى سنة

1367 ه- قد أقبل إليه واعتنقَه معانقة حارّة، وقال له - بصيغة الدعاء: «قَبّلَ اللهُ يَدَكَ»، أو بصيغة الإخبار -: «إنّ الله تعالى يُقبّل يدَكَ»!

واستيقظ السيّد المؤلّف مِن نومه، وصار يُفكّر - طويلاً - في تفسير رؤياه حيث اعتبرَها رؤيا مهمّة، ورغم أنه كانت لديه معلومات واسعة وخِبرة جيّدة في علم تفسير الأحلام إلّا أنه استَفَسر عن تعبير رؤياه مِن أحد العلماء المُتخصّصين في تعبير المنام .

فقال له العالم: هل قمتَ بخدمة لواحدة مِن أقرباء الامام الحسين (عليه السلام) مثْل: زوجته او أُخته؟

فقال السيّد: نعم، أنا مشغول بتأليف كُتيّب حول السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) .

فقال العالم: إنّ خِدمتك نالتْ رضى الإمام الحسين (عليه السلام) وتفسير كلمة «إنّ الله يُقبّل يدك» هو: أنّ الله تعالى قد تَقبّلَ منك ما كتبتَه .

****

وحين تأليفه لهذا الكتاب كان يَطلب منّي أن أصطحب معي ما كتَبَه إلى داري، لألقي نظْرة فاحصة على الكتاب، وأُبدي بعضَ الملاحظات أو الإقتراحات .

وبعد وفاته (رحمة الله عليه) رأيتُ القيام ببعض اللَمسات

التكميليّة على الكتاب، مع الانتباه إلى بعض الصلاحيّات التي مَنحَها لي في السنوات الأخيرة من حياته.

رأيتُ القيام بهذا الأمر لِسَبَبين:

الأول – وهو السبب الرئيسي –: القيام بخدمة مُتواضعة لسيّدتي ومولاتي زينب الكُبرى عليها السلام.

الثاني: بَرّاً منّي بوالدي رحمة الله عليه.

****

وأوّد جَلب إنتباه القارىء الكريم إلى عِدّة نقاط :

الأُولى: لقد حاولتُ – قَدْر الإمكان – أن أجعل فاصلاً مميِّزاً بين الكتاب والإضافات التي هي منّي، فجعلتُ الإضافات في الهامش، وكتبتُ في نهايتها: «المُحقِّق».

وهذا ما سيَشْعر به القُرّاء الكرام الذين تَعوّدوا على نكْهة قلَم السيّد الوالد.

النقطـة الثانية: إن الفصل الأخير مِن هذا الكتاب – بكامله – هو مِن إضافاتي، لكنّي حاولتُ – غالباً - ذكْر الأشـعار التي كنتُ أعلم إعجابَ الوالد بها .

النقطة الثالثة: كان عَمَلي – في إعداد الكتاب –: عبارة عن مراجعة الكتاب مِن أوّله إلى آخره، وضـبْط نصوصه، وذِكْر مَصادره، وشـرح بعض الكلمات

الغامضة بعد مراجعة كتُب اللغة.

النقطة الرابعة: بما أنّ هناك اختلافاً في أرقام صفحات وأجزاء المصادر، لِتعدُّد طبعات بعض الكتُب، فقد ذكرْنا في نهاية الكتاب قائمة بأسماء المصادر الرئيسيّة، لبيان الإسم الكامل للكتاب والمؤلّف، وذِكْر سنة ومَحلّ طبْع الكتاب، تَسهيلاً للقارىء الكريم.

مؤلّف الكتاب

والآن .. إليك لمحة خاطفة وسريعة جداً عن حياة مؤلّف هذا الكتاب: العلّامة القزويني:

هو السيّد محمّد كاظم بن المجتهِد الفَقيه آية الله السيّد محمّد إبراهيم بن العالم الكبير المَرجع الديني في عَصْره: آية الله السيّد محمّد هاشم الموسوي القزويني.

وُلِدَ في مدينة كربلاء المقدّسة، سنة 1348هـ-، وهو يَنحدر مِن أُسرة تَموج بالفُقَهاء والعلماء، والخطباء والشعراء، ورجال الفكر والأَدَب والقَلَم، وتُعتبر أُسرتُه من أشرف الأُسَر والعشائر التي سَكنتْ أرضَ كربلاء منذ أكثر مِن مائتين وخمسين سنة .

وقـد شاءتْ المُقـدّرات الإلهيّـة أن يكون السـيّد المؤلّف وحيـدَ أبويه، فقـد كان الموت قد اغتالَ – قبل ذلك – جميع إخوته وأخواته، البالغ عددهم ثلاثة عشر ولداً .. ما بين وَلَد وبنت، وكان جميعُهم بَراعم في عُمر الصِبى والطفولة .

ثمّ وجّهَت الحوادث سِهامَها إليه منذ عُمر الطفولة، ففُجِعَ بوفاة والدته الحنونة وعمرُه عشـر سنوات، فصار الطفل المدلَّلِ لوالده، وبَلَغ الثانية عشـرة من عمره، فمات والدُه، وبعد ذلك تَعرّضَ لظروف قاسية عصَفتْ بحياته مِن كلّ جانب، لكن نِسْبة «الثقة بالنفْس» و «التوكُّل على الله تعالى» كانت قويّة في نفسيّته، فجعلتْه صامداً أمام تلك الأعاصير!

أكملَ دراسـتَه الدينيّة في الحوزة العِلْميّة في مدينة كربلاء المقدّسة، حتى بَلَغَ درجة عالية من العِلْم والثقافة، وتَخصّـص في الخطابة والمنبر فكان مِن أبرز الخطباء في عصْره.

كانت له مُحاضرات دينيّة مُركّزة في ليالي شهر رمضان المبارك، وكانتْ مَجالسه تَمتاز بكونها تربويّة وتوجيهيّة ..

وليست تاريخيّة بَحْتة، وامتازت – أيضاً – بأنّ غالبيّة الحضور ـ في مُحاضراته – كانوا من الشباب والطبَقة المُثقّفة الواعية.

وقد رَبّى العلّامة القزويني عدداً كبيراً وجيلاً مُميّزاً مِن خطباء المنبر الحسـيني، هم اليوم مِن أبرز وأشهَر خطباء العالَم الإسلامي الشيعي في عصْرنا الحاضر.

في سنة 1380ه- أسَّسَ مؤسّسة دينيّة باسم (رابطة النشر الإسلامي) كان هدفُها تزويد مُسلمي العالَم بالكتُب التي تتحدّث عن مذهب أهل البيت، مَجّاناً وبلاثَمَن، وكان نشاط هذه المؤسّسة مُركّزاً في البداية على بلاد المغرب العربي، ثمّ شَمل الجزائر وليبيا وتونس، وبعضَ الدول الإفريقيّة كالسنغال ونيجيريا .

واستطاع السيّد القزويني – عن طريق هذه المؤسّسة – أنْ يُنبّه كثيراً مِن المغاربة المُغفّلين الذين كانوا يَتخذون (يوم عاشوراء) يومَ عيدٍ وسُرور وأفراح وأعراس، على طريقة بَني أُميّة .

فقد كان يوم العاشر مِن المُحرّم أكبر عيد شَعْبي في بلاد المغرب، وكان يُعرَف باسم (عيد عاشوراء) فسافر السيّد القزويني إلى تلك البلاد سنة 1388ه-، ونَشَر مقالة ناريَّة مُلْتهِبة في صحيفة «العَلَم» المَغربيّة قبلَ يوم عاشوراء باسبوعين، نَدّد فيها المغاربة عن اتّخاذ يومَ حُزن آلِ الرسول يومَ عيد وفَرَح، واعتبَر ذلك تحدّياً سافراً وحَرباً ضدّ النبي الكريم، وأنذَرَهم الأخطار الكبيرة الناتجة عن هذا المَوقف المُخزي تجاه أُسرة رسول الله الطيّبة الطاهرة المُطَهّرة!

فاستولى الخوف والفَزَع على المَغاربة، في تلك السنة التي نُشرتْ فيها المقالة، وهكذا تَمّ إلغاء ذلك اليوم عن كونه عيداً، وصار كبقيّة أيّام السَنَة بلا افراح ولا تهاني.

وهذا موقفٌ مُشرق دَلّ على كفاءة السيّد القزويني ونجاح

خُطّته الحكيمة.

واستطاعت هذه المؤسّسة – رغم ضَعْف ميزانيّتها – أن تَنشُر أكثر مِن مليوني كتاب خلال عشرين سنة .

أمِا عن الجهاد بالقلم، فقد بَدأ العلّامة القزويني بكتابة المقالات وتأليف الكُتب في مرحلة مُبكّرة مِن شبابه، وكان مِن أبرز مؤلّفاته: «شرح نهج البلاغة»، وسلسلة كُتُب عن حياة أهل البيت المَعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) تحت عنوان: «... مِن المهد إلى اللحْد» فأكملَ منها عن حياة سِتّة مِن المَعصومين، وأخيراً بَدأ بتأليف موسوعة كبيرة وفريدة عن حياة الإمام جعفر الصادق (عليه الصلاة والسلام) في حوالي خمسين مجلّداً، ويُعتبر هذا المشروع الضخم مِن أوسع ما قَدّمه مِن عطاء خالد.

ومِن النقاط اللامعة في حياة العلامة القزويني: هو أنّه قامَ برِحْلة تبليغيّة إلى قارة أُستراليا عام 1398 هـ، لإيصال صوت الإسلام وأهل البيت (عليهم السلام) إلى المسلمين الشيعة هناك، وقد كانوا يَرزَحون تحتَ وَطأة الفقر الثقافي والإيماني وغياب الوعي الديني، ومُضاعفات الإغتراب والإبتعاد عن الأوساط الإسلاميّة. وفي مدينة «سيدني» أسَّسَ مسجداً ضخماً باسم (مسجد فاطمة الزهراء عليها السلام) والقى عشْرات المحاضرات الدينيّة المركَّزة الهادفة خلال سَفرته التي استغرقتْ أكثر من شهر، وكان بمنزلة الفاتح العظيم الذي يَدخل تلك البلاد النائية، ويُحدث تحوّلاً مُهمّاً

في نفوس وأرواح أولئك الأفراد، ويُعيد إليهم روح الإيمان والإلتزام بمَبادىء الدين الحنيف، والإعتزاز والإفتخار بالمذهب الحقّ: «مذهب أهل البيت عليهم السلام».

****

سَكنَ في وَطنه (مدينة كربلاء المقدّسة) حوالي ستاً واربعين سنة، ثمّ هاجر مِن العراق إلى الكويت سنة 1394ه-، وبقيَ فيها حوالي ست سنوات، قامَ خلالها بنشاط ديني واسع ومُكثّف، وتربية جيل مؤمن مِن الشباب. ثمّ هاجَرَ مِن الكويت إلى ايران عام 1400ه-، وسَكنَ في مدينة قم المقدّسة، فاستمرّ في العطاء عَبر المنبر والقلَم، فكان خيرَ مُعلّم ومُربٍّ وخيرَ ناعريال لسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

قبلَ وفاته بسنتين ونصف تقريباً أُصيبَ بمرضٍ بَدأ يُتلف - بالتدريج - إثنين مِن أعصاب المُخ، وهما المَسؤولان عن الحركة الإراديّة لِتحريك اللسان للتكلُّم والتلفّظ، ولقوّة ابتلاع الطعام، وأخيراً أودى به المَرضُ إلى الوفاة، بعد مُعاناة مَريرة في الأشهر الأخيرة مِن حياته .

فارقَ الحياة وانتقلَ إلى رحمة الله تعالى، يوم الخميس 13 / جمادى الثانية / 1415ه-، رضوان الله عليه.

وجرى لجنازته تَشييع عظيم في مدينة قم المُقدّسة، اشترك فيه مُختلَفُ طبَقات المجتمع، ومِن كافّة

الجِنْسيّات.

تَركَ مِن بعده: ثلاث بنات وخمسة بنين، تَخصّصَ إثنان منهم في الخطابة والتأليف، وتَفرَّغَ ثلاثة منهم للفقه والإجتهاد.

وخِتاماً.. لا يَفوتني أنْ اشكر الله تعالى أوّلاً وقبلَ كلِّ أحد على أنْ وفّقَني لتحقيق وإخراج هذا الكتاب، ثمّ اشكر كلَّ مَن كانت له مُساهمة أو تعاون في هذا المَجال، وأخصّ منهم بالذِكْر سماحة الخطيب البارع المُخلِص الشيخ علي اكبر القحطاني، حيث زَوّدنا بكلِّ ما في مكتبته العامِرة من كُتُب ومؤلَّفات حولَ السيّدة زينب الكبرى عليها السلام.

مصطفى بن محمد كاظم القزويني

9/ 12/ 1420هـ-

قم - ايران

ص: 17

زينبُ الكُبرى عليها السلام

مِن المهْد إلى اللحْد

بقلم المرحوم

السيّد محمد كاظم القزويني

ص: 19

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إليك يا سيّدنا ومولانا

يا سيّد الشهداء وسبط رسول الله

يا أباعبدالله الحسين.

إليك أُهدي هذه الصحائف التي تتحدَّث عن رَضيعتك في المَواهِب، وشقيقتك في العظمة، وزَميلتِك في الجهاد، و شريكتِك في المَصائب: السيّدة زينب الكُبرى.

عليكَ وعليها وعلى جَدِّكما وأبيكما وأُمِّكما وأخيكما - الإمام الحسن - آلاف التحيّة والثناء والسلام.

فهلْ تَتفضّل عليَّبقبول هذه الخِدمة الضئيلة؟

محمّد كاظم القزويني

مدينة قم - ايران

سنة 1409 ه-

ص: 21

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـدُ لله كما هو أهلُه، والصـلاة والسـلام على خير خَلْقه، واشـرف بريّته: محمّـد وآله الطاهرين، الذين أذهبَ الله عنهم الرجم وطهَّرهم تطهيراً.

وبعد، يوجد في تاريخ البشـر عدد كبير من الرجال وعدد مِن النساء الذين نَبغوا نبوغاً في شتّى الفنون والعلوم، فطارَ صِيتهم في العالَم، وكان نصيبهم مِن المُجتمعات البشريَّة كلَّ إعجابٍ وتقدير، وإكبارٍ وتجليل، لأنهم امتازوا عن غيرهم بشتّى المَزايا.

وكلّ إنسانٍ إمتاز بمزيّة أو بمزايا فمِن الطبيعي أن يفضّل على غيره مِن فاقِدي تلك المزايا.

وقد كان أولياءُ الله في طليعة النابغين، لِتعدّد جوانب النبوغ فيهم.

والبيتُ النبَوي الطاهر الشـريف يَضمّ رجالات وسـيّدات كانوا العناوين البارزة في صحيفة الإيجاد والتكوين، وفي طليعة العظماء الذين مِن المستحيل أن يَجود الدهرُ بأمثالهم.

ونحن نُريد أن نَتحدَّث – في هذا الكتاب – عن حياة سـيّدةٍ كانت تعيش قبلَ ثلاثة عشَر قرناً ونصف قرن، وقد امتازتْ حياتها بجميع جوانبها – عن حياة غيرها من سيّدات التاريخ .

إنّها السيّدة زينب الكبرى بنت الإمام علي أمير المؤمنين عليهما السلام.

إنّها نادرة مِن نوادر الكون، وآية إبداع في خَلْق الله تعالى، ومُلتقى آيات العظمة، ومَفخَرة التاريخ.

ونحن إذا اسـتَقر أنا أسـبابَ العظمة وموجبات الشرف في تاريخ البشر – على اختلاف أنواعها وأقسامها – نَجد كلّها أو جُلّها مُجتمعة ومُتوفّرة في السيدة زينب الكبرى .

فإذا تحدَّثنا عن السيّدة زينب على صعيد قانون الوراثة، فإنّنا نجدها مُطوَّقة بهالات مِن الشَرَف .. كلّ الشرف.

شَرف لم تَسبقها اليه أُنثى سوى أُمّها السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ولم يَلحقها لاحق، ولا يَطمع في إدراكه طامع، فهي البنت الكبرى للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ذلك المَولى الذي يُعتبر ثاني أعظم رجل في عالم الكون والوجود،

فهو أشرف مَن أظلّت عليه الخَضراء، وأقلّتْه الغَبراء بعد شخصيّة الرسول الاقدس صلى الله عليه وآله وسلّم.

وأمّها: السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي سيّدة نساء العالَمين، وافضل واشرف أُنثى في عالم النساء.

فما تقول في هذه الأُمّ التي انجَبتْ وأرضعتْ بنتاً امتازت بالنضج المُبكِّر، وارتضعت المَواهب والفضائل مِن صدر اشرف أُمّهات العالَمين؟! وكبُرتْ ونَمَتْ في حِجْر بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعزيزته وحبيبته؟!

فالسيّدة زينب حَصيلة أبوين، كانت حياةُ كلٍّ واحدٍ منهما مُشْرقةً بالمزايا والمكرُمات، وكلّ صفحة منها تفتح للانسان آفاقاً واسعة يَطيرُ الفِكرُ في أرجائها، وتَسبَحُ كواكبُ الفضائل في فَضائها.

أجَل!

إنّها زينب .

وما أدراك مَن زينب!

هي زينبٌ بنتُ النبيِّ المُؤْتمَن *** هي زينبٌ أُمُّ المصائب والمِحَن

هي بنتُ حيدرة الوصيّ وفاطمٍ *** وهي الشقيقةُ للحسين و للحسن (1)

ثمّ .. أليسَ النَسَب الرفيع مِن أسباب العظمة؟!

أوَ ليسَ العِلْم الغزير – بما فيه الفصاحة والبلاغة – مِن موجِبات الشَرَف؟!

أوَ ليس الصبْر على المكاره والفجائع الدامية والحوادث المُذهِلة فضيلة؟!

أوَ ليست الشجاعة ومواجهة العدو الشَرِس، المُتجبّر الطاغي السَفّاك، تدلّ على قوّة القلب، وثَبات القَدم، والإيمان الصادق، والعقيدة الراسخة؟!

أوَ ليست صفة الوفاء والعاطفة والشَفَقة والحياء والعِفّة، في طليعة الفضائل؟!

فما تَقول لو أنّ هذه الصفات وغيرها منِ مكارم الاخلاق إجتمعتْ – بصورة وافرة – في سيّدة؟!

الا تُعتبر تلك السيّدة نادرة الكون ومَفخَرة التاريخ؟!

بعد هذه اللمحة الخاطفة عن بعض جوانب العظمة في

1– نُنبّه القارىء الكريم إلى أنّ هذين البيتين هي مِن نَظْم السيّد المؤلّف (رحمة الله عليه). المُحقّق

السيّدة زينب الكبرى نقول:

كيف يمكن لَنا الإحاطة بحياة سيّدةٍ قضتْ مُعظَم حياتها في الخِدْر، ووَراء السِتر، ولم يَطّلع على حياتها العائليّة إلا أهلُها وذَووها؟

والرزيّة كلّ الرزيّة: أنّ التاريخ قد ظلَمها كما ظَلَمها الناس. التاريخ ظَلمها كما ظَلمَ أباها وإخوتَها وأُسرتَها الطاهرة، ولم يَعبا المؤرِّخون بترجمة حياتها كما ينبغي، وكما تتطلَّبه هذه الشخصيّة .

ورَغمَ كلّ ذلك، رأينا أنْ نَجمعَ بعضَ ما وصَلَ إلينا مِن مَعلومات وعَيّنات تاريخيّة حولَها، ونُسلّط الاضواء على بعض جوانب حياتها الشريفة، ونَسأل اللهَ العليَّ القدير أنْ يوفّقنا لِتحقيق هذا الهَدَف، إنّه وليّ التوفيق.

المؤلّف

ص: 27

الفصل الأول

إشارة

* تاريخ ميلاد السيّدة زينب

* ولادة السيّدة زينب

* إسمها وكُنْيَتها

ص: 29

تاريخ ميلاد السيّدة زينب

في غضون السّنة السادسة مِن الهجرة استقبلَ البيتُ العَلَوي الفاطمي الطاهر - بكلّ فرح وسرور، وغبطة وحُبور - الطفلَ الثالث مِن أطفالهم، وهي البنت الأُولى للإمام أمير المؤمنين والسيّدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام).

ففي اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى وُلدت السيّدة زينب، (1) وفتحت عينَها في وجْه الحياة، في دارٍ يُشرف عليها ثلاثة هم أطهر خلْق الله تعالى: محمّد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين، وفاطمة سيّدة نساء العالَمين، صلّى الله عليهم أجمعين.

هذا هو القول المشهور بين الشيعة - حاليّاً - وهناك أقوال

1- المصدر: زينب الكبرى، للعلّامة الشيخ جعفر النَقْدي - رضوان الله عليه، المتوفّى سنة 1370 ه- - ص 17، باب إسمها وتاريخ ولادتها

تاريخيّة أخرى في تَحديد يوم وعام ميلادها المُبارك (1).

ويَجدرُ – هنا – أن نُشير إلى جريمة تاريخيّة ارتكبها عُملاءُ الأمويّين وأُعجبَ بها المُنحرفون الذين وَجَدوا هذه الجريمة – أو الأكذوبة التاريخية – تُلائم شذوذهم الفِكْري، وانحرافهم العقائدي.

فقد ذكرت الكاتبة المِصريَّة بنت الشاطيء في كتابها «بطلة كربلاء» ما نَصُّه:

«إنّها الزهراء بنت النبيّ، توشك أن تضَع في بيت النبوّة مولوداً جديداً، بعد ان أقرَّت عينَي الرسول بسبطيه الحبيبين: الحسن والحسين، وثالثٍ لم يُقدّر الله له أن يعيش، هو المُحسن بن علي....» (2)

مِن الثابت أنّ المُحسن بن الإمام علي هو الطفل الخامس لا الثالث، وهو الذي قُتلَ وهو جَنين في بطن أُمِّه بعد أن عصَروا السيّدة فاطمة الزهراء بين حائط بيتها والباب، وبسبَب الضرْب المُبَرِّح الذي أصابَ جسمهَا وكان السببَ في سقوط الجنين .

ولكنّ هذه الكاتبة المصريّة تَستعمل المُغالطة والتَزوير، وتُحاول إحقاق الباطل وإبطال الحقّ وتقول: إنّ السيّدة زينب

1- لمعرفة تفاصيل ذلك يُمكن لك مراجعة كتاب (زينب الكبرى) للنقدي ص 17، وكتاب (رياحين الشريعة) للمَحلّاتي ج 3 ص 33. المُحقّق

2- كتاب (بطلة كربلاء) لعائشة بنت الشاطيء، ص 16

وُلدت بعد المحسن بن علي الذي لم يُقدّر له ان يعيش!

فانظرْ كيف تُحاول بنتُ الشاطيء تغطية الجنايات التي قام بها بعضُ الناس بعد وفاة رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسلّم) واقتحامهم بيت السـيّدة فاطمة الزهراء (عليها السـلام) لإخراج الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السـلام) لِيُبايع خليفتَهم، ودفاع السيّدة فاطمة عن زوجها، وعدم السـماح لهم باقتحام دارها، وماجرى عليها مِن الضَرْب والرَّكْل والضغط، فكانت النتيجة سقوط جنينها الذي سَمّاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) – في حياته – مُحْسِناً، وهو – يومذاك – جنين في بطن أُمّه!!

وقد ذكرنا بعضَ ما يتعلّق بتلك المأساة في كتابنا: (فاطمة الزهراء مِن المهد إلى اللحد).

ص: 33

ولادة السيِّدة زينب

ولمّا وُلدت السيّدة زينب (عليها السلام) أُخبرَ النبيّ الكريم بذلك، فأتى منزلَ إبنته فاطمة، وقال: يا بُنيّة إيتيني ببنتكِ المَولودة.

فلمّا أحضرتْها أخذَها النبيُّ وضمَّها إلى صدره الشريف، ووضَعَ خدّه على خدّها فبكى بكاءً شديداً عالياً، وسالتْ دموعه على خدّيه .

فقالت فاطمة: مِمّ بكاؤك، لا ابكى الله عينك يا ابتاه؟

فقال: يا بنتاه يا فاطمة، إنّ هذه البنت ستُبتلى بِبَلايا وتَرِدُ عليها مَصائب شتّى، ورَزايا أدهى.

يا بَضعتي وقُرَّة عيني، إنّ مَن بكى عليها، وعلى مصائبها يكون ثوابُه كثواب مَن بكى على أخويها .

ص: 35

ثمّ سمّاها زينب. (1)

ص: 36

1- ناسخ التواريخ، المجلّد الخاص بحياة السيّدة زينب، المُسمّى ب- (الطراز المُذهَب في احوال سيّدتنا زينب). وجاء في هذا المصدر - أيضاً -: لمّا وُلدت السيّدة زينب، مَضى عليها عِدّة أيّام ولم يُعيّن لها إسم. فسالتْ السيّدة فاطمة من الإمام أمير المؤمنين (عليهما السلام) عن سبب التأخير في التسمية؟ فاجاب الإمام: أنّه يَنتظر ان يَختار النبيُّ الكريم لها إسماً. فاقبلت السيّدة فاطمة ببنتها إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) واخبرتْه بذلك. فهَبَط الأمين جبرئيل وقال: يارسول الله إنّ ربّك يُقرئك السلام ويقول: يا حبيبي إجعلْ اسمَها زينب. ثمّ بكى جبرئيل، فساله النبي عن سبب بكائه؟ فقال: إنّ حياة هذه البنت سوف تكون مَقرونة بالمَصائب والمَتاعب، مِن بِداية عُمْرها إلى وفاتها

إسمُها وكُنْيتُها

إسمُها: زينب

إنّ الاسماء مُشْتقّة مِن المَصادر، والمصادر – طبعاً ـ لها معنى ومفهوم، فما هو معنى كلمة «زينب»؟

الجواب: هناك قولان في هذا المجال:

الأوّل: إنّ «زينب» كلمة مُركّبة من: «زَين» و «أب». (1)

الثاني: إنّ «زينب» كلمة بسيطة وليست مُركَّبة، وهي إسمٌ لِشجرة أو وَرْدة. (2)

1- كما احتَملَ ذلك الفيروزآبادي في كتابه «القاموس المحيط»

2- جاء في كتاب (لسان العرب): «الزَينب شَجَرٌ حَسَن المَنْظر، طيّب الرائحة، وبه سُمّيت المرأة». وفي كتاب (لاروس): «الزَينب: نَبات عشْبي بصَلميّ مُعمّر، مِن فَصيلة النرجسيّات، ازهاره جميلة بيضاء اللون فَوّاحة العَرْف». وفي كتاب (القاموس) : «... أو مِن الزَينب [إسم] لِشَجَر حَسَن المَنْظر طيّب الرائحة، واحِدَتُه: زَيْنَبة، قالَه ابن الأعرابي. أو أصلُها زَيّنُ أب، حُذفت الألف لِكثرة الإستعمال . المُحقق

وعلى كلّ حال .. فلا خلاف في انّ هذا الإسم جميل وحسَن المعنى .. على كلِّ تقدير .

كُنيتُها: «أمّ كلثوم» و«أمّ الحسن» (1).

يوجد – في كُتب التراجم – اضطراب شديد حول هذا الإسم وهذه الكُنية، فالمَشهور أنّ السيّدتين: زينب وأُمّ كلثوم بنتان للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مِن السيِّدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام) (2).

1- كتاب (تُحفة العالم في شرح خُطبة المعالم) للسيد جعفر بحر العلوم، المتوفّى سنة 1377ه-

2- لقد جاء التعبير عن السيّدة زينب الكبرى – في بعض كُتب الحديث والتاريخ – بكلمة «أمّ كلثوم»، وهنا عدّة إحتمالات: الإحتمال الأوّل: أنّ هذا التعبير هو كُنْية لها . الإحتمال الثاني: أنّه إسم ثانٍ لها . الإحتمال الثالث: أنّه إشتباه وخطأ مِن بعض المؤرّخين، حيث أنّهم عَبّروا عنها باسم أُختها، أو بكُنية أُختها الإحتمال الرابع: وجود سبب آخر خَفيَ علينا، بسبب ظُلْم التاريخ الترجمة حياة أهل البيت .. رجالاً ونساءً. ولكلّ واحدة مِن هذه الإحتمالات الاربعة قَرائن وشواهد تاريخيّة، يَطول الكلام بذِكْرها، وهو خارج عن نطاق وإطار التعليق الهامشي، لكن الذي يَتبادر إلى الذهن بعد الدراسة الموضوعيّة – والله العالم – هو أنّ أقوى الإحتمالات: هو الإحتمال الأوّل، خاصةً وانّ شخصيّة البنت الثانية للإمام أمير المؤمنين أُحيطتْ بسحاب كثيف مِن الغموض والإبهام والتشويش، إلى درجة انْ بعضَ المُعاصرين أعطى لنفسه الجُرأة في أن يُنكر وجودَ بنتٍ ثانية للإمام مِن زوجته السيّدة فاطمة الزهراء .. يكون اسمها أمّ كلثوم! وعلى كلّ حال .. فقد كان السيّد المؤلّف يَطمئن .. بل ويَقطع بأنّ المقصود مِن أُمّ كلثوم – في كثيرٍ مِن كُتب الحديث والتاريخ – هي السيّدة زينب الكبرى، وهذا ما نُلاحظه حين الإستماع إلى مجالسه ومحاضراته، المُسجَّلة على أشرطة الكاسيت، ونُلاحظه – أيضاً – حين التدقيق في فصل (حياة السيّدة زينب في عهد والدها الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام) ففي كثير من الفقرات التاريخيّة المرتبطة بفاجعة مقتل الإمام علي امير المؤمنين يوجد التعبير بجُملة «تَقول أُمّ كلثوم» ، وقد فَهم المؤلّف أنَّ المقصود – في أكثر تلك المقطوعات – هي السيّدة زينب الكُبرى فذكرَ الكلام ونَسَبَه إلى السيّدة زينب سلام الله عليها. ولعلّ التَتبّع في كُتُب الحديث والتاريخ يوصِل الإنسانَ إلى نتائج دقيقة تُزيح كثيراً مِن ستائر الإبهام والغموض حول هذا الإسم وهذه الكُنية. المُحقّق

وقـد جاء التَعبير عن السـيّدة زينب الكبرى – في بعض الأقوال التاريخيّة وعلى لسان بعض الخطباء والمؤلّفين ب–«العَقيلة»، وهذا وَصْـفٌ للسيّدة زينب وليس إسماً (1)، ونحن نَجد في كُتب

1– ذكر أبو الفَرَج الإصـفهاني – المتوفّى سـنة 356ه– في كتابه (مَقاتل الطالبيّين) صـفحة 60 طبع النجف الاشـرف عام 1385 ه– – في ترجمة عون بن عبدالله بن جعفر – مايلي: «أُمّه: زينب العقيلة، والعقيلة: هي التي رَوى ابنُ عباس عنها كلامَ فاطمة في «فَدَك» فقال: حَدّثَتْنا عقيلتُنا زينبُ بنت علي عليه السلام

اللغة معاني عديدة لكلمة «العَقيلة»، فمنها المرأة الكَريمة، النَفيسَة، المُخدّرة (1).

ومعنى الكريمة: المحترمة .

ص: 40

1- كما في كتاب «لسان الَعرب» لابن مَنظور. وقال ابن منظور - ايضاً -: «عقيلة القوم: سيّدهم، وعقيلةُ كلِّ شيء: اكرمُه». وقال ابن دُريد في «جَمهرة اللغة»: فلانة عقيلة قومها: أي: كريمَتُهم. وقال ابن زكريّا في «مُجمَل اللغة» والجوهري في «صِحاح اللغة»: «العقيلةُ: كَريمة الحَيّ من النساء». وجاء في «المعجَم الوسيط»: «العقيلة: السيّدة المُخدّرة». وجاء في «الموسوعة العربيّة في الألفاظ الضِديّة» للسماوي اليَماني ما معناه: العقيلةُ - من النساء- سيّدتُهم، يُقال: فلانة عقيلةُ قومها. وقال الخليل بن أحمد في كتابه (العين): «العقيلةُ: المرأة المخدّرة، وجَمْعُها: عَقائل». أقول : هذا ما ذكَره علماءُ اللغة، وقد يَتبادر إلى الذِهن أنّ «العقيلة» صيغة مُبالَغة، مُشْتقّة مِن العقل، بمعنى كَثْرة العقل والنُضْج، وقد ظَهَرَ للعالَم - بكلّ وضوح - أنّ السيّدة زينب الكُبرى (عليها السلام) كانت في درجة عالية جداً وجداً مِن العقلِ الوافر والحِكْمة والحنكة، فبعَقلها استطاعتْ أن تُدير «قافلة آل الرسول» مِن كربلاء إلى الكوفة، ومِن الكوفة إلى الشام، واخيراً مِن الشام إلى المدينة المنوّرة. وفي المدينة - أيضاً - قامتْ بدورٍ كبير بالتَنسيق مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) في إدارة المجالس العزائيّة، والحفاظ على حَرارة مَقتل سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وكَشْف الغطاء عن المَلفّ الأسود ل- «يزيد» الحاقد، وبَني أُميّة ومَن يَدور في فَلَكهم. المُحقّق

الفَصل الثاني

إشارة

* السيّدة زينب في عَهْد جَدّها الرسول

* السيّدة زينب في عهْد أُمّها البتول

* السيّدة زينب في عهْد والدها أمير المؤمنين

* السيّدة زينب تُعلّم تفسيرَ القرآن لِنساء الكوفة

* السيّدة زينب مع أخيها الإمام الحسن المُجتبى

* العلاقات الودّية بين السيّدة زينب و أخيها الإمام الحسين

السيِّدة زينب في عَهْد جدِّها الرسول

إنّ الـذكاء المُفرِط، والنُضـج المُبكّر يُمهّـدان للطفل أن يَرقى إلى أعلى الـدرَجات – إذا اسـتُغلَّت مَواهبه – وخاَّصـةً إذا كانت حياته مُحاطة بالنزاهة والقداسة، وبكلّ ما يُساعد على توجيه الطفل نَحو الأخلاق والفضائل.

بعد ثبوت هذه المقدّمة نَقول:

ما تقول في طفلةٍ: روحُها اطهر مِن ماء السماء، وقَلْبها اصفى مِن المِرآة، وتَمتاز بنصيب وافر مِن الوعي والإدراك تفتح عينَها في وجوه أُسرتها الـذين هم أشـرف خَلْق الله، وأطهر الكائنات، وتَنمو وتكبُر وتَـدرج تحتَ رعايـة والد لا يَشـبه آباء العالَم، وفي حِجْر والدةٍ فاقتْ بنات حوّاء شرفاً وفضلاً وعظمة؟!!

وإذا تحدَثْنا عن حياتها على ضوء عِلْم التربية، فهناك يَجفّ القلم، ويَتوقّف عن الكتابة، لأنّ البحث عن حياتها التربويّة يُعتبر

بَحْثاً عن الكنز الدَفين الذي لا يُعرَف له كمٌّ ولا كيف.

ولكنّ الثابت القطعي أنها تربية نموذجيّة، وحيدة وفريدة.

وهل يستطيع الباحث أو الكاتب أو المُتكلّم أن يُدرك الجوّ العائلي المَستور في بيت الإمام علي والسيّدة فاطمة الزهراء عليهما السلام؟

لقد رُوِيَ أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلم – قرأ قولَه تعالى: «في بُيوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ ويُذكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبّحُ لَهُ فيها بِالْغُدُوِّ والآصالِ ...» (1) فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله أيّ بيوتٍ هذه؟

فقال: بيوت الأنبياء.

فقامَ إليه أبو بكر فقال : يا رسول الله هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة.

فقال النبي: «نعم، مِن أفضلها» (2)

ويجب أن لا ننْسى أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) – الذي أعطى المناهج التربويّة للأجيال، واضاء طُرُقَ التربية الصحيحة للقُرون – لابدَّ وانّه يبَذل إهتماماً بالغاً

1– سورة النور، الآية 36

2– البرهان في تفسير القرآن، للسيّد هاشم البحراني، عند تفسير الآية الكريمة

وعنايةً تامّةً في تربية عائلته، ويُمهّد لهم السبيل حتّى ينالوا قمّة الأخلاق والفضائل.

وخاصّةً حينما يَجِدُ فيهم المؤهّلات والإستعداد لِتَقبُّل تلك التعاليم التربويّة.

ومِن الواضح أنَّ السيّدة زينب – بمَواهبها واستعدادها النفسي – كانت تتقبَّل تلك الأُصول التربويّة، وتَتبلْور بها، وتَندمج معها. (1)

1– ومِن ذِكْريات الطفولة في حياة السيّدة زينب (عليها السلام) نَقرأ في كتُب التاريخ: أنّها سألتْ أباها ذاتَ يوم فقالت: اتُحبّنا يا ابتاه؟! فقال الإمام: وكيفَ لا أُحبّكم وانتُم ثَمرة فؤادي! فقالت: يا أبتاه إنّ الحُبّ لِله تعالى، والشّفَقة لنا . المصدر: كتاب «زينب الكبرى» للنَقدي، وهو يَحكي ذلك عن كتاب «مَصابيح القلوب» للشيخ حسن السبزواري، المعاصِر للشهيد الأول، رضوان الله عليهم . إنّ هذا الحوار الجميل يَدلّ على أكثر مِن معنى، فمِن ذلك: 1 – جوّ الوُدّ والصّفاء الذي كان يُخيّم على دار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والعلاقات الطيّبة بين الوالد الرؤف وبين طفلته الذكيّة! 2 – إنّ الحُبّ يَنقسمُ إلى أكثر مِن قِسم، باعتبار نوعه ومَنشَئه ومُنْطلقه، وكلُّ قسمٍ منه له إسم خاصّ به، لكن يُطلَق على الجميع كلمة «الحُبّ». فهناك حُبّ الإنسان لِله تعالى الذي خَلَق البشر وانعَمَ عليهم بأنواع النِعَم. وهناك حُبّ الوالد لاطفاله، الذي يَنبعث مِن العاطفة والحَنان، وقد عَبّرتْ السيّدة زينب عن هذا النوع ب– «الشّفَقة». ونَقرا في كُتُب اللغة أنّ الشفقة: هي العَطف والحَنان والرافة والحُنوّ. فهي – إذَن – : فصيلة خاصَّة مِن الحُبّ .. يَنبعث مِن قلب الوالدين لأطفالهما. 3 – المُستوى الرفيع لِتفكير السيّدة زينب .. رغم كونها في السنوات الأولى مِن مرحلة الطفولة. أجل، إنّها سيّدة .. حتّى يوم كانت طفلة! ونَقرأ – أيضاً – عن الذكاء المُبكّر للسيّدة زينب: أنّ والدها اجلسَها في حِجْره – يوم كانت طفلة – وبَدا يُلاطفها، وقال لها : بُنيّة قولي واحد. فقالت: واحد. قال: قولي إثنين. فسكتتْ! فقال لها : تكلّمي يا قُرَّة عيني. فقالت: يا ابتاه ما أُطيق أنْ اقول اثنين بلسانٍ أجريتُه بالواحد. فضَمّها إلى صدره وقَبّلَها بينَ عينَيها. المصدر: كتاب (زينب الكبرى) للنقدي ص 34. إنّ هذه اللقطة التاريخيّة تدلُّ – بكلّ وضوح – على قوّة التفكير والنُضج المُبكّر في ذِهن وفِكْر السيّدة زينب، حتى وهي في عُمْر الطفولة، فكلامها هذا يَدلّ على الأفكار والمفاهيم والمعاني التي كانت تَجول في خاطرها! فاللسان الذي قال: واحد، لا يمكن له أن يَنطق بكلمة: اثنين، لانّ لكلمة «واحد» ظِلال في ذِهْن السيّدة زينب عليها السلام، كلّما ذُكرت الكلمة تَبادر إلى الذهن ذلك الظِلال، وهو وحدانيّة الله سبحانه، وعدم وجود إلهٍ ثانٍ يُشاركه في الألوهيّة والرُبوبيّة و إدارة الكون. المُحقّق

واكثرُ إنطباعات الإنسان النفسيّة يكون مِن أثر التربية، كما

ص: 46

أنّ أعمالَه وأفعالَه، بل وحتّى حركاته وسَكَناته، وتَصرّفاته واخلاقه وصفاته نابعة مِن نوعيّة التربية التي أثَرتْ في نفسِه كلَّ الأثَر.

إذن، فمن الصحيح أن نقول: إنّ السيّدة زينب تلقّتْ دروسَ التربية الراقية العُليا في ذلك البيت الطاهر، كالعِلْم – بما في ذلك الفصاحة والبلاغة، والإخبار عن المُستقبل – ومعرفة الحياة، وقوّة النفس وعِزّتها، والشجاعة والعقل الوافر، والحكمة الصحيحة في تدبير الأُمور، واتّخاذ ما يَلزم – مِن مَوقِف او قَرار –

ص: 47

تِجاه ما يَحدُث .

بالإضافة إلى إيمانها الوثيق بالله تعالى، وتقواها، ووَرعها وعَفافها، وحَيائها، وهكذا إلى بقيّة فضائلها ومكارمها.

وقد كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يَغمر اطفالَ السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعواطفه، ويشملهم بحنانه، بحيث لم يُعهَد مِن جَدّ ان يكون مُغرَماً باحفاده إلى تلك الدرَجة.

وكان (صلّى الله عليه وآله وسلّم) – إذا زارَهم في بيتهم أو زاروه في بيته – يُعطر خُدودَهم وشِفاهَهم بقُبلاته، ويُلصِق خَدّه بخدودهم.

ويَعلم الله تعالى كم مِن مرّة حَظيَت السيّدة زينب (عليها السلام) بهذه العواطف الخاصّة؟!

وكم مِن مرَّةٍ وَضَع الرسول الأقدس (صلّى الله عليه وآله وسلّم) خَدّه الشريف على خَدّ حفيدته زينب؟! وكم مِن مرّة أجلسَها في حِجْره؟!

وكم مِن مرّة تَسلَّقَتْ زينب اكتافَ جَدّها الرسول؟!

ويؤسفنا أنّه لم تَصِلْ إلينا تفاصيل أو عيّنات تاريخيّة تَنفعنا في هذا المَجال، وحول السنوات الخَمس التي عاشتْها السيّدة تحتَ ظِلّ الرسول الاعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم. (1)

ص: 49

1- ونَقرأ في بعض كُتُب التاريخ رؤيا مُخيفة رأتْها السيّدة زينب وهي في عُمْر الطفولة، فحَدّثَتْ بذلك جَدّها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقالت: يا جَدّاه رأيتُ - البارحة - أنّ ريحاً عاصِفة قد إنبعَثتْ فاسوَدَتْ الدنيا وما فيها وأظلمت السماء، وحرّكتْني الرياح مِن جانب إلى جانب، فرأيتُ شجرة عظيمة فتَمسّكتُ بها لكي أسلمَ مِن شِدَّة الريح العاصفة، وإذا بالرياح قد قَلَعت الشجرة مِن مكانها والقَتْها على الأرض! ثمّ تمَسّكتُ بغُصْنٍ قوي مِن اغصان تلك الشجرة فكسرتْها الرياح، فَتعلّقتُ بغُصن آخر فكسّرتها الريح العاصفة،!! فتمسّكتُ بغُصن آخر وغُصن رابع، ثم استيقظتُ مِن نومي! وحينما سَمعَ رَسولُ الله منها هذه الرؤيا بكى وقال: أمّا الشجرة فهو جَدُّكِ، وأما الغُصنان الكبيران فهما أُمّكِ وأباكِ، وأما الغُصنان الآخران فاخَواكِ الحسَنان، تَسودُّ الدنيا لِفَقْدهم، وتَلْبَسين لباسَ المُصيبة والحِداد في رزيّتهم. المصدر: كتاب (زينب الكبرى) للشيخ جعفر النقدي ص 18، مع تصرف يَسيرٍ مِنّا في بعض الكلمات. المحقّق

السيِّدة زينب في عَهْد أمِّها البتول

تَستانس البنتُ بأُمّها أكثر مِن استيناسها بابيها، وتَنسجم معها أكثر مِن غيرها، وتُعتبر روابط المَحبّة بين الأم والبنت مِن الأُمور الفطريَّة التي لا تحتاج إلى دليل، فالأنوثة مِن اقوى الروابط بين الأُم وبنتها .

وإذا نَظرنا إلى هـذه الحقيقة مِن زاوية عِلْم النفس، فإنّ الأُم تُعتبر ينبوعاً للعاطفة والحنان، والبنت – بطَبْعها وطبيعتها – مُتعطّشة إلى العاطفة، فهي تَجد ضالَّتها المَنشودة عند أُمّها، فلا عجَبَ إذا اندفعتْ نحو أُمّها ، وانسَجَمتْ معها روحاً وقلباً وقالياً.

والسـيّدة زينب الكبرى كانت مَغْمورة بعواطف أُمّها الحانيـة العَطوفـة، وقد حَلّتْ في أوسع مكان مِن قلب أُمٍّ كانت اكثر أُمّهات العالَم حَناناً ورافةً وشفقةً باطفالها.

ص: 51

والسـيّدة زينب الكبرى تَعرف الجوانب الكثيرة مِن آيات عظمة أَمّها سيّدة نساء العالَمين وحبيبة رسول الله وقُرَّةِ عينه وثمرة فؤاده، وروحِه التي بين جَنْبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فقد فَتحتْ السـيّدة زينب الكبرى عينَيها في وَجْه أطهر أُنثى على وَجْه الأرض، وعاشَتْ معها ليلَها ونهارَها، وشاهدتْ مِن أُمّها أنواع العبادة، والزُهْد، والمُواساة والإيثار، والإنفاق في سبيل الله ، وإطعامَ الطعام مسكيناً ويتيماً وأسيراً.

وشاهـدتْ حيـاة أُمّها الزوجيَّة، والإحترام المُتبادَل بينها وبين زوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السـلام)، وإطاعتها له، وصَبْرها على خُشونة الحياة وصعوبة المَعيشة، ابتغاء رضى الله تعالى.

كما عاصَـرتْ السـيّدةُ زينب الحوادثَ المُؤلمـة الّتي عَصَـفَتْ بأُمّها البتول بعـد وفاة أبيها الرسول، وما تَعرَّضت له مِن الضَـرْب والأذى، كما سبَقتْ منّا الإشارة إلى ذلك.

وانقضتْ عليها ساعات اليمة وهي تُشاهد أُمّها العَليلة، طريحةَ الفِراش، مكسورةَ الضِلع، داميةَ الصدْر، مُحْمرّة العَين.

كما رافقَتْ أُمّها الزهراء (عليها السـلام) إلى مسـجد رسول الله – صـلّى الله عليه وآله وسلّم – حين إلقاء الخطبة، كما ستَقرأ ذلك في فصل (بعض مارُويَ عن السيّدة زينب) إن شاء الله تعالى.

السيّدة زينب في عَهْد والدها أمير المؤمنين

بعد أن وصل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مِن البصرة إلى الكوفة، واستقرّ به المكان، إلتحقتْ به العوائل مِن المدينة إلى الكوفة .

ومِن جملة السيّدات اللّواتي هاجَرن مِن المدينة إلى الكوفة هي السيّدة زينب (عليها السلام) وقد سَبقَها زوجُها عبدالله بن جعفر، حيث كان في جيش الإمام لدى وصوله إلى البصرة.

والمُستفاد مِن مَطاوي التواريخ والاحاديث أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) – بعد انقضاء مُدَّة مِن وصوله إلى الكوفة – نَزلَ في دار الامارة، وهو المَكان المُعَدّ لِحاكم البلدة، ومع تواجد الإمام في الكوفة لم يكن هناك حاكمٌ أو أمير غيره، فلماذا لا يَنزل في دار الامارة؟

ويَتبادر إلى الذِهْن أنّ دار الامارة كانتْ مُشتَملة على حُجُرات وغُرف عديدة واسعة، وكان كلٌّ مِن البنات والاولاد

(المتزوّجين) يسَكنون في حُجرة مِن تلك الحُجُرات، والسيّدة زينب كانت تَسكن مع زوجها في حُجرة أو غرفة مِن غُرف دار الإمارة. (1)

ومكثت السيّدة زينب (عليها السلام) في الكوفة سنوات،

ص: 54

1- السيدة زينب تُعلّم تفسيرَ القرآن لنساء الكوفة وجاء في التاريخ أنّ جَمْعاً مِن رجال الكوفة جاؤا إلى الامام امير المؤمنين (عليه السلام) وقالوا: إنذنْ لِنسائنا كي ياتينَ إلى ابنتك ويَتعلّمن منها مَعالمَ الدين وتفسيرَ القرآن. فاذنَ الإمامُ لهم بذلك، فبَدأتْ السيّدة زينب بتدريس النساء. ويَعلم الله عددَ النساء المُسلمات اللواتي كُنَّ يَحضرنَ درس السيّدة .. طيلةَ أربع سنوات أو أكثر. وذاتَ يوم دخَلَ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الدار، فسَمع ابنتَه زينب تَتحدَّث للنساء - في دَرْسها - عن الحروف المُقطّعة في اوائل السور، وعن بداية سورة مريم بشكل خاص. وبعد انتهاء الدرس إلتقى الإمامُ بابنته وقال لها: يا نورَ عيني اتعلَمين أنّ هذه الحروف هي رَمْز لما سيَجري عليكِ وعلى اخيك الحسين في أرض كربلاء، ثمِ بَدا يُحدّثها عن بعض تفاصيل تلك الفاجعة. المصدر: كتاب (الخَصائص الزينبيّة) للسيّد الجزائري المُتوفّى عام 1384 ه-، ص 68، وكتاب (رياحين الشريعة) للمحلاتي ج 3 ص 57. المُحقّق

وعاصَـرت الاحداث والإضـطرابات الداخليّة الّتي حدَثَتْ: مِن واقعة صِـفّين إلى النَهروان، إلى الغارات التي شَـنّها عُمَلاء معاوية على بلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

إنقضت تلك السـنوات المَريرة، المليئة بالآلام والمآسـي، وانتَهتْ تلك الصفحات المُؤلمة بالفاجعة التي اهتزّتْ منها السماوات والأرضون، وهي حادثة استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

لقد كانت العلاقات الودّية بين الإمام أمير المؤمنين وبين أولاده وبناته على أطيب ما يُمكن، وفي جوٍّ مِن الصفاء والوفاء، والعاطفة والمَحبّة .

والإمام أمير المؤمنين هو السـلطان الحاكم على نصف الكُرة الأرضيّة، ومعه عائلته المَصونة وأبناؤه المكرّمون، ولكنّه – في شهر رمضان مِن تلك السـنة، وهي السـنة الأخيرة والشـهر الأخير مِن حياته – كان يُفطِر ليلةً عند ولده الإمام الحسن، وليلة عند ولده الإمام الحسين (عليهما السلام) وليلةً عند السيّدة زينب التي كانت تعيش مع زوجها عبدالله بن جعفر، (1) كلُّ ذلك تَقْويةً لأواصِر

1- المصدر: الإرشاد للشـيخ المفيد، ص 169، وذُكر أيضاً في «بحار الأنوار» للشـيخ المجلسي، ج 41 ص 300، باب إخباره بالغائبات وعِلْمه باللُغات. نقلاً عن كتاب الخرائج

المَحبّة والتواصُل بينَه وبينَ أشباله وبناته.

وفي الليلة التاسعة عشرة مِن شهر رمضان، كانت النَوبة للسيّدة زينب، وافطرَ الإمام فى حُجرتها وقدّمتْ له طَبَقاً فيه رغيفان مِن خُبز الشعير، وشيء مِن المِلْح، وإناء مِن لَبَن.

كان هذا هو فطور الإمام أمير المؤمنين الذي كان يَحكم على نصف العالمَ، وانهار الذهب والفضّة تَجري بين يديه.

واكتفى الإمام – تلك الليلة – برغيف مِن الخبز مع الملح فقط.

ثمّ حَمِدَ اللهَ واثنى عليه، وقام إلى الصلاة، ولم يَزلْ راكعاً وساجداً ومُبْتَهِلاً ومُتضرّعاً إلى الله تعالى.

ولا أعلم لماذا بات الإمام في حُجرة ابنته السيّدة زينب – تلك الليلة –؟

ولعلّه اختارَ المَبيت في بيتها حتّى تُشاهد وتَرى، وتَروي مُشاهَداتها ومَسموعاتها عن أبيها أمير المؤمنين في تلك الليلة، إذ كانت تلك الليلة تمتاز عن بقيّة الليالي، فإنّها تُحدّثنا فتَقول:

إنّه (عليه السلام) قال لاولاده: «إنّي رأيتُ – في هذه الليلة – رؤيا هالَتْني، وأُريد أن أقصّها عليكم».

قالوا: وما هي؟

قـال: «إنّي رأيتُ – الساعـةَ – رسولَ الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) في منامي وهو يقول لي: يا أبا الحسن إنّك قادم إلينا عن قريب، يَجيء إليك أشـقاها فيَخضب شَيبتَك مِن دم رأسك، وانا – واللهِ – مُشتاق إليك، وإنّك عندنا في العَشر الآخِر مِن شهر رمضان، فهَلُمّ إلينا فما عندنا خَيرٌ لك وابقى».

فلمّا سَمِعوا كلامه ضَجّوا بالبكاء والنحيب، وأبدَوا العَويل، فأقسَمَ عليهم بالسكوت، فسكتوا. (1)

وتقول السيّدة زينب (عليها السلام):

لم يَزل أبي – تلك الليلـة – قائماً وقاعـداً وراكعاً وساجداً، ثمّ يَخرُج ساعة بعد ساعة، يُقلّب طَرْفَه في السـماء ويَنظر في الكواكب وهو يقول: والله ما كُذبتُ ولا كَذبت، وإنّها الليلة التي وُعدتُ بها. ثمّ يعَود إلى مُصـلاه ويقول: اللهمّ بارِكْ لي في الموت. ويُكْثرُ مِن قول: «إنّا لِله وإنّا إليه راجعون»، و«لاحول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»، ويُصلّي على النبي وآله – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ويَسْتغفرُ اللهَ كثيراً.

تقول: فلمّا رايتُه – في تلك الليلة – قَلِقاً مُتَملْمِلاً (2)

1- كتاب «بحار الأنوار» للشيخ المجلسي ج 42 ص 277، باب 127

2- مُتَمَلْمَلاً: التَمَلْمُل: هو الإضـطراب وعدم الإستقرار بسَبَب الهَمّ أو الألَم. وجاء في كتاب (العين) للخليل بن احمد: المَلْمَلة: أن يَصير. الإنسانُ مِن جَزَع أو حُرقةٍ كانّه يَقِف على جَمْر. وقال الفيروزآبادي في (القاموس): التمَلْمل: التَقَلّب . . مَرَضاً أو غمّاً. المُحقّق

كثيرَ الذِكْر والإستغفار ، أرقْتُ معَه لَيلَتي (1) وقلت: يا أبتاه ما لي اراك في هذه الليلة لا تَذوق طعْمَ الرُقاد؟

قال – عليه السلام – : يا بُنيّة إنّ اباكِ قتَلَ الأبطال وخاضَ الأهوال وما دَخَل الخوفُ له جَوْفاً، وما دخلَ في قلبي رُعبٌ أكثر ممّا دخَلَ في هذه الليلة. (2)

ثمّ قال: إنّا لِله وإنّا إليه راجعون.

1- ارقتُ معه: أي سَهَرْتُ معه الارَق: السَهَر

2- بناءً على صحّة هذه المَقطوعة مِن التاريخ يَتبادر إلى الذِهْن هذا السؤال: لماذا الخوف؟ الجواب: لاشكّ أنّ الخوف لم يكن مِن الموت، لأنّ الإمام (عليه السلام) يُقسِم على الله تعالى – اكثر مِن مَرّة – انّه لا يَخاف الموت، وأنّه «آنَسُ بالموت مِن الطفل بصَدر أُمّه» وأنه «لايُبالي أوقَعَ على الموت أمْ وَقَع الموتُ عليه». وساحاتُ الحَرب وميادينُ القِتال تَشْهَد له بصِدْق كلماته هذه. فلَعلّ سبب الخوف: هو هَيبة لقاء الله تعالى والإنتقال مِن عالمَ الفَناء إلى عالَم البقاء. أو الخوف والقَلَق على مُستقبَل الأُمّة –تقبَل الأمة بعد غِياب الإمام عن ذلك المُجتَمع، وبسَبَب خَطر المؤامرات الّتي كان يَحيكها معاوية ضدّ الإسلام والمسلمين. أو لغير ذلك مِن الأسباب والله العالم. المُحقّق

فقلت: يا ابتاه، ما لَك تَنعى نفسَك في هذه الليلة؟

قال: يا بُنيّة قد قَرُبَ الاجَل وانقَطعَ الأمَل.

قالت: فبكيتُ، فقال لي: يا بُنيّة لا تبكيْ فإنّي لم أقُلْ ذلك إلّا بماعَهِدَ إليَّ النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

تقول (عليها السلام): ثمّ إنّه نَعَسَ وطَوى ساعة، ثمّ استيقظَ مِن نومه وقال: يا بُنيّة إذا قَرُب وقتُ الاذان فاعلميني.

ثمّ رَجَع إلى ما كان عليه أوّلَ الليل مِن الصلاة والدعاء والتضرّع إلى الله سُبحانه وتعالى .

فجعلتُ ارقُبُ وقتَ الاذان، فلمّا لاحَ الوقت أتيتُه ومَعي إناء فيه ماء، ثمّ ايقظتُه فاسبَغَ الوضوء، وقامَ ولَبِسَ ثيابَه وفَتَح بابَ الحُجْرة، ثمّ نَزَل إلى ساحة الدار.

وكانتْ في الدار إوَزّ (1) قد أُهديتْ إلى اخي الحسين، فلمّا نَزَل خَرجْنَ وراءَه ورَفْرفْنَ وصِحْنَ في وَجْهه – ولم يَصحْن قبلَ تلك الليلة – فقال (عليه السلام): «لا إله إلّا الله، صَوارخ تَتْبَعُها نَوائح، وفي غَداة غَدٍ يَظْهَرُ القضاء».

فقلت: يا ابتاه هكذا تَتَطيّر؟!

1- إوَزّ – بكسْر الهمزة وفَتْح الواو وتشديد الزاي –: البَط، كما في (مجمع البحرين) للطُريحي. وقيل: الإوَزّ: طائر يَشْبه البَط في شكله العام ولكنّه أكبر منه حَجماً واطول عُنُقاً. كما في كتاب (المعْجَم الوسيط)

فقال: «يا بُنيّة! ما مِنّا – اهل البيت – مَن يَتطيّر، ولا يُتطيّر به، ولكنْ قولٌ جَرى على لساني».

ثم قال – عليه السلام –: «يا بُنيّة! بحَقّي عليكِ إلّا ما أطْلقْتيه، فقد حَبَسْتِ ما ليسَ له لسان ولا يَقدرُ على الكلام إذا جاعَ أو عطَش، فاطعميه واسقيه وإلّا خَلّي سبيلَه ياكل مِن حَشائش الأرض».

فلمّا وصَلَ إلى الباب عالَجَه ليَفتحَه، فتَعلّقَ البابُ بمِئْزَره، فانْحَلَ مِئْزَرَهُ حتّى سقَط، فاخذَه وشَدّه وهو يقول:

أشدُدْ حَيازيمَك للمَوت *** فإنّ المَوتَ لاقيكا

ولا تَجزَعْ مِن المَوت *** إذا حَلّ بِنادِيكا

كما أضحَكَكَ الدَهْرُ *** كذاك الدهر يُبْكيكا

ثمّ قال: «اللهمّ بارِكْ لنا في المَوت، اللهمّ بارِكْ لي في لِقائك».

تَقول السيّدة أُمّ كلثوم:

وكنتُ أمشي خَلْفه، فلمّا سمعتُه يقول ذلك قلتُ: واغَوثاه يا أبتاه! اراك تَنعى نفسك مُنذُ الليلة؟!

فقال – عليه السلام – : يا بُنيّة! ما هو بِنعاء، ولكنّها

دلالات وعلامات للمَوت .. يَتْبَعُ بعضُها بعضاً».

ثمّ فَتحَ الباب وخَرَج.

فجئتُ إلى أخي الحسن فقلت: يا اخي قد كانَ مِن أمْرِ أبيك الليلة كذا وكذا، وهو قد خَرج في هذا الليل الغَلس، فالحَقْه. (1)

فقام الحسن (عليه السلام) وتَبِعَه، فلحِقَ به قبل أن يَدخل الجامع، فأمَره الإمامُ بالرجوع، فرجَع.

أيّها القارىء الكريم:

هنا نَنْقل ما ذكرَه المؤرّخون، ثمّ نَعود إلى حديث السيّدة زينب عليها السلام:

لقد جاء الإمام علي (عليه السلام) حتّى دخل المسجد، فصعدَ على المِئْذَنَة ووَضعَ سَبّابتَيه في أُذنَيه وتَنَحْنَح، ثمّ اذَنَ فلمْ يَبقَ في الكوفة بيت إلّا اخترقَه صوتُه، ثم نزَلَ عن المِئْذَنَة وهو يُسبّح اللهَ ويُقدّسه ويُكبّره، ويُكثِر مِن الصلاة على النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) .

وكان يَتفَقّد النائمين في المسجد ويقول للنائم: الصلاة

1- الغَلَس - بفَتْح اللام -: ظُلْمة آخر الليل كما في (القاموس) للفيروزآبادي. وقيل: ظَلام آخر الليل إذا اختَلَط بضَوء الصّباح. كما في كتاب (مجمَع البحرين) للطريحي

يَرحَمُك الله، قُمْ إلى الصلاة المكْتوبة، ثمّ يَتلو: «إنّ الصّلاةَ تَنْهى عن الفَحْشاء والمُنْكَرِ». (1)

.... ثمّ اتّجَه نحو المِحْراب وقام يُصلّي، وكان (عليه السلام) يُطيلُ الركوع والسجود، فقام ابنُ ملجم (لعنَه الله) لارتكاب أكبر جريمة في تاريخ الكون، وأقبَلَ مُسرعاً حتّى وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الإمام يُصلّي عندها، (2) فامهلَه حتّى صلَى الركعة الأُولى وسَجَدَ السَجدة الأُولى ورَفعَ رأسَه منها، فتقدَّم اللعين ورفَعَ السيف وهَزّه ثمّ ضربَ الإمامَ على راسَه الشريف، فوقَعت الضرْبة على مكان الضرْبة التي ضربَه عمرو بن عبْدود العامري، يومَ الخندق.

فوقَع الإمامُ (عليه السلام) على وجهه قائلاً: بسم الله وبالله وعلى مِلّة رسول الله، فُزْتُ ورَبِّ الكعبة، هذا ما وَعَدَ اللهُ ورسولُه، وصَدقَ اللهُ ورسولُه.

وسالَ الدمُ على وَجْهِه الشريف، وشَيبَته المُقدّسة، وعلى

1- سورة العنكبوت، الآية 45

2- الأُسطوانة: العَمود الذي يَعتَمِد عليه سَقْفُ البِناء. وكلمة «أُسطوانة» مُعَرّبَة مِن اللغة الفارسيّة، واصلُها: «سُتون» او «أُسْتُون» المُحقّق

صدره وأزياقه (1)، حتّى اختُضِبتْ شَيبتُه وتَحقّق ما أخبرَ عنه الرسولُ الكريم.

وفي هذه اللحظة الأليمة هتَفَ جبرئيل – بينَ السماء والأرض – ذلك الهتاف السَماوي الذي لم يَسبِق له مَثيلٌ في تاريخ الأنبياء والأوصياء.

لقد هَتفَ جبرئيل بشهادة الإمام علي (عليه السلام) كما هتَفَ – يوم أُحُد – بِفُتوَّته وشهامته يومَ قال: «لا فَتى إلا علي لاسيفَ إلّا ذوالفقار».

فقد اصطفَقَتْ ابوابُ المسجد الجامع (2)، وضَجَّت الملائكةُ في السماء، وهَبّتْ ريحٌ عاصفة سوداء مُظلمة، ونادى جبرئيل بصوتٍ سَمِعَه كلُّ مُسْتَيقِظ:

«تَهَدّمَتْ – والله – أركانُ الهُدى، وانطَمسَتْ – واللهِ – نُجومُ السماء واعلامُ التُقى، وانفَصَمتْ – والله – العُروةُ الوثقى، قُتلَ ابنُ عمّ محمّد المصطفى، قُتلَ الوصيُّ المُجتبى، قُتلَ عليٌّ المُرتضى، قتلَ – واللهِ – سيّدُ الأوصياء، قَتلَه اشقى

1- ازياق – جَمْع زِيق .. بالكسر: زيق القَميص: ما احاطَ بالعُنُق مِن القميص. كما في كتاب القاموس وتاج العروس. وبتعبير آخر: زِيق: فَتْحة القميص التي يُدخل الإنسان راسَه منها. المُحقّق
2- إصطفَقَتْ: ضَرَبَتْ بعضُها ببعض، ضرباً يُسمَعُ منه الصوت

الأشقياء».

فلمّا سمعتْ السيّدة أُمّ كلثوم نَعيَ جبرئيل لَطَمتْ على وَجهها وخَدِّها، وشَقّتْ جَيبَها وصاحتْ: وا ابتاه! واعليّاه! وامُحمّداه! واسيّداه!

.... ثمّ حَملوا الإمامَ – والناس حولَه يَبكون ويَنتحِبون – وجاؤا به إلى الدار. فاقبلتْ بناتُ رسول الله وسائر بنات الإمام، وجَلسْنَ حولَ فِراشه يَنظرن إلى أسد الله وهو بتلك الحالة، فصاحت السيّدة زينب وأُختُها: ابتاه مَن للصغير حتّى يَكْبُر؟! ومَن للكبير بين الملأ؟!

يا ابَتاه! حُزنُنا عليك طويل، وعَبْرتُنا لاترقا. (1)

فضَجَّ الناس – مِن وراء الحُجرة – بالبكاء والنَحيب، وشاركَهم الإمام (عليه السلام) وفاضَتْ عيناه بالدموع.

وفي ليلة الحادية والعشـرين مِن شـهر رمضان، في الساعة الأخيرة مِن حياة الإمام (عليه السلام) كانت السيّدة زينب (عليها السلام) جالسة عنده تَنظر في وَجْهه، إذ عَرقَ جَبينُ الإمام، فجَعلَ يمْسحَ العَرقَ بيده، فقالت زينب: يا ابَه اراك تمسح جَبينَك؟

قال: يا بُنيّة سَمعتُ جَدّكِ رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله

1- لا تَرقا: لا تَنْقطع، أو لا تَجُفّ

وسلّم) يقول : «إنّ المؤمن إذا نَزَلَ به الموتُ ودَنَتْ وفاتُه عَرَقَ جَبينُه وصار كاللؤلؤ الرَطِب، وسَكنَ انينُه».

فعند ذلك القَتْ زينبُ بنفسها على صدر ابيها وقالت: يا ابَه حدَّثَتْني أُمُّ أيمن بِحَديث كربلاء، وقد احبَبْتُ أن اسمَعَه منك. (1)

فقال (عليه السلام): «يا بُنيّة! الحديث كما حدّثَتْكِ أُمُّ أيمن، وكأنّي بكِ وبنساء أهلكِ لَسْ بايا بهذا البَلد، خاشِ عين تَخافونَ أن يَتخطّفكم الناس، فصَبْراً صبراً».

ثمّ التفتَ الإمام إلى ولَديه الحسن والحسين (عليهما السلام) وقال: «يا أبا محمّد ويا أبا عبدالله، كانّي بكما وقد خَرجَتْ عليكما مِن بعدي الفِتَن مِن هاهنا وهاهنا، فاصْبِرا حتّى يَحكمَ الله وهو خيرُ الحاكمين.

يا اباعبدالله! أنتَ شهيدُ هذه الأُمَّة، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه .

ثمّ أُغميَ عليه وأفاق، وقال: هذا رسولُ الله وعَمّي حمزة وأخي جعفر واصحابُ رسول الله، وكلّهم يَقولون: عَجّلْ قُدومَكَ علينا فإنّا إليك مُشتاقون .

1- سوف نَذكر لَمْحة سريعة عن أُمّ أيمن، في فَصل (بعض ما رُويَ عن السيّدة زينب عليها السلام)

ثمّ ادارَ عَينَيه في وُجوه اهـل بيته وقال لهم: «اسـتودِعُكم الله»، وتَلا قولَه تعالى: «لِمِثْل هـذا فلْيَعمل العامِلون» (1) وقولَه سبحانه: «إنّ الله مع الّذين اتّقَوا والّذين هم مُحْسِنون» (2).

ثمّ تَشَهدَ الشهادَتين وفارقَ الحياة.

فعند ذلك صَرختْ زينب وأُمّ كلثوم وجميعُ نسائه وبناته، وشَقَقْنَ الجُيوب، ولَطَمنَ الخدود، وارتفعت الصيحة في الدار.

.... ولمّا فرغ اولاد الإمام (عليه السـلام) مِن تغسـيله، نادى الإمامُ الحسن أُختَه زينب وقال: يا أُختاه هَلمّي بحنوط جَدّي رسول الله – وكان قد نَزَل به جبرئيل مِن الجَنّة –.

فبادرتْ السيّدة زينب مُسرِعةً حتّى الله به، فلمّا فَتحتْه فاحَت الدار لشدّة رائحة ذلك الطيب.

أيّها القارىء الكريم: هذا بعض ما يَرتبط بالسـيّدة زينب في حياة أبيها العظيم الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السـلام) وقد اقتطفنا ما يَرتبط بمقتل أبيها مِن كتابنا: الإمام علي مِن المهد إلى اللحد.

1- سورة الصافات، الآية 61

2- سورة النحل، الآية 128

السيّدة زينب مع اخيها الإمام الحسن المجتبى

إنّ الاحترام اللائق، والتقدير الرفيع كان مُتبادَلاً بين السيّدة زينب الكبرى وبين أخيها الأكبر، وهو السبط الأوّل لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الإمام الزكيّ، الحسن المُجتبى عليه السلام.

إنّ السيّدة زينب كانت تَنظر إلى أخيها الامام الحسن مِن مِنظارَين:

1 – مِنظار الأُخوّة.

2 – مِنظار الإمامة.

فمِن ناحية: يُعتبر الإمام الحسن الأخ الأكبر للسيّدة زينب (عليها السلام) ومِن المعلوم أنّ الأخ الأكبر له مكانة خاصّة عند الإخوة والأخوات، وقد وَرَد في الحديث الشريف: «الاخُ الاكبر

بمنزلة الأب» (1).

ومِن ناحيـة أُخرى: يُعتبر الإمام الحسن (عليه السـلام) إمامَ زمان السـيّدة زينب بعـد شـهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السـلام) ولهذا فإنّ احترامها لأخيها كان يَنبعث من هذين المُنطلَقَين.

وتَجدر الإشارة إلى أنّ كلّ ما سَ نَذكره – مِن الروابط القلْبيّة بين السـيّدة زينب والإمام الحسـين – فهي ثابتةٌ بينها وبين أخيها الإمام الحسـن أيضاً.

وإذا كان التاريخ قد سَكتّ عن التفاصيل فإنّ اصل الموضوع ثابت.

ونكتفي – هنا – بما ذُكرَ في بعض الكُتُب مِن موقف السيّدة زينب حينما حضرتْ عند أخيها الإمام الحسن ساعةَ الوفاة :

«.... وصاحتْ زينب: وا أخاه! واحَسَناه! واقِلّةً ناصِراه! يا أخي مَن الوذُ به بعدَك؟!

وحُزْني عليك لا يَنقطع طولَ عُمْري! اثمّ إنّها بكتْ على أخيها وهي تَلْثم خَدّيه وتَتَمرَّغ عليه، وتبكي عليه طويلاً». (2)

1– الحديث مَرويّ عن الإمام علي بن موسـى الرضا (عليه السـلام). ذُكر في كتاب «بحار الأنوار» ج 75، ص 335، طبع لبنان عام 1403 –ه

2– مَعالي السِبطين، للمازندراني، ج 1، المجلس التاسع

العلاقات الوديَّة بين السيّدة زينب واخيها الإمام الحسين

إِنّ رَوابط المَحبّـة، والعلاقات الودّيـة بين الإخوة والاخَوات كانت مِن قـديم الزمان، حتّى صارت يُضـرَب بها المَثَل في المَحبّة والمودَّة بين اثنين، فيُقال: كانّهما أخَوان أو كأنّهما أخٌ وأُخت .

ولكنّ العلاقات الودّية وروابط المحبّة بين الإمام الحسـين وبين أُخته السيّدة زينب (عليهما السلام) كانت في القمّة وكانت تَمتاز بمزايا، ولا أُبـالغ إذا قلتُ: لا يوجـد ولم يوجـد في العالَم أخٌ وأُختٌ تربُطهما رَوابطُ المحبّـة والوداد مثْل الإمام الحسـين وأُخته السـيّدة زينب. فإنّ كلاً منهما كان قد ضَرَبَ الرقم القياسي في مجال المحبّة الخالصة، والعلاقات القلبيَّة.

وكيف لا يكونان كذلك وقد تَرَبَّيا في حِجْرٍ واحد وتَفرّعا

ص: 69

مِن شجرة واحدة؟!

ولم تكن تلك العلاقات مُنبَعثة عن عاطفة القرابة فحسْب، بل عَرفَ كلّ واحدٍ منهما ما للآخَر مِن الكرامة، وجَلالة القَدر وعِظَم الشان.

فالسيّدة زينب تَعرفُ أخاها بأنَّه:

سيّد شباب أهل الجنّة ورَيحانة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وتَعلم بانَّ الله تعالى قد اثنى على اخيها في آيات كثيرة مِن القرآن الكريم، كآية المباهَلة، وآية المودَّة، وآية التطهير، وسورة «هل أتى»، وغيرها من الآيات والسُوَر.

بالاضافة إلى أنّها عاشتْ سنوات مع أخيها في بيتٍ واحد، وشاهَدَتْ ما كان يَتمتَّع به أخوها مِن مكارم الاخلاق والعبادة والروحانيّة، وعَرَفتْ ما لاخيها مِن علوّ المنزلة وسُموّ الدرَجة عند الله عزّوجلّ.

وتَعلم أنّه إمامٌ مَنصوب مِن عند الله تعالى، مَنصوص عليه بالإمامة العُظمى والولاية الكُبرى مِن الرسول الاقدس صلّى الله عليه وآله وسلّم.

مع توفُّر شروط الإمامة ولوازمها فيه، كالعِصْمة، والعِلْم بجميع أنواع العلوم، وغير ذلك.

وهكذا يَعرف الإمامُ الحسين (عليه السلام) أُختَه السيّدةَ زينب

حَقّ المعرفة، ويَعلم فضائلَها وفَواضِلها وخصائصَها.

ومِن هنا يُمكن لنا أنْ نَطَّلع على شيء مِن مَدى الرَوابط القويَّة بين هذا الاخ العظيم وأخته العظيمة.

وقد جاءَ في التاريخ: أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان يَقرأ القرآن الكريم - ذاتَ يوم - فدَخَلتْ عليه السيّدة زينب، فقامَ مِن مكانه وهو يَحملُ القرآنَ بيده، كلُّ ذلك احتراماً لها. (1)

1- كتاب (ذَخيرة المعاد) للشيخ زين العابدين المازندراني

الفصل الثالث

إشارة

* زواج السيّدة زينب عليها السلام

* عبدالله بن جعفر

ص: 73

زواج السيِّدة زينب عليها السلام

لمّا بَلَغَتْ السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) مَبلَغ النساء، خطَبَها - فيمَن خَطَبَها - ابنُ عمّها: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

وكان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يَرغَبُ أن يُزوّج بناته مِن أبناء عُمومتهنّ: أولاد عقيل وأولاد جعفر، ولعلّ السبب في ذلك هو كلام رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) - حينَ نظرَ إلى أولاد الإمام علي وأولاد جعفر بن أبي طالب، فقال -: «بَناتُنا لبَنينا، وبَنونا لبَناتنا». (1)

وحَصلت المُوافقة على الزواج، وتَمّ العَقْد المُبارَك في جوٍّ عائلي يَغْمره الوُدّ والمحبّة، وزُفّت السيّدة زينب (عليها

1- كتاب (مناقبُ آل أبي طالب) لابن شهر آشوب المُتوفى عام 588 للهجرة، ج3 ص 305، فصل: في ازواجه وأولاده، وذكره الشيخ المجلسي في (بحار الأنوار) ج 42 ص 92، باب 120

السلام) إلى دار زوجها عبدالله بن جعفر .. بكلّ إجلال واحترام. وانجَبَتْ منه أولاداً كانوا ثَمَرات تلك الشجرة الطَيّبة، وفروعَ أغصانها، فلقد وَرِثوا المجد والشَرَف مِن الجانبين. (1)

ص: 76

1- هناك نَظريّة تقول: «إنّ الزواج مِن الأقارب شيء مَذموم، وينبغي الإبتعاد عنه لكي يكون النَسْل الناتج مِن الزوجين نَسْلاً سليماً مِن ناحية الصحّة البَدنيّة والنَفسيّة». ولهذه النّظريّة مؤيّدون ومُخالفون. ونحن نَذكر تعليقَنا عليها مِن خِلال عِدّة نقاط: النقطة الأُولى: إنّ مُجرّد الزواج مِن الأقارب ليس شيئاً مذموماً، بل المذموم هو الزواج منهم في بعض الحالات، وهي: الحالة الأُولى: فيما لو كان الرَجل أو المرأة مُصاباً بمرض يَنتقل إلى النَسْل عن طريق الوراثة، وكان ذلك المرض منتشراً بين سائر افراد العشيرة، فحينئذٍ يُفضّل عدم الزواج من الأقارب .. في حالة العِلْم أو الظن بوجود المرض في الطَرَف الآخر - الذي هو مِن الأقارب -. الحالة الثانية: فيما لو عُلم عدم وجود الإنسجام بين فَصيلة دمِ هذا وفَصيلة دم تلك، وأنّ الزواج بين هذين سوف يُسبّب إشكالات مُهمّة في النَسْل والذُرّية. وإليك هذا المثال للحالة الأُولى مِن هاتين الحالتين: هناك مرض يُعبّر عنه ب- (التكسّر في الدم) وهو مُنتشر في بعض العوائل والعشائر - ونَسال اللهَ تعالى الشفاءَ العاجِل لِكلّ مؤمنٍ ومؤمنة -، فلو كان الرجل مُصاباً بهذا المرض وتزوّج بامرأة سليمة، تكون نِسْبة إحتمال إنتقال المرض إلى نَسْله 10% - مَثَلاً -، لكنّه لو تَزوّج بامرأة مِن اقربائه وهي مُصابة بنفس المرض، تَرتفع نسبةُ إحتمال إنتقال المرض إلى 80٪ أو أكثر، حسَب اختلاف الحالات. وحينما نُلاحظ هذا المثال - بِدقّة - يَتّضحُ لنا أنّه ليس مجرّد الزواج مِن الأقارب أمراً مَذموماً، بل المذموم: هو اختيار زوج غير سَليم أو زوجة غير سَليمة، حيث يَعني ذلك: عدم إتّخاذ إجراءات وِقائيّة كافية لِضَمان مستقبَل صِحّي جيّد للنَسْل والذُريّة. وهذا لا يَختَصّ بالأقارب، بل هو عام .. يشمل الأباعد أيضاً. فلا ينبغي فَتْح باب جديد - في عِلْم الطِب - تحت عنوان: «كراهة أو مَخاطر الزواج مِن الأقارب»، فإنّ ذلك يعني: التفكير حول القضايا تفكيراً سَطحياً، والغفلة عن المضاعَفات المؤسِفة الناتجة عن التطبيق - بشكل عام - لهذه النَظريّة غير الناضجة. النقطة الثانية : لقد ذُكرتْ في التعاليم الإسلاميّة - الواردة في موضوع الزواج والعلاقات الزوجيّة - أسباب كثيرة للتعوّق والتَشوّه في الخِلْقة، والإصابة بالأمراض البَدَنيّة والنفسيّة، وغير ذلك مِن أنواع الإعوجاج في النَسْل والذُريّة، وهي عامّة للجميع.. ولا تَختصّ بالاقارب. وهي جَديرة بالدراسة والإهتمام، فيَلزم مَعرفتها والتطبيق الحَرْفي لها، والإعتماد عليها.. لا على النظَريّات التي تَشكو مِن عدم النُضج. النقطة الثالثة: إنّ نظريّة «كراهة الزواج مِن الأقارب» وَصلتْ إلينا مِن بلاد الغَرب، وهي تَعتمد - أوّلاً واخيراً - على التجارب التي أجريَتْ في المجتمعات الغَربيّة فقط. فلعلّ هناك أسباباً أُخرى تُورث التَعوُّق إجتمعتْ - عندهم - مع عامِل الزواج مِن الأقارب، فسَبّبتْ - معاً أو لِوَحْدها - التشوّه والإعاقة. والأسباب الأُخرى هي مِثْل: المُمارسة الجنسيّة بعد شُرْب الخمر وفي حالة السُكر. أو تكوّن النطفة مِن لحم الخنزير، أو بعض الحيوانات أو الأسماك التّي حَرّم الله تعالى اكْلَ لُحومها. أو إنعقاد النطفة بعد الإسراف في عدد الممارسات الجنسيّة . أو الإهمال الكامل لجميع الإرشادات الدينيّة المُرتبطة باللَحظات الأولى لِتكوّن الجنين. وما أشبَه ذلك من الأسباب الأُخرى. فهنا ينبغي عدم مُقايَسة المجتمع الغَربي مع المجتمعات الإسلاميّة النظيفة - بالكامل أو بنسبةٍ مّا - عن الخَمر والخنزير، والأجواء المُثيرة لِغَريزة الجِنس، والغفلة عن تعاليم السماء. وينبغي -- أيضاً -- البحث لإكتشاف السبب الرئيسي للتعوّق، والقيام بتجارب عِلميّة.. مع الأخذ بعين الإعتبار لتعاليم السماء. وتَجنُّب الخَلْط بين المفاهيم والأمور، والأسباب والمُسبّبات. قُلْ للذي يَدّعي في العِلْم فلسفةً *** حفِظَت شيئاً وغابتْ عنكَ أشياءُ النقطة الرابعة: يؤسِفُنا ان بعض المثقّفين مِن المسلمين - الذين يَتقبَّلون نَظريّات الغَرب تَقبُّلاً غير واع - يُشجّعون على ترك الزواج من الأقارب بشكلٍ عام، وهم في جَهْل أو غفلة عن الأضرار الناتجة من ذلك، ففي الزواج مِن غير الأقارب توجد - غالباً - الفُروق والإختلاف في العادات والتقاليد والأجواء والأخلاق، والجهل بنفسيّة الطَرَف الآخَر وحقيقته، وهذه الفُروق تكون - غالباً - سَبباً رئيسيّاً لِخَلْق أرضيّة النزاعات، وإيجاد جُذور الإختلافات، وبُروز طبَقة مِن البُرود المؤسِف الذي يُخيّم على العلاقات الزوجيّة والعائليّة. وتكون - في النهاية - بمنزلة المِعْوَل الهَدّام لإضعاف أُسس الأُسرة السعيدة، ومَنْع تكوّن الإنسجام المطلوب بين الزوجين. النقطة

الخامسة: هناك بعض العشائر والعوائل التي تَعيش في حالة مؤسفة مِن التنافر والتفكك الأسَري، بسبب ابتعادها عن أخلاقيّات الدين، وعدم رُضوخها لتعاليم الإسلام المُرتبطة بتركيبة حياة البشر. وفيها يَشِبّ الأطفال على الاحقاد، وعلى بُغْض الأعمام والعَمّات والأخوال والخالات، وغيرهم مِن أفراد العشيرة، وتعيش هذه الأُسَر – أحياناً – مُنغَلقة على نفسها، فلا تَزاورَ ولا تعاون ولا صِلة أرحام، ولا وُدّ ولا صَفاء. فإنْ كانت بعض العوائل تُعاني مِن هذه الظاهرة المؤسفة، فلا يَعني ذلك أنّها تتصوّر وجودَ نفس التفكّك في العشائر الأُخرى، وتَقيس بنفسها جميع العوائل، وبذلك تَضُمّ صوتَها إلى مَن يُرفع لوحة (كراهة الزواج مِن الأقارب .. بصورة عامّة). النقطة السادسة: حينما نُلقي نظرة فاحِصة على المُجتمعات الإسلاميّة المعاصِرة نَجد عشرات الملايين من الأفراد الذين تَزوّجوا مِن أقاربهم – كابن العَم وبنت العَم – ولم يَحصل في نَسْلهم تَعوّق أو هُزال أو غَباء، أو مرض يكون قد إنتقَلَ إليهم بسبب زواج والديهم مِن الأقارب. النقطة السابعة: إنّنا حينما نُلاحظ تاريخَ أهل البيت (عليهم السلام) نَجد أنّ الزواج مِن الأقارب كانت ظاهِرة مُنتشرة جدّاً في حياتهم: 1– فهذا نبيُّ الإسلام سيّدنا محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) زَوّج ابنتَه سيّدةَ نساء العالَمين السيّدة فاطمة الزهراء مِن ابن عمّ والدها: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. 2 – وهذا مولانا اميرالمؤمنين (عليه السلام) زَوج ابنتَه السيّدةَ زينب الكبرى مِن ابن عمّها: عبدالله بن جعفر. 3 – وذاك الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) تَزوّج بنتَ عمّه: السيّدةَ فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. مع الإنتباه إلى أنّ هؤلاء الأطهار مَعصومون من الخطا والخَطَل، في القَول والعَمل، بصَريح قوله تعالى: «إنّما يُريدُ الله ليُذهبَ عنكم الرجْسَ أهلَ البيت ويُطهّركم تطهيراً»، وهم مُقتدى الاجيال والأمم، فلو كان في مجرّد «الزواج مِن الأقارب» قُبْح او خَطا أو خَطَر .. لَكان المُتوقّع منهم الإبتعاد عنه، أو ذِكْر سَبَب وَجيه لِزواجهم مِن الأقارب، كي لا يَقتدي بهم الناس في ذلك. هذا .. وقد تَزوّج مسلمُ بن عقيل بنتَ عمّه: السيّدة رقيّةَ بنت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). وتَزوّج محمدُ بن جعفر بنتَ عمّه: السيّدةَ أُمّ كلثوم بنت الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام). وتَزّوج عون بن جعفر بنت عمّه عقيل بن أبي طالب. والمُتَتبّع – في التاريخ – يَحصل على مَصاديق وَعيّنات أُخرى لما ذكرنا . فإنْ قال قائل: إنّهم فَعَلوا ذلك لِعَدَم وجود أمراض وراثية في افراد عشيرة بَني هاشم .. رجالاً ونساءً، فلا يَصحّ تعميم القانون على جميع الناس؟ قلنا في الجواب: نعم، لم تكن هناك امراض وراثيّة. ولكن يَجب أنْ نَعلَم بانَّ الأصْل في الخَلْق هو: الصّحة .. وليس المرض. والحالات المَرَضية أُمور طارئة لا يَنبغي – بسببها – تَعميم قانون المَنْع .. على الجميع. يُضاف إلى ذلك .. أنّ التعاليم الدينيّة تضمن الصحّة للجميع، وتتكفّل صيانة المجتمع مِن الأمراض الوراثية وغيرها، وشِعارُها مع الشر: «الوقاية خيرٌ مِن العلاج» ولا تَمنع مِن اتّخاذ التدابير اللازمة والتحقيق المُسْبَق مِن أجل سلامة النَسل والذُريّة. النقطة الثامنة: ليس معنى تعليقنا هذا هو التأييد العام المُطلَق لِكُلِّ زواج مِن الأقارب، فهناك النزاعات والإختلافات العائليّة والطائفيّة والعقائديّة، والبُرود في العلاقات .. وهي أُمور تَجعل المجال مفتوحاً للزواج مِن غير الأقارب، حَذَراً مِن العَواقب المُحتمَلة. هذا .. والتفصيل يَحتاج إلى مجال واسع لِدراسة الموضوع دراسةً عِلْمية شامِلة، مع ذِكْر الإثباتات والوثائق العِلميّة، ومناقشة أدلّة الطَرَفين: المؤيّدين والمخالفين لهذه النظريّة. المُحقّق

عبد الله بن جعفر

لا أراني بحاجـة إلى التحـدّث عن حياة جعفر الطيّار – رضوان الله عليه – والـد عبدالله، ولا أجدُ ضـرورة إلى التحدّث عن حياة سـيّدنا أبي طالب (عليه السلام) أو عقيل أو بقيّة رجالات وسيّدات هذه الأُسرة، الّذين يَنحدرون عن سيّدنا أبي طالب.

وإنّما المقصود – هنا – هو التحدّث عن عن حياة عبد الله بن جعفر، وذلك لكونه زوج السيّدة زينب الكبرى عليها السلام.

كان عبدالله شخصيّة لامعة في عصْره، يَمتاز عن غيره نَسَباً وحَسَباً، وجُوداً وكرَماً، فقد ذَكَرَه اربابُ التَراجم – مِن الفَريقين (السُنّة والشيعة) في كُتُب التاريـخ والحـديث والرجال – بكلّ ثناء وتقـدير، وعَدّوهُ مِن أصـحاب رسول الله (صـلِى الله عليه وآله وسـلّم) والإمام أمير المؤمنين، والإمام الحسن والإمام الحسين والإمام السجِاد (عليهم السلام) .

ص: 85

وقد كان رابِطَ الجاش (1) قويَّ القلب، شُجاعاً، شَهَلَتْه - في طفولته - بركة دُعاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وامتَدّتْ إلى آخر حياته.

فقد ذكرَ سبطُ إبن الجوزي في كتابه (تَذْكرة الخواص) في ذِكْر أولاد جعفر بن أبي طالب:

«عبدالله ، وبه كان يُكنّى (2)، ومحمّد، وعَوْن، وأُمُّهم: أسماء بنت عميس، ولَدَتْهم بارض الحبَشة (3) وكان جعفر قد هاجر إلى الحبشة الهِجْرة الثانية.

وأشهرهم: عبدالله، وكان مِن الأجواد، وهو مِن الطبقة الخامسة (4) ممّن توفّي رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو

1- الجَاش: النَفْس، والقَلب. يُقال: هو رابط الجاش أي: ثابتٌ عند الشَدائد، وقويّ القلب في الحروب والمُنازَعات. المُحقّق

2- أي: وكان جعفر يُكنّى ب- «أبي عبدالله»

3- بلاد الحَبَشَة: هي دولة «إثيوبيا» المعاصرة، وعاصمتها «اديس آبابا»، وهي تَقَع في قارّة إفريقيا، يَحُدّها مِن الشمال والغَرب: جمهورية السودان، ومِن الشَرق: البحر الأحمر وجمهورية الصومال، ومِن الجنوب الصومال وكينيا. المُحقّق

4- لقد قَسَّمَ مؤلّف كتاب «الطبَقات الكُبرى» صَحابَة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى تَقْسيمات خاصَّة، وبكيفيّة مُعيّنة تَبادرتْ إلى ذِهْنه، وعَبّر عن كلّ قِسْم ب- «الطبقَة»، فجَعَلَ - مَثَلاً - الصَحابَة الذين حَضَروا يومَ بَدْر قِسْماً خاصّاً وطبَقة أولى، وهكذا ... وحَسَب تقسيمه جَعَلَ عبدَالله بنَ جعفر مِن الطبقة الخامسة

حَدَث، ولمّا ولدتْه أمَّه اسماءُ بالحبشَة، ولد – بعد ذلك بايّام – للنجاشي وَلَد (1) فسّمّاه عبدالله، تَبرّكاً باسمه، وأرضعتْ أسماءُ عبدَالله بن النجاشي بلَبَن ابنها عبدالله. (2)

وقال ابن سعد في كتاب (الطبَقات) (3):

حَدَّثنا الواقدي، عن محمّد بن مسلم، عن يحيى بن أبي يعلى، قال:

سمعتُ عبدَالله بن جعفر يقول: «أنا أحفَظُ حِينَ دخلَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على أُمّي فنَعى إليها أبي، فأنظر إليه وهو يَمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تَذْرفان – أو تهرقان – بالدموع حتّى تَقطُر لحيتُه.

ثمّ قال: «اللهمّ إنّ جعفراً قد قَدم إلى أحسَن الثواب، فاخلُفْه في ذُرِّيّته باحسَن ما خلفت أحَداً مِن عِبادك في ذريّته».

1- النجاشي: لَقَب مَلِك الحبشة يومذاك، واسمه: الأصْحَم بن أبجر

2- المصدر: كتاب «تَذكرة الخواص» السبط ابن الجوزي، ص 189

3- على ما حَكاه عنه سبط ابن الجوزي في كتابه «تَذكرة الخواص» ص 189 – 190

ثمّ قال: «يا أسماء! ألا أَبشّركِ؟»

قالت أُمّي: بلى، بابي أنتَ وأُمّي يا رسول الله!

قال: «فإنّ الله قد جَعَل لجعفر جَناحين يَطيرُ بهما في الجنّة».

فقالت: يا رسول الله فاعْلِمِ الناسَ بذلك.

فقامَ رسولُ الله فاخذ بيدي ومسَحَ براسي، ورَقى المنبر، فاجْلَسَني أمامَه على الدرجة السُفلى - والحُزْن يُعرَف عليه - (1) فتكلّم وقال:

«إنّ المَرء كثيرٌ باخيه وابن عمّه، الا: إنّ جعفراً قد استُشْهد، وقد جَعَل الله له جناحين يَطير بهما في الجنّة».

ثمّ نَزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ودخَلَ بيتَه وادخَلَني معه، وأمَرَ بطعامٍ فصُنعَ لأهْلي.

ثمَّ أرسلَ إلى أخي، فتَغدّينا عنده غذاءً طيّباً مُباركاً .... وأقَمْنا ثلاثة أيام، نَدورُ معه في بيوت ازواجه ثمّ رجعْنا إلى بَيتنا.

فاتانا رسولُ الله وأنا أُساومُ بشاة أخاً لي (2)، فقال: «اللهمّ

1- أي: والحُزْن ظاهِرٌ على مَلامح وَجْهه الكريم

2- أُساوم: المُساومَة: طلَبُ البائع المُغالاة في الثَمَن، وطلبُ المُشتري التَخفيض في ذلك. وقيل: هو الكلام الذي يَسْبق المُعاملة التجارية. «المُحقّق»

بارِكْ له في صَفْقَته» (1)، فما بِعتُ شيئاً ولا اشتريتُ إلّا بُورِكَ فيه». (2)

ولعبد الله بن جعفر حوارٌ وكلام في مَجلس معاوية بن أبي سفيان، يَدلّ على ما كان يَتمتّع به عبدالله مِن قوّة القلب، وثَبات الجَنان، والإيمان الراسِخ بالمَبْدأ والعقيدة، وعدم الإكتراث بالسُلطات الظالمة الغاشِمة.

أضفْ إلى ذلك الفصاحة والبلاغة والمستوى الأدبَي الأعلى الأرقى. فقد ذكر إبن أبي الحديد في (شرح نَهج البلاغة) عن المدائني:

قال: بينا معاوية – يوماً – جالس، وعنده عمرو بن العاص إذ قال الآذِن (3): قد جاء عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

فقال عمرو: والله لأسوانّه اليوم!

1– الصّفقة: ضَرْبُ اليَد على اليَد في البَيع. وكان العَرَب إذا أرادوا إنهاء مُعاملة البيع ضَرَب أحدُهما يَدَه على يَد صاحبه. والمعنى: اللهمّ بارِكْ له في صَفقاته التجاريّة ومُعامَلاته. «المُحقّق»

2– تَذكرة الخَواص، لِسِبط ابن الجوزي، ص 189 – 190

3– الآذِن: الحاجِب، ويُعبّر عنه – حاليّاً – بالسكرتير أو البَوّاب

فقال معاوية: لا تَفعل يا أبا عبدالله، فإنّك لا تنتصف منه، ولعلّك أن تُظْهِرَ لنا مِن مَغبَّته ما هو خَفيّ عنّا، (1) وما لا نُحبّ أن نَعْلَمه منه!!

وغَشيَهم عبدُ الله بن جعفر (2) فادْناهُ معاوية وقَرّبه.

فمالَ عَمرو إلى جُلَساء معاوية فنالَ مِن علي (عليه السلام) جهاراً غير ساترٍ له، وثَلَبه ثَلْباً قبيحاً!! (3)

فالتمَعَ لونُ عبد الله، واعتَراه الافْكَل (4)

1- مَغَبّته: عاقِبةُ أمْره. وفي نسخة: مِن مَنْقَبَته ما هو خَفيٍّ عنا

2- غَشِيَهم: دَخَل عليهم

3- ثَلبَه: تَنقّصَه وذكرَ مَعايبه. ومِن الواضح اأّه لم يكن في الإمام أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) عَيبٌ أو مَنْقَصَة، لكنّ الأكاذيب لها دَورها، والنَفْسيّات اللَئيمة القَذِرة تُعبِّر عن هَويّتها ونَواياها، وتَظهر عن طريق تصرّفات الإنسان وسُلوكه. وكلٌّ مَن يُدير ظهرَه للحقّ لا بدّ له أنْ يَسْحَقَ وجدانَه، ويُسكّت إرسالات تانيب الضمير .. بالأكاذيب والتُهَم التي يَعلّم - بنفسه - زَيفَها. ثمّ إنّ محاولة التزّلف إلى معاوية تَجعَل القَبيح حَسَناً والحسَن قبيحاً. المُحقّق

4- الافْكَل: رَجَفةٌ شديدة تَعتري الإنسان عند شِدّة الغَضَب أو شدّة الخوف أو البَرد

حتّى أرعدَتْ خَصائلُه (1) ثمّ نزل عن السَرير كالفنيق (2) فقال عمرو: مَه يا اباجعفر؟

فقال له عبدالله: مَه؟ لا أُمَّ لك؟ ثمّ قال:

أظنُّ الحِلْمَ دَلّ عليّ قَومي *** وقد يَتجَهّل الرجلُ الحليمُ

ثمّ حَسَر عن ذراعيه (3)، وقال:

يا معاوية! حتّى متى نَتَجرّع غَيظَك؟

وإلى كم الصَبْر على مَكروه قولك، وسَيّئ ادبَك، وذَميم اخلاقك؟

1- ذُكر في أكثر كُتُب اللغـة: أن الخَصائل - جَمْع خَصـيلة - : كلُّ لَحْمةٍ فيها عَصَب. والظاهر أنّ شِدّة الغَضَبِ جَعلتْ الرَجْفة تَظهر على مَلامح عبدالله وعلى يديه واعضاء جسمه. المُحقّق

2- الفَنِيقُ - مِن الناقـة - : الفَحْل المُقْرم الّـذي لا يؤذي ولا يُركبَ. كما عن كتاب «العين» للخليل بن أحمـد، وجاء فيه - ايضاً - ناقة فَنَق: جَسِيمَة وحَسَنة الخَلْق. ولعلّ تَشْبيه عبد الله بالفَنيق .. لأنّه كان ضَخْمِ الجِسْم. المُحقّق

3- أي: رَفَعَ أكمامَ ثوبه وكشَف عن ذِراعَيه، إسـتعداداً للمُواجَهـة الشديدة والحرب الكلاميّة مع معاوية، الذي سَـكتَ عن الموقف العدواني لعمرو، حيث إنّ المُتكلّم الذي يُريد استعمال إشارات يديه اثناء الكلام الجادّ .. يَرفع أكمامَه، مع الإنتباه إلى الأكمام الواسعة الطويلة التي كانت مُتعارَفة في مَلابس ذلك الزمان. المُحقّق

هَبَلَتْكَ الهَبُول!! (1)

أما يَزجُرُك ذِمامُ المُجالَسة مِن القَذْع لجَليسك (2) إذا لم يكن له حُرْمة مِن دِينك تَنهاك عمّا لا يَجوز لك؟!

أما: والله لو عطفتك أواصر الأرحام، أو حاميتَ عن سهمك من الإسلام، ما أرخَيْت - لِبَني الإماء المُتك (3) والعُبيد المُسك (4) - أعراضَ قومك.

وما يَجهَلُ موضعَ الصَفوة إلاّ أهل نَجْوة (5).

1- هَبَلَتْكَ الهَبول: هَبَلَت الأُمُّ وَلَدها: تكلَتْهُ، فهي هَبُول. كما في المعجم الوسيط

2- أي: أما يَمنَعُكَ آدابُ المُجالسة مِن مَنْع مَن يُريد إهانة جَليسك وجَرْح مَشاعِره؟!

3- الإماء - جَمْع أمَة -: العَبْدة. المُتك - بضمّ الميم -: جَمْع متكاء: المرأة المُفْضاة: وهي التي تَمزّق منها الغشاءُ الفاصِل بين مَخْرَج البول ومَجرى دم الحيض - بسَبَب كثْرة إستقبالها للرجال!! - وقيل: هي المرأة التي لاتَستطيع ضَبْط نفسها مِن البول. قال الخليل بن احمد - في كتاب «العين» -: يُقال في السَبّ: يابنَ المَتْكاء. المُحقّق

4- المُسَك - جَمْع مَسيك - : البَخيل

5- لعلّ المعنى: وما يَجهَلُ مَكانة الشُرَفاء إلّا اصحاب النفوس الدَنيئة، ونَجوة: المَحلّ الذي يُتغوّط فيه. وفي نسخة: وما يَجْهَل موضعَ الصَفوة إلّا أهلُ الجَفوة. المُحقّق

وإنّك لتعرف وشائظ قريش (1)، وصقوة عوائدها، فلا يَدعونّكَ تصويبُ ما فَرط مِن خَطاك في سَفْك دماء المسلمين، ومُحاربة أمير المؤمنين، إلى التَمادي فيما قد وضَحَ لك الصَوابُ في خلافه، فاقصد لمنهج الحقّ، فقد طالَ عَمْهُك عن سَبيل الرُشْد (2)، وخَبْطُك في دَيجور ظُلْمة الغَيّ، فإنْ ابيتَ إلّا أن تُتابعَنا في قُبْح اختياركَ لنفسك فاعفِنا عن سوء القالة فينا إذا ضَمّنا وإيّاكَ الندي (3)، وشانُك وما تُريد إذا خَلَوْتَ، والله حَسِيبُك، فوالله لولا ما جعَلَ اللهُ لنا في يَدَيك لما أتَيناك.

ثمَّ قال: إنّك إنْ كلّفتَني ما لم أُطِق ساءَك ما سَرَك منّي مِن خُلُق.

فقال معاوية: يا أبا جعفر: أقسمتُ عليك لَتجلسنّ، لَعَنَ اللهُ مَن أخرَجَ ضبّ صدرك مِن وجاره (4)، مَحمولٌ لك ماقلتَ، ولكَ

1- وَشائظ: السَفَلةُ، أو الدُخَلاء في القوم، ليسوا مِن صَميمهم. كما في «لسان العرب» لابن منظور

2- عَمْهُك: تَرَدّيك في الضَلالة. كما يُستفاد مِن كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

3- النَديّ والنادي: مَجلسُ القوم، والجَمْعُ: اندية. ويُعبّر عنه حاليّاً ب- «الديوان» و«الديوانيّة». المُحقّق

4- أي: أخرَجَ غَيظ صدرك مِن مَكانه، أو: مِن حَلْقِك. يُقال: وَجَرَ فُلاناً: أي: اسْمَعَهُ ما يَكره. كما في كتاب المعجَم الوسيط

عندنا ما أمّلتَ، فلو لم يكن مَجْدكَ ومَنصِبُك لكان خَلْقُك وخُلُقك شافِعَين لك إلينا، وأنتَ إبن ذي الجناحَين وسيّد بَني هاشم.

فقال عبدالله: كلاً، بل سيّدا بَني هاشم حسنٌ وحسين، لا يُنازعهما في ذلك أحَد.

فقال معاوية: يا أبا جعفر أقسمتُ عليك لما ذكرتَ حاجة لك قضيتُها كائنةً ما كانت، ولو ذَهبت بجميع ما أمْلِك.

فقال: أمّا في هذا المجلس فلا.

ثمّ انصَرَف، فأتْبَعه معاوية بصُرَّة. (1) فقال: والله لَكانّه رسولُ الله مَشْيَه وخَلْقه وخُلُقه وإنّه لمن شكله، ولَوَدَدْتُ أنّه أخي بنَفيس ما أمْلك.

ثمّ التفَتَ إلى عمرو فقال: أبا عبدالله ماتَراه منَعَه مِن الكلام معَك؟

قال: ما لا خَفاء به عنك.

قال: أظنّك تقول: إنّه هابَ جوابَك، لا والله ولكنّه ازدَراك (2) واسْتَحْفَرك ولم يَرَك للكلام أهْلاً، أما رأيتَ إقْبالَه عليَّ

1- وفي نُسخة: بِبَصَرِهِ

2- إزدراك: إحتقَرك واستَخفّ بك

دونَكَ، زاهِداً بنفسه عنك.

فقال عمرو: هل لك أن تَسمع ما أعدْدُته لِجوابه؟

قال معاوية: إذهب، إليكَ أبا عبدالله، فلاتَ حينَ جواب سائر اليوم (1)، ونَهَض معاوية وتَفرّق الناس. (2)

لماذا لم يَخرج عبْد الله مع الإمام الحسين (عليه السلام)؟

هناك سؤال قد يَتبادر إلى بعض الأذهان وهو: لماذا لم يَخرج عبدالله بن جعفر مع الإمام الحسين (عليه السلام) في رِحْلته إلى العراق؟

لإجابة هذا السؤال: هناك أكثر مِن إحتمال، لأنّنا لا نَعلَم بالضبط – الجوابَ الصحيح، لكنّ الّذي يَتبادر إلى ذهني – والله العالم –: أنّه كان مِن اللازم أن تبقى بَقيّة مِن أهل البيت في المدينة المنوّرة، لكي لا يَنجَح بنَو أُميّة في إكمال خُطَتهم الرامية إلى استِئْصال شجرة آل الرسول الكريم، وكان اللازم أن تكون تلك البَقيّة في مُستوى رفيع مِن قوّة

1- أي: ليسَ الآن وقتُ ذِكْرك للجواب. أو: لا أُريد أنْ أسمَع جوابَك الآن .. إلى آخر النهار

2- شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد، طبْع مصر، عام 1385ه-، ج 6 ص 295_297

الشخصيّة والمكانة الإجتماعيّة .. رجالاً ونساءً، لكي يَستطيعوا المُحافظة على امتداد خط الإسلام الأصيل الذي يَنحَصِر في آل محمّد وعلي (عليهما وآلهما الصلاة والسلام) ولكي يكونوا على درجة جيّدة بحيث يَحسِب لهم الأعداء ألفَ حِساب، ولا يَسهُل عليهم إبادة تلك البَقيّة.

مِن هنا.. فإنِنا نَقرأ – أسماء ثُلّة مِن الّذين بَقَوا في المدينة المنوّرة، ولم يَخرجوا مع الإمام الحسين (عليه السلام). ومِن جملة هذه الثُلّة الطيبّة نَقرأ في القائمة:

1 – عبدالله بن جعفر، مع الإنتباه إلى علاقاته الديبلوماسيّة الظاهريّة المُستّبَقة مع الطاغية معاوية، والإحترام الفائق الذي كان معاوية يُظهِره لَه.

2 – محمّد بن الإمام امير المؤمنين علي (عليه السلام) المشهور ب– «إبن الحَنَفيّة».

3 – السيّدة أُمّ سَلمة، زوجة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

4 – أُمّ هاني، أُخت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

5 – السيّدة أُمّ البُنين، قُرينة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ووالدة اشباله الأربعة.

6 – السيّدة المُكرّمة ليلى قرينة الإمام الحسين (عليه

السلام) بناءً على القول بِعَدَم وجودها في رِحْلة كربلاء.

7 – السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) حيث كانت مريضة .. مَرضاً يَصعُب مَعه السَفَر.

هـذا.. وهناك إحتمال بأنّ سـبب عـدم ذهاب عبدالله بن جعفر كان كِبَر السِنّ، ولكن قد يُضـعّف هذا الإحتمال ما ثَبتَ – تاريخيّاً – مِن أن عُمْره – يومـذاك – كان حوالي خمس وخمسـين سـنة، ولا يُعتبر هذا المِقْدار مِن العُمْر كثيراً، إلّا إذا كانت الحياة مَقرونة بعَواصف نَفسـيّة أو جسْمِيّة تُسْرع الشَيخوخة والهرم إلى الإنسان.

وهناك إحتمال ثالث ذكره البعض: أن عبدالله بن جعفر كان قد فَقَد بَصـرَه قبل رِحْلة كربلاء، وهذا الإحتمال يَصْلح سبباً وَجيهاً لِعَدم ذهابه، لكن بشرط أن يَثْبت تاريخياً. والله العالم بِحَقائق الأُمور.

الفصل الرابع

إشارة

* أولاد السيّدة زينب عليها السلام

* مروان يَخطب بنت السيّدة زينب عليها السلام لِيزيد بن معاوية

ص: 99

أولاد السيّدة زينب (عليها السلام)

لقد اختَلف المؤرّخون في عدد أولاد السيّدة زينب (عليها السلام) وأسمائهم .

ففي كتاب (إعلام الورى) للطبرسي:

«علي وجعفر وعون الأكبر، وأُمّ كلثوم». (1)

وقيل: علي، وعون الأكبر، ومحمّد، وعبّاس، وأُمّ كلثوم (2).

1- كتاب «إعلام الورى باعلام الهُدى» للطبرسي، طبْع النجف الاشرف سنة 1390ه-، ص 204

2- تَذكرة الخَواص، لِسبِط ابن الجوزي، طبْع لبنان، سنة 1401ه-، ص 175

أمّا محمّد وعون فقد استُشْهدا في نُصْرة خالهما: الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء بكربلاء.

وأمّا أُمّ كلثوم فقد تزوَّج بها ابنُ عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر، وقد استُشْهد في فاجعة كربلاء.

ص: 102

مروان يَخطب بنتَ السيّدة زينب عليها السلام ليزيد بن معاوية

لقد كان البيت الأُموى مُعقَّداً بعُقدة الحِقارة النفسيَّة، بالرغم مِن السُلطة الزَمنيّة التي اغتَصَبوها زوراً وبهتاناً، وظُلْماً وعدوانا .

فقد كانتْ صفحاتُ تاريخهم – خَلَفاً عن سَلَف – سوداء مُظلمة مُدلَهمّة ، مُلَوّثة مُشوّهة مِن مَساويهم ومَخازيهم .

فتلك (حمامـة) وهي مِن جَـدّات معاوية، وكانت مِن بَغايا مكّة ومِن ذوات الأعلام، أي: كان العَلَم يُرفرفُ على دارها (بيت الدعارة) لِيَعرف الزُناة ذلك، ويَقصدوها للفُجور بها. (1)

1- جاء ذلك في كتاب (الطرائف في معرفة مَذاهب الطوائف) للسـيّد علي بن موسـى بن طاووس، المتوفّى سـنة 664 ه-. ص 501 ، طبع ايران عام 1400ه-. وهو يَحكي ذلـك عن كتاب (المثالب) لهشام بن محمّـد الكلبي – وهو مِن مؤلّفي العامّـة -. وهـذا نَصّ كلامه: «وأمّا حمامة فهي مِن بعض جَدّات معاوية، وكان لها راية ب- (ذي المجاز) يعني مِن ذَوي الرايات في الزنا». المِحقّق

وتلك هند – والدة معاوية – السافِلة القَذرة ذات السَوابق العَفِنة، والملَفّ الأسود، آكلة الأكْباد المُمتَلئة حِقْداً وعداءً على الإسلام والمسلمين.

وذاك ابو سُفيان: قُطْبُ المشركين، وشيخُ المُلْحِدين، ورأسُ كلِّ فتْنة، وحامِلُ كلِّ راية رُفِعتْ لحَرب رسول الله (صلّى الله عليه كل وآله وسلّم) وقائد كلّ جيش خرجَ لقتال المسلمين في أيام النبي الكريم.

وهذا معاوية، خَلَفُ هذا السَلَف، وحَصيلةُ هذه الجَراثيم، وثمرة تلك الشَجرة الملْعونة في القرآن، وهو يَعلم أنّ الناس يَعلمون هذه السَوابق، ويَعرفون معاوية حقّ المعرفة. (1)

1- ويَجدُر – هنا – أنْ نَذكر ما نَظَمَه الشاعرُ العظيم السيّد حيدر الحِلّي رحمة الله عليه، المتوفّى سنة 1305 ه- حيث يَنظر إلى الملفّ الأسود لبَني أُميّة – رجالاً ونساءً، فيُخاطبُهم بقوله: أُميّة غُوري في الخُمول وانْجِدي *** فما لكِ في العَلْياء فَوْرةُ مَشْهَدِ هُبوطاً إلى أحسابكم وانخفاضِ ها *** فلا نَسَبٌ زاكٍ و لا طِيبُ مَولدِ تَطاوَلْتُموا لا عن عُلاً فتَراجَعوا *** إلى حيثُ انتم واقعُدوا شرّ مَقعَد قديمُكمُ ما قد عَلمتُم ومِثْلُه *** حَديثكُم في خِزْيه المُتَجَدّدِ فماذا الذي أحسابكم شَرُفَتْ به *** فأصعَدَكم في المُلْك اشرفَ مَصْعَد صلابة اعلاكِ الذي بَلَلُ الحَيا *** به جَفّ، أمْ في لين أسفَلكِ النَدي بَني عبْد شمْسٍ لا سقى الله حُفْرَةٌ *** تَضُمَكِ والفحشاء في شَرّ مَلْحَدِ ألِمّا تكوني في فُجوركِ دائماً *** بمَشغَلَة عن غَصْب أبناء أحمد وراءَك عنها لا اباَ لكِ إنّما *** تَقدّمتِها لا عن تَقدُّم سُؤدَدِ عَجِبْت لمن في ذِلّة النَعْل رأسُه *** به يتراءى عاقِداً تاجَ سيّدِ دَعوا هاشماً والفَخْر يَعقِد تاجَه *** على الجَبَهات المُسْتنيرات في الندي و دونكُموا والعار ضُمّوا غِشاءَهُ إليكم إلى وَجْهٍ مِن العار أسودِ يُرشّحُ لكن لا لشيء سوى الخَنا *** وَليدُكم فيما يَروح ويَغتدي وتترفُ لكنْ للبِغاء نساؤكم *** فيُدنَسُ منها في الدُّجى كلّ مَرقدِ ويَسقي بماءِ حَرْثكم غيرُ واحدٍ *** فكيف لكم تُرجى طهارةُ مَوْلِد ذهبتُم بها شنعاء تَبقى وصومُها *** لاحسابكم خزْياً لدى كلّ مَشْهد المصدر: ديوان السيّد حيدر الحِلّي، طبع لبنان عام 1404ه-، ص 70. المُحقّق

فكيف يَجبُر هذا الشعور بالنقص .. الذي لا يُفارقه؟!

وكيف يَستر هذه العيوب التي أحاطتْ به وغَمرتْه؟

كان الإحساس والشُعور – بهذه السَوابق العَفِنة، والملَفّات الوَسِخة – يَحُزُّ في صدر معاوية.

ص: 105

فهو يُحاول أن يَكسب شيئاً مِن الشَرف والمَجْد، لِيَملأ هذا الفراغ ويَتخلّص مِن هذا الشعور، ويُغطّي على وَصمات الخزي مِن سِجِلّ حياته ومِن صفحات تاريخه، ويَتشبّث بشتّى الوسائل، ولكنَّ محاولاته كانت تَبوءُ بالفَشَل.

ومن جملة الطُرُق والوسائل التي حاولَ معاوية – مِن خلالها – إكتساب الشَرف والسُؤدد، هي مُصاهرة الأشراف، لإكتساب الشَرَف منهم.

وكان البيت العَلَوي الطاهر على علْم وبَصيرة مِن نَوايا معاوية وأهدافه، ولهذا كانوا يَسدّون عليه كلَّ باب يمكن أن يَدخل منه.

فلقد أوصى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند وفاته: أن يَتزوّج المُغيرة بن الحارث بن الزبير بن عبدالمطّلب بأُمامة بنت زينب بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

تلك السيّدة التي أوصتْ مولاتنا فاطمةُ الزهراء (عليها السلام) أميرَالمؤمنين أن يَتزوّج بها، حيث قالت: «وتزوّجْ بأمامة إبنة أُختي، فإنّها لأولادي مِثْلي».

وإنّما أوصى الإمامُ بذلك كي لا يَتزوّج بها معاوية، فالإمام كان يَعلَم – بِعلْم الإمامة – بانّ معاوية سوف يُحاول أن يَتزوّج بها،

ويَفتخر بأنّه صاهَرَ رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأنّ حَفيدة النبيِّ قد صارتْ في حِبالته.

ولهذا أغلقَ الإمامُ البابَ على معاوية، وتركَه في ظلمات نَسَبه وحَسَبه! (1)

---

1 – ذكرَ ابنُ عبد البَرّ في كتاب (الإستيعاب) – في ترجمة حياة أُمامة –: «تزوّجَها علي بن أبي طالب بعد فاطمة... . وكان علي بن أبي طالب قـد أمَرَ المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أنْ يَتزوّج زوجتَه بعدَه، لأنّه خافَ أنْ يَتزوّجها معاوية. فتزوّجَها المغيرةُ ... . وذكرَ عمر بن شـبّة بسَنَده أنّ عليّاً لما حَضَرتْه الوفاة قال – لأُمامة بنت أبي العاص –: «لا آمَن أنْ يَخطبكِ هذا الطاغية بعد موتي – يَعني: معاوية –، فإنْ كان لكِ في الرجال حاجة فقد رَضـيتُ لكِ المغيرة بن نوفل عَشـيراً». فلمّا انقَضَتْ عِدّتُها .. كتَبَ معاوية إلى مروان يأمره أنْ يَخْطبها، ويَبذل لها مائـة الف دينار!! فلمّا خَطَبها أرسـلتْ إلى المغيرة بن نوفل أنّ هـذا قـد أرسَلَ يَخطبني، فإنْ كان لك بنا حاجـة فاقبِلْ، فاقبَلَ وخَطَبها مِن الحسن بن ،علي فَزَوّجَهـا منه. وذكر ابنُ حَجَر العسـقلاني في كتـاب (الإصابـة) مثْـلَ هـذا النص. وجاء في كتاب (الطبقات الكُبرى) لابن سعـد: أن أمامة بنت أبي العاص قالت للمغيرة بن نوفل: إنّ معاوية قد خَطبَني. فقال لها: أتَتزوّجين ابنَ آكلة الأكباد؟! فلو جَعلتِ ذلك إليّ؟ قالت: نعم. قال: قد تزوّجتكِ. وحكى السـيّد الأمين في (أعيان الشـيعة) عن الشـيخ الصدوق والشـيخ الطوسـي زواجَ امامة مِن المغيرة بعد مَقتل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. هذا .. ولكن قد ذكرَ ابنُ شهر آشوب في كتاب (المناقب) ج 3 ص 305، عن كتاب (قوت القلوب) روايةً تَتنافى مع ماذكره المؤرّخون وهي: أنّ المغيرة بن نوفل خَطبَ أُمامة، فرَوتْ عن علي (عليه السـلام) أنّه: لايَجوز لأزواج النبيّ والوصـيّ أن يَتزوّجن بغيره بعـده». أقول: على فَرض صـحّة هـذا الخَبَر الأخير وثبوته، فإنّ هناك احتمالات: 1 – عدم صـحّة ما قيلَ حول زواجها بعد الإمام (عليه السـلام). 2 – عـدم صـحّة مـا قيـلَ حول عـدم زواجها، وهو الخَبَر الأخير. 3 – الجَمْع بين هـذا الخَبَر الاـخير وبين الأـقوال التاريخيّـة: أنّ زواجَهـا من بعـد الوصـي كان لِضَـرورة التخلّص مِن الموقف المحْرج، وهو الزواج مِن معاويـة. والله العالم بحقائق الأُمور. المُحقّق

وبعـد سـنوات قامَ معاوية بمحاولة أُخرى، فلقد كتَبَ إلى زميله ونَظيره في الدَناءة واللؤم والحقارة والصـلافة والوقاحة: مروان بن الحَكَم، ابن الزرقاء الزانيـة – وكان حاكماً على الحجاز مِن قِبَل معاويـة – أن يَخطب أمّ كلثوم بنت عبـد الله بن جعفر – وأُمُّها السـيّدة زينب – لِيزيد بن معاوية.

وجاء مروان إلى عبدالله بن جعفر، وأخبَرهُ بذلك.

ومِن الواضح: أنّ عبدالله بن جعفر هو أبو الفَتاة، وله عليها الولاية، وهو يَعلم نَوايا معاوية وهَدَفه مِن هذه المُصاهَرة، ولكنّه

يَعتبر الإمام الحسين (عليه السلام) كبيرَ الأسرة، وسيّدَ العائلة، وأشرف أفراد العشيرة، فلا ينبغي لعبد الله بن جعفر ان يُنْعم بالقَبول ويوافقَ بدون موافقة الإمام الحسين، فتخلّصَ مِن هذا الطَلب المُحرِج، ومِن هذه الحيلة الشيطانيّة فقال: «إنّ أمْرَها ليس إليّ، إنّما هو إلى سيّدنا الحسين، وهو خالُها». فأخبَرَ عبدُالله الإمامَ الحسين بذلك.

فقال الإمام: «أستخيرُ اللهَ تعالى، اللّهمّ وَفّقْ لهذه الجارية رِضاكَ مِن آلِ محمد». (1)

فلمّا اجتمع الناس في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أقبَل مروان حتّى جلَسَ إلى [جَنب] الحسين (عليه السلام) وعنده مِن الجِلّة. (2)

فقال مروان: إنّ أمير المؤمنين [معاوية] أمَرَني بذلك، وأن

1- أستخيرُ الله: أي أطلبُ مِن الله تعالى الخيرَ والصّلاح في هذا الأمْر. اللّهمّ وَفّقْ: أي: هَيّىءْ، التوفيق: تَهيئة الاسباب. الجارية: الفَتاة. رِضاك : مَن تَرضى به زوجاً لهذه الفتاة. مِن آل محمد: أي ويكون ذلك الزوج مِن اقرباء رسول الله القريبين منه .. لا مِن غيرهم. المُحقّق
2- الجِلّة - مِن القوم - كِبار السِنّ، والشخصيّات البارزة. كما يُستفاد مِن كتاب (لسان العرب) لابن منظور

اجعَلَ مَهْرَها حُكْم أبيها بالغاً ما بَلَغ (1) مع صُلح مابين هذين الحَيّين (2) مع قضاء دَينه (3). واعلم أنّ مَن يَغْبطكم بيزيد أكثر ممّن يَغبطُه بكم!!

والعجَب كيف يُستَمْهَر يزيد وهو كُفْوُ مَن لا كَفْوَ لَه!!

وبوَجْهِهِ يُستَسْقَى الغَمام!!

فرُدّ خيراً يا أبا عبدالله؟ (4)

أقول: قبلَ أن أذكر تكملة هذا الخَبَر أودّ التعليق على كلمات مروان:

مِن الصحيح أن نقول: إنّ الصلافة والوقاحة لا حَدّ لهما ولا نهاية، وإنّ دِناءة النَفْس وخساسة الروح تُسبّب إنقلاب المفاهيم إلى صورة أُخرى.

فالحقير يَنقلب شريفاً، والنَذل يُعتبر مُحترماً، والوجْه الّذي لم يَسجُد لِله يُسْتَسقى به الغَمام، ووليدُ الكفر والفجور يُعْتَبَط

1- أي: وأن أجعلَ مقدارَ المهْر ما يُعيّنه أبو البِنْت وهو عبدالله بن جعفر. مهما كان ذلك المقدار كثيراً

2- الحَيّين: العشيرتين. الحيّ: القَبيلة

3- أي: دَيْن أبيها عبد الله بن جعفر

4- رُدّ خيراً: أجِبْ بالإيجاب والموافقة

به، والسافِل المنحَطَ يَصير أرفع و أجَلّ مِن أن يُطالَب بالمَهْر، بل ينبغي أن تُهدي العظماء فَتَياتها إليه هدايا بلا مَهْر!!!

هذا هو منطق مروان، وعصارة دماغه، وكيفيّة تفكيره، ومَدى إدراكه للقِيَم والمفاهيم. وقد تجرّأ أن يَرفع صوته بهذه الأكاذيب التي لا يَجهلها أحَد.. وكانّه لا يَعلم مع مَن يَتكلّم وعمَّن يَتحدَّث ويمدَح؟!

فاجابَه الإمام الحسين (عليه السلام) بجوابٍ القَمَه حَجَراً، وزَيَّفَ اباطيلَه وأضاليلَه، وفَنّدَ تلك الترّهات التي صَدرتْ مِن أقذر لسان، والعَنِ و أحقَر إنسان.

والآن .. إليك تكملة الخَبَر:

فقال – عليه السلام –: «الحمدُ لِله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لِدِينه، واصطفانا على خَلْقه .... إلى آخر كلامه».

أُنظرْ إلى قوَّة المنطق، وعُلوّ مستوى النفس، وشِرافة الروح، وقداسة السِيرة، وغير ذلك ممّا يَتجلّى في جواب الإمام الحسين (عليه السلام) لمروان بن الحَكَم .

فهو (عليه السلام) يَفتتح كلامه بحَمْد الله تعالى الذي اصطفاهم واختارهم، وهذا مُنتهى البلاغة والكلام المناسِب لِمُقتضى الحال، فتَراه يُصرّح أنه مِن الأُسرة التي اختارَهم الله تعالى للإمامة واصطفاهم، ومعنى ذلك توفّر المؤهّلات فيهم،

وتواجُد الفضائل والمزايا والخَصائص التي لا توجد في غيرهم، فهُم في أعلى مستوى مِن الشَرَف، وفي ذروة العظمة المَمْنوحة لهم من الله تعالى، والفرقُ بينهم وبين غيرهم كالفَرق بين الثُريّا والثَرى، والجواهر والحَصى.

إذن، فهناك البون الشاسع بينَهم وبين غيرهم مِن الناس الّذين لم يَتلوّثوا بالجرائم، ولم يُسوّدوا صَحائف اعمالهم بالمخازي، فكيف بمعاوية ويزيد ومروان، والذين هم مِن هذه الفصيلة!

ثم قال الإمام: «يا مروان، قد قلتَ، فسمعْنا،

أمّا قولُك: «مَهْرُها حُكم ابيها بالغاً ما بَلَغ»، فلَعَمْري لو أردْنا ذلك ما عَدَونا (1) سُنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في بناته ونسائه وأهلِ بيته، وهو (2) اثنتا عشرة أُوقية، يكون أربعمائة وثمانين درهماً. (3)

1- عَدَوْنا: تجاوَزْنا. عدا عَدواً: تجاوزَ الحَدّ في الشيء. كما في كتاب (لسان العرب) لابن منظور

2- وهو: أي المهر

3- الدرهم: وحدة وَزْن، وقطعة مِن فضّة مَضروبة للمعاملة. أمّا الوَزن: فقيل: إنّ الدرهم الواحد يُساوي سنّة دَوانق، والدانق: قيراطان، والقيراط: طسّوجان، والطسوج: حَبّتان، والحَبّة: سُدس ثُمُن درهم، وهو جزء مِن ثمانية واربعين جزءاً مِن الدرهم. المُحقّق

وأمّا قولك: «مع قضاء دَيْن أبيها» فمَتَى كُنّ نساؤنا يَقضين عنّا دُيونَنا؟!

و أمّا «صُلْح ما بين هذين الحَيّين» فإنّا قومٌ عادَيْناكم في الله، ولم نَكُنْ نصالحكم للدنيا، فلقد اعنى النَسَب، فكيف السَبَب؟

يُريد مروان أن يُصْلح بين الخير والشرّ، وبين الفضائل والرذائل، وبين أولياء الله وأعدائه، بذلك الزواج المقصود.

وكيف يمكن الصُلْح بين هاتين الفِئتين؟!

فهل يَتنازل أولياءُ الله تعالى لأعداء الله، ويَعترفون لهم بقيادتهم المُغتَصَبة، وزعامتهم الملوَّثة، وجرائمهم ومَخازيهم؟؟!!

هل هذا معنى الصُلْح بين الحَيّين؟!

أو يَجب على المُجرمين – المناوئين لأولياء الله – أن يَتوبوا ويَرتَدعوا عن أعمالهم اللّااسلاميّة، ويَنقادوا لأهل البيت الّذين فرضَ الله تعالى مودّتَهم، وأوجَبَ طاعتَهم وولايتهم؟!

فإن كان المقصود: المعنى الأول، فهو مُستحيل شرعاً وعقلاً.

لأنّ الإعتراف – للمُفسِدين – بالصلاح والتقوى يُعتبر سَحقاً للمفاهيم الإسلاميّة، وإبطالاً للحقّ، وإحقاقاً للباطل، وحاشا أهل بيت رسول الله (عليهم صلوات الله) مِن هذا التنازل المُشِين المُزْري .

وإنْ كان المقصود من الصُّلح: المعنى الثاني، فهذا لا يَتوقَّف على المصاهَرة ولا يحتاج إلى هذا الزواج السياسي، فإنْ كان البيت الأموي يؤمن بالحقِّ في آل رسول الله فليَعْتَرف لَهم بذلك، وليَنسحب مِن ساحة القيادة، وليَنزل عن مَنصّة الحُكم، وعند ذلك يَتحّقق الصلح المَنْشود .. على حَدّ زعمهم.

ولكنّ مروان لايفهم هذه الأمور، أو يَفهم ولكنّه يَجحد بالحقّ وهو مُستيقِن به، وإنّما يُريد أن يُحقّق هدفَه المَيشوم عن طريق المُغالطة في الكلام والتزوير في الحقائق والمفاهيم.

ومِن غَباوته أنه كان يَظنّ أن الإمام الحسين (عليه السلام) يَنخدع بهذه الأساليب المُلْتَوية والخُداع المكشوف.

ثم هَلمَّ معي لِنَنظر إلى البيت العَلَوي النَبَوي الشامخ، والشجرة الطيّبة التي أصلُها ثابت وفَرعُها في السماء، فالقرآن الكريم يُمطِر عليهم وابِلَ المدح والثناء.

بِدْءاً بصاحب الشريعة الإسلاميّة النبيّ الاقدس (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى سيّد العِتْرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى سيّدة نساء العالَمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى سيّدَي شباب أهل الجنّة، رَيحانتي رسول الله: الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) إلى بقيّة الأئمّة الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين).

فهذه آية التطهير، وتلك آية المباهلة، وتلك آية المَودَّة، وتلك سورة هل أتى، وتلك آية التبليغ، وتلك آية «إنّما وليّكم الله... .».

وكلُّها آياتُ تقدير، وباقاتُ تَمجيد، وعلائم وتصريحات بالإشادة بجلالة قْدرهم وعلوّ شأنهم، مِن صَلاتهم وإنفاقهم وإطعامهم، وجهادهم وإيثارهم، وعِصْمتهم وقداستهم وغير ذلك.

وهذه مئات الآلاف مِن الكُتُب التي تَشهَد بخَصائصهم ومَزاياهم وفضائلهم ومكارمهم ومناقبهم.

إذن، فمِن الطبيعي أن تَحصل العَداوة والخُصومة بين هاتين الطائفتين، فالتناقض موجود دائماً بين الفضائل والرذائل، وبين الخير والشرّ، وبين النور والظلام، فكيف يُمكن الصُلْح بين هذين الحَيّين وهاتين العَشيرتين .. كما زَعَمَه مروان؟!

«فإنّا قوم عادَيناكم في الله، ولم نكن نُصالحكم للدنيا» إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) يَكشِف الغِطاء عن أسباب النزاع وموجِبات الخُصومة بين بَني هاشم وبين بَني أُميّة، إذ قد يكون سبب العَداوة – بين فِرْقتين أو عشيرتين – لأجل شيء مادّي، كالمال والرئاسة وما شابَهَ ذلك. وقد يكون سبب العَداوة عقائديّاً ودينيّاً، فكيف يمكن الوِئام والوفاق بين طائفتين هما على طرَفَي نَقيض مِن الناحية العقائديّة؟!

هذا .. و مِن الواضح – تاريخيّاً – أن الطائفة التي بَدأتْ في

إظهار العَداوة وإشعال نار الفِتْنة والتفرقة هم بَنو أَميّة، وعلى رأسهم ابوسفيان .. شيخُ المشركين أوّلاً، ورئيسُ المنافقين آخِراً.

فمَن الذي قادَ جيشَ المشركين مِن مكّة إلى حرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يومَ بدر؟!

ومَن الذي قادَ جيشَ المشركين في واقعة أُحُد؟!

ومَن الذي شَقّ بطنَ حمزة سيّد الشهداء وعمّ رسول الله، وأخرجَ قَلْبه وكبِده، وجَدَع أنفَه وأُذنَيه، ومَثَلَ به شَرّ مُثْلَة؟!

أليسَتْ هي هند زوجة ابي سفيان؟!

ومَن الذي قادَ جيوشَ الاحزاب في غزوة الخندق؟!

ومَن .. ومَن ..؟!

ومَن الذي قال – يومَ بويعَ لِعثمان بن عفّان – : تَلَقّفوها يا بَني عبد شمس، فوالذي يَحْلِفُ به أبو سفيان: لا جَنّة ولا نار؟!

أليس هو أبا سفيان؟!

ومَن الذي حاربَ الإمام عليّاً (عليه السلام) يومَ صفّين، وأقامَ تلك المَجزرة الرَهيبة التي كادَ ان يَنقطعَ فيها نَسْلُ العَرَب؟!

ومَن الذي سَنّ لَعْنَ الإمام علي امير المؤمنين (عليه السلام) على المَنابر وفي قُنوت الصلاة، حتّى قال الشاعر:

لَعَنتْه بالشام سبعينَ عاماً *** لَعَنَ اللهُ كهْلَها وفَتاها

أليس هو معاوية؟

نحن لا نُريـد أن نَفتَح مَلفّات ابي سـفيان وابنه معاوية في هذه السـطور، فالحديث عنهما طويلٌ طويل، فهذه مئات الكتُب والمُؤلّفات .. مِن الصِـحاح وغيرها – على مَرّ القرون – تَرفَع السِتار وتكشف الغِطاء والقناع عن هويَّتهما، وتُبيّن سريرتَهما ونَفْسيّتهما، وسَوابِقَهما ولواحِقَهما، وتُعرِّفهما للمَلأ الإسلامي – إذا كان واعياً – وتوضّح مَواقف كلّ واحدٍ منهما تجاه الدين الإسلامي ورجالات المسلمين!! (1)

وأمّا معنى كلام الإمام الحسـين – عليه السلام : «فلقد أعيى النَسَب، فكيف بالسبب؟» فإنّ بَني هاشم كانوا هُمُ الصَفوة مِن قريش، وبنو أُميّة كانوا يَدّعون أنّهم مِن قريش (2)، إذن .. فالنَسَب

1– لمِعرفة المَزيد مِن المعلومات حول مَلَف أبي سـفيان إقرأ كتاب (الغدير) للمحقّق العظيم الشـيخ الاميني، طَبْع بيروت، سنة 1397هـ–، الجزء العاشر ، ص 79 – 84 وحول مَلَف معاوية إقرأ الكتاب المذكور، الجزء 10 ص 138 – 384، والجزء 11 ص 3 – 103. المُحقّق

2– هناك نَظريَّةٌ لِبعض الاعلام المُعاصـرين، وهي أنّ «أُميَّة» لم يكنْ وَلَداً مِن صُـلْب عبْد شَـمس، بل كانَ عبداً رُوميّاً .. إشتَراه عبدُ شمس، ومع مُرور الايّام .. إسـتَلْحَقَه عبدُ شـمس، فَنُسِبَ إليه، وكانتْ ظاهرةُ الإسـتِلْحاق رائجة قَبْلَ الإسلام. وبناءً على هذا الأساس لمْ يكنْ هناك نَسَبٌ حقيقي بين بَني هـاشم وبَني أُميّـة!! فلا يُعتَبَر بَنُو أُميّـة مِن قريش، وإنما هم مُلْحَقُونَ بهم. واسـتُدلَّ لهـذه النظريّـة – أو الحقيقـة –: أنّ معاوية لمّا كتَبَ إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رسالة لَه: «إنّما نحنُ و أنتُم بَنُو عبْد مُناف» كتَبَ الإمامُ (عليه السـلام) – في جَوابه – «ليسَ المُهاجِرُ كالطليق، وليسَ الصَـريحُ كاللّصـيق»!! وقد جاء في مُقدّمة كتاب «مَثالبُ العَرَب» لِهشام بن الكلْبي، المُتوفّى عام 204هـ–، الطبعة الأُولى المُحَقّقة، طبْع ايران عام 1419هـ–، ص 27، ما نَصُّه: «كانَ أُميّة عَبْداً لِعَبْد شـمس، وَصَلَ إلى مكّة عَبْر تجارة الرَقيق، فتَبَنّاهُ عبدُ شـمس». المُحقّق ولمزيد التفصـيل راجِعْ كتابَ «نَهْج البلاغة» المطبوع مع شـرح محمّد عبده، طبع مصر، الجزء الثالث، ص 19، كتاب رقم 17 وكتابَ «إلزام النَواصِب» للشيخ البحراني المُتوفّى عام 900 للهجرة

موجود بين هاتين العشيرتين: بَني هاشم وبَني أُميّة، وقد اعيى وعجَزَ هذا النَسَب وهذه القَرابة ان تكون سبباً للصّلح والوِئام بين هاتين العشيرتين، فهل تَنفع المصاهَرة للإصلاح بينهما؟

وأمّا قولُك: «العَجَب لِيزيد كيفَ يُستَمهَر؟»، فقد استُمهرَ (1) مَن هو خير مِن يزيد ومِن أبِ يزيد، ومِن جَدّ يزيد!!

1- إستُمهر: طُلِبَ منه المهر

إنّ مروان لا يَعلم بانّ المَهْر شَرطٌ في الزواج، وان «لازواجَ بلا مَهْر»، بصَرْف النظر عن طرَفي النكاح – وهما: الزوج والزوجة – وشؤونهما، سواءً كان أحد الطرفين وضيعاً أو شريفاً، غنيّاً أو فقيراً.

فإنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذي هو أشرف الكائنات وأفضل المَخلوقين، وسيّد الأنبياء والمُرسَلين – والذي كانت إحدى نَعليه اشرف مِن جميع بَني أُميّة قاطبة – قد أمْهَرَ نساءَه، ولكن مروان يقول: والعَجَب كيف يُطلَب المهر مِن يزيد؟

ويَتجاوز مروان حُدودَ الصلافة والكذب ويقول: «إنّ يزيد كُفْوُ مَن لا كُفوَ له» أي: أنّ يزيد يُعتبر كُفواً ونَظيراً لطائفة خاصّة من الناس، وطَبَقة عالية وراقية مِن المُجتمع، وهم العظماء والاشراف الذين ليس لهم نظير يُماثلهم في الشَرَف ويُساويهم في العظمة، فإنّ يزيد كُفْوهم ونظيرُهم في المجد والشَرَف.

ويُجيبُه الإمام الحسين (عليه السلام): وأمّا قولك: «إن يزيد كُفْوُ مَن لا كُفوَ له» فمَن كان كفْوُه قبلَ اليوم فهو كُفوه اليوم، مازادَتْه إمارتُه في الكفاءة شيئاً.

يقول الإمام (عليه السلام): إنّ يزيد الذي هو حفيدُ أبي سفيان شيخ المنافقين، وحَصيلةُ هند: آكلة الأكباد، وثمرةُ حمامة: ذات العَلَم، وابن معاوية: فرع الشجَرة الملعونة في القرآن، وابن ميسون النصرانية، كلِّ مَن كان كفوه - أي: نظيرُه ومَثيلُه ومُساويه – قبلَ اليوم.. فهو كفوه اليوم أيضاً. إن يزيد هُوَ هُو، لم تَتغيّر ماهيّته،

ولم تَتبدّل هويّتُه، بل حاضِرُه مثْلُ ماضيه، ولاحِقُه مثْلُ سابقِه، والإمارة المُغتَصَبة التي تَقمّصَها ما زادتْه إلّا زوراً وبُهتاناً.

وأمّا قولُك: «بوَجْهِهِ يُستَسقى الغَمام»، فإنّما كان ذلك بِوَجْه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: الوَجْه والجاه: القَدْر والمَنزِلة. وقد كان المسلمون - فيما مَضى - إذا قَلّتْ عندهم الأمطار يَخرجون إلى الصحراء لِصلاة الإستسقاء، ويسألون من الله تعالى أن يَسقيهم المطر، ولاشك أنّ الذي يَتقدّم الناسَ ويدعو الله تعالى ينبغي أن يكون وَجيهاً، بأن يكون له قَدْر ومنزلة عند الله (عزّوجلّ).

ولهذا كان الأنبياءُ يَتقدّمون في صلاة الإستسقاء، ويدعون اللهَ تعالى فيَستَجيبُ لهم، وهكذا نبيُّنا وبعضُ أئمّة اهل البيت (صلواتُ الله عليهم أجمعين) سالوا اللهَ تعالى أن يَسقيهم المطر، فاستجابَ اللهُ دعاءَهم لِمَنزلتهم وقَدْرهم عند الله سبحانه.

وقد قال سيّدنا أبوطالب (عليه السلام) - في شأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم -:

وابيض يُستسقى الغَمامُ بوَجْهه *** ثِمال اليتامى، عصمةً للأرامِلِ (1)

وقد تكرّر مِن رسول الله الإستسقاء، فاستجابَ الله دعاءه

1- المصدر: (مناقب آل أبي طالب) لابن شهر آشوب، ج1 ص 23

وارسلَ غَيثاً مِدراراً، كلّ ذلك كرامةً لِوَجْه رسول الله وجاهه ومَنزلته العظيمة عند الله سبحانه، ولكن مروان يقول: «بوَجْه يزيد يُستَسقى الغَمام!!».

وأنا أقول: نعم، بوَجْهه يُستَسقى الغَمام، لِفُجوره وخُموره، وقماره ومُنكراته، وموبقاته ومَخازيه، وجرائمه ونَتَنه. وبهذه الفضائل!! يُستَسقى بوَجهه الغَمام!!

أليس هكذا؟!

«وأعلم أنّ مَن يَغبطكم بِيَزيد اكثر ممّن يَغبط يزيد بكم». يقول هذا الأحمق: إنّ الذين يَتمنّون أن يَخِطب يزيد منهم، أكثر مِن الذين يَتمنّون أن يَخطبوا منكم فَتياتكم!!

إنّ مروان اللعين يُريد أن يقول: إنكم تَزدادون شَرَفاً بهذه المُصاهَرة، وأمّا يزيد فإنّه لا يَزداد شرفاً بها، لأنّه أرفع مَنزلةٌ و أعلى قدراً مِن أن يَتشرّف بهذه المصاهرة.

إقرأ كلامَهُ واضحك!

فأجابه الإمام: وأمّا قولك: «مَن يَغبطنا به اكثر ممّن يَغبطُه بنا، فإنّما يَغْبِطُنا به أهلُ الجهل، ويَغبطُه بنا أهلُ العقل» .

ومعنى كلام الإمام: أن الذين يَجْهلون القِيَم الإنسانية، والمفاهيم الدينيّة هم الذين يَتمنّون أن يَخطب يزيد منهم، لأنهم يَنظرون إلى ما يَتمتّع به يزيد مِن مَتاع الدنيا والرفاه والرخاء.

وأمّا العقلاء، الـذين يَفهَمون المَقاييس الأخلاقيـة، والقِيَم الرّوحيّة، فهم يتَمنّون أن يَخطبوا مِنّا فَتَياتنا، لأنّنا في اوج العظمة، وذروة الشّرَف، وقمّة الفضائل.

ثم قال الإمام – بعد كلام –: «إشـهَدوا جميعاً أنّي قد زَوّجْتُ أُمَّ كلثوم بنت عبدالله بن جعفر مِن ابن عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر، على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نَحَلتُها ضَيْعَتي (1) بالمدينة (2) وإنّ غَلّتَها في السَنة (3) ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنى إنْ شاء الله».

أقول: قد اشـتهر – في ذلك الزمان – كلامُ رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) أنّه قال: «بَناتُنا لبَنينا، وبَنونا لِبَناتنا»، ومَن أولى مِن الإمام الحسـين بتطبيق هذا الكلام؟. وقد سَبَقَه إلى ذلك أبوه أميرُالمؤمنين (عليه السـلام) حينما زَوّجَ ابنتَه زينبَ الكبرى مِن ابن عمّها عبد الله بن جعفر.

ولهذا بادرَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) إلى تزويج إبنة أُخته مِن ابن عمّها، وقد دَفعَ الصَداق مِن ماله و أمَّنَ حياتَهما

1– نحلتُها: أعطيتُها. ضَيعَتي: مَزْرعتي أو بستاني

2– أو قال: أرضي بالعقيق، والعقيق: إسمُ منطقة في ضواحي المدينة

3– غَلّتها: وارِدُها. قال الطريحي – في مجمع البحرين –: الغَلّة: الـدَخْل الذي يَحصل من الزرع والتمر واللبن والإجارة والبِناء ونحو ذلك، وجمْعُه: الغَلّات

الإقتصاديّة بتلك المزرعة، الكثيرة البركة، التي وهَبَها لها.

فتَغيّر وَجْهُ مروان، وقال: «أعدْراً يا بَني هاشم؟ تأبون إلّا العَداوة؟».

إنّ هذا العدو الغادِر يَنسِبُ الغَدْر والعَداوة إلى آل رسول الله الذين أذهبَ الله عنهم الرجس وطهَّرَهم تطهيراً.

فقال مروان:

أردْنا صِهْركم لِنُجِدّ وُدّاً *** قد اخلَقَهُ به حَدَثُ الزمان

فلمّا جئتُكم فَجَبَهْتُموني *** وبُحتُم بالضمير مِن الشنان

وهنا .. ما أرادَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) أن يَسّ تمرَّ في مُحاوَرة ذلك الحَقير، وأنْ يُلقمَ مروانَ الحَجَر اكثر مِن هذا، فتَقدّم ذكوان (1) واجابَ مروانَ:

اماطَ اللهُ عنهم كلّ رِجْسٍ *** وطَهّرَهم بذلك في المَثاني

فما لهُمُ سِواهمْ مِن نَظيرٍ *** ولا كفُوْهناك ولا مُداني

ايجعلُ كلّ جَبّارٍ عَنيدٍ (2) *** إلى الأخيار مِن اهل الجِنان؟ (3)

1- ذكوان: إسم رجل .. كان عبْداً للإمام الحسين (عليه السلام) ثمّ أعتَقَه الإمام. وكان عالماً شاعراً أديباً، جَريئاً على الكلام. المُحقّق

2- وفي نسخةٍ: أتجعل. ولعلّ الصحيح: أيُجعَلُ، أو: أيَجْعَلُ. المُحقّق

3- المصدر: كتاب المناقب لابن شهر آشوب، ج 4 ص 38 - 39

أقول: لقد رَوى الشيخُ المجلسي (رحمة الله عليه هذا الخَبَر في كتاب (بحار الأنوار) عن بعض الكتُب القديمة، ونَسّبه إلى الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) (1). وليس بصحيح، لأن إمارة يزيد كانت بعد مقتل الإمام الحسن (عليه السلام)، وهذه الخِطْبة كانت في أيّام إمارة يزيد وكونه وليّاً للعهد.

1- بحار الأنوار، ج 44 ص 119، باب 21، حديث 13

الفَصل الخامس

إستعراض موجَز لحياة السيّدة زينب الكبرى

ص: 125

بمقـدار ما كانت حياة السـيّدة زينب الكبرى عليها السـلام مَشـفوعة بالقداسـة والنزاهـة، والعفاف والتقوى، والشّـرف والمَجْـد، كانت مليئة بالحوادث والمآسي والرزايا، منذ نعومة أظفارها وصِغر سِنّها إلى أواخر حياتها.

فلقد فُجعتْ بجدِّها الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكان لها مِن العُمر – يومذاك – حوالي خمس سنوات، ولكنَّها كانت تُدرك هولَ الفاجعة ومضاعَفاتها.

و مِن ذلك اليوم تَغيّرتْ مَعالمُ الحياة في بيتها، وخَيّمت الهُموم والغُموم على أُسـرتها، فقد هجَم رجالُ السـقيفة على دارها لإخراج أبيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مِن البيت لأخذ البيعة منه، بعد أن أحرَقوا بابَ الدار وكادوا أن يُحرقوا الدار بمَن فيها.

وقد ذكرنا في كتاب: (فاطمة الزهراء مِن المهد إلى اللحد) شـيئاً من تلك المصائب الّتي انصـبّتْ على السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مِن الضرْب المبرّح وإسقاط الجنين، وغير ذلك ممّا

يَطول الكلامُ بذِكْره.

وكانت جميع تلك الحوادث بمرأى مِن السـيّدة زينب ومَسْـمَع، فلقد سَـمعتْ صـراخ أُمّها مِن بين الحائط والباب، وشاهَدتْ الاعداء الذين أحاطوا بها يَضـربونها بالسوط والسـيف المغْمَد، وغير ذلك مّما أدّى إلى إسـقاط إبنها المُحْسن، وكسْر الضِلْع، وتورِّم العَضُد الذي بَقيَ أثَرُه إلى آخِر حياتها.

و – بعد شـهور – فُجعَت السـيّدة زينب بوفاة أُمّها (سـلام الله عليها) وهي في رَيَعان شـبابها، لأنّها لم تَبلُغ العشرين مِن العُمر، وُدفنتْ ليلاً وسِرّاً، في جوٍّ مِن الكتمان، وعُفّي موضعُ قَبرها إلى هذا اليوم.

ومنذ ذلك الوقت كانت السيّدة زينب ترى أباها أمير المؤمنين (عليه السلام) جليسَ الدار، مَسلوبَ الإمكانيّات، مَدفوعاً عن حقّه، صابراً على طول المُدّة وشِدّة المِحْنة .

وبعد خمس وعشـرين سـنة – وبعد مقتل عثمان – أكرهوه أن يوافق على بيعة الناس له، فبايعوه بالطوع والرغبة، وبلا إجبار أو إكراه من أحد، وكـان أوّل من بايعه : طلحـة والزبير، وكانا أوّلَ مَن نكث البيعـة ونقضّ العَهْـد والتحقا في مكـة بعائشـة ، وخرجوا طالبين بـدم عثمان، وقادا الناكثين (لِلبَيْعة) مِن المناوئين للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقصَدا البصرة وأقاما مَجزرةً رهيبة – في واقعة الجَمَل المعروفة – وكانت حصيلتُها خمسة وعشرين الف قتيل.

وبعد فترة قصيرة أقامَ معاوية واقعة صفّين، وقادَ القاسطين، واشتدَّ القتال وكادَ نَسلُ العَرَب أن يَنقطع مِن كثرة القتلى، وتوقَّف القتال لاسباب معروفة مُفصّلة.

ثمّ أعقَبتْها واقعةُ النهروان التي قُتلَ فيها أربعة آلاف.

وتُعتبر هذه الحروب مِن أهمّ الإضطرابات الداخليّة في أيّام خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وانتهت تلك الأيام المؤلمة بشهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومَقْتلَه على يد عبدالرحمن ابن مُلْجَم!

ولمّا قام أخوها: الإمامُ الحسن المجتبى (عليه السلام) بأعباء الإمامة تَخاذلَ بعض أصحابه في حربه مع معاوية، وصدرتْ منهم الخيانة العظمى التي بقيتْ وَصْمة عارها إلى هذا اليوم، فاضطرّ الإمام الحسن (عليه السلام) إلى إيقاف القتال حِقْناً لِدِماء مَن بَقِيَ مِن أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وخَلا الجوّ لمعاوية بن ابي سفيان وعُمَلائه، وظهرَ منهم أشدّ أنواع العِداء المكشوف للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وسَنّ معاوية لَعْنَ الإمام على المنابر في البلاد الإسلاميّة، وأمرَ باختلاق الأحاديث في ذمّ الإمام والمَسّ بكرامته.

كلُّ ذلك بمرأى مِن السيّدة زينب ومَسمَع.

وطالتْ مُدّة الإضطهاد عشر سنين، وانتهتْ إلى دَسّ السُمّ إلى

الإمام الحسن (عليه السلام) بمَكيدة مِن معاوية، وقضى الإمامُ نحْبه مَسموماً، ورَشَقوا جنازته بالسهام حتى لا يُدفَن عند قبر جدِّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. (1)

وهكذا امتدَّتْ سنواتُ الكُبت والضغط، وبلغَ الظُلم الأُموي القمّة، وتجاوز حدودَ القساوة، وانصبَّت المصائب على الشيعة في كلّ مكان، بكيفيّة لا مثيلَ لها في التاريخ الإسلامي يومذاك، مِن قَطْع الأيدي والأرجل، وسَمل العيون، وصَلْب الأجساد، وامثال ذلك من الأعمال الوحشيَّة البَربريّة! (2)

وعاصَرَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) تلك السنوات السُود التي انتهتْ بموت معاوية واستيلاء إبنه يزيد على منصّة الحكم.

هذه عُصارة الخُلاصة للجانب المأساوي في حياة السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) المَليء بالكوارث والحوادث، طيلةَ نيّف وأربعين سنة مِن عمْرها .

وأعظم حادثة، وأهمّ فاجعة حَدَثتْ في حياة السيّدة زينب هي فاجعة كربلاء التي أنسَتْ ما قبلَها مِن الرزايا، وهَوَّنتْ ما بعدَها مِن الحوادث والفجائع.

1- كتاب المناقب، لابن شهر آشوب ج 4، ص 42 و 44

2- كتاب سُليم بن قيس الهلالي، طبْع بيروت، مؤسّسة البعثة، ص 165 - 166

الفَصل السادس

إشارة

* السيّدة زينب وفاجعة كربلاء

* مَجيء إبن زياد إلى الكوفة

* يوم التَروية

* الإمامُ الحسين يَصطَحب العائلة

* الإمام الحسين في طريق الكوفة

ص: 131

السيّدة زينب وفاجِعة كربلاء

لابدّ مِن أن نَبدأ مِن أوائل الواقعة، مع رعاية الإختصار، ليكون القارىء على بَصيرةٍ أكثر مِن الأمر:

ماتَ معاوية بن أبي سفيان في النصف مِن شهر رجب، سنة 60 مِن الهجرة، وجلَسَ إبنُه يزيد على مَنصّة الحُكم، وكَتبَ إلى الوُلاة في البلاد الإسلامية (1) يُخبرهم بموت معاوية، ويَطلب منهم أخْذ البيعة له مِن الناس.

وكتَبَ إلى والي المدينة كتاباً يأمره بأخْذ البيعة له مِن أهل المدينة بصورة عامّة، ومِن الإمام الحسين (عليه السلام) بصورة خاصّة، وإنْ امتَنعَ الإمام عن البيعة يَلزم قَتْله، وعلى الوالي تنفيذ الحُكم.

واستطاع الإمام الحسين أنْ يَتخلَّص مِن شرّ تلك البيعة،

1- الوُلاة - جَمْع والي: وهو حاكم البَلَد، ويُعبَّر عنه - حالياً - بالمحافظ

وخَرَج إلى مكّة في أواخر شهر رجب، وانتَشرَ الخَبَر في المدينة المنوَّرة أنّ الإمام امتنع عن البيعة ليزيد. وانتشر الخَبر – أيضاً – في مكّة، ووَصلَ الخبر إلى الكوفة والبصرة.

وكانت رِحْلة الإمام الحسين إلى مكّة بداية نهضته (عليه السلام)، وإعلاناً وإعلاماً صريحاً بعَدَم اعترافه بشرعيّة خلافة يزيد، واغتصاب ذلك المنصب الخطير.

وهكذا استَنكفَ المسلمون أن يَدخلوا تحتَ قيادة رجلٍ فاسد فاسق، مُستَهتر مُفتَضحَ، مُتجاهِر بالمنكرات.

فجعلَ أهلُ العراق يُكاتبون الإمامَ الحسين (عليه السلام) ويَطلبون منه التوجّه إلى العراق لِيُنقذهم مِن ذلك النظام الفاسد، الذي غيّرَ سيماء الخلافة الإسلاميّة بابشَع صورة واقبح كيفيّة!

كانت الرُّسُل والمراسَلات مُتواصِلة بين الكوفة ومكّة، ويَزداد الناسُ إصراراً وإلحاحاً على الإمام الحسين أن يُلبّي طَلبَهم، لأنّه الخليفة الشرعي لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المَنصوص عليه بالخلافة مِن جَدّه الرسول الكريم.

فارسلَ الإمام الحسين (عليه السلام) إبنَ عمّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة، والتفَّ الناسُ حول مسلم، وبايعوه لأنّه سفيرُ الإمام ومَبعوثه، وبلَغَ عدد الذين بايعوه ثمانية عشر ألفاً، وقيل: أكثر مِن

ذلك. فكتبَ مسلم إلى الإمام يُخبره باستعداد الناس للتجاوب معه، والترحيب به ونُصرته – كما فَهمَه مسلم مِن ظواهر الأمور –.

وقرَّرَ الإمام أن يَخرج مِن مكّة نحو العراق مع عائلته المَصونة وإخوته وأخَواته، وأولاده وأبناء عمّه وجماعة مِن أصحابه وغيرهم.

وخاصّةً بَعدما عَلِمَ بانّ يزيد قد بَعثَ عِصابةً مُسلّحة، مؤلَّفَة مِن ثلاثين رجل، وأمرَهم بقَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) في مكّة أينما وَجَدوه.. حتّى لو كانَ مُتعلّقاً باستار الكعبة!

ص: 135

مَجيء ابن زياد إلى الكوفة

وجاء عبيدُ الله بن زياد ابن أبيه مِن البصرة إلى الكوفة والياً عليها مِن قِبَل يزيد بن معاوية، وجعَلَ يُهدِّد الناسَ بجيش مَوهوم، قادِم مِن الشام .

واجتمع حولهَ الـذين كـانوا لا يَتعاطفون مع الإمام الحسـين، وجعل ابن زياد يُفرّق الناسَ عن مسـلم بالتهديـد والتطميع، فانفَرَج الناسُ عن مسلم، وتفرَّقوا عنه.

وفي اليوم الذي خرج الإمام الحسـين (عليه السلام) مِن مكّة نحو العراق كانت الأُمور مُنقلبة ضدّ مسلم في الكوفة، وأخيراً أُلقيَ عليه القبض وقُتل (رضوان الله عليه).

وفي أثناء الطريق بَلَغَ خَبرُ شهادة مسلم إلى الإمام الحسين، فكانت صدمة على قلبه الشريف.

ولا نَعلم – بالضبط – هل رافقت السيّدة زينب الكبرى عائلةً

ص: 137

أخيها مِن المدينة؟ أم أنّها التَحقتْ به بعد ذلك؟

وخَفيتْ علينا كيفيّة خروجها مِن المدينة المنوّرة إلى مكة، ولكنّنا نَعلم أنها كانت مع عائلة أخيها حين الخروج مِن مكّة، وفي أثناء الطريق نحو الكوفة، وعاشت أحداثَ الطريق مِن لقاء الحرّ بن يزيد الرياحي بالإمام، ومُحاولته إلقاء القبض على الإمام في اثناء الطريق وتسليمه إلى عبيد الله بن زياد.

وإلى أن وَصَلوا إلى كربلاء في اليوم الثاني مِن المحرّم، ونزَلَ الإمام ومَن معه، ونَصَبوا الخيام ينتظرون المُقدّرات والحوادث.

ص: 138

يومُ التَرْوية

يوم التَرْوية: هو اليوم الثامن منِ شـهر ذي الحِجَّة (1)، وهو اليوم الـذي يَزدحم فيه الحُجّاج في بلْـدة مكّة المكرَّمة، فالقوافل تَدخل مكّة مِن جميع أبوابها.

وطائفة مِن الحُجّاج يَخرجون في هذا اليوم إلى منى ويَبيتون فيها ليلةً واحدة، فإذا أصبحَ الصَباح مِن يوم عَرفة – وهو اليوم التاسع – يَخرجون إلى أرض عَرَفات.

وبعضُهم يَبقى في مكّة حتّى يوم عرفة، ثمّ يَخرج إلى عرفات، إستعداداً لأداء مناسك الحَجّ.

1- التَروية: رَوَى تَروِيةٌ: تَزوّد بالماء. وقد جاء في الحديث أنّه سُئلَ الإمام جعفر الصادق (عليه السـلام) عن سـبَب تسمية اليوم الثامن بيوم التروية؟ فقال: «لأنّه لم يكن بعَرَفات ماء وكانوا يَستقون مِن مكّة من الماء لِرَيِهم، وكان يقول بعضُهم لبعض: تروَيتُم .. تروَيتُم ؟؟ فسُمّيَ يوم التروية لذلك». رَواه الشيخ الصدوق في كتاب «عِلَل الشرائع» ج 2 ص 141، باب 171

في هـذا اليـوم الـذي كـانت مكّـة تمـوج بالحجّـاج، خرج الإمـام الحسـين (عليه السـلام) مِن مكّـة، بِجميع مَن معه مِن الأهـل والأولاـد والأصحاب.

إذن، فمِن الطبيعي ان تكون مغادَرة الإمام الحسـين مِن مكّـة – في هذا اليوم – تَجلب إنتباهَ الحُجّاج، وتَدعو للتساؤل، وخاصّةً بعد أنْ عَلموا بأنّ الإمام مَكثَ في مكّة .. طيلةَ أربعة أشهر، فما الّذي دَعاه أن يُغادِرَ مكّة في هذا اليوم الذي يقصد الحُجّاج مكّة لأداء مناسك الحج؟!

وما المانع مِن أن يَبقى الإمام أيّاماً قلائل لإتمام حَجّه، ثم مُغادرة مكّة؟

والإمام الحسين (عليه السلام) أولى مِن غيره بأداء الحجّ ورعاية هذه الأُمور!

فلا عَجَب إذا تَقـدّم إليه بعضُ الناس يَعترضون عليه ويسالونه عن سَـبَب خروجه مِن مكّـة في هذا اليوم، فكان الإمامُ يُجيبُ كلَّ واحدٍ منهم بما يُناسب مستواه الفِكْري والعَقلي.

إنّ هناك دواعٍ ودوافعَ واسـباباً كثيرة اجتمعتْ، وفَرضتْ على الإمام أنْ يَخرج مِن مكّة في ذلك اليوم، ونسال الله تعالى أن يوَفّقنا لذِكْر بعضها في كتاب (الإمام الحسين مِن المهد إلى اللحد) إنْ شاء الله تعالى.

ومِن جملة الذين تَقدّموا إلى الإمام وسألوه عن سَبَب خروجه هو عبد الله بن جعفر زوج السيّدة زينب الكبرى.

فـإنّه حـاوَلَ – حسب تفكيره – أن يَردَّ الإمـام عن مُغـادرة مكّـة نحو العراق، ولكنّ الإمام قال له: «إنّي رايتُ رسولَ الله (صـلّى الله عليه وآله وسلّم) في المنام، وأمَرَني بما أنا ماضٍ له».

فقال له: فما تلكَ الرؤيا؟

قال: «ما حَدّثْتُ أحَداً بها، ولا أنا مُحدّثٌ بها حتّى ألقى ربّي» (1).

فلمّا يَئسَ منه عبدُ الله بن جعفر أمَرَ إبنَيه عوناً ومحمّداً بِمُرافَقَة الإمام، والمَسير مَعه، والجهاد دونه. (2)

وفي كتاب «المُنْتَخَب» للطُريحي أنّ محمّد بن الحنفيّة لمّا بلَغَه الخبر أنّ أخاه الإمام الحسـين خارج مِن مكّة إلى العراق، جاءَه وأخَذَ بزمام ناقته وقد ركبَها، وقال له:

يا أخي! ألم تَعِدْني النَظَر فيما سالتُك؟

قال: بلى.

1- كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، ص 219 فصل «خروج الإمام الحسين من مّكة»، وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج 44 ص 366، باب 37

2- نَفْس المصدر

قال: فما حمَلَك على الخروج عاجلاً؟

فقال: قد أتاني رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعدما فارقتُك وقال:

«يا حسين أُخرجْ إلى العراق فإنّ الله شاءَ أنْ يَراكَ قَتِيلاً مُخضّباً بدمائك».

فقال محمّد: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فإذا علمتَ أنّك مقتول فما معنى حَمْلك هؤلاء النساء معَك؟

فقال: لقد قال لي جدّي:

«إنّ الله قد شاء أن يَراهُنّ سَبايا، وهُنّ أيضاً لا يُفارقْنَني مادُمْتُ حَيّا (1)». (2)

1- المُنْتخَب للطُريحي المُتوفّى عام 1085ه-، ج 2 ص 424 المجلس ج2 التاسع، ورُويَ هذا الخَبَر عن الإمام الصادق (عليه السلام) في كتاب بحارالأنوار للمجلسي ج 44 ص 364 باب 37

2- هناك فَرْقٌ بينَ كلمة «شاءَ» وكلمة «أرادَ» ، فكلمةُ «شاءَ» تُستَعملَ - اساساً - في مَوارد مُعيّنة، وتَدُلُّ على مَعنىً قَريبٍ مِن معنى «أرادَ». ولكن تَختلف المَوارد حَسَب الحالات المُختلفة للإستعمال. بعد هذا التمهيد نَقول: إنّ تأثير الإنسان في فِعْل الغَير هو على نَوعين: النوع الأول: المَوارد الّتي تُسْلَب فيها مَسؤوليّةُ وقوعِ الفِعْل عن ذلك الفاعِل المُباشِر للفِعْل .. لانَّ ذلك الفِعْل حَصَلَ ووَقَعَ مِن غير إرادةٍ منْه. مِثالُ ذلك: أنْ يُربِّط «زيدٌ» «عمرواً» ثم يرميه على رقبة «خالد» فَيَكْسِرَها. فَنُلاحِظ في هذا المثال أنّ الكاسِر المُباشِر لِرَقَبة خالد هو عمرو، ولكنَّه غير مَسْؤول عن ذلك الكَسْر، لأنّه كان بِمَنزلَة الأداة فقط .. لا اكثر! بل المسؤول: هو «زيد» الّذي قامَ برَبْط (عمرو) والقاهُ على رَقَبة خالد. وهذا النوع مِن التأثير هو الّذي يُعبّر عنه ب- «الإرادة»، لانّ «زيد» أرادَ كسْرَ رَقَبَة خالد .. بهذه الكيفيّة. النوع الثاني: الَموارد الّتي لا تُسْلَبُ مَسؤوليّةُ وقوعُ الفِعْل عن ذلك الفاعِل المُباشِر للفِعْل. مثالُ ذلك: أن يُعطي «زيد» قِنّينَة خَمْرٍ بِيَد خالد، ويَقولُ له: إذهَبْ بهذه القِنّينَة إلى المَزْبَلة وفَرّغْها هناك، ثمّ إغسِلُ القِنّينَة جيّداً وجِئْني بها، واعلَمْ - يا خالد - أنَّ السائل الموجود في القِنّينة هو خَمرٌ مُحَرّم .. وليسَ عصير فَواكه، فاحذَرْ مِن أنْ تَشْرَبَه! فيَذهَبُ خالد بالقِنّينَة إلى مكانٍ لا يَراه أحَد ويَشربُ السائل بَدَلاً مِن أنْ يُريقَه في المَزْبلَة، مِن دون أنْ يُبالي إلى نَصيحة «زيد» - الّذي يَعْلَم صِدْقَ كلامه -، ثمّ يَغْسِلُ خالد فَمَه ويَغْسِلُ القِنّينَة، ويَرجع بها إلى «زيد». وهُنا - يا تُرى - هل المَسْؤول عن شُرب الخَمر هو «زيد» ام خالد؟! الجواب: مِن الثابِت أنّ المَسْؤول هو «خالد» وإنْ كان «زيد» مُؤثّراً في فِعْل «خالد». حيث إنّه كان يَعلَمُ - مُسْبَقاً - بأنّ خالداً سَوفَ يَشربُ الخَمر، لِعَدَم إلتزامه بالدين، ولكنّ زيد قَدّم له النَصائح الكافية والتَحْذير اللازم، والإرشادات المُقْنِعة بأضرار شُرْبِ الخَمر ومُضاعَفات ذلك. وفي هذا النوع الثاني .. يُعَبّر عن هذا التاثير ب- «المَشيئة» ويُعبّر عن نِيّة «زيد» ب- «شاء». وقد جاء - في القرآن الكريم - نِسْبَة «المَشيئة» إلى الله سبحانه، مِثْل قوله تعالى «يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء» (سورة النحل، الآية 93) أي: يُؤثّرُ في إضلال بعض الناس، ولكن .. لا بكيفيّة تُسْلَبُ عنْهم المَسؤوليّة، بل بِجَعْلهم مُخَيّرينَ في إنتخاب الهُدى أو الضَلال. ولِذلك تَجِدُ أنّ المسلمينَ جميعاً يُكرِّرونَ - في صَلَواتهم - جُمْلَة «بِحَوْلِ اللهِ وقُوّته أقومُ وأقعُد» عند القيام مِن السجود الثاني أو التَشهّد الأول. وهذا يوضِّح المعنى، فأنا (الإنسان) أقومُ وأقعدُ .. ولكن بفَضْل القُوّة الإلهيّة الّتي جَعَلَها في جِسْم البَشَر جميعاً. ولو أرادَ الله أن يَقْطع هذه القوّة لَفَعَلَ ولَتَحَقّق ذلك، ولكنّه شاءَ أن تَبقى هذه القوّة مَوجودة إلى أجَلٍ مُعَيّن. ولمَزيدٍ مِن التَوضيح .. نَذْكُر هذا المثال الثالث: قال الله تعالى - في القرآن الكريم - : «ولو شاءَ الله ما اقتَتَلَ الّذين مِنْ بَعْدِهِم - مِن بَعْد ما جاءتْهُمُ البَيّنات - ولكن اختَلفوا فمِنْهم مَنْ آمَنَ ومِنْهُمْ مَن كفَر، ولو شاءَ الله ما اقتَتَلوا، ولكنّ اللهَ يَفْعَلُ ما يُريد» (سورة البقرة، الآية 253). وهنا سؤال قد يتَبادر إلى بعض الأذهان: وهو أنّ قولَه

تعالى: «ولو شاءَ الله ما اقتَتَلوا» يَدلّ على أنّ الإنسان مُسَيّر لا مُخَيّر، لأنّ في الآية تاكيدٌ لِنِسْبَة الإقتتال إلى مَشيئته سُبحانه؟ ونُجيب عن هذا السؤال ب-: أولاً: قُلْ لِلّذي يَدّعي في العِلْم فَلْسَفَةً *** حَفِظْتَ شَيئاً وغابَتْ عنْك أشياءُ فإنّ اللازم أن يَصرفَ الإنسانُ وَقْتاً كافياً لِمَعرفة القَضايا العَقائديـة الّتي يَحتاج فَهْمُها إلى مَزيـدٍ مِن الانتباه والدِقّة. ثانياً: إنّ الله (سُبحانه) مَنَحَ القُدْرة لِجميع الناس، وبَيّن لَهُم طريقَ الخَير والشَرّ، والفَضيلة والرذيلة، ونَهاهُمْ عن الشَرِّ والرذيلة، ولكن لم يكن نَهْيُه من نوع أنّه يُشِلُ أعضاءَهم إذا، أرادوا الحرام، فإذا فَعَل العَبْدُ حَراماً، يكون هو المَسؤول الأول والأخير عن ارتكابه للحرام، ولـذلك فهو يَستَحقُّ العُقوبـة، لكن يَجوزُ - مِن باب المَجاز - نِسْبَةَ ذلك الفِعْل إلى الّذي أعطى القُوّة لِجميع الخَلْق، وأرادَ أنْ يَخلُق خَلْقاً مِنْ نَوْعٍ مُعَيّن إسْمُهُ «البَشَر»، يكونُ مُخَيّراً في اعماله .. لا مُسَيّراً كبعض المَخْلوقات الأُخرى، مِثْل الجمادات. وهنا مُلاحظة أخيرة نَذْكرُها وهي أنّه - رَغم وجود مَوارد مُعيّنَة لإستعمال كلِّ واحدةٍ مِن هاتين الكلمتين - إلّا أنّ في اللغـة العربيّـة - بما في ذلك القرآن الكريم - ، تُستَعْمَلُ كلُّ واحِدةٍ مِن هاتين الكلمتين: «شاءَ» و «أرادَ» .. في مَوارد ومَجالات الكلمة الأُخرى - أحياناً، أو غالباً -، وهـذا أمْر شائع وثابت. والجَدير بالـذِكْر: أنّنا نَجِدُ - في الآية التي ذكرْناها في المِثال الثالث - أنّ كلمة «شاءَ» جاءتْ أوّلاً وأُريـدَ مِنْها مَعنى «المَشيئة»، ثمّ في نَفْس الآيـة جاءتْ كلمـة «شاءَ» وأُريدَ مِنْها مَعنى «أراد»، ممّا يَدلّ على أنّ كلّ واحِدةٍ مِن هاتين الكلمتين - «شاءَ» و«أرادَ» - تُستَعمَل مَكان المَعنى الآخَر، ولكنّ وجود الفَرْق بين المَعْنَيَيْن ثابتٌ وصـحيح ودَقيق. ونَذكُر - هنا - هذا الحديث ونَترك فَهْمَهُ للأذكياء مِن القُرّاء الكرام: لقد رُوي عن الإمام علي بن موسـى الرضا (عليه السلام) - في حَديثٍ طويل - : «... . إنّ لِله إرادَتَين ومَشيئَتَيْن: إرادةُ حَتْم وإرادةُ عَزْم، يَنهى وهـو يَشـاء، ويـأمرُ وهو لا يَشـاء، أوَ مـا رأيتَ أنّه نَهى آدمَ وزوجتَه عنْ أنْ ياكلا مِن الشَجَرة، وهو شاءَ ذلك، ولو لم يَشأ لم يأكلا، ... وامَرَ إبراهيمَ بِذَبْح إسـماعيل، وشاءَ انْ لا يَذبَحَه ...» المصدر: كتاب «التوحيد» للشـيخ الصدوق، ص 64. وهُنا سؤال أخير: وهو: لماذا اعطى الله تعالى القُدْرة لِعِباده على الشرّ والإنحراف، مع إمكانه تعالى أنْ لا يُعطيهم ذلك؟ الجواب: لقـد أرادَ الله تعالى أنْ يَخْلُق فَصـيلةٌ مُعَيّنَةٌ مِن الخَلْق - تَمتازُ عن غيرها مِن المخلوقات -، تكونُ لَهُم القُدْرة والإختيار على افعال الخير وافعال الشـرّ، وبَيّنَ لهم النَصائح الكافية، على لسان الانبياء وفي الكُتُب السـماويّة. ولو كانَ الله سبحانه يُجْبرُ الخَلْق على الخير وترك الشـرّ .. لم يُكْن للإنسـان فَضْلٌ على غيره مِن المخلوقـات! وعِلْمُ الله تعـالى بِما سَيَفْعَلُه كلُّ واحـدٍ مِن البَشَر .. لا يُنافي إعطائه الإختيار الكامِل لِهـذا النَوع مِن المخلوقات. وبعـد كلّ هذا التَفْصـيل، نَقول: إنّ الله تعالى ما أرادَ أنْ يَرى الإمام الحسـين (عليه السـلام) قَتيلاً (أي: مَقْتولاً) ولكنّه شاءَ ذلك، ونَفْسُ هذا المَعنى ياتي بالنِسْبَة إلى مَأساة سَبْي النِساء الطاهرات. إذ مِن الواضح أنَّ الله سبحانه الّذي اختارَ الإمامَ الحسـين (عليه السـلام) مِصْباحاً ومَناراً لِهِدايَة الأُمّة الإسـلاميّة. لايُريدُ كَسْر هذا المِصباح وحِرْمانَ الأُمة مِن بَركات وجوده عليه السلام، ولكنّه كانَ يَعْلَم بأنّ أهل الكوفـة سوف يَغْدرون به ويَقتلونَه. وبِتَعْبيرٍ أوضَح نَقول: لقد كانَ المُخَطّط الإلهي العام يَطلُبُ مِن الإمام الحسـين (عليه السـلام) أنْ يَخرِجَ نحو العِراق، مُلبّياً بِذلك رَسائلَ أهلِ الكوفة، والّتي بَلغَتْ أكثرَ مِن إثني عَشَر ألف رسالة - وكانتْ أكثرُها جَماعِيّة، أي: رسالة واحدة عن لسان 40 رَجل، تَحمِلُ تَوقيعاتهم واسماءَهم - كلُّ ذلك .. «إتماماً للحُجّة» على أهل الكوفة، ولِئَلاّ يكونَ للناس على الله حُجّةٌ - في يوم القيامة - بَعْدَ وصولِ الإمام الحسـين (عليه السـلام) إلى ضَواحي الكوفة، وتَلْبيَتِه لِرَسائلهم الكثيرة. وكان الله تعالى يَعْلَم أنّ ثَمَن تلْبيـة دَعْوة وطلب هذا العَدَد الكثير مِن البَشَر .. سوفَ يكونُ غالياً جِدّاً وجِدّاً، وهو قَتْل الإمام الحسـين (عليه السـلام) وسَبْي نِسائه الطاهِرات، بَعْدَ حُصول الغَدْر الفَظيع مِن أكثر أهل الكوفة!! إلّا أنَّ قانونَ «إتْمام الحُجّة» كانَ يتَطلَّبُ ذلك. هذه سُنّةُ الله في الخَلْق، وعادَتُهُ مع جميع الأُمَم والخلائق. أنّه يُوفّرُ ويُمَهّدُ لَهُم وَسائل الهِداية، ويُبْقيهِمْ على حالة الإختيار في إنتخاب المَصير، وعلى طبائع الّذين يَرفُضون طريقَ الهداية، ويَتَجاوبونَ مَعَ ما تُمْليهِ عليه نَفْسياتُهم البَعيدة عن الفَضائل، ويَختارونَ العاقِبة السَيّئة والمَصير الأسود. وبالتالي .. يَجْزي الله المُطيعين له، ويُعاقِبُ العاصـين أوامره. ويَمْنَحُ الدَرجات العالية - في الجنّة - لِعَظيم اوليائه: سـيّدِ الشُهداء الإمام الحسـين (عليه السلام) ويُعوّضُ نِسـاءَه بانواع النِعَم والكرامـة، إزاء ما تَحمّلْنَهُ مِن المصائب .. بصَبْر جميل، ودونَ أيّ إنتقادٍ لِلمُقـدّرات الإلهيّـة. هـذا .. والتَفْصـيل الأكثر يَحتاج إلى دِراسة مُسْتَقلّة. المُحقّق

الإمامُ الحسين يَصْطحِبُ العائلة

لقـد عرفنا أنّ الإمام الحسـين (عليه السـلام) كان يَعلَم – بِعلْم الإمامـة – بأنّه سـيَفوز بالشـهادة في أرض كربلاء، وكان يَعلم تفاصـيل تلك الفاجعة وأبعادها.

ولعـلّ بعض السّذَّج مِن الناس كان يَعتبرُ اصـطحابَ الإمام الحسـين عائلتَه المكرّمـة إلى كربلاء مُنافياً للحِكْمـة، لأنّ معنى ذلك تَعريض العائلة للإهانة والمكاره، وأنواع الاستخفاف.

وما كانَ أُولئك الناس يَعلمون بأن اصـطحابَ الإمام الحسـين (عليه السلام) عائلتَه المَصونة – وعلى رأسهن السيّدة زينب – كان مِن أوجَب لوازم نجاح نهضته المباركة.

إذ لولا وجود العائلة في كربلاء لكانت نهضة الإمام ناقصة، غير مُتكاملة الاجزاء والأطراف.

فإنّ أجهزة الدعاية الأموية ما كانت تَتحاشى – بعد إرتكاب

جريمة قتْل الإمام الحسين – أن تُعلن بَراءتها مِن دم الإمام، بل وتُنكر مقتلَ الإمام نهائيّاً، وتَنْشر في الأوساط الإسلاميّة أنّ الإمام توفّي على اثَر السَكتة القلْبيّة، مثلاً!!

وليسَ في هـذا الكلام شـيء مِن المبالَغـة، ففي هذه السـنة – بالذات – إنتشـرتْ في بعض البلاد العربيّة مجموعة مِن الكُتب الضالّة التائهة، باقلام عُمَلاء مُستاجَ، مِن بَهائم الهند، وكلاب باكستان، وخَنازير نَجْد.

ومِن جملة تلك الأباطيل التي سَوّدوا بها تلك الصفحات، هي إنكار شهادة الإمام الحسين، وأن تلك الواقعة لا أصْلَ لها أبداً.

ولا أُجيبُ – على ما ذكرَه أُولئك الكُتّاب العُمَلاء – سوى بقول الشاعر:

مِن أين تَخجَلُ أوجُهٌ أمويّة *** سَكبَتْ بِلذّات الفجور حَياءها؟

فهـذه الفاجعـة قـد مرَّت عليها حَوالي أربعة عشـر قرناً، وقد ذكرَها الألُوف مِن المؤرخين والمُحدّثين، واطّلع عليها القريب والبعيد، والعالم والجاهل، بل وغير المسلمين أيضاً لم يَتجاهلوا هذه الفاجعة المُروّعة.

وتُقام مجالس العزاء في ذكرى إستشـهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في عشَرات الآلاف مِن البلاد، في جميع القارّات، حتّى صارت هذه الفاجعة أظهر مِن الشمس، وصارت كالقضايا البديهيّة

التي لا يمكن إنكارها أو التشكيك فيها، بسبب شُهرتها في العالَم.

وإذا بأفراد قد تَجاوَزوا حدودَ الوقاحة، وضَرَبوا الرقم القياسي في صِلافة الوجه وانعدام الحياء، ياتون ويُنكرون هذه الواقعة كُلّياً.

ولقد رأيتُ بعضَ مَن يَدور في فَلَك الطواغيت، ويَجلس على مَوائدهم، ويَملأ بطنَه مِن خَبائثهم انكرَ واقعةَ الجَمَل وحرَب البصرة نهائيّاً، تَحفّظاً على كرامة إمراة خَرجتْ تَقودُ جيشاً لِمُحاربة إمام زَمانها، وأقامتْ تلك المجزَرة الرهيبة في البصرة، التي كانت ضَحِيّتُها خمسة وعشرين الف قتيل.

هذه مُحاولات جهنّمية، شيطانيّة، يَقوم بها هؤلاء الشَواذ، وهم يَظنّون أنّهم يَستطيعون تغطية الشمس كي لا يَراها أحَد، ويُريدون أنْ يطفوا نورَ الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أنْ يُتِمَّ نوره.

وهذه النشاطات المَسْعورة، إنْ دلّت على شيء فإنّما تَدلّ على هويّة هؤلاء الكُتّاب وماهيّتهم، وحتّى يَعرف العالَم كلّه أنّ هؤلاء فاقِدون للشَرَف والضمير – بجميع معنى الكلمة – ولا يَعتقدون بدينٍ من الأديان، ولا بِمَبدأ مِن المَبادىء، سوى المادّة التي هي الكُلِّ في الكُلّ عندهم!!

أعود إلى حديثي عن إصطحاب الإمام الحسين (عليه السلام) عائلته المُكرّمة في تلك النهضة:

إنّ تواجد العائلة في كربلاء، وفي حوادث عاشوراء بالذات

لم يُبقِ مَجالاً للأمويّين ولا لغيرهم – في تلك العصور – لإنكار شهادة الإمام الحسين.

إنّ الأـمويّين الاغبياء، لو كانوا يَفهَمون لاكتَفوا بقتْل الإمام الحسين فقط، ولم يُضيفوا إلى جرائمهم جرائم أُخرى، مِثْل سَبْي عائلة الإمام الحسين (عليه السلام)، ومُخدّرات الرسالة، وعقائل النبوّة والوحي، وبنات سيّد الأنبياء والمرسَلين.

ولكنّهم لكي يُعلنوا إنتصاراتهم في قَتْل آل رسول الله (عليهم السلام) أخذوا العائلة المكرّمة سَبايا مِن بَلَد إلى بَلَد.

وكانت العائلة لا تَدخل إلى بلد إلّا وتُوجِد في أهلِ ذلك البَلَد الوعي واليقظة، وتكشفُ الغِطاء عن جرائم يزيد، وتُزيّف دعاوى الأمويّين حول آل رسول الله: بانّهم خَوارج وأنّهم عصابة مُتمرّدة على النظام الأموي.

ونُلخّصُ القَولَ – هنا – فنقول: كان وجود العائلة – في هذه الرحلة، والنهضة المُباركة – ضروريّاً جدّاً جدّاً، وكان جُزءاً مُكَمّلاً لهذه النهضة.

إنّ هذه الأُسرة الشريفة كانت على جانبٍ عظيم مِن الحِكْمة واليقظة، والمَعرفة وفَهْم الظروف، واتّخاذ التدابير اللازمة كما

تَقتضيه الحال. (1)

ص: 155

1- ولزيادة الفائدة نَقول: لقد ذكرَ العالم الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه «السياسة الحُسَينيّة» مايَلي: «وهل نَشُكّ ونَرتاب في أنّ الحسين لو قتُل هو ووُلْده .. ولم يَتعَقّبْه قيامُ تلك الحَرائر في تلك المقامات بتلك التحدّيات لَذَهَبَ قَتْلُه جباراً ، ولم يَطلُب به أحَد ثاراً، ولَضاعَ دَمه هَدراً. فكان الحسين يَعلَم أنّ هذا عمَلٌ لا بدّ منه، وأنّه لا يَقوم به إلّا تلك العقائل، فوَجَبَ عليه حَتماً أنْ يَحملهنّ معه لا لأجل المظلوميّة بسَبَبهنّ فقط، بل لِنَظرٍ سياسي وفِكْرٍ عميق، وهو تكميل الغَرض وبلوغ الغاية مِن قلْب الدولة على يزيد، والمبادرة إلى القضاء عليها قبلَ أنْ تَقضي على الإسلام، ويَعود الناس إلى جاهليتهم الأُولى». ويَقول العلّامة البحّاثة الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه: «السيّدة زينب بطلة التاريخ» ص 212 مانَصّه: «لقد كان مِن أروع ما خَطّطه الإمام في ثورته الكبرى: حَمْلُهُ عقيلةَ بَني هاشم وسائر مُخَدّرات الرسالة معه إلى العراق، فقد كان على عِلْم بما يَجري عليهنّ مِن النكبات والخُطوب، وما يَقُمْنَ به مِن دورٍ مُشرق في إكمال نهضته وإيضاح تضحيته، وإشاعة مَبادئه وأهدافه، وقد قُمْنَ حَرائرُ النبوّة بإيقاظ المجتمع مِن سُباته، وأسقَطْن هَيْبة الحُكم الأموي، وفَتحْنَ بابَ الثورة عليه، فقد القينَ مِن الخُطب الحَماسيّة ما زَعزَعَ كيانَ الدولة الأمويّة. إنّ مِن المَع الأسباب في استمرار خُلود ماساة الإمام الحسين (عليه السلام) واستمرار فَعّاليّاتها في نَشْر الإصلاح الإجتماعي هو حَمْلُ عَقيلة الوحي وبنات الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع الإمام الحسين، فقد قُمْنَ ببَلْوَرة الرأي العام، ونَشَرْن مَبادىء الإمام الحسين وأسبابَ نهضته الكُبرى، وقد قامتْ السيّدة زينب (عليها السلام) بتَدْمير ما أحرَزَه يزيد مِن الإنتصارات، والحَقَتْ به الهزيمة والعار». ويقول الدكتور احمد محمود صُبحي في كتابه «نظريّة الإمامة» ص 343: «ماذا كانَ يكون الحال لو قُتل الحسين ومَن معه جميعاً مِنِ الرجال إلّا أنْ يُسجل التاريخُ هذه الحادثة الخطيرة مِن وِجْهَة نظر اعدائه، فيَضيعُ كلُّ اثَر لِقَضيّته .. مع دَمه المَسْفوك في الصحراء». المُحقّق

الإمامُ الحسين في طريق الكوفة

رُويَ انّ الإمام الحسين (عليه السلام) لمّا نزلَ الخزيمية (1) أقامَ بها يوماً وليلة، فلمّا أصبح اقبلتْ إليه أُخته زينب (عليها السلام) فقالت:

يا أخي! ألا أُخبرك بشيء سمعتُه البارحَة؟

فقال الحسين (عليه السلام) وما ذاك؟

فقالت: خَرجتُ في بعض الليل فسمعتُ هاتفاً يَهتفُ ويقول:

ألا يا عَينُ فاحتفلي بجهدِ *** ومَن يبكي على الشهداء بعدي

على قومٍ تَسوقُهُمُ المَنايا *** بمقدارٍ إلى إنجاز وعْدِ

1- الخزيميّة: نقطة توقُّف، ومحلّ نزول الحُجّاج، للإستراحة والتزوّد بالماء، وتَقع بين مكّة والكوفة. المُحقّق

فقال لها الحسين (عليه السلام): يا أختاه كلّ الّذي قُضِيَ فهو كائن. (1)

وقد التَقى الإمامُ الحسين (عليه السلام) في طريقه إلى الكوفة بِرَجُلٍ يُكنّى «أبا هرم»، فقال: يابنَ النبيّ ما الّذي أخرجَكَ مِن المدينة؟!

فقال الإمام: «... . وَيْحَك يا أباهرم! شَتَمُوا عِرْضي فَصَبرتُ، وطلِبُوا مالى فصَبرتْ (2)، وطلبُوا دَمي فهَرَبْت!

وأيْمُ الله لَيَقْتُلونَني، ثمّ لَيُلْبِسَنّهُمُ اللهُ ذلاً شاملاً، وسَيفاً قاطعاً، ولَيُسَلّطنّ عليهم مَن يُذِلُّهُم. (3)

1-

2- لعلَّ الاصح: وأخَذوا مالي. المُحقّق

3- الحديث مَرويٌّ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، مذْكورٌ في كتاب «أمالي الصّدوق» ص 129، حديث 1، وذكرَه الشيخ المجلسي في «بحار الأنوار» ج 44 ص 310

الفَصل السابع

إشارة

* وصولُ الإمام الحسين إلى أرض كربلاء

* زَحْفُ الجيش الأمَوي

* نَحو خِيام آلِ محمّد (عليهم السلام)

ص: 159

وصولُ الإمام الحسين إلى أرض كربلاء

وفي الطريق إلى الكوفة، إلتقى الإمامُ الحسين (عليه السلام) بالحُرّ بن يزيد الرياحي، وكان مُرْسَلاً مِن قِبَل ابن زياد في الف فارِس، وهو يُريد أنْ يَذهَبَ بالإمام إلى ابن زياد، فلم يُوافق الإمامُ الحسين على ذلك، واستَمرّ في السَير حتّى وصَلَ إلى أرض كربلاء في اليوم الثاني من شهر محرّم سنة 61 للهجرة.

فلمّا نَزل بها، قال : ما يُقال لهذه الأرض؟

فقالوا: كربلاء!

فقال الإمام: «اللهمّ إنّي أعوذُ بك مِن الكرْب والبَلاء»، ثمّ قال لاصحابه: إنزِلوا، هاهُنا مَحَطّ رِحالِنا، ومَسّ فَكُ دِماتنا، وهُنا مَحَلُّ قُبورنا. بهذا حَدّثَني جَدّي رسولُ الله

ص: 161

(صلّى الله عليه وآله وسلّم). (1)

قال السيّد ابنُ طاووس في كتاب «المَلْهوف»:

لَمّا نَزلوا بكربلاء جلسَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) يُصلحُ سيفَه ويقول:

يا دَهرُ أُفٍّ لك مِن خَليل *** كم لك بالإشراق والأصيلِ

مِن طالبٍ وصاحبٍ قَتيلٍ *** والدهرُ لا يَقنعُ بالبَديل

وكلُّ حيّ سالكٌ سبيلي (2) *** ما اقربَ الوَعْد مِن الرحيلِ

وإنّما الأمر إلى الجليلِ

فَسَمِعتْ السيّدة زينُب بنت فاطمة (عليها السلام) ذلك، فقالتْ: يا أخي هذا كلام مَن أيقَنَ بالقَتْل!

فقال: نعم يا أُختاه.

فقالت زينب: واثكلاه! يَنعى إليّ الحسينُ نفسَه.

وبكت النِسْوة، ولَطمْن الخُدود، وشَقَقْن الجُيوب، وجَعَلَتْ أُمّ كلثوم تُنادي: و امحمّداه! واعليّاه! وا أُمّاه! وا فاطمَتاه!

1- كتاب «المَلْهوف» ص 139

2- وفي نسخة: وإنّما الأمْرُ إلى الجَليل *** وكلُّ حيّ فإلى سَبيلي ما اقربَ الوَعْد إلى الرَحيلِ *** إلى جِنانٍ وإلى مَقيلٍ

واحَسَناه! واحُسيناه! واضيعتاه بعدك يا أباعبدالله ... إلى آخره. (1)

ورَوى الشيخُ المفيد في كتاب (الإرشاد) هذا الخَبر بكيفيّة أُخرى وهي:

قال علي بن الحسين [زين العابدين] (عليهما السلام):

إنّي جالسٌ في تلك العَشـيّة التي قُتِلَ ابي في صَبيحتها، وعندي عَمّتي زينب تُمرِّضني، إذ اعتَزَلَ أبي في خِباء له (2)، وعنده جوين مَولى أبي ذرٍ الغفاري، وهو يُعالجُ سيفَه (3) ويُصلحُه، وأبي يقول:

يا دَهرُ أُفٍّ لك مِن خَليل *** كم لك بالإشراقِ والاصيلِ

مِن صاحب وطالبٍ قَتيل *** والدهرُ لا يَقنَعُ بالبَديلِ

وإنّما الأمرُ إلى الجليل *** وكلُ حيّ سالكٌ سبيلي

فأعادَها مَرّتين أو ثلاثاً، حتّى فَهمْتُها، وعَرفتُ ما أراد، فخَنَقتْني العَبْرة، فردَدْتها، ولَزِمْت السكوت، وعلِمْتُ أنّ البلاء قد نَزَل.

وأمّا عمّتي: فإنّها سَمِعَتْ ما سمِعتُ، وهي إمرأة، ومِن شان النساء: الرقّةُ والجَزَع، فلم تَملِك نَفسَها، إذ وَثَبَتْ تَجرُّ ثوبَها،

1- كتاب (المَلْهوف على قتلى الطُفوف) للسيّد علي بن موسى بن طاووس، المُتوفّى سنة 664 ه-، ص 139

2- خِباء: خيمة

3- ضمير هو: يَرجع إلى جوين يُعالج: يُحاولُ إعداده للإستعمال في القتال

حتّى انتَهتْ إليه فقالت :

واثكلاه! ليتَ الموت أعدَمَني الحياة اليوم ماتتْ أُمّي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثِمالَ الباقين!

فنَظرَ إليها الإمام الحسين فقال لها: يا أختيّة! لايُذْهِبَنّ حِلْمَكِ الشيطان.

وتَرقْرَقَتْ عيناهُ بالدموع، وقال: يا أُختاه، «لوتُركَ القَطا لَغَفا ونامَ» (1).

فقالت: ياويلتاه افتغتصب نفسك اغتصاباً؟ (2) فذاك أقرَحُ لِقلبي، وأشَدُّ على نفسي، ثمّ لَطَمتْ وجهَها! واهْوَتْ إلى جَيبِها فَشَقّتْه، وخَرّتْ مَغشيّاً عليها.

فقام إليها الإمام الحسين (عليه السلام) فَصَبّ على وجهها الماء، وقال لها:

1- القطا طائرٌ معروف، واحِدهُ: القَطاة. قالوا - في الامثال -: «لو تُرك القطا ليلاً لَنام» يُضرَبُ مَثَلاً لِمَن حُمِلَ أو أُجبِرَ على مكروه مِن غير إرادته، وذلك أنّ القطا لا يَطير ليلاً إلّا إذا ازعَجوه وافسَدوا عليه راحته، فإذا طارَ القطا ليلاً كان ذلك علامة على أنّ عدوّاً يُلاحِقُه. و معنى كلام الإمام الحسين (عليه السلام): إنّ العدوّ لو كان يَتركُنا لَكنّا نَبقى في وَطننا في المدينة، ولكنّه أزعَجَنا وأخرجَنا مِن بلادنا، وسَيبقى يُلاحقنا إلى أن نَسْلَم منه او يَقتُلنا. المُحقّق

2- أي: تُقتَلُ ظُلْماً وقَهْراً

إيهاً يا أختاه إتّقي الله، وتَعزّي بعَزاء الله، وأعلَمي أنّ أهلَ الأرض يَموتون وأنّ أهل السماء لا يَبقون، وأنّ كلَّ شيء هالِك إلّا وَجْه الله، الّذي خَلَقَ الخَلْق بِقُدرته، ويَبْعَث الخَلْقِ ويُعيدهم وهو فَردٌ وَحده.

جَدّي خيرٌ منّي، و أبي خيرٌ منّي، وأمّي خيرٌ منّي، وأخي [الحسن] خيرٌ منّي، ولي ولِكُلِّ مُسلمٍ برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أُسوة.

فعزّاها بهذا ونَحْوه، وقال لها: «يا أُختاه إني أقسمْتُ عليكِ، فابِرّي قَسَمي (1).

لا تَشُقّي عَلَيّ جَيْباً، ولا تخَمشي عَلَيّ وَجْهاً، ولا تَدْعَي عليَّ بالوَيل والثُبور إذا أنا هلكتُ».

ثمّ جاء بها حتّى أجلَسَها عندي، وخَرَج إلى أصحابه ... (2)

****

أقول: سمعتُ مِن بعض الأفاضل: أنّ هذه الابيات كانت مَشؤمة عند العَرب، ولم يُعرف قائلُها، وكان المشهور عند الناس: أنّ

1- أبرّي قَسَمي: أجيبيني إلى ما أقسَمْتُكِ عليه، ولا تَحنَثي ذلك. كما في «لسان العرب». المُحقّق

2- كتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد، ص 232. وذكرَه الطَبَري - المتوفّى عام 310ه- - في تاريخه ج 5 ص 420

كلِّ مَن أحَسَّ بِخَطَر الموت أو القتل كان يَتمثّل بهذه الابيات.

ولا يَبعدُ هذا الكلام مِن الصـحّة، لأنَّ الأبيات مُشـتملة على عتاب الدهر وتوبيخه لا غير، ولَعلّ لهذا السّبَب أحسَّت السيّدة زينب باقتراب الخطر مِن أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) وقالت: هذا الحسين يَنعى إليَّ نفسَه.

وهكذا الإمام زين العابدين (عليه السلام) تَراهُ قد استَنْبَطَ مِن قراءة هذه الابيات نُزولَ البَلاء.

حيث إنّ هذه الأبيات لا تُصرّحُ - بِظاهِرها - بشيء مِن هذه الأُمور، كخَطر الموت أو إقتراب مَوعِد القتْل

****

هذا .. والظاهر أنَّ نَهيَ الإمام الحسـين أُختَه السـيّدة زينبَ عن شَقِّ الجَيْب وحَمْش الوَجْه إنّما كان خاصّاً بساعة قَتْل الإمام، بعد الإنتباه إلى قول الإمام: «إذا أنا هلكتُ».

وبعبارة أُخرى: إنما مَنَعَها أَنْ تَشْقَ جَيْبَها أو تَخْمشَ وَجْهَها ساعةَ مصـيبة مَقتل الإمام وشهادته. والسيّدة زينب إمتَثَلَتْ أمرَ اخيها، ولم تَفعلْ شيئاً مِن هـذا القَبيل عند شـهادة الإمام في كربلاء. وإنّما قامتْ ببعض هذه الأعمال في الكوفة، وفي الشام في مجلس يزيد، عندما شاهَدَتْ ما قام به يزيد (لعنة الله عليه) من أنواع الإهانة برأس الإمام الحسين عليه السلام.

ولعـلَّ نهيَ الإمـام أختَه عن شَقّ الجَيْب – في تلـك الساعـة أو الساعات الرَهيبـة – كان لهـذه الحِكْمـة: وهي أنْ لا يَظهر منها أثَر الضَعْف والإنكسار والإنهيار، أمام أُولئك الأعداء الألدّاء، فقد كان المطلوب مِن السيّدات – حين–ذاك – الصَبْر والتَجلُّد وعدمَ الجَزَع امام المَصائب.

لأنّ هذا النوع مِن الشـجاعة – وفي تلك الظروف بالذات – ضروريّ أمامَ العدوّ الحاقِد، الذي كان يَتَحيّن كلَّ فُرصةٍ للقيام بأيّ خطوةٍ تُناسِبُ نفسـيّتَه اللَئيمة، تِجاه تلك العائلة المكرَّمة الشريفة، وكانت مواجهة الحوادث بصَبْر جميل ومَعنويّات عالية، تَعني تَفويت الفُرَص أمامَ تفكير العَدوّ القيامَ بأيّ نوعٍ مِن انواع الإعتداء والإهانة وسَحْقِ الكرامة تجاه تلك السيّدات الطاهِرات المَفْجوعات، اللَواتي فَقَدْنَ المُحامي والمُدافع عنهُن!

زَحفُ الجيش الأمَوي نَحو خِيام آلِ محمّد (عليهم السلام)

كانت السيّدة زينب (عليها السلام) تَشعر باقتراب الخَطَر يوماً بعد يوم، وساعةً بعد ساعة، وكيف لا؟ والسَيل البَشَرِي يَتدفّق نحوَ أرض كربلاء لِقَتْل رَيحانة رسول الله وسبطه الحَبيب؟

وآخرُ راية وصَلتْ إلى كربلاء: راية شمر بن ذي الجوشن في سنّة آلاف مُقاتِل، ومعه الحُكم الصادر مِن عبيدالله بن زياد، يأمر فيه ابنَ سعد أن يُخيّر الإمامَ الحسين بين أمْرين:

1 – الإستِسلام.

2 – الحرب.

فزَحَفَ الجيشُ الاموي نحو خِيام آلِ محمّد (عليهم السلام) ونَظرتْ السيّدة زينب إلى أسْراب مِن الذئاب تَتراكض نحو بيوت الرسالة والإمامة.

ص: 169

ويَعلم الله تعالى مَدى الخوف والقَلَق والإضطراب الذي استولى على قلوب آل رسول الله.

وأقبَلَت السيّدة زينب تَبحث عن أخيها، لِتُخبره بهذا الهجوم المُفاجىء في تلك السويعات الأخيرة من اليوم التاسع من المحرّم، قَريب الغروب.

وأخيراً، وصلتْ إلى خيمة الإمام الحسين (عليه السلام) وإذا بالإمام جالس، وقد احتَضنَ ركبتيه، ووضَعَ رأسَه عليهما، وقد غَلَبه النوم.

واستيقظَ الإمامُ على صوت أُخته الحَوراء تُخاطبُه - بصوتٍ مَليء بالرُعب، مَزيج بالعاطفة والحَنان - .. قائلةً:

أخي أما تَسمَع هذه الاصوات قد اقتَربتْ؟

فرَفَع الإمامُ الحسين رأسَه وقال: أُختيّه! إنّي رأيتُ رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الساعة في المنام، وقال لي: «إنّك تَروحُ إلينا».

أو «إنّي رايتُ - الساعة - مُحمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلمّ) وأبي عليّاً، وأُمّي فاطمة، وأخي الحسَن وهم يقولون: ياحسين إنّك رائحٌ إلينا عن قريب» (1).

1- كتاب (الملهوف على قَتلى الطفوف) للسيّد ابن طاووس، طبع ايران، عام 1414ه-، ص 151

فلَطمَتْ السيّدة زينب وجْهَها، وصاحتْ: واويلاه، وبكتْ.

فقال لها الإمامُ الحسين: ليسَ لكِ الوَيل يا أخيّة لا تُشْمِتي القومَ بِنا، أسكتي رَحمَكِ الله (1).

فنهض الإمامُ الحسين (عليه السلام) وأرسَلَ أخاهُ العبّاس ابن علي مَعَ عِشرينَ فارساً مِن أصحابه، وقال: «يا عباس إركبْ - بِنَفْسي أنت يا اخي - حتّى تَلْقاهم وتَقول لهم مالكم وما بَدا لكم؟؟ وتَسألُهم عما جاءَ بِهم؟

فأتاهم العباس وقال لهم: ما بَدا لكم وما تُريدون؟

قالوا: قد جاء أمرُ ابن زياد أن نَعرِضَ عليكم: أن تَنزلوا على حُكْمه، أو تُناجِزُكم!

فقال العباس: لا تَعجَلوا حتّى ارجع إلى أبي عبدالله فاعرض عليه ما ذكرتُم.

فتَوقّف الجيش، وأقبَلَ العباسُ إلى أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) وأخبرَه بما قالَهُ القوم.

فقال الإمام: إرجِعْ إليهم .. فإنْ استَطعتَ أنْ تُؤَخّرهم إلى غَدٍ وتَدفَعَهم عنّا العَشيّة، لَعلّنا نُصلّي لِرَبّنا الليلة

1- كتاب «مَعالي السِبطين» للمازندراني، ج 1، ص 204، الفصل الثامن، المجلس الأوّل

ونَدعوه .. فهو يَعلَم أني أَحبُّ الصلاة لَه وتِلاوةَ كتابه؟

فَمَضى العبّاسُ إلى القوم فاستَمْهَلَهم، وأخيراً .. وافَقوا على ذلك. (1)

ص: 172

1- كتاب «مَعالي السِبطين» للمازندراني، ج1، ص 332

الفَصل الثامِن

إشارة

* ليلة عاشوراء

* أزْمَة الماء

ص: 173

ليلة عاشوراء

إنّ مشكلة كبيرة واحدة تَحدثُ في حياة الإنسان قد تَسّ لبه القرار والاستقرار، وتورثه الارَق والقَلقَ والسّ هَر، وتَرفض عيناه النوم، فكيف إذا أحاطتْ به عشَرات المشاكل الكبيرة؟!

مِن الواضح أنّ أقلّ ما يُمكن ان تُسبّبَه تلك المَشاكل هو: الإنهيار العَصَبي، وفُقدان الوعي، واختِلال المَشاعر وتَبلبُل الفِكْر، وتَشتّت الخاطِر.

فهل نَستطيع أن نَتَصوّر كيف انقضتْ ليلة عاشوراء على آل رسول الله؟!

فالهموم والغموم، والخوف والتفكّر حول الغَد، وما يَحمِلُه مِن الكوارث والفجائع، وبكاءُ الأطفال مِن شِدّة العطش، – وغير ذلك مِن مُميّزات تلك الليلة – جَعلتْ تلك الليلة فَريدة مِن نوعها في تاريخ حياة أهل البيت (عليهم السلام).

ص: 175

وفي ساعة مِن ساعات تلك الليلة خَرج الإمامُ الحسين (عليه السلام) مِن منطقة المُخيّم، راكباً جَوادَه، يَبحث في تلك الضواحي والنواحي حول التِلال والرَبوات – المُشْرفة على منطقة المخيّم – التي كان مِن المُمكن أنْ يكْمن العَدوّ خَلْفها غداً، إذا اشتَعلتْ نار الحرب.

ويُرافقه في تلك الجَولة الإستطلاعية نافعُ بن هلال، وهو ذلك البطل الشجاع المِقْدام، وكان مِن أخصّ أصحابه وأكثرهم مُلازمة له، فلنَستَمع إليه:

إلتفتَ الإمامُ خَلْفه وقال: مَن الرجل؟ نافع؟

قلت: نعم، جعَلَني الله فِداكَ!! أزعَجَني خُروجُك ليلاً إلى جهة مُعسْكر هذا الطاغي.

فقال: يا نافع! خَرجتُ أتفقُّد هذه التلال مَخافةَ أن تكون مَكْمناً لِهجوم الخيل على مُخيِّمنا يوم تَحملون ويَحملون.

ثمّ رجع (عليه السلام) وهو قابض على يَساري، وهو يقول: «هي هي، والله، وعدٌ لا خُلفَ فيه».

ثمَّ قال: يا نافع! ألا تَسلُك ما بين هذين الجبلين (1) مِن وقتك

1– ليس في أرض كربلاء جبل، وإنّما فيها تلال وربَوات لاتزال موجودة ويقال لها – باللغة الدارجة – : عَلْوة وعَلاوي، ولعلّ الإمام (عليه السلام) قصَدَ مِن الجبلين: التِلال الموجودة في تلك المنطقة

هذا، وتَنْجو بنفسك؟

فوقَعْت على قدميه، وقلتُ: إذَن ثكلَتْ نافِعاً أُمُّه!!

سيّدي: إنّ سيفي بالفٍ، وفَرَسي مثْله، فوالله الذي منّ عليّ بك لا أفارقك حتّى يكِلاً عن فَري وجَري (1).

ثمّ فارقَني ودَخَلَ خيمة أُخته، فوقفتُ إلى جَنبها (2) رَجاءَ أن يُسرع في خروجه منها.

فاستقبلتْه زينب، ووَضعتْ له مُتّكئاً، فجلَسَ وجعَلَ يُحدِّثها سِراً، فما لَبثَتْ أن اختَنقتْ بِعَبْرتها، وقالت: وا أخاه! أُشاهدُ مَصْرِعَك، وأُبتلى برعاية هذه المذاعير (3) مِن النساء؟ والقوم - كما تَعلَم - ما هم عليه مِن الحِقْد القديم.

ذلك خَطبٌ جَسيم، يَعزّ عَلَيّ مَصْرَعُ هؤلاء الفِتْية الصَفوة، و أقمار بَني هاشم!

ثمّ قالت: أخي هل إستَعلَمْتَ مِن أصحابك نيّاتهم؟ فإني أخشى أن يُسْلموك عند الوَثبة، واصطكاك الأسِنّة!

1- أي: حتى يَعجز السيف عن القطع، ويَعجز الفَرَس عن الركض

2- جَنْبها: أي جَنب الخيمة

3- المذاعير - جَمْع مَذْعور: وهو الذي اخافوه

فبكى (عليه السلام) وقال: أما والله لقد لَهزتُهم (1) وبَلَوتُهم، وليسَ فيهم إلّا الأشْوس الأقعَس (2) يَستانِسون بالمنيّة دوني إستيناسَ الطفل بلَبَن أُمّه .

قال نافعُ بن هلال: فلمّا سمعْتُ هذا منه بكيتُ، وأتيتُ حبيبَ بن مظاهر، وحَكيتُ لَه ما سمعتُ منه ومِن أُخته زينب.

فقال حبيب: والله لولا انتظار أمره لَعاجلتُهم بسيفي هذه الليلة!

قلت: إنّي خَلّفْتُه عند أُخته وهي في حالِ وَجْل ورُعْب، وأظنّ أنّ النساء أفقَنَ وشاركْنَها في الحَسْرة والزَفْرة، فهَلْ لك أنْ تَجمَع أصحابك وتُواجِهُهُنّ بكلامٍ يُسكنُ قلوبَهنّ ويُذهبُ رُعْبَهنّ؟ فلقد شاهَدتُ منها ما لا قرارَ لي مع بَقائه.

فقال لي: طَوعَ إرادتك، فبرزَ حبيبُ ناحيةً، ونافعُ إلى ناحية، فانتدَبَ أصحابَه.

فتطالعوا مِن مَضاربهم (3) فلمّا اجتمعوا قال – لبَني هاشم –:

إرجعوا إلى مَنازلكم، لا سَهَرتْ عُيونكم!!

ثمّ خَطَبَ أصحابَه وقال يا أصحابَ الحَمِيّة ولُيوثَ

1- يقال: لهزْتُه أي: خالطتُه، والمقصود: الإختبار والإمتحان

2- الأشوس: الجريء على القتال الشديد، والأقعس: الرجل الثابت العزيز المنيع

3- المضارب – جَمْع مَضْرب –: الخيمة

الكريهة!

هذا نافع يُخْبرُني الساعة بكيت وكيت، وقد خَلّفَ أَختَ سيّدكم وبَقايا عياله يَتشاكين ويَتباكين. أخبروني عمّا أنتُمْ عليه؟

فجَرّدوا صوارمَهم، ورَمَوا عَمـائمَهم، وقالوا: ياحبيب! والله الـذي مَنّ علينا بهـذا الموقف! لئن زَحَفَ القومُ لَنَحصِدنَّ رؤوسَهم، ولَنُلْحِقنّهمْ بأشياخهم أذِلّاء، صاغِرين، ولَنَحفظَنّ وَصيّةَ رسول الله في أبنائه وبَناته!

فقال : هَلْمّوا مَعي.

فقـامَ يَخبطُ الأرض (1)، وهم يَعْدُون خَلْفَه حتّى وقف بين أطنـاب الخِيَم، ونـادى: «يا أهلَنا! وياساداتَنا! ويا مَعشَرَ حَرائر رسول الله! هـذه صوارمُ فِتْيانكم آلَوا أن لا يُغمِدوها إلّا في رِقاب مَن يَبغي السوء بِكُمْ، وهذه أسِنّة غِلْمانكم أقسَموا أن لا يركزوها إلّا

1- يَخْبط الأرضَ: يَضربُ الأرضَ برجليه ضَرْباً شديداً، وهو ماخوذ من ضرْب البعير الأرضَ برجله. قال الخليل في كتاب (العين): الخَبْط: شِدّة الوَطء بأيدي الدَوابّ. وجاء في (المُعْجَم الوسـيط) خَبَط الشـيءَ: وَطاهُ وَطئاً شديداً. ولعلّ المقصود: سُرعة الركض، أو نوعٍ خاص مِن المَشـي العَشائري .. يكون مَزيجاً مع ضَرْب الأرجل بالأرض، كنوعٍ مِن التدريب للقتال قبل الحرب، أو لإيجاد الحَماس ورَفْع المَعنَويات. المُحقّق

في صدور مَن يُفرّق ناديكم! (1)

فقال الإمام الحسين (عليه السلام): أُخرجنَ عليهم يا آلَ الله!

فخَرجنَ، وهُنّ يَنْتَدِبْنَ (2) ويَقُلن: حاموا أيّها الطيّبون عن الفاطميّات، ما عُذركم إذا لَقينا جَدّنا رسولَ الله، وشَكوْنا إليه ما نَزَل بِنا؟

وكانَ حبيبُ واصحابه حاضرين يَسمعون ويَنظرون، فوالله الذي لا إله إلّا هو، لقد ضَجُّوا ضَجّةٌ ماجَتْ منها الأرض،

1- أسِنّة: رماح. يُركزوها: الرَكْز: غَرزُك شيئاً مُنتَصِباً .. كالرُمح ونحوه، يُقال ركزُه ركزاً في مَرْكزه أي: ثَبّتَه في مَكانه. كما في «لسان العرب». ناديكم: مَحلُّ اجتماعكم. النادي: مجلس القوم ماداموا مُجتمعين فيه

2- وفي نسخة: يَندبن. يَنتدبْن: الإنتداب: بمعنى الإسراع، وبمعنى تلبية الطَلَب، فيكون المعنى: «يَتسارعْن» في خروجهنّ مِن الخيام، أو: «يُلبّين» أمْرَ الإمام لهنّ بالخروج لهم. قال الطُريحي في (مَجمع البحرين): نَدَبَه لامرٍ فانتَدَب: أي: دَعاه لامرٍ فأجاب. وذُكرَ في بعض كُتُب اللغة: أنّ الإنتداب: هو طَلَبُ شيء مِن شخص في حالة الحرب وإسراعُ الشخص في تلبية الطَلَب. كما يُستفاد هذا المعنى مِن كتاب (العَين) للخليل، وكتاب (المُحيط في اللغة) للصاحب بن عبّاد. المُحقّق

واجتمعتْ لها خيولُهم وكانَ لها جَولة واختلاف صهيل، حتّى كانّ كُلاً يُنادي صاحِبَه وفارِسَه. (1) (2)

ورُويَ عن فَخْر المُخدّرات السيّدة زينب (عليها السلام) أنّها قالت: «لمّا كانت ليلة العاشر مِن المُحرّم خَرجتُ مِن خَيمتي لاتفَقَّد أخي الحسين وانصارَه، وقد أُفْرِدَ له خيمة، فوجَدتُه جالساً وَحْده، يُناجي رَبّه، ويَتْلو القرآن.

فقلتُ – في نفسي –: أفي مِثْلِ هذه الليلة يُترَك أخي وَحْده؟ والله لا مضينَّ إلى إخوتي وبَني عُمومتي وأُعاتبُهم بذلك.

فاتيتُ إلى خيمة العبّاس، فسمعتُ منها هَمْهَمَة ودَمْدَمَة، (3)

1- الظاهر أنّ المراد: حتّى كانَّ كلّ واحدٍ من الخيل يُنادي – في صهيله - صاحبَه وفارسَه .. للركوب استعداداً للإنطلاق والقتال. المُحقّق

2- كتاب (الدَمْعة الساكبة) ج 4 ص 273، المجلس الثاني : فيما وقَع في ليلة عاشوراء، نَقلاً عن الشيخ المفيد رضوان الله عليه. وكتاب (معالي السبطين) للشيخ محمد مهدي المازندراني، المجلس الرابع: وقائع ليلة عاشوراء

3- الهَمْهَمة: هو الصوت الذي يُسمَع ولا يُفهَم معناه، بسبب خفائه أو اختلاطه مع اصوات أُخرى. قال إبن مَنظور في (لسان العرب): الهَمْهَمة: الكلام الخَفي، وهَمْهَم الرجلُ: إذا لم يُبيّن كلامه، والهَمْهمةُ: الصوتُ الخَفي، وقيل: هو صوتٌ معه بَحّ. وقال ابن دُريد في (جَمْهرة اللغة): الهَمْهَمة: الكلام الذي لايُفهَم. المُحقّق

فوقَفتُ على ظَهْرها (1) فنَظرتُ فيها، فوجدتُ بَني عُمومتي وإخوتي وأولاد إخوتي مُجتَمِعين كالحَلَقة، وبَينَهم العبّاس بن أمير المؤمنين، وهو جاثٍ على ركبتيه كالأسد على فَريسته؛ فخَطَبَ فيهم خُطبةً – ما سمعْتُها إلا مِن الحسين –: مُشتملةً على الحمْد والثناء لله والصلاة والسلام على النبي وآله.

ثم قال – في آخِر خُطبتِه – : يا إخوتي! وبَني إخوتي! وبَني عُمومتي! إذا كان الصباح فما تَقولون؟

قالوا: الأمرُ إليك يَرجع، ونَحنُ لا نَتَعدّى لك قَولاً. (2)

فقال العبّاس: إنّ هؤلاء (أعني الأصحاب) قومٌ غُرَباء، والحِمْلُ ثَقيل لا يَقومُ إلّا باهله، فإذا كان الصباح فأوَّل مَن يَبرز إلى القتال أنتُم.

نَحنُ نَقدُمُهم إلى الموت لِئلاً يقولَ الناسُ: قَدّموا أصحابَهم، فلمّا قُتلوا عالَجوا الموتَ بأسيافهم ساعة بعد ساعة. (3)

فقامتْ بَنو هاشم، وسَلّوا سيوفَهم في وَجْه أخي العبّاس، وقالوا : نَحنُ على ما أنتَ عليه!

1- ظهرها: أي ظَهْر الخيمة، بمعنى خَلْفَها ووَراءها

2- لا نَتعدّى: لا نَتَجاوز مِن رايك إلى رأي غيرك

3- عالَجوا: حاولوا التخلّص مِن الموت بسيوفهم .. مُحاولةً بعد مُحاولة، ومَرَةٌ بعد أُخرى

قالت زينبُ: فلما رأيتُ كثْرةَ إجتماعهم، وشِدّةَ عَزْمهم، وإظهار شِيمَتهم، سَكنَ قلبي وفَرحتُ، ولكن خَنَقّتْني العَبْرة، فاردتُ أنْ أرجع إلى أخي الحسين وأُخبره بذلك، فسمِعتُ مِن خيمة حَبيب بن مظاهر هَمْهَمة ودَمْدَمة، فمَضيتُ إليها ووَقفتُ بظَهرها، ونَظرتُ فيها، فوجَدْتُ الأصحابَ على نحو بَني هاشم، مُجتَمِعين كالحَلَقة، وبينهم حبيب بن مظاهر، وهو يقول:

«يا أصحابي! لِمَ جِئْتُم إلى هذا المكان؟ أوضِحُوا كلامَكم، رَحِمَكمُ الله.

فقالوا: أتينا لِنَنْصُر غَريبَ فاطمة!

فقال لَهم: لِمَ طلَّقتُم حَلائِلَكم؟

قالوا: لذلك.

قال: فإذا كان الصباح فما أنتُم قائلون؟

فقالوا: الرأيُ رأيك، لا نتعدّى قولاً لك.

قال: فإذا صارَ الصّباح فاوّل مَن يَبرز إلى القتال أنتُم، نَحنُ نَقدمُهم للقتال ولا نَرى هاشِميّاً مُضَرَجاً بِدَمه وفينا عِرْق يَضرب، لِئلاً يقولَ الناس: قَدّموا ساداتهم للقتال، وبَخِلوا عليهم بأنفسِهم.

فهَزّوا سيوفَهم على وَجْهه، وقالوا: نَحنُ على ما أنتَ عليه.

قالت زينبُ: ففَرحْتُ مِن ثَباتهم، ولكن خَنَقتْني العَبْرة،

فانصرفتُ عنهم وأنا باكية، وإذا بأخي الحسين قد عارضَني (1)، فسكنت نفسي (2)، وتَبسّمتُ في وَجْهه.

فقال: أُخيّه.

قلت: لبّيك يا أخي .

فقال: يا أختاه! مُنذُ رَحَلْنا مِن المدينة ما رايتُكِ مُتَبسّمة، أخبريني: ما سبَب تَبسّمكِ؟

فقلت له: يا أخي! رأيتُ من فِعْل بَني هاشم والاصحاب كذا وكذا.

فقال لي: يا أُختاه! إعلمي أنّ هؤلاء اصحابي مِن عالَم الذَرّ، وبهم وَعَدَني جَدّي رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

هلْ تُحِبّين أن تَنظري إلى ثَبات أقدامهم؟

1- عارَضَني: واجهَني

2- هناك احتمالان في كيفيّة قراءة «فسكنت نفسي» هما: 1 - سَكَنْتُ نفسي: بمعنى أنها حاولتْ أن تَتغلَّب على ما بها مِن البكاء، وتَمسحُ آثارَ الحزن والكآبة عن مَلامحها .. لكي لا تزيد مِن هموم الإمام. وعلى هذا .. لا تكون الجملة تكملة .. بل جملة مُستانَفة 2 - سَكَنَتْ نفسي: بمعنى أنّه زالَ القَلَق عن نفسِ ها، وارتاحَ قلبُها .. بما رأتْه وسَمعتُه مِن موقف بَني هاشم وموقف الأصحاب. فتكون الجملة تكملة ل- «ففرحتُ مِن ثباتهم». المُحقّق

فقلت: نعم.

فقال: عليكِ بِظَهْر الخيمة.

قالت زينبُ: فوقفتُ على ظَهر الخيمة، فنادى أخي الحسين: «أين إخواني وبَنو اعمامي»؟

فقامتْ بَنو هاشم، وتَسابقَ منهم العباس، وقال: لبّيك لبّيك، ما تَقول؟

فقال الحسين: أُريد أن أُجدِّد لكم عهْداً.

فأتى أولادُ الحسين وأولادُ الحسن، وأولادُ علي وأولادُ جعفر وأولادُ عقيل، فأمَرَهم بالجلوس، فجَلَسوا.

ثم نادى: أينَ حبيب بن مظاهر، أين زُهير، أين نافع بن هلال؟ أين الأصحاب؟

فأقبلوا، وتَسابقَ منهم بب بن مظاهر، وقال: لبّيك يا أبا عبد الله!

فأتَوا إليه وسيوفُهم بايديهم ، فأمَرَهم بالجلوس فجَلَسوا.

فخَطبَ فيهم خُطبةً بليغة، ثمّ قال:

«يا أصحابي! إعلموا أنّ هؤلاء القوم ليسَ لهم قَصْد سوى قَتْلي وقتْل مَن هو معي، وأنا اخاف عليكم مِن القتل، فانتُم في حِلّ مِن بَيعتي، ومَن أحبّ منكم الإنصرافَ فلينْصرفْ في سَواد هذا الليل.

فعندَ ذلك قامتْ بَنو هاشم، وتكلّموا بما تكلّموا، وقام الاصحاب وأخذوا يَتَكلّمون بمثْل كلامهم.

فلمّا رأى الحسين حُسْنَ إقدامهم، وثَباتَ أقدامهم، قال: إنْ كُنْتُم كذلك فارفَعوا رؤوسَكم، وانظروا إلى مَنازلكم في الجنّة.

فكُشِفَ لهم الغِطاء، ورَأوا منازلَهم وحُورَهم وقُصورَهم فيها، والحورُ العين يُنادين: العَجَل العَجَل! فإنّا مُشتاقات إليكم.

فقاموا بأجمعهم، وسَلّوا سيوفهم، وقالوا: يا أباعبدالله! إئذن لنا أن نُغيرَ على القوم، ونُقاتلهم حتّى يَفعل الله بِنا وبهم ما يشاء.

فقال: إجلسوا رَحِمَكم الله، وجزاكم الله خيراً.

ثم قال: ألا ومَن كانَ في رَحْله إمرأة فليَنصَرفْ بها إلى بَني اسد (1).

فقامَ عليُّ بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيّدي؟

فقال: إنّ نسائي تُسبى بعد قتْلي، وأخافُ على نسائكم مِن السَبْي.

فمَضى عليُّ بن مظاهر إلى خيمته، فقامتْ زوجتُه إجلالاً له، فاستَقبلَتْه وتَبسَّمتْ في وَجْهه.

1- الرَحْل: ما تَسْتَصْحِبه في السَفَر .. مِن الأثاث أو الزوجة أو غير ذلك، كما يُستفاد مِن «لسان العرب»

فقال لها: دَعيني والتَبَسُّم!

فقالت: يابنَ مظاهر! إني سمِعْتُ غريبَ فاطمة! خطب فيكم وسمعتُ في آخرها همهمة ودمدمة، فما علمتُ ما يقول؟

قال: يا هذه! إنّ الحسين قالَ لنا: ألا ومَن كان في رَحْله إمرأة فليذهب بها إلى بَني عمِّها، لأنّي غداً أُقتِل، ونسائي تُسبى.

فقالت: وما أنتَ صانع؟

قال: قُومي حتّى ألحِقَكِ ببَني عمّكِ: بَني أسَد.

فقامتْ، ونَطَحتْ رأسَها بعَمود الخيمة، وقالت:

«والله ما أنصَفْتَني يابنَ مظاهر، أيَسُرّكَ أَنْ تُسْبِى بَناتُ رسولِ الله وانا آمِنة مِن السَبْي؟!

أيَسُرّك أنْ تُسلَب زينبُ إزارَها مِن راسها وأنا استَتِر بإزاري؟!

أيَسُرّكِ أنْ يَبيضَّ وجْهُك عند رسولِ الله ويَسْوَدَ وَجْهي عند فاطمة الزهراء؟!

والله أنتُم تُواسُون الرجال، ونحنُ نُواسي النساء».

فرجَع عليُّ بن مظاهر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يَبكي.

ص: 187

فقال له الحسين: ما يُبكيك؟

قال: سيّدي.. أبَتْ الأسَديّة إلّا مُواساتكم!!

فبكى الإمامُ الحسين، وقال: جُزيتُمْ مِنّا خَيراً. (1)

ص: 188

1- معالي السبطين للمازندراني ج 1، المجلس الثالث في وقائع ليلة عاشوراء

أزمَة الماء

كانت السـيّدة زينب (عليها السـلام) رُكناً مُهمّاً في الأُسرة الشريفة الطيّبة، وانطلاقاً مِن صِفة العاطفة المثاليّة التي كانت تَمْتازُ بها، فقد كانت تَشعر بالمسؤليّة عن كلّ ما يَرتبط بحياة الأسرة .. بجميع أفرادها.

فكانت مَفزَعاً للكبار والصغار، ومَلاذاً لجميع افراد العائلة، و مَعْقِد آمالهم، فلعلها كانت تدَّخر شيئاً من الماء منذ بِداية ازمة الماء عندهم.

فكان بعضُ العائلة يأملون أن يجدوا عندها الماء، جَرياً على عادَتها وعادَتهم، ولهذا قالت سُكينة بنتُ الامامِ الحسين (عليه السلام):

ص: 189

«عَزّ ماؤنا ليلةَ التاسع مِن المحرَّم (1)، فجَفّت الأواني، ويَبِسَت الشفاه (2) حتّى صِرْنا نَتوقّع الجُرعة مِن الماء فلم نَجِدْها.

فقلتُ – في نفسي –: أمضي إلى عمّتي زينب، لَعلّها ادّخرتْ لنا شيئاً مِن الماء!!

فمَضَيتُ إلى خيمتها، فرأيتُها جالسة، وفي حِجْرها أخي عبدالله الرضيع، وهو يَلوك بِلسانه مِن شِدّة العَطَش، وهي تارةً تَقوم، وتارةٌ تَقعُد.

فَخَنقَتْني العبرة، فلزِمْتُ السكوت خوفاً من أن تفيق (3) بي عمَّتي فيَزدادَ حُزنها.

فعند ذلك إلتفَتَتْ عمِتى وقالت: سُكينة؟

قلتُ: لبّيكِ.

قالت: ما يُبكيكِ؟

قلتُ: حالُ أخيَ الرضيع أبكاني.

ثمّ قلت: عَمّتاه! قُومي لِنَمضي إلى خِيّم عُمُومَتي،

1- عَزّ ماؤنا: صارَ قليلاً جدّاً، أو صارَ عَزيزاً لِنَفاده. المُحقّق

2- وفي نسخة: السِقاء: يعني القِرْبة

3- تفيق: تَشْعر

وبَني عُمومتي، لَعلّهم ادَّخروا شيئاً مِن الماء!

قالت: ما أظنّ ذلك.

فمَضينا واختَرقْنا الخِيَم بأجْمعِها، فلم نَجدْ عندهم شيئاً من الماء.

فرجَعتْ عمَّتي إلى خيمَتها، فتبِعَتْها مِن نَحو عشرين صبيّ وصَبيّة، وهم يَطلُبون مِنها الماء، ويُنادون: العطَش العطَش ... .» (1)

1- كتاب (مَعالي السبطين) للمازندراني ج 1، ص 320، المجلس الثامن: في عَطَش أهل البيت، نقلاً عن كتاب (أسرار الشهادة) للدربندي

الفَصل التاسع

إشارة

* يومُ عاشوراء

* مَقتل سيّدنا علي الأكبر (عليه السلام)

* مَقتل أولاد السيّدة زينب (عليها السلام)

* مَقتل سيّدنا أبي الفضل العباس (عليه السلام)

* مَقتل الطفل الرضيع (عليه السلام)

ص: 193

يوم عاشوراء

أصبحَ الصباح مِن يوم عاشوراء، واشتَعلتْ نارُ الحرب وتَوالتْ المصائب، الواحدة تلَو الأُخرى، وبَدأت الفجائعُ تَتْرى!

فالأصحاب والأنصار يَبرزون إلى ساحة الجهاد، ويُستَشهَدون زرُافات ووِحْدانا، وشيوخاً وشُبّاناً.

ووَصَلت النَوبة إلى أغصان الشَجَرة النبَويّة، ورجالات البيت العَلَوي، الّذين وَرِثوا الشجاعة والشهامة، وحازوا عِزّة النَفْس، وشَرَف الضمير، وثَباتَ العقيدة، وجَمالَ الإستقامة.

ص: 195

مَقتل سيّدنا على الأكبر

وأوّل مَن تقدّم منهم إلى ميدان الشّرَف: هو عليُّ بن الحسين الأكبر (عليهما السلام)، فقاتَلَ قتالَ الأبطال، وأخيراً .. إنطفأتْ شمعةُ حياته المُستَنيرة، وسقَطَ على الأرض كالوَردة التي تَتَبعثَر أوراقُها.

وتبادرَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) إلى مَصْرَع ولَده، ليُشاهدَ شَبيهَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مُقطَّعاً بالسيوف إرباً إرباً.

ولا أعلَمُ كيف عَلمت السيّدة زينب بهذه الفاجعة المُروِّعة، فقد خَرجتْ تَعْدو، وهي السيّدة المُخدّرة المُحجَّبة الوَقورة!

خَرجتْ مِن الخيمة مُسْرعة وهي تُنادي: «واوَيلاه، ياحَبيباه، ياثمرةَ فؤاداه، يانورَ عَيناه، يا أُخيّاه وابن أُخيّاه، واوَلَداه، واقَتيلاه، واقِلّةَ ناصِراه، واغَريباه، وامُهْجَة قَلْباه.

لَيتَني كنتُ قَبلَ هذا اليوم عَمياء، لَيتَني وُسِّدْتُ الثّرى».

وجاءتْ وانكبَّتْ عليه، فجاءَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) فاخذَ بِيدها، ورَدّها إلى المُخيّم، واقبَلَ بفِتْيانه إلى المعركة وقال: إحمِلوا اخاكم، فحَملوه مِن مَصْرَعه وجاؤا به حتّى وضَعوه عند الخيمة التي كانوا يُقاتِلون أمامَها. (1)

1- كتاب (مَعالي السبطين) للشيخ المازندراني، ج 1، الفصل التاسع، المجلس الثالث عشر

مَقتل أولاد السيّدة زينب

وإلى أنْ وصلت النَوبة إلى أولاد السيّدة زينب عليها السلام و أفْلاذ كبدها.

أُولئك الفِتْية الذين سَهَرَتْ السيّدة زينب لَياليها، و أتعَبَتْ أيّامَها، وصَرَفَتْ حياتَها في تربية تلك البَراعم، حتّى نَمَتْ وأورَقَتْ.

إنها قَدّمتْ أغلى شيء في حياتها في سبيل نُصْرَة أخيها الإمام الحسين عليه السلام.

وتَقدّم أُولئك الأشبال يَتطوّعون ويَتبرّعون بدمائهم وحياتهم في سبيل نُصرْة خالهم، الذي كان الإسلام مُتجسّداً فيه وقائماً به.

وغَريزة حُبِّ الحياة إنقلبتْ – عندهم – إلى كراهية تلك الحياة.

ومَن يَرغب لِيَعيش في أرجس مُجتمع مُتكالِب، يَتسابق على إراقة دِماء أطهَر إنسان يُعتبَر مَفخرة أهل السماء والأرض؟!

ص: 199

وكانَ عبـدُ الله بن جعفر – زوجُ السـيّدة زينب – قد أمَرَ ولَدَيه: عوناً ومحمّداً أن يُرافِقا الإمامَ الحسـين (عليه السـلام) – لمّا أراد الخروج من مكّة – والَمسير معه، والجهاد دونه.

فلمّا انتَهى القِتالُ إلى الهاشميّين بَرَزَ عونُ بن عبدالله بن جعفر، وهو يَرتَجز ويقول:

إنْ تُنكروني فأنا ابنُ جعفر *** شهيد صِدْقٍ في الجِنان أزهَر

يَطيرُ فيها بجَناحٍ أخضَر *** كفى بهذا شَرَفاً فى المحْشَر

فقَتَلَ ثلاثة فُرسان، وثمانية عشر راجِلاً، فقتَلَه عبدُ الله بن قطبة الطائي. (1)

ثمَّ برزَ اخوه محمّد بن عبدالله بن جعفر، وهو يُنشِد:

أشكو إلى الله مِن العدوانِ *** فِعال قومٍ في الرَدى عِمْيَانِ

قد بَدّلوا مَعالمَ القرآنِ *** ومُحْكمَ التنزيل والتِبْيانِ

واظهَروا الكفرَ مع الطُغيانِ

فقَتَلَ عشرة مِن الأعداء، فقتَلَه عامر بن نهشل التميمي. (2)

1- وفي نسخَةٍ: عبد الله بن قطنة الطائي

2- كتاب (مَناقب آل أبي طالب) لابن شهر آشوب، ج 4 ص 106. وبحار الانوار ج 45 ص 33

ولقد رَثاهما سليمان بن قبّة بقوله:

وسَميُّ النبيّ غُودرَ فيهم *** قد عَلَوه بصارم مَصْقُولِ

فإذا ما بكيتِ عيني فجُودي *** بدُموع تَسيل كلّ مَسيلِ

واندُبي إنْ بكيتِ عوناً أخاهُ *** ليسَ فيما يَنوبُهم بِخَذول (1)

أقول: لم أجدْ في كتُب المقاتل أنّ السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) صاحتْ أو ناحَتْ أوصرخَتْ أو بكتْ في شهادة وَلَديها، لا في يوم عاشوراء ولا بعده.

ومِن الثابت أنّ مصيبةَ وَلَديها أوجَدَتْ في قلبها الحُزنَ العميق، بل والهَبَتْ في نفسها نيرانَ الأسى وحَرارة الثّكْل، ولكنّها (عليها السلام) كانت تُخفي حُزنَها على وَلَديها، لأنّ جميع عواطفها كانت مُتّجهة إلى الإمام الحسين عليه السلام. (2)

1- كتاب (مَقاتل الطالبيّين) لأبي الفَرَج الإصفهاني، ص 91

2- وقد جاءَ ذِكْر هذين السيّدين الشهيدين في إحدى الزيارات الشريفة، التي ذُكرتْ فيها أسماء شهداء كربلاء في يوم عاشوراء، ومنها هذه الكلمات: «... السلام على عون بن عبدالله بن جعفر الطيّار في الجِنان، حَليفِ الإيمان، ومُنازلِ الأقران، الناصح للرحمن، التالي للمَثاني والقرآن، لعَنَ اللهُ قاتلَه عبدالله بن قطبة النبهاني. السلام على محمد بن عبدالله بن جعفر، الشاهد مكان أبيه، والتالي لاخيه، وواقيه بِبَدَنه، لَعنَ الله قاتله عامر بن نهشل التميمي ...» وأمّا مَصدَر هذه الزيارة، فقد حَكى الشيخ المجلسي في كتاب (بحار الأنوار) طَبْع لبنان، عام 1403 ه-، ج 98 ص 269، وص 271، عن كتاب (إقبال الاعمال) عن الشيخ الطوسي ... قال : خَرَجَ مِن الناحية سنة 252 على يَد الشيخ محمد بن غالب: «بسم الله الرحمن الرحيم، إذا أردتَ زيارةَ الشهداء (رضوان الله عليهم) فقِفْ عند رجْلَي الحسين (عليه السلام) وهو قبر عليّ بن الحسين، فاستَقبِلْ القبلةَ بوَجْهك، فإنّ هناك حومة الشهداء ...». والمقصود مِن جملة «خَرَجَ مِن الناحية»: هو كلّما كان يَصلُ إلى الشيعة مِن جانب الإمام علي الهادي، ثمّ الإمام الحسن العسكري، ثمّ الامام المهدي (صلوات الله عليهم). والذي يُناسب التاريخ المذكور - وهو سنة 252 - أن تكون الزيارة قد صَدرتْ مِن ناحية الإمام عليّ الهادي عليه السلام، والله العالم. المُحقّق

وهناك وَجْهُ آخَر قد يتَبادر إلى الذِهن: وهو أنّ بكاءَها على وَلَديها قد كان يُسبّب الخَجَل والإحْراج لأخيها الإمام الحسين، باعتبار أنّهما قُتلا بين يديه ودفاعاً عنه، فكانَّ السـيّدة زينب – بسكوتها – تُريد أن تقول للإمام الحسين (عليه السلام): وَلَدايَ فداءٌ لك، فلا يُهمّك ولا يُحرِجُك أنّهما قُتلا بين يديك. والله العالم.

ص: 202

مَقتل سيّدنا أبي الفضل العباس

لقد كانت العلاقات الودّية بين السيدّة زينب وبين أخيها أبي الفضل العباس (عليهما السلام) تمتاز بنوعٍ خاص مِن تبادل المحبّة والإحترام، فقد كانت السيّدة زينب تُكنّ لإخوتها مِن أبيها كلَّ عاطفة ووُدّ، وكان ذلك العَطف والتقدير يَظهر مِن خِلال كيفيّة تعاملها مع إخوانها الأكارم.

وكان سيّدنا أبو الفضل العباس – بشكلٍ خاص – يَحترم أُختَه زينب احتراماً كثيراً جداً.

وفي طوال رِحْلة قافلة الإمام الحسين (عليه السلام) مِن مكّة نحو العراق .. كان العباس هو الذي يَقوم بشؤون السيّدة زينب، مِن مُساعَدتها حينَ الركوب أو النزول مِن المَحْمِل ويُبادرُ إلى تَنفيذ الأوامر والطلبات بكلّ سرعة .. ومِن القلب.

فالسيّدة زينب (عليها السلام) مُحترمة ومَحبوبة عند الجميع،

ص: 203

يُحبّونها لِعَواطفها وأخلاقها المِثاليّة، يُضافُ إلى ذلك: أنّها عَميدة الأسرة، وعقيلة بَني هاشم، وابنة فاطمة الزهراء، وسيّدة نساء أهل البيت.

ومنذُ وصول قافلة الإمام الحسين إلى أرض كربلاء في اليوم الثاني مِن شهر محّرم، إختارَ سيّدنا العباس بنُ أمير المؤمنين (عليهما السلام) لنَفسه نوعاً خاّصاً مِن العبادة: وهي أنّه كان إذا جَنّ الليل يَركب الفَرس ويَحوم حولَ المُخيّمات لِحراسة العائلة.

والعباس: إسمٌ لامع وبَطلٌ شجاع، تَطمئنّ إليه نُفوس العائلة والنساء والأطفال، ويَعرفه الأعداء أيضاً، فقد ظَهَرتْ منه - يوم صفّين - شجاعة عظيمة جَعَلَتْ إسمه يَشتَهر عند الجميع بالبطولة والبِسالة، ولاعجَبَ مِن ذلك فهو ابن أسّد الله الغالِب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي يوم عاشوراء، لمّا قُتلَ أكثرُ أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) أقبَلَ العباس إلى أخيه الحسين واستأذَنَه للقتال، فلم يأذنْ له، وقال: «أخي أنتَ صاحبُ لوائي، فإذا غَدَوتَ يؤول جَمْعُنا إلى الشَتات».

فقال العباس: يا سيّدي لقد ضاقَ صَدري وأُريد أخْذَ الثار مِن هؤلاء المُنافقين.

فقال له الإمامُ الحسين (عليه السلام): «إذَنْ .. فاطلُبْ

لِهؤلاء الأطفال قليلاً مِن الماء» (1).

فاقبَلَ العبّاس وحَمَل القِرْبة وتَوجّهَ نحو النهر لياتي بالماء ... . ، وإلى أنْ وَصَلَ إلى الماء ومَلأ القِرْبة، وتَوجّهَ نحوَ خيام الإمام الحسين (عليه السلام). فجَعَل الاعداء يَرمونه بالسِهام – كالمطر – حتّى صارَ دِرْعُه كالقُنفذ، ثمّ قَطعوا عليه الطريق وأحاطوا به مِن كلّ جانب، فحاربَهم وقاتَلَهم قتالَ الأبطال، وكان جَسُوراً على الطعْن والضَرْب.

فكَمِن لَه زيدُ بنُ وَرقاء مِن وَرَاء نَخلة وضَرَبَه بالسيف على يَمينه فقَطعَها، فاخذَ السيفَ بشماله واستَمرّ في القتال، فضَرَبَه لَعينٌ على شماله فقَطعَ يَدَه، وجاءتْه السِهام والنِبال مِن كلّ جانب، وجاء سَهمٌ و أصابَ القِرْبة فأُريقَ ماؤها، وضَرَبَه الأعداء بعَمود مِن حديد على رأسه، فسقَطَ على الأرض صَريعاً، ونادى – باعلى صوته –: أدركْني يا أخي!

وكان الإمامُ الحسين (عليه السلام) قد وَقَف على رَبْوة عند باب الخيمة .. وهو يَنظر إلى ميدان القتال، وكانت السيّدة زينب واقفة تَنظر إلى وَجْه أخيها، وإذا بالحُزْن قد غَطى مَلامحَ الإمام الحسين! فقالت زينبُ: أخي مالي اراكَ قد تَغَيّرَ وجْهُك؟

1- كتاب «تَظلّم الزهراء» ص 210

فقال: أَخَيّه لقد سَقَط العَلَم وقُتلَ أخيَ العباس!

فكانّ السيّدة زينب إنهَدّ رُكْنُها، وجَلسَتْ على الأرض وصَرَخَتْ: وا أخاه! واعبّاساه!

واقِلَةَ ناصراه، واضَيعَتاه مِن بَعْدك يا أبا الفضل!

فقال الإمامُ الحسين: «إي والله، مِن بَعْده واضَيعَتاه! وا إنقِطاعَ ظهْراه!

وأقبَلَ الحسينُ – كالصَقْر المُنْقَض – حتّى وصَلَ إلى أخيه فرآه صَريعاً على شاطىء الفُرات، فنَزلَ عَن فَرَسَه ووَقفَ عليه مُنحَنياً، وجَلسَ عند رأسه، وبكى بكاءَ شديداً، وقال: «يعزّ – والله – علي فِراقُك، الآن إنكسَرَ ظهْري، وقَلّتْ حيلَتي، وشَمتَ بي عَدوّي».

مَقتل الطفل الرضيع

قال السيّد ابن طاووس (1): لَمّا رأى الحسينُ (عليه السلام) مَصارعَ فِتْيانه وأحبَّته عَزمَ على لقاء القوم بمُهْجته، ونادى:

هلْ مِن ذابٍّ يَذبُّ عن حَرم رسول الله؟

هلْ مِن مُوَحِّدٍ يَخافُ اللهَ فينا؟

هلْ مِن مُغيثٍ يَرجو الله بإغاثَتِنا؟

هلْ مِن مُعين يرجو ما عند الله بإعانَتنا؟

فارتَفَعتْ أصواتُ النساء بالعويل، فتَقدَّم الإمامُ (عليه السلام) إلى باب الخيمة وقال لأُخته زينب: ناوليني وَلديَ الرضيع حتّى أودّعَه.

1- في كتاب المَلْهوف ص 168 / وذُكرَ في كتاب بحار الانوار ج 45 ص 46

فاخذَه وأومَا إليه ليُقبِّله فرماه حَرملةُ بنُ كاهِل بِسَهمٍ فوقَع في نَحْره فذَبحَه.

فقال الحسين لأُخته زينب: خُذيه.

ثم تَلقّى الدمَ بكفّيه فلما امتَلأتا رَمى بالدم نحو السماء وقال: هَوّنَ عليّ مانَزلَ بي أنّه بِعَين الله.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : فلَمْ يَسقط مِن ذلك الدم قطرة إلى الأرض. (1)

وفي رواية أُخرى: أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) حينما طلب طفلَه الرضيع لِيُودّعَه، أقبَلَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) بالطفل، وقد غارتْ عَيناهِ من شِدَّة العَطش، فقالتْ: يا أخي هذا ولَدُك لَهُ ثلاثة أيام ما ذاقَ الماء، فاطلُب له شَربةَ ماء.

فأخذه الإمام الحسينُ (عليه السلام) على يده، واقبَلَ نَحوَ أهلِ الكوفة وقال: «يا قوم: قد قَتَلْتُم اخي واولادي وأنصاري، ومابَقيَ غير هذا الطفل، وهو يَتَلَظَى عَطشاً، مِن غير ذَنْبٍ أتاهُ إليكم، فاسقُوهُ شَربةً مِن الماء، ولقد جَفّ اللَبَن في صَدر أُمّه!

يا قوم! إنْ لم تَرحَموني فارحَمُوا هذا الطفل، فَبَينَما

1- كتاب «مُعالي السبطين»، ج 1، ص 259، المجلس السادس عشَر

هو يُخاطبُهُم إِذْ أتاهُ سَهمٌ فَذَبَحَ الطفلَ مِن الأذن إلى الأذن!!

فجَعَلَ الإمام الحسينُ (عليه السلام) يَتلقّى الدَمَ حتّى امتلأتْ كَفُّه، ورَمى به إلى السماء، وخاطبَ نَفْسَه قائلاً: «يا نَفْسُ اصبِري واحتَسِبِيْ فيما أصابَكِ» ثمّ قال: إلهي تَرى ما حَلّ بِنا في العاجلِ، فاجعَلْ ذلك ذَخيرةً لَنا في الآجِل». (1)

وجاءَ في بعض كُتُب التاريخ: أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لَمّا رَجَع بالرضيع مَذبوحاً إلى الخيام، رأى الأطفال والبَنات - ومَعَهنّ أمّ الرضيع - واقِفات بِباب الخيمة يَنتَظرنَ رُجوعَ الإمام، لَعلّهنّ يَحصَلْنَ على بَقايا مِن الماء الّذي قد يكون الإمامُ سَقاهُ لِطفله.

فلمّا رأى الإمامُ الحسين ذلك، غَيّرَ طريقَه، وذهَبَ وراء الخِيام، ونادى أُختَه زينب لِتأتيَ وتُمسِك جُثمان الرضيع، لكي يُخرجَ الإمامُ خَشَبَة السَهْم مِن نَحْر الطفل!!

ويَعلمُ الله ماذا جَرى على قلب الإمام الحسين وقلب السيّدة زينب (عليهما السلام) ساعةً إخراج السَهْم مِن نَحر الطفل.

ثمّ إنّ الإمام حَفَر الأرضَ ودَفَنَ طفلَه الرضيعَ تحتَ التُراب.

1- كتاب «مَعالي السبطين»، ج 1، ص 259، المجلس السادس عشَر

الفَصل العاشِر

إشارة

* الإمامُ الحسين يُودِّعُ وَلَده المريض

* الإمامُ الحسين يُودّع السيّدة زينب

* الإمام الحسين يَخرج إلى ساحة الجهاد

* عَودة فَرسَ الإمام إلى المُخيّم

* ذهابُ السيّدة زينب إلى المعركة

ص: 211

الإمامُ الحسين (عليه السلام) يُودِّعُ ولَدَه المريض

كانت ساعاتُ يوم عاشوراء تَقترب نحو العَصْر، دقيقة بعد دقيقة، والإمامُ الحسين (عليه السلام) يَعلَم باقتراب تلك اللحظة التي يُفارق فيها الحياة بأفجَع صورة وأفظع كيفيّة.

وها هو يَنتهز تلك اللحظات ليَقوم بما يَلزم، فقد جاء ليُودّع وَلدَه البارّ المريض: الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام.

وكانت السيّدة زينب عليها السلام – والّتي تَفايَضَتْ صحيفةُ اعمالها بالحَسَنات – قد اضافَتْ إلى حَسَناتها حسنةً أُخرى، وهي تَمريض الإمام زين العابدين (عليه السلام) وتكفُّل شؤونه.

ودَخَل الإمامُ الحسين على وَلَده في خيمته، وهو طريح على

نَطْع الأديم (1)، فلا سَرير ولا فراش وَثير، قد امتَصّ المَرضُ طاقات بَدَنه، لا طاقات روحه المرتبطة بالعالم الأعلى.

فدخلَ عليه وعنده السيّدة زينب تُمرّضه، فلمّا نَظَر عليٌّ بنُ الحسين إلى أبيه أرادَ أنْ يَنْهَض فلم يَتمكّن مِن شِدّة المرض، فقال لِعمَّتِه:

«سَنِّديني إلى صدركِ، فهذا ابنُ رسول الله قد أقبَل».

فجَلَستْ السيّدة زينبُ خَلْفه، وسَنّدتْه إلى صدرها.

فجَعلَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) يَسأل وَلَده عن مَرضه، وهو يَحمَد الله تعالى، ثمّ قال: يا أبتِ ما صنَعتَ اليوم مع هؤلاء المنافقين؟

فقالَ له الحسين (عليه السلام): «يا وَلَدي إستَحْوَذَ عليهم الشيطانُ، فانساهم ذِكرَ الله، وقد شَبَّ القتالُ بينَنا وبينَهم، حتّى فاضَت الأرضُ بالدم مِنّا ومِنْهم».

فقال: يا أبتاه أينَ عَمّي العبّاس؟

فلمّا سأل عن عمّه إختنَقتْ السيّدة زينبُ بِعَبْرتها، وجَعلتْ تَنظرُ إلى أخيها كيف يُجيبه؟ لأنّه لم يُخبره - قبل ذلك - بمَقتل العبّاس خوفاً مِن أنْ يَشتَدّ مَرَضُه.

1- النَطع: بَساط مِن الجلْد يُفرَش تحتَ الإنسان. الأديم: الجِلْد المدْبوغ

فقال: «يا بُنيّ إنّ عَمّك قد قُتِل، وقَطَعوا يديه على شاطىء الفُرات».

فبكى عليُ بن الحسين بكاءً شديداً حتّى غُشيَ عليه، فلمّا أفاق مِن غَشْيَته جعَلَ يَسال أباه عن كلّ واحدٍ من عُمومَته، والحسين (عليه السلام) يَقول له: قُتِل.

فقال: وأين أخي عليّ، وحبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة وزهير بن القين؟

فقال له: يا بني! إعلَمْ أنّه ليس في الخيام رجلٌ إلّا أنا و أنت، وأما هؤلاء الذين تَسال عنهم فَكُلّهم صَرعى على وَجْه الثَرى.

فبكى عليُ بنُ الحسين بكاءَ شديداً، ثم قال – لِعمَّته زينب – : يا عَّمتاه عَلَيّ بالسيف والعَصا.

فقال له أبوه: وما تَصنَع بهما؟

قال: أمّا العَصا فاتَوكّأ عليها، وأمّا السيف فاذُبُّ به بين يَدَيِ ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فإنّه لا خَيرَ في الحياة بَعْدَه.

فمَنَعَه الحسين (عليه السلام) عن ذلك وضَمّه إلى صدره، وقال له: يا وَلَدي! أنتَ أطيَب ذُرّيتي، وافضل عِتْرَتي، وأنتَ خَليفَتي على هؤلاء العِيال والأطفال، فإنّهم غُرَباء،

مَخْذولون، قد شَمَلَتْهم الذلة (1)، واليُتْم، وشماتة الأعداء، ونوائبُ الزمان. (2)

سَكّتْهم إذا صَرَخوا، وآنِسْ هُمْ إذا استَوحَشوا، وسَلّ خَواطرَهم بِلين الكلام، فإنّه ما بَقيَ مِن رجالهم مَن يَستانِسون به غيرك، ولا أحَدَ عندهم يَشتكون إليه حُزْنَهم سِواك.

دَعْهُم يَشُمُّوك وتَشُمُهم، ويَبكُوا عليك وتَبكي عليهم».

ثمّ لَزمَه بيده وصاحَ بأعلى صوته: «يا زينب! ويا أُمّ كلثوم، و يارُقيّة! ويا فاطمة!

إسمعْنَ كلامي، واعلَمْن أنّ إبني هذا خليفتي عليكم وهو إمامٌ

1- الذّلّة على قسمين: ظاهريّة وواقعيّة، ولاشكّ أنّ المراد مِن الذلّة - هنا -: الذلّة الظاهريّة .. وليست الواقعيّة، وعلى هذا المعنى يُحمّل قولُ الإمام الرضا (عليه السلام): «إنّ يوم الحسين .... أذلّ عزيزَنا». ولعلّ المقصود مِن الذلّة: هو وُقوع حَفيدات النُبوّة وبنات الإمامة في أسْر الأعداء، ومُعاناتُهُنّ مِن التَعامُل القاسي مِن أولئك. المُحقّق

2- النَوائبُ - جَمْع نائبَة - : المَصائب والمَتاعب الّتي يَراها الإنسانُ طِوالَ حَياته. سُمّيتْ ب- «النَوائب» لأنّ الإنسان كلّما تَخلّصَ مِن مُصيبةٍ ظهرتْ في حياته مُصيبة أُخرى ومِن نوعٍ آخَر، فكأنّ المُصيبة اللاحِقة نابَتْ عن المصيبة السابقة، وحَلّتْ مَكانَها ، فسُمّيتْ ب- «النائبة». المُحقّق

مُفترَض الطاعة».

ثمّ قال له: «يا وَلَدي بَلِّغْ شيعتي عنّي السلام، وقُلْ لهم: إنّ أبي ماتَ غريباً فانْدُبوه، ومَضى شهيداً فابكُوه». (1)

1- كتاب (الدَمْعة الساكبة) للبهبهاني، طبْع لبنان، عام 1409ه-، ج 4، ص 351 - 352. المُحقّق

الإمامُ الحسين يودّع السيّدةَ زينب

يُعتبر التوديع نوعاً مِن التَزوّد مِن الرُؤيـة، فالمُسافر يَتزَوّد مِن رؤية مَن سَـ يُفارقُهم وهم يَتزوّدون مِن رؤيته، والوداعُ يُخفّفُ ألمَ البُعْد والفِراق، لأنّ النّفْس تكون قد استَوفَتْ قِسْطاً مِن رُؤية الغائب، وتَوطّنَتْ على المُفارَقة ومُضاعَفاتها.

ولهذا جاءَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) ليُودّع عَقائلَ النُبوّة، ومُخدَّرات الرسالة، ووَدائعَ رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

لِيُودّعَ النساء والأخَوات والبَنات وأطفالَه الأعِزّاء، وليُخَفّف عنهم صَدِّمة مُصيبة الفِراق.

قد تَحدثُ في هذا العالَم حوادثُ وقضايا يُمكنُ شَـ رْحها ووَصْـ فها، وقد تَحدثُ أُمورٌ يَعجَز القَلَمُ واللسانُ عن شَرْحها ووَصْفها، بل لا يمكن تصوّرها.

إنّني أعتقِد أنّ تلك الدقائق واللحظات – مِن ساعات

التوديع – كانت قد تَجاوَزتْ حُدودَ الوَصْف والبَيان.

فالأحزانُ قد بَلَغتْ مُنتهاها، والقَلَق والاضطرابُ قد بَلَغَ أشُدّه، والعواطفُ قد هاجتْ هَيَجان البحار المُتلاطمة، والدُموع مُتواصلة تَتَهاطّل كالمطَر، وأصواتُ البكاء لا تَنقطع، والقلوبُ مُلْتَهبة، بل مُشْتَعلة، والهُموم والغُموم مُتراكمة مِثْلَ تَراكُم الغُيوم.

فَبَعْد أنْ قُتِلَ جميعُ أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) وبَنو هاشم، ولَمْ يَبْق مِن الرجال أحَد، عَزَم الإمامُ على لِقاء الله تعالى، وعلى مُلاقاة الأعداء بِنَفْسه المقدّسة، فاقبَلَ إلى المُخيّم للوداع، ونادى: «ياسُكينة ويا فاطمة، يا زينبُ ويا أمّ كلثوم: عليكُنّ مِنّي السّلام، فهذا آخِرُ الإجتماع، وقد قَرُبَ مِنكُنّ الإفْتِجاعَ»!

فَعَلَتْ أصواتُهنّ بالبُكاء، وصِحْنَ: الوداع .. الوداع، الفِراق .. الفِراق، فجاءَتْه عَزيزتُه سُكينة وقالتْ: يا أبَتاه إسْتَسْلَمْتَ لِلْمَوت؟ فإلى مَن أتْكِل؟

فَقال لَها: «يانورَ عَيني كيف لا يَسْتَسْلِمُ للموت مَن لا ناصِرَ له ولا مُعين، ورَحمةُ الله ونُصرَتُه لا تُفارقكم في الدنيا والآخرة، فاصْبِري على قَضاء الله ولا تَشْكُيْ، فإنّ الدنيا فانِية، والآخرة باقية».

قالت: أبَه رُدّنا إلى حَرَم جَدّنا رسولِ الله؟

فقال الإمامُ الحسين: هَيْهات، لو تُركَ القَطا لَغَفا ونام.

فَبَكتْ سكينة فاخذَها الإمام وضَمَّها إلى صدره، ومَسَحَ الدُموعَ عن عَينَيها.

ثمّ إنّ الإمامَ الحسين (عليه السلام) دَعى النساءَ بأجمَعِهِن، وقال لَهُنّ: «إسْتَعِدّوا للبَلاء، واعْلَموا أنّ الله حافِظكم وحاميكم، وسَيُنجّيكمْ مِن شَرّ الأعْداء ويَجعَلُ عاقِبةَ أمْركم إلى خَير، ويُعذّبُ أعاديكم بأنواع العَذاب، ويُعوّضُكم عن هذه البَليَّة بانواع النِعَم والكرامة، فَلا تَشْكُوا ولا تَقولوا بألْسِنَتِكُم مايُنْقِصُ قَدْركم».

ثمّ أمَرَهُنّ بِلَبْس أُزرهِنّ ومَقانِعِهن، فسالتْه السيّدة زينبُ عن سَبَب ذلك، فقال: «كانّي أراكمْ عن قَريب كالإماء والعَبيد يَسُوقُونكم أمامَ الركاب ويَسُومُونكُم سُوءَ العَذاب»!!

فلَمّا سَمِعَت السيّدةُ زينب ذلك بَكتْ ونادتْ: واوَحْدَتاه، واقِلَّة ناصِراه، ولَطمَتْ على وَجْهها!

فَقال لها الإمامُ الحسين: «مَهْلاً يابنَة المُرتَضى، إنّ البكاءَ طويل»!!

ثمّ أراد الإمامُ أن يَخرج مِن الخيمة فتَعَلّقتْ به السيّدة زينب وقالتْ: «مَهْلاً يا أخي، تَوَقَّفْ حتّى أتَزَوّدَ مِنْك ومِن

نَظري إليك، وأودِّعَك وِداعَ مُفارقٍ لا تَلاقي بَعْدَه»؟ فجَعَلَتْ تُقبّلُ يَديه ورِجْلَيه.

فصَبّرَها الإمامُ الحسين، وذَكرَ لها ما أعَدَّ الله للصابرين.

فقالتْ: يابنَ أُمّي طِبْ نَفْساً وقَرِّ عَيناً فإنّك تَجِدني كما تُحبُّ وتَرضى.

فقالَ لها الإمامُ الحسين: «أُخيّه إيتيني بِثَوبٍ عَتيق لا يَرغَبُ فيه أحَد، أجعلُهُ تحتَ ثِيابي لِئْلاً أَجَرّدَ بَعْدَ قَتْلي، فإنّي مَقتولٌ مَسْلُوب، فارتَفَعتْ أصواتُ النساء بالبُكاء.

ولمّا أرادَ الإمامُ أنْ يَخرج نحو المَعركة نَظرَ يَميناً وشِمالاً ونادى: هَلْ مَن يُقَدِّمُ إليّ جَوادي؟

فسَمِعتْ السيّدةُ زينب ذلك، فَخَرجَتْ وأخذَتْ بعِنان الجواد، وأقبَلَتْ إليه وهي تَقول: لِمَن تُنادي وقد قَرحْتَ فُؤادي؟! (1)

وقد جاءَ في التاريخ: أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) أوصى أُختَه السيّدة زينب قائلاً: «يا أُختاه ! لا تَنسيني في نافلة الليل». (2)

1- كتاب «مَعالي السبطين» ج 2 ص 13 - 14، المجلس السادس

2- كتاب «زينب الكُبرى» للشيخ جعفر النَقدي، ص 58

الإمام الحسين يَخرج إلى ساحَة الجِهاد

كانت تلك اللحظات مِن أصعَب الساعات في حياة السيّدة زينب، مِن هَول قُرب الفاجعة والمستقبل المُخيف المُرعِب.

وهل يَستطيع القلمُ واللسان مِن وَصْف تلك الدقائق، وتأثيرها على قلب السيّدة زينب عليها السلام؟

لقد توجّه أخوها إلى ساحة القتال بعْدَ أنْ قَدّمَ أعزّ أصحابه، وأشرفَ شَبابه، وأكرم عشيرته ضَحايا في سبيل الله، ولم يَبقَ له ومعه أحدٌ مِن الرجال سوى وَلَده العَليل.

ونتيجةُ الذهاب إلى المعركة مَعلومة: القتْل والشهادة!!

لقد تَرك الإمام الحسين (عليه السلام) أغلى ما عنده وهم عائلته الذين هم أشرف عائلة على وَجْه الأرض، وأكثرها عفافاً وخَفارة، وهُنّ مُخَدّرات الرسالة وعَقائل النبوّة، اللاتي كانت حياتهنّ مشفوعة بالعزّ والإحترام.

ص: 223

تَركَهم في وَسَط البَرّ الأقفَر، قد أحاط بهنّ سَفَلة المجتمع، واراذلُ الناس، مِن باعة الضـمائر، والهَمَج الرعاع، وفاقِدي الفضيلة. أولئك الذين سَلّموا أنفسَهم واستَسْلَموا لاقدر سُلْطة في التاريخ، وأرجَس جهازٍ حاكم في العالَم.

والعائلة المُكرّمة تَعرفُ إتّجاه أُولئك الأشرار الأوباش، ونفسيّاتهم، فالمخاوف والأخطار تُهاجم قلوبَ العائلة الشريفة مِن كلّ جانب.

فمِنْ ناحية: الإحساسُ باقتراب الخَطَر مِن حياة الإمام الحسين (عليه السلام).

ومِن ناحيةٍ أُخرى: تَرقَب إستيلاء العَدوّ الشَرس المُتوَحّش على سرادق الوحى ومُخيّمات النبوّة.

ومُضاعَفات هذه الاحتمالات مِن العَواصف والأعاصير التي سوف تَجتاح حياة السيّدات .. كلُّها أُمورٌ تَدعو إلى القَلَق والخوف والوَحْشة.

والآن .. نَقرأ ما جاءَ في كُتُب التاريخ حول ذهاب الإمام الحسين إلى ساحة المَعْركة:

ولمّا قُتِلَ جميعُ اصـحاب الإمام الحسين (عليه السلام) ورجال أهل بيته، ولم يَبْقَ منهم أحَد، عَزَمَ الإمامُ على لِقاء القوم بِنَفسه ، فدَعى بِبُردَة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فالتَحَفَ بها، وأفرَغَ عليها دِرْعَه الشَريف، وتَقَلّدَ

سَيفَه، واستَوى على مَتْن جَواده، ثمّ تَوجَّهَ نحو ميدان الحرب والقِتال، فوقَف أمامَ القوم وجَعَل يُخاطبُ أهلَ الكوفة بِقوله:

«وَيلَكم على مَ تُقاتِلونَني؟!

على حَقٍّ تَركْتُه؟!

أمْ على شَريعَةٍ بَدّلتُها؟!

أمْ على سُنّةٍ غَيّرتُها»؟!

فَقالوا: بَلْ نُقاتِلُك بُغْضَاً مِنّا لابيك، وما فَعَلَ بأشياخِنا يومَ بَدْرٍ وحُنَين. (1)

وجاءَ في بعض كتُب التاريخ: أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) وَقَفَ أمامَ القَوم وسَيفُه مُصْلَتْ في يَده، آيِسَاً مِن الحياة، عازِماً على الموت، وهو يَقول:

أنا ابنُ عليٍّ الطهْر مِن آلِ هاشمٍ *** كفاني بِهذا مَفْخَراً حِينَ أفخَرُ

وجَدّي رسولُ الله أكرمُ مَن مَشى *** ونحنُ سِراجُ الله في الخَلْق نَزْهَرُ

1- مَعالي السِبطين، ج 2 ص 5، الفصل العاشر، المجلس الثاني

وفاطمُ أَمّي مِن سُلالةِ أحمَدٍ *** وعَمّي يُدْعى ذا الجناحَين جعفرُ

وفينا كتابُ الله أُنزِلَ صادِقاً *** وفينا الهُدى والوحي بالخير يُذكَرُ

ونَحنُ أمانُ الله للناس كلِّهم *** نُسِرُّ بهذا في الأنام و نَجْهَرُ

ونحنُ وُلاةُ الحَوض نَسْقِي وِلاتَنا *** بكأسِ رسولِ الله ما ليسَ يُنْكرُ

وشيعَتُنا في الحَشْر أكرمُ شِيعَةٍ *** ومُبْغِضُنا يومَ القيامة يَخْسَرُ

فطوبى لِعَبْدٍ زارَنَا بَعْدَ مَوتنا *** بِجَنّةِ عَدْنٍ صَفْرُها لا يُكدّرُ (1)

فصاحَ عمرُ بنُ سَعد: «الوَيل لكم! اتَدْرون لِمَنْ تُقاتِلون؟ هذا ابنُ الانزَع البَطين، هذا ابنُ قَتّال العَرَب، إحمِلوا عليه مِن كلّ جانب». فحَمَلوا عليه وحَمَلَ عليهم كاللَيْثِ المُغْضَب، فقَتَلَ مِنهم مَقْتَلةً عظيمة، وكانت الرجالُ تَشَدُّ عليه فَيَشدُّ عليها، فتَنكشِفُ عنْه كالجَراد

1- بحار الأنوار للشيخ المجلسي، ج 45، ص 48 - 49

المُنْتَشِر! (1)

فحَمَلَ على مَيمَنَة عَسْكرهم وهو يقول:

الموتُ أولى مِن رُكوب العار *** والعارُ أولى مِن دخولِ النار

ثمّ حَمَلَ على مَيْسَرَة الجيش وهو يقول:

أنا الحسينُ بن علي *** آليْتُ أنْ لا أنثَنِي

أحْمي عِيالاتِ أبي *** أمضي على دين النبيّ

فجَعَلوا يرشقونه بالسِهام والنِبال حتّى صار دِرْعه كالقُنْفذ، فوَقَفَ لِيَسْتريحَ وقد ضَعُفَ عن القتال، فَبَينما هو واقِف إذ أتاه حَجَرٌ فأصاب جَبْهتَه المُقدّسة، فسالَ الدمُ على وَجْهه، فاخَذَ الثوبَ لِيَمسَحَ الدمَ عن عَينه، فأتاهُ سَهمٌ مُحَدّد مَسْموم لَه ثَلاثُ شُعَب فوَقَع السَهُم على صدره قريباً مِن قَلْبه، فقال الإمام الحسين: «بسم الله وبالله وفي سَبيل الله وعلى مِلَّة رسول الله»، ورَفَع راسه إلى السماء وقال: «إلهيْ .. إنّكَ تَعلَم أنّهم يَقتُلون رجلاً ليسَ على وَجْه الأرض ابنُ نبيٍّ غيره»!

ثم أخَذَ السَهمَ وأخرجَه مِن قَفاه فاتبعَثَ الدم كالمِيزاب، فوَضَع يَدَه على الجُرح فلمّا امتَلأتْ دَماً رَمى به إلى السَماء، ثمّ وَضَع يَدَه على الجُرح ثانياً فلمّا امتَلأتْ لَطّخَ به

1- بحار الأنوار للشيخ المجلسي، ج 45 ص 45 ص 50

رأسَه ولحيتَه، وقال: «هكذا أكون حتّى ألقى جدّي رسولَ الله وأنا مَخضُوب بِدَمي وأقول: يارسولَ الله قَتَلَني فُلانٌ وفلان». (1)

فَعِنْدَ ذلك طعَنَهُ صالحُ بنُ وهَب بالرُمح على خاصِرَته طعْنةً، سَقَط منها عن فَرسه إلى الأرض على خَدِّه الأيمن، وهو يَقول: «بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى مِلَّة رسول الله» ثمّ جَعَل يَجمَع التُرابَ بِيَدِهِ، فَيَضَع خَدّه عليها ثمّ يُناجي رَبّه قائلاً: «صَبْراً على قَضائك وبَلائك، يا رَبِّ لا مَعْبودَ سِواك».

ثمّ وَثَبَ لِيَقومَ لِلقتال فلم يَقدر، فبكى بُكاءً شديداً، ونادى: «واجَدّاه وامحمّداه، واأبَتاه واعَليّاه، واغُربَتاه، واقِلَّةَ ناصِراه!!

ءأقتَلُ مَظلوماً وجَدّي محمّدٍ المصطفى؟!

ءأُذبَحُ عطشاناً وأبي عليّ المُرتضى؟!

ءأُترَكُ مَهْتُوكاً وأُمّي فاطمة الزهراء»؟! (2)

فخَرَجَ عبدُ الله بن الإمام الحسن (عليه السلام) وهو غُلام لَمْ يُراهِق (في الحادية عشَر مِن عُمْره) مِن عند النساء،

1- بحار الأنوار، ج 45، ص 53

2- نَفْس المصدر

فَشَدّ حتّى وَقَفَ إلى جَنْب عمّه الحسين، فلحِقَتْه زينبُ بنتُ علي لِتَحبِسَه، فابى وامتَنَع عليها إمتناعاً شديداً وقال: والله لا أُفارق عَمّي وجاءَ حَتّى جَلَس عند الإمام، وجعَلَ يَطلُبُ منه أن يَنهَضَ ويَرجع إلى المُخَيّم، وفي هذه الأثناء .. أقبَلَ أبحر بن كعب إلى الحسين والسيفُ مُصَلَتٌ بِيَده، فقال له الغُلام: وَيْلك يابنَ الخَبيثَة أتقتُل عَمّي! فضَرَبَه أبحر بالسيف فاتّقاهُ الغلامُ بِيَده (1) وأطنَّها إلى الجِلْد فإذا هي مُعلّقة، ونادى الغُلامُ: يا عَمّاه، فاخَذَه الإمامُ الحسين وضَمّهُ إليه وقال: «يابنَ اخي إصْبِرْ على ما نَزَلَ بك واحتَسِبْ في ذلك الأجْر، فإنّ الله يُلْحِقُك بآبائك الصالحين»، فَرَماه حَرملة بِسَهمٍ فذَبَحَه في حِجْر عَمّه الحسين. (2)

وبَقيَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) مَطروحاً على الأرض .. والشمسُ تصهَرُ عليه، فنادى شِمرٌ بالعَسْكر: ما وُقوفكم؟! إحمِلوا عليه.

1- لعلّ المَعنى: أنّ الغُلام مَدّ يَدَه على جسم عمّه الحسين لكي لا تَصِل الضَرْبَةُ إليه، لكنّ العدوّ أنزَلَ السيفَ ولم يَرْحَم الغُلام. أطنّها قَطعَها. أي: قَطعَ السيفُ يَدَ الغُلام إلى الجِلْد

2- بحار الانوار، ج 45، ص 53 - 54

فحَمَلوا عليه مِن كلّ جانب، وضرَبَه زرعة بن شريك بالسيف على كتفه، وطعَنَه الحصينُ بن نُمير بالرمح في صدره.

فصاحَ عمرُ بنُ سعد: وَيلَكم إنْزِلوا وحُزّوا رأسَه! وقال لِرَجلٍ: وَيلَك إنزلْ إلى الحسين وارِحْهُ!

فاقبَلَ عمرو بنُ الحَجاج لِيَقتُلَ الحسين، فلمّا دَنى ونَظرَ إلى عَينَيه وَلّى راجِعاً مُدْبِراً، فسَألوهُ عن سَبَب رُجوعه؟ قال: نَظرتُ إلى عَينَيه كانّهما عينا رسول الله!!

واقبَلَ شَبَثُ بنُ رَبْعي فارتَعَدَتْ يَدُه ورَمى السيفَ هارِباً ... .

ص: 230

عَودَة فَرَس الإمام الحسين إلى المُخيّم

وكان فَرَس الإمام الحسين.. فَرَساً أصيلاً مِن جِياد خَيل رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) – وقد بَقيَ حَيّاً إلى ذلك اليوم – فلمّا رأى ماجَرى على صاحبه (أي: سُقوط الإمام عن ظهره إلى الأرض) جَعَل يُحَمْحِم ويَصْهَل ويَشمّ الإمامَ الحسين ويُمرّغ ناصيتَه بدَمه، ثم تَوجّه نحو خيام الإمام (عليه السلام) بكلِّ سُرعة .. وهو هائج هِياجاً شَديداً، وقد مَلأ البَيداء صَهيلاً عظيماً، فلمّا وَصَل إلى المُخيّم جَعَلَ يَضربُ الأرضَ برأسه عند خيمة الإمام الحسين، وكأنّه يُريدُ إخبارَ العائلة بماجَرى على راكبه، حتّى سقَط على الأرض عند باب الخَيمة.

فخَرجت النساءُ والأطفال مِن الخيام فراينَ الفَرسَ خالياً مِن راكبه، فارتَفَعتْ صياح النساء، وخَرجْنَ حافيات باكيات،

يَضربْنَ وجوهَهن، لِمانَزَل بهنّ مِن المصيبة والبَلاء، وهُنّ يَصِحْن: «وامحمّداه، واعليّاه، وافاطمَتاه، واحسَناه، واحُسَيناه».

وصاحتْ سُكينة : «قُتل – والله – أبيَ الحسين، ونادتْ: واقتيلاه وأبتاه، واحسَيناه، واغُربتاه». (1)

1- معالي السبطين ج 2، الفصل العاشر، المجلس الرابع عشَر، رَواه عن كتاب (تظلّم الزهراء)

ذهاب السيّدة زينب إلى المعركة

ولمّا سَقطَ الإمام الحسين (عليه السلام) على الارض خَرجتْ السيّدة زينبُ مِن باب الخيمة نَحو المَيدان، وهي تُنادي: وا أخاه، واسيّداه وا أهلَ بَيتاه، لَيتَ السماء أُطبِقَتْ على الأرض، ولَيتَ الجبال تَدكْدكتْ على السَهْل.

ثمّ وَجَهَتْ كلامَها إلى عمرَ بن سعد، وقالتْ: يابنَ سَعْد! أيُقتَلُ ابو عبد الله وأنتَ تَنظر إليه؟!

فلمْ يُجِبْها عمر بشيء.

فنادتْ: وَيْحَكم!! ما فيكم مُسلم؟! (1)

فلم يُجِبْها أحَد بشيء.

ثمّ انحَدَرتْ نحو المعركة وهي تركُض مُسْرعةً، فتارةً تَعْثَر

1- وفي نسخة: أما فيكم مُسلم؟

بأذْيالها، وتارةً تَسقُط على وَجْهها مِن عِظَم دَهْشَتها حتّى وصَلتْ إلى وَسَط المعركة، فجعلتْ تَنظر يَميناً وشمالاً، فرأتْ أخاها الحسين (عليه السلام) مَطروحاً على وجْه الأرض، وهو يَخُورُ في دَمه، ويَقبض يَميناً وشمالاً، ويَجْمَعُ رِجلاً ويَمُدُّ أُخرى، والدماءُ تَسيل مِن جُراحاته، فجلَسَتْ عنده وطرحَتْ نفْسَها على جسَده الشريف، وجَعلَتْ تقول:

ءأنتَ الحسين؟!

ءأنت أخي؟!

ءأنتَ ابن أُمّي؟!

ءأنت نور بصري؟!

ءأنت مُهْجة فُؤادي؟!

ءأنتَ حِمانا؟!

ءأنتَ رَجانا؟!

ءأنتَ ابن محمّد المصطفى؟!

ءأنتَ ابن علي المرتضى؟!

ءأنتَ ابن فاطمة الزهراء؟ (1)

1- أقول: يُحتمل أنّ السيّدة زينب قالت هذه الكلمات بصِيغة السؤال .. و مِن مُنطلَق الإستغراب حيث رأتْ أخاها العزيز وهو بتلك الحالة المُؤلمة، خاصةً .. وأنّها عارِفة بعظمته، وجَلالة قَدره. ويُحتمل أنّها قالت هذه الكلمات لا بصيغة السؤال أو مُنطلَق الإستغراب، بل مِن مُنطلَق العاطفة والحَنان، ولعلّها تَحصل على كلمة جوابيّة منه (عليه السلام) فتَعلم أنّه لازال حَيّاً. المُحقّق

كـلَّ كل هـذا، والإمامُ الحسـين لا يَردّ عليها جَواباً، لأنّه كان مَشـغولاً بنفسه، وقـد اسـتَولى عليه الضّعف الشديـد بِسّبَبِ نَزْفِ الـدم وكثْرة الجُراحات.

فقالت: أخي! بِحَقِّ جدّي رسولِ الله إلّا ما كلّمتَني، وبحَقّ أبي: عليّ المرتضى إلا ما خاطبتَني، وبحَقّ أُمّي فاطمة الزهراء إلا ما جاوبْتَني.

يا ضياءَ عَيني كلّمْني.

يا شَقيقَ روحي جاوِبْني .

فعند ذلك جلسَتْ خَلْفه، وأدخَلَتْ يَدَيها تحتَ كَتِفِه وأجلَسَتْه حاضِنَةٌ له بصَدْرها.

فـانتَبه الإمامُ الحسـين مِن كلامِها، وقال لها – بصوت ضـعيف – : «أُخَيّه زينب! كسّرْتي قلبي، وزِدْتيني كرْباً على كرْبي، فبالله عليكِ إلّا ما سَكَنْتِ وسَكَتِّ».

فصاحتْ: «واويلاه! يا أخي وابن أُمّي كيف أسكُن وأسكُت، وأنتَ بهذه الحالة، تُعالج سَكَرات الموت؟!

رُوحي لِروحِك الفِداء! نَفْسي لِنَفسك الوِقاء».

فبينَما هي تُخاطبُه ويُخاطبُها، وإذا بالسوط يَلْتَوي على كتِفِها، وقائلٍ يقول: تَنَحّيْ عنه، وإلّا ألحَقتُكِ به، فالتَفتَتْ وإذا هو شمرُ بن ذي الجوشن (لعنه الله).

فاعتَنَقَتْ أخاها، وقالت: واللهِ لا اتَنحّى عنه، وإنْ ذَبَحْتَه فاذَبحْني قَبْلَه.

فجَذَبها عنه قَهراً، وقال: والله إنْ تَقدّمت إليه لَضَربْتُ عُنقَكِ بهذا السيف.

ثمّ جَلسَ اللعين على صَدر الإمام، فتَقدَّمتْ السيّدة زينب إليه، وجَذَبت السيف مِن يده.

وقالت: يا عدوّ الله! إرفِقْ به لقد كَسرْتَ صدرَه، واثقلْتَ ظهرَه، فبالله عليكَ إلّا ما أمْهَلْتَه سُوَيعةٌ لاتَزَودَ منه.

وَيلَك! أما علِمْتَ أن هذا الصَدر تَربّى على صدْر رسولِ الله وصَدر فاطمة الزهراء؟!

وَيحك! هذا الّذي ناغاهُ جَبرئيل، وهَزّ مَهْدَه ميكائيل!!

.... دَعْني أُودّعَه، دَعْني أُغمّضه، ... فلم يَعبَا اللعين بكلامها، ولا رَقّ قلبُه عليها. (1)

ص: 236

1- كتاب «تَظلُّم الزهراء» للسيّد رضي بن نبي القزويني، ص 232، طبع بيروت - لبنان، عام 1420ه-

ويُستفادُ مِن بعض كُتُب المَقاتل أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) لم تكن هناك حينَ مَجيء الشمر، بل أسرَعَتْ إلى المُخيّم، إمتثالاً لأمر الإمام الحسين (عليه السلام) حيث أمَرَها بالرجوع إلى الخيام.

ووَقَعتْ الفاجعةُ العُظمى والرَزيَّة الكُبرى، ألا وهي: مَقتل الإمام المظلوم أبي عبدالله الحسين (عليه السلام).

فبَدأتْ الأرضُ تَرتَجفُ تَحتَ أرجُل الناس وانكسَفَت الشمس، وأمطَرتِ السماءُ دَماً عَبيطاً (1) وتُراباً أحمر.

فأقبَلَت العقيلة زينبُ إلى مُخيّم الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقالت: يابنَ أخي: مالي أرى الكونَ قد تَغيّر؟ والشمس مُنكسِفَة؟ والأرض تَرجِف؟!

فقال لها: يا عَمّة: أناعليلٌ مريض لا استطيع النَهوض إرفعي جانبَ الخيمة وسَنّديني إلى صدركِ لانظُرَ ما الّذي جَرى!

فنَظَر إلى المَعركة وإذا بفَرَس ابيه الحسين يَجولُ في الميدان خالي السَرْج و مُلقى العَنان، ورأى رَمحاً عليه راسَ الإمام الحسين!

فقال يا عمّة: إجْمَعى العِيال والأطفال، لقد قُتِل أبي

1- الدمُ العَبيط: هو الدم الطَريّ غير المُتَخَثِّر

الحسين، قُتِل أسَدُ الله الباسل، قُتِل إبنُ سيّد الأوصياء، قُتِل إبنُ فاطمة الزهراء، ثمّ غُشِي عليه وسَقَط على الأرض مَكبوباً على وَجْهه.

فأخذَتْ السيّدةُ زينبُ رأسَه ووَضعَتْه في حِجْرها ونادتْ:

إجلِسْ تَفْديكَ عمّاتُك.

إجلِسْ تَفْديكَ أخواتُك.

إجلِسْ يا بقيّة السَلَف.

إجلِسْ يَا نِعْمَ الخَلَف.

وهو لا يُجيبُ نِداها، ولا يَسمع شَكواها، فعند ذلك إنكبَّتْ عليه ومَسَحَت التُراب عن خَدّيه ونادتْ: يازينَ العِباد، يا مُهجَة الفُؤاد، ففَتَح عَيْنَيْه.... (1)

1- كتاب «تَظلّم الزهراء» ص 233 - 234

الفَصل الحادي عشر

إشارة

* الهجوم على المخيّمات لِسَلْب النساء

* إحراق خيام الإمام الحسين (عليه السلام)

* السيّدة زينب تَجْمَع العِيال والأطفال

* ليلة الوَحْشة

* تَرحيل العائلة مِن كربلاء

* نياحة السيّدة زينب على سيّد الشهداء

ص: 239

الهجوم على المخيّمات لسَلْب النساء

وبعد ما قُتِلَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) بِمُدّةٍ قَصيرة .. هَجَمَ جيشُ الأعداء بكلّ وَحْشيّة على خِيام الإمام الحسين (عليه السلام)، وهُم على خيولهم!! حتّى سُحِقَ سبعة مِن الأطفال تَحتَ حَوافِر الخَيل .. ساعة الهُجوم (1) وقد سَجّل التاريخ أسماءَ خمسةٍ منهم، وهم:

بِنتان للإمام الحسن المجتبى عليه السلام. (2)

طفلان لعِبْد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب، وإسمُهما:

1- كتاب «مَعالي السبطين» ج 2 ص 135، الفَصل الخامس عشر، المجلس الثاني عشَر

2- مَعالي السبطين، ج 2 ص 140

سَعد وعقيل. (1)

عاتكة بنت مسلم بن عقيل، وكانَ عُمْرها سَبع سَنوات. (2)

محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب وكانَ له مِن العُمْر سَبع سَنوات. (3)

نعم، لقد كانَ الهُجوم على العائلة – المَفْجوعة لِتَوّها – بَعيداً عن الرَحْمة والإنسانيَّة، وقد وَصَفَ التاريخُ ذلك الهجوم بِقوله:

وتَسابَقَ القومُ على نَهْب بُيوت آلِ الرسول، وقُرَة عَينِ الزهراء البتول، حتّى جَعَلوا يَنزَعون مِلْحَفَة المَرأة عن ظَهرها!! (4).

وكانت المَرأةُ تُجاذَبُ على إزارها وحِجابها .. حتّى تُغْلَبُ على ذلك. (5)

1- مَعالي السبطين، ج 2، ص 135

2- نَفْس المصدر، ص 135

3- نَفْس المصدر

4- المِلْحَفة: المُلاءَةُ التي تَلتَحِفُ بها المرأة، كما في «أقرب الموارد». ويُعبّر عنها – حاليّاً – بالعَباءَة والإزار. المُحقّق

5- كتاب معالي السبطين، الفصل الثاني عشر المجلس الثاني. أي: كانت المرأةُ تُمْسِكُ عَباءَتها وحِجابها بقُوَّة، وكانَ الأعداء يَسْحَبونَ ويَجْذبونَ عنْها ذلك، ويَضربونَهنّ على أيديهنّ بالعِصِيّ والسِياط لكي يَستَطيعوا سَلْبَ ما عليهنّ مِن أزْرٍ ومَقانع!! المُحقّق

وخَرجْنَ بناتُ آل الرسول وحَريمُه يَتساعدنَ على البكاء، ويَنْدبْن لفراق الحُماة والاحبّاء. (1)

قال حميدُ بن مسلم: رأيتُ امرأةٌ مِن بَني بَكْر بن وائل – كانت مع زوجها في عسكر عمر بن سعد – فلمّا رأت القوم قد اقتَحَموا على نساء الإمام الحسين في خيامهنّ، وهم يَسلبونَهنّ، أخذتْ سيفاً و أقبلتْ نحوَ الخِيام وقالتْ:

«يا آلَ بَكْر بن وائل

أتُسلَبُ بناتُ رسولِ الله؟!

لا حُكْمَ إلّا لِلّه!!

يا لِثارات رسولِ الله!!

فأخَذَها زوجُها، ورَدّها إلى رَحْله. (2)

قالت فاطمة بنتُ الإمام الحسين عليه السلام:

«كنتُ واقفة بباب الخيمة، وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه

1- كتاب (المَلْهوف) لابن طاووس، ص 181

2- نَفْس المصدر

مُجَزّرين كالأضاحي على الرمال، والخُيول على أجسادهم تَجول!!

وأنا أُفكّر فيما يَقع علينا بعد أبي .. مِن بَني أُميّة!

أيَقتُلونَنا أمْ ياسِرونَنا؟

فإذا بِرَجل على ظهر جَواده، يَسوقُ النساء بكَعب رُمْحه، وهُنّ يَلُذنَ بعضُهنّ ببعض، وقد أُخِذَ ماعليهنّ مِن أخْمِرةٍ وأسْورة (1) وهُنّ يَصِحْن: «واجَدّاه! وا أبَتاه! واعَليّاه! واقلّة ناصراه! واحُسيناه!

أما مِن مُجيرٍ يُجيرنا؟

أما مِن دَائِدٍ يَذود عنّا؟»

قالت: فطارَ فؤادي، وارتَعدَتْ فَرائصي، فجَعلتُ أُجيل بِطَرفي(2) يميناً وشمالاً على عمَّتي أُمّ كلثوم خَشيةً منه أنْ ياتيني.

فبينا أنا على هذه الحالة وإذا به قد قَصَدني، فَقررتُ مُنهزمة، وأنا أظنّ اني أسـلَمُ منه!! وإذا به قد تَبِعَني، فذهلتُ خشيةً منه، وإذا بكعْب الرُمح بين كتْفيَّ، فسَقطتُ على وَجْهي

1- أخمِرة - جَمْع خِمار - : ما تُغَطّي به المرأةُ راسَ ها. أسورة - جَمْع سِوار - حِلْية - كالطَوْق - تَلْبَسها المرأةُ في زَنْدِها أو مِعصَمَها، ويُعبّر عنها - أيضاً - : بالمَعاضِد

2- أُجيل بِطرفي: أُدِيرُ بِعَيني وبَصَري

فَخَرمَ أَذني، وأخذ قرطي ومَقنعتي، وتَرك الدماء تَسيل على خَدّي، ورأسي تَصهَرُه الشمس، ووَلّى راجِعاً إلى المُخيّم وأنا مَغشيٌّ عليّ!!

وإذا بِعَمّتي عندي تبكي، وهي تقول:

قُومي نَمْضي، ما أعلم ما جَرى على البنات وعلى أخيكِ العَليل؟

فما رَجعْنا إلى الخيمة إلّا وهي قد نُهِبتْ وما فيها.

وأخي: علي بن الحسين مَكبوبٌ على وجْهه، لا يُطيق الجلوس مِن كثرة الجوع والعطش والاسقام، فجَعلْنا نَبكي عليه ويَبكي علينا!! (1)

ورُويَ عن السـيّدة زينب (عليها السلام) أنّها قالت: كنتُ – في ذلك الوقت – واقفة في الخيمة إذ دخلَ رجل أزرق العَينين (2) فاخذَ ما كان في الخيمة، ونظر إلى عليّ بن الحسين وهو على نَطع مِن الأديم (3) وكان مريضاً فجَذَب النَطْع مِن تحته ورَماه إلى الأرض!!

1- بحار الأنوار للمجلسي ج 45 ص 61

2- وهو خولى بن يزيد الأصبحي. كما في كتاب (أسرار الشهادة) للدربندي الطبعة الحديثة، ج 3 ص 129

3- النَطع: بَساط مِن الجِلْد يُفرَش تحت الإنسان. الأديم: الجِلْد المَدْبوغ

قال حميدُ بن مسلم: انتهيتُ إلى عليّ بن الحسين، وهو مريض ومُنبسط على فراش، إذ أقبلَ شمر بن ذي الجوشن ومعه جماعة مِن الرّجالة، وهم يقولون [له]: ألا تَقتل هذا العَليل؟

فهمَّ اللَعينُ بقتْله، فقلت: سبحان الله! أتَقتل الصِبيان؟! إنما هو صَبي.

فلم يَمتَنع اللَعين وسَلَّ سيفَه ليقتله، فالقتْ زينب (عليها السلام) بنفسها عليه وقالت: واللهِ لا يُقتَل حتّى أُقتَل.

فاخذ عمر بن سعد بيده وقال : أما تَستحي مِن الله، تُريد أن تَقتل هذا الغلام المريض؟!

فقال شمر: قد صَدَر أمرُ الأمير عبيدالله بن زياد أنْ اقتل جميعَ أولاد الحسين.

فبالَغَ عمرُ في مَنْعه، فكفّ عنه. (1)

1- كتاب مَعالي السبطين ج 2، الفصل الثاني عشر، المجلس الثاني. وكتاب أسرار الشهادة ج 3 ص 129

إحراق خِيام الإمام الحسين عليه السلام

ولمّا فَرغَ القومُ مِن النَهْب والسَلْب، أمرَ عمرُ بن سعد بحَرْق الخيام.

فاضْرَموا الخِيَم ناراً، ففَرزْنَ بناتُ رسول الله مِن خيمة إلى خيمة، ومِن خِباء إلى خِباء ..

وذُكرَ في بعض كتُب المقاتل: أنّ زينب الكبرى (عليها السلام) أقبلتْ إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقالت:

يا بقيّةَ الماضين وثِمال الباقين! (1) قد أضْرَموا النارَ في مَضاربنا (2) فما رأيك فينا؟

1- الثِمال - على وَزْن كتاب - الغِياث الّذي يَقومُ بأمْر قومه، يُقال: فلانٌ ثِمالُ قومه: أي غِياثٌ لهم. كتاب «مَجْمعَ البحرين» للطُريحي

2- المضارب: الخيام

فقال (عليه السلام) : عليكنَّ بالفرارِ.

ففَرزْنَ بناتُ رسولِ الله صائحات باكيات.

قال بعضُ مَن شَهِد ذلك:

رأيتُ امرأة جليلة واقفة بباب الخيمة، والنار تَشْتَعل مِن جَوانبها، وهي تارةً تَنظر يَمنة ويَسْرة، وتارةً أُخرى تَنظر إلى السماء، وتصفق بيديها، وتارةً تَدخل في تلك الخيمة وتَخرج.

فأسرعْتُ إليها وقلتُ: يا هذي! ما وقوفكِ هاهنا والنار تَشْتعل منِ جَوانبكِ؟! وهؤلاء النِسْوة قد فَرزْنَ وتَفرّقَن، ولِمَ لمْ تَلْحَقي بهنّ؟! وما شَأنكِ؟!

فبكتْ وقالت: يا شيخ إنّ لنا عَليلاً في الخيمة، وهو لا يَتمكّن مِن الجلوس والنُهوض، فكيف أُفارقه وقد أحاطتْ النارُ به؟ (1)

وعن حميد بن مسلم قال: رأيتُ زينب - حينَ إحراق الخيام - قد دَخلتْ في وَسَط النار، وخَرجَتْ وهي تَسْحَب إنساناً مِن وَسَط لَهيب النار، فظَنَنْتُ أنّها تَسْحَبُ مَيّتاً قد احترَق، فاقتَرَبْتُ لأنظر إليه، فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين. (2)

1- مَعالي السبطين ج 2، الفصل الثاني عشَر، المجلس الثالث

2- كتاب «الطراز المُذهّب في احوال سيّدتنا زينب»

أيّها القارىء الكريم: أنظر إلى هذه العَمَليّة الفِدائيّة، وهذه التضحية بالحياة!!

كيف تَقْتَحِم هذه السيّدة الجليلة المكانَ المَشْحون بلَهيب النار، لتُنْقذَ ابنَ أخيها – وإنْ شِئتَ فقُلْ: إمامَ زَمانها – مِن بين أنياب الموت؟!

فهل تَعرف نَظيراً لهذه السيّدة فيما قامتْ به مِن الخَطوات والأعمال؟!

إنّها مُغامَرة بالحياة مِن أجْل الدين.

إنّها إبنة ذلك البَطل العظيم الذي كان يَخوضُ غِمارَ الموت بين يَدَي رسول الله صـلّى الله عليه وآله وسلّم – للدفاع عن الإسلام والمحافَظة على حياة نَبيّ الإسلام.

إنّها إبنة أسَد الله الغالب الإمام علي بن ابي طالب (عليهما السلام).

ص: 249

السيّدة زينب تَجمَع العِيال والأطفال

لقد أوصى الإمامُ الحسين أُختَه السيّدة زينب بالمحافظَة على العِيال والأطفال بعد استِشْهاده (عليه السلام)، ويَعلَمُ الله كم كان تَنفيذُ هذه الوصيّة أمْراً صَعْباً، وخاصّةً بعد الهجوم الوحشي على مُخيّمات الإمام الحسين (عليه السلام) وبعد إحراق الخيام وتَبَعثَر النساء والأطفال في الصحراء!

ففي ساعة الهجوم على الخيام كانت النساء تَلْجأ إلى السيّدة زينب، وتُخفي أنفسَهنّ خَلفَها، وكان الاطفال – أيضاً – يَفْزَعون إليها ويَتَستّرون وَرَاءَها خوفاً مِن الضَرْب بالسِياط والعِصِيّ، فكانت السيّدة زينب (عليها السلام) تُحافظ عليهم – كما يُحافظ الطيرُ على فراخه حين هُجوم الصقور على عِشّه – فتَجْعَل جسْمَها مانعاً مِن ضَرْب النساء والأطفال، وقد إسودَّ ظهرها – في مُدّة زَمَنيّة قصيرة – بسبَب الضَرْب المُتوالي على جسمها!

ص: 251

وبعد الهجوم والإحراق بَدأتْ السـيّدةُ زينب تَتَفَقد النساء والأطفال، وتُنادي كلَّ واحدةٍ منهنّ باسـمها، وتَعُدّهم واحدةً واحدة، وتَبحَث عمّن لا تَجِده مع النساء والأطفال!

ونَقرأ في بعض الكُتُب: أنّ السـيّدة زينب (عليها السـلام) لمّا بدأتْ بجَمْع العِيال والاطفال، لم تَجد طِفلَيَن منهم، فذهبتْ تَبحَث عنهما هنا وهناك، وأخيراً .. وجَدَتْهما مُعتَنقَين نائمَين، فلمّا حَرّكتْهما فإذا هما قد ماتا مِن الخوف والعَطش!!

ولمّا سَمعَ العسْكر بذلك قالوا لابن سعد: رَخِّصْ لنا في سَقْي العيال ... . (1)

وذُكرَ في بعض الكتُب أنّ طفلَين لعبد الرحمن بن عقيل كانا مع الحسـين، إسمُهما: سَعد وعقيل، وأنّهما ماتا مِن شِدّة العطش ومِن الدَهشة والذُعْر، بعد مَقتل الإمام الحسـين (عليه السلام) وهجوم الأعداء على المُخيَّم للسَلْب. وأُمّهما: خديجة بنت الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام. (2)

1- كتاب «الإيقاد» للسيّد محمّد علي الشاه عبدالعظيمي، الطبعة الحديثة، ص 139

2- مَعالي السبطين ج 2، الفصل 12، المجلس الرابع

ليلة الوَحْشة

باتَت العائلة المفجوعة ليلة الحادية عشرة من المحرّم بحالةٍ لا يَستطيع أيُّ قلم شَرحَها ووَصْفها، ولا يستطيع أيُّ مصوّر أن يُصوّر جانباً واحداً مِن جوانب تلك الليلة الرهيبة.

قبلَ أربع وعشرين ساعة من تلك الليلة باتت العائلة المكرّمة وهي تَملك كلَّ شيء، وهذه الليلة أظلمتْ عليها وهي لا تملك شيئاً.

رجالُها صَرعى مُرمّلون بِدمائهم، وأطفالُها مَذبوحون، والأموال قد نُهبتْ، والأزُر والمقانع سُلبتْ، والظُهور والمُتون قد سَوّدتها السياط وكِعابُ الرماح.

ليسَ لَهم طعامٌ حتّى يُقدِّموه إلى مَن تبقّى مِن الاطفال، ولا تسال عن المَراضع اللواتي جَفّ اللبَن في صدورهنّ جوعاً وعطَشاً.

واستولتْ على العائلة – وخاصّةً الأطفال – حالةُ الفواق ، وهي

حالة تَشَنّج تَحصل للإنسان حينما يَبكي كثيراً، فتتَشنّج الرئة، ويَخرج النَفَس مُتقطعاً.

يا لَلفاجعة، يا لَلماساة، يا لَلمصائب.

لا غِطاء، ولا فِراش، ولا ضِياء، ولا أثاث، ولا طعام.

قد أحدَقَت السيّدات بالإمام زين العابدين (عليه السلام) وهو بقيّة الماضين، وثِمالُ الباقين، وهُنّ يَتفكَّرنَ بما خَبّأ لهنّ الغَد مِن أُولئك السَفّاكين.

فالفاجعة لم تَنْته بعد، والظُلْم – بجميع أنواعه – بانتظار آل رسول الله الطيّبين الطاهرين، والحوادث المؤلمة سوف تَمتدّ إلى غَدٍ وما بعد غَد، وإلى أيّام وشهور، ممّا لا بالبال ولا بالخاطِر.

وسوف تَبدأ رِحْلة طويلة مليئة بالآلام والآهات والدموع.

وحُكيَ أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) تَفقّدت العائلة في ساعة مِن ساعات تلك الليلة، وإذا بالسيّدة الرباب لا توجَد مع النساء، فخَرجَتْ السيّدة زينب ومَعَها أُمُّ كلثوم، وهما تُناديان: يارَباب .. يا رَباب.

فسمِعَها رجلٌ كان مُوَكلاً بحِراسة العائلة، فسألها ماذا تُريدين؟!

فقالت السيّدة زينب: إنّ إمرأةٌ مِنّا مَفْقودة ولا توجَد مع النساء.

فقال الرجل: نعم، قبلَ ساعة رأيتُ امرأةً منكم إنحدرتْ نحو المعركة!

فاقبَلَت السيّدةُ زينب حتّى وصلتْ إلى المعركة، وإذا بها تَرى الرباب جالسة عند جَسَد زَوجها الإمام الحسين (عليه السلام) وهي تبكي عليه بكاءً شديداً وتَنوح، وتَقول في نِياحَتها:

واحُسيناً وأينَ مِنّي حُسينٌ *** أقصدَتْه أسِنّةُ الأدعياء

غادَروهُ في كربلاء قَتيلاً *** لا سَقى اللهُ جانِبَيْ كربلاء

فأخذت السيّدة زينب (عليها السلام) بِيَدها وأرجَعَتْها مَعَها إلى حيث النساء والأطفال.

وفي هذا الجوّ المُتَوتّر، والوَضْع المُقْرح للفُؤاد، يَقول الإمامُ زين العابدين (عليه السلام): «فَتَحتُ عَيني ليلَة الحادية عشَر مِن المُحَرّم، وإذا أنا أرى عَمّتي زينب تُصلّي نافِلَةَ الليل وهي جالسة، فقلتُ لها : ياعمّة أتصلّين وأنتِ جالسة»؟

قالتْ: نعمْ يابن أخي، والله إنْ رِجْلي لا تَحمِلُني!! (1)

1- كتاب «زينب الكُبرى» للشيخ جعفر النقدي، ص 58

تَرحيل العائلة مِن كربلاء

لقد جاءوا بالنياق المَهزولة لِتَرحيل آلِ رسولِ الله، فلا غطاء ولا وطاء!!

آل رسول الله، أشرف أُسرة وأطهَرها وأتْقاها على وَجْه الأرض، وكأنّهنّ سَبايا الكفّار والمشركين!!

لقد كانَ تَعامُلُ الأعداء مَعَهُنّ فى مُنتهى القساوة والفظاظة وكأنّهم يُحاولون الإنتقام منهنّ، ويَطلبون بثارات بَدْر وحُنَين!

وهل أستطيع أن أكتب – هنا – شيئاً مِن مَواقف بَني أُميّة تجاه آل رسول الله؟!

والله .. إنّها وَصْمة خِزْي وعارٍ لا تُمحى ولاتَزول بِمُرور القُرون.

لقد وَصَموا بها جَبهةَ التاريخ الإسلامي النَزيه المُشرِق الوَضّاء.

ص: 257

عن كتاب (أسـرار الشّـهادة) للدَرْبندي: ثمّ أمَرَ عمرُ بن سـعد بأن تُحمَل النساء على الأقتاب (1)، بِلا وطاء ولا حجاب، فُقّدِّمت النياق إلى حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقد أحاط القومُ بهنّ، وقيلَ لَهنّ: تَعالَين واركبْن، فقد أمَرَ إبنُ سعد بالرحيل. (2)

فلمّا نظرتْ زينب (عليها السـلام) إلى ذلك نادتْ وقالت: سَوّدَ الله وجْهَك يابنَ سـعد في الـدنيا والآخرة! تامرُ هؤلاء القوم بأنْ يُركّبونا ونحنُ وَدائعُ رسولِ الله؟!

فقُلْ لهم: يَتباعَدوا عنّا، يُركِّب بعضُنا بعضاً.

فتَنحّوا عنهنّ، فتقدّمتْ السـيّدةُ زينب، ومَعَها السيّدة أُمُّ كلثوم، وجعلتْ تُنادي كلَّ واحدة مِن النساء باسمها وتُركّبها على المَحمِل ، حتّى لم يَبقَ أحَد سِوى زينب (عليها السلام)!

فنَظرتْ يميناً وشمالاً، فلم تَرَ احَداً سوى الإمام زين العابدين وهو مريض، فأتَتْ إليه وقالت:

1- أقتاب - جَمْع قَتَب - : وهو شيء يُصنَع مِن خَشَب، يُشَدّ على ظهر البَعير، ويُغطّى بقماش سَميك، لِراحة الراكب، وحفظه مِن السُقوط. قال في «المعجم الوسيط»: القَتَبُ: الرَحْلُ الصغير على قَدر سَنام البعير. المُحقّق

2- لقد ذكرَ السيّد ابن طاووس في كتاب «المَلْهوف» ص 189: أنّ ترحيل العائلة كان بعد الزوال مِن اليوم الحادي عشر من المحرّم

قُمْ يابنَ أخي واركَبْ الناقة.

قال: يا عَمّتاه! إركبي أنتِ، ودَعيني أنا وهؤلاء القوم.

فالتفَتَتْ يميناً وشمالاً، فلم تَرَ إلّا أجساداً على الرمال، ورؤوساً على الأسنّة بأيدي الرجال (1)، فصرختْ وقالت:

واغُربتاه! واأخاه! واحُسيناه! واعبّاساه! وارِجالاه! واضيعتَاه بعدك يا أبا عبدالله ...

فاقبلت فِضّة وأركبَتْها. (2)

1- الاسنَة - جَمْع سنان: الرُمح

2- كتاب (أسرار الشهادة) للعالم الجليل الشيخ الدَرْبندي

نياحة السيّدة زينب على سيّد الشهداء

وفي يوم الحـادي عشـر من المُحرّم .. لمـا أرادَ الأعـداء أن يَرحَلوا بِقافلـة نِساء آل رسول الله مِن كربلاء إلى الكوفـة ، مَرُّوا بِهِنّ على مَصارع القَتْلى – وهم جُثَث مُرَمَلة ومَطروحة على التُراب – فلمّا نَظرت النِسْوة إلى تلك الجُثَث صِحْن وبَكينَ ولَطمْنَ خُدودهَن. وأمّا السيّدة زينب الكبرى (عليها السـلام) فقد كانتْ تلك الساعة مِن أصعَب الساعات على قلبها، وخاّصةً حينَما نَظرتْ إلى جُثّة اخيها العزيز الإمام الحسين وهو مَطروح على الأرض بِلا دَفن، وبتلك الكيفيّة المُفرحة للقلب!!

يَعلمُ الله تعالى مَدى الحُزن الشديد والألَم النفسـي الّذي خَيّم على قلب السـيّدة زينب وهي ترى أعزّ أهل العالَم، وأشـرف مَن على وَجْه الأرض بحالةٍ يَعجز القلم واللسان عن وَصْفها.

فقد مَدّ أُولئك الذئاب المفترسة (الذين لا يَستحقّون إطلاق إسم

البَشـر عليهم، فكيف باسم الإنسان وكيف باسم المسـلم) أيديَهم الخبيثة إلى جَسَد أطهر إنسان على وَجْه الكرة الأرضيّة آنذاك. وأراقوا دماءً كانت جُزءاً مِن دم الرسول الاقدس، وقَطَعوا نَحْراً قَبّله رسولُ الله (صـلّى الله عليه وآله وسلّم) مئات المرّات، وعَفّروا خَدّاً طالما إلتَصَقَ بخَدّ الرسول الأطهر، ورَضُوا وسَحَقوا جَسَداً كان يُحمَلُ على أكتاف الرسول الأعظم، وكان مَحَلّه في حِجْر الرسول، وعلى صدره وظهره.

لقد كان الرسولُ الكريم يُحافظ على ذلك الجسم العزيز، حتّى مِن النَسيم والمطر .. فكيف مِن غيره؟

نعم، إنّ المُجرمين الجُنـاة كـانوا في سَـكْرة موت الضـمير، وفُقـدان الوعي والإـدراك للمَفاهيم، فانقلّبوا إلى سِباع ضاريـة، وذئاب مُفترسـة، ووُحوش كاسِرة، لا تَفهم معنى العاطفة والشَرَف والفضيلة، ولا تُدرك إلا هَواها الشيطاني.

فصَنَعتْ ما صَنَعتْ بذلك الإمام، المتكامل شَرَفاً وعظمةً، وجَعلتْ جسمَه هَدَفاً لسُيوفها ورماحها وسِهامها، ومَيداناً لخيولها، وهم يُحاولون أن لا يَتركوا منه أثَراً يُرى، ولا أعضاءَ فَتُوارى.

كان هذا المنظَر والمظهَر المُشجي، المُقرِح للقلب، الموجع للروح بمَرأى مِن السيّدة زينب الكبرى.

فهي تَرى نفسَها بجوار جثمان إمامها، وإمام العالَم كلّه، وسيّد شباب أهلِ الجنّة، فلا عجَبَ إذا احتَضَنتْه تارةً، وألقَتْ

نفسَها عليه تارةً أخرى.

تبكي عليه بدموعٍ مُنهَمرة مُتواصلة، وتَنْدبُه مِن أعماق نفسها، نُدَبَةٌ تكادُ روحُها تَخرج معَ زَفَراتها وآهاتِها!

تَنْدبه بكلمات مُنْبَعثة مِن أطهر قلب، خالية عن كلّ رياء وتَصنُّع، وكلُّ كلمةٍ منها تُعتبر إعلاناً عن حُدوث اكبر فاجعة، وأوجع مُصيبة.

إنّها سَـجّلتْ تلك الكلمات على صـفحات التاريخ لِتكون خالدةً بِخُلود الأبَد، تَقرؤها الأجيال قرْناً بعد قرن، وأُمّةٌ بعد أُمّة، كي تَستَلْهم منها الدروسَ والعِبَر ... ولكي تَبقى المدرسة الزَينبيّة خالدةٌ بخلود كلّ المفاهيم العالية والأُصول الإنسانيّة.

نعم، كلمات تَقرَع الاسماعَ اليَقِظة كصَوت الرَعْد، فتَضْطربُ منها القلوب وتَتَوتّر منها الأعصاب، وتَسخَن الغُدد الدَمْعيّة المَنْصوبة على قمّة الَعينين، فلا تَستطيع الغُدد حَبْسَ الدموع ومَنْعها عن الخروج والهُطول.

وتَضـيقُ الصدور فلا تَسـتطيع كَبْتَ الآهات، والنَحيب والزفير. أجَل .. إنّها مُعجزة وأيّة مُعجزَة، صَدَرَتْ مِن سـيّدة قبلَ أربعة عشَر قرناً، أرادَ الله تعالى لها البقاء، لِتكون تلك المعجزة غَضَة، وكأنّها حادثة اليوم وحَدَث الساعة .

أجَل ...

كان المَفروض أنْ تَفقد السيّدة زينب الكُبرى وَعْيَها، وتَنهار أعصابُها، وتَنسى كلَّ شيء حتّى نفسَها، وتَتعطّل ذاكرتُها أمامَ جبال المصائب والفَجائع، والهموم والأحزان.

نعم، هكذا كان المفروض، ولكنّ إيمانها الراسخ العجيب بالله تعالى، وقلبها المطمئن بذِكْر الله (عزّوجلّ) كان هو الحاجز عن صدور كلّ ما يُنافي الوقار والإتّزان، والخروج عن الحالة الطبيعيّة.

وليس معنى ذلك السكوت الذي يُساوي عدمَ الإهتمام بتلك الفاجعة أو عدمَ المبالاة بما جرى، بل لابُدّ من إيقاظ الشعور العام بتلك الجناية العظمى، التي صَدَرَتْ مِن أرجَس عِصابة على وجْه الأرض.

فلا عَجَب إذا هاجتْ أحزانُها هَيجانَ البحار المُتلاطمة الأمواج، وتَفايضَ قلبُها الكبير .. بالعواطف والمحبّة، وجعلتْ تَندبُ أخاها بكلمات في ذروة الفصاحة والبلاغة، وتُعتبر أبلغ كلمات سَجّلها التاريخ في الرثاء والتابين، وفي مقام التَوَجّع والتَفَجّع. (1)

قال الراوي: فوالله لا أنسى زينبَ بنت علي وهي تَندب أخاها

1- وكان ذلك حينما مَرّوا بقافلة الأُسارى على مَصْرَع الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الحادي عشر مِن المحرّم

الحسين بصَوتٍ حَزين وقلبٍ كئيب:

«يا مُحمّداه، صلّى عليك مَليكُ السماء، هذا حُسينٌ مُرَمّلٌ بالدماء، مُقطّع الأعضاء، مَسْلوب العِمامة والرِداء، مَحزوز الرأس مِن القَفا. ونحن بَناتُك سَبايا.

إلى الله المُشتكى، وإلى محمّد المصطفى، وإلى عليّ المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيّد الشهداء.

يا محمّداه! هذا حسينٌ بالعَراء (1)، تَسفي عليه ريحُ الصَبا، قَتيلُ أولاد البَغايا.

واحزناه! واكرباه عليك يا أبا عبدالله.

بأبي مَن لا هو غائب فَيُرْتجى، ولا جَريح فَيُداوى.

بأبي المَهْموم حتّى قَضى.

بأبي العطشان حتّى مضى ... . ».

فابكتْ – والله – كلّ عدوٍّ وصديق. (2)

واعتنقَتْ زينبُ جثمانَ اخيها، ووَضَعَتْ قَمَها على نَحْره وهي تُقبّله وتقول:

«أخي لو خُيّرتُ بين المقام عندك أو الرَحيل لاخترْتُ

1- العَراء: الأرض المُنبَسِطة الّتي لا يَسْتُر فَضاءَها شَيء

2- كتاب (المَلْهوف) لابن طاووس، ص 181، وكتاب الإيقاد، ص 140

المُقامَ عندك، ولو أنّ السباع تأكلُ مِن لَحمي.

يابنَ أُمّي! لقد كلَلْتُ عن المُدافَعة لِهؤلاء النساء والأطفال، وهذا مَتْني قد اسودَّ مِن الضَرْب!! (1).

ص: 266

1- مَعالي السِبطين ج 2، الفصل العاشر، المجلس الرابع عشر

الفَصل الثاني عشر

إشارة

* مدينة الكوفة

* قافلة آل الرسول تَصِلُ الكوفة

ص: 267

مدينة الكوفة

لقـد كـانتْ الكوفـة: مدينـة مُواليـة للإمام أمير المؤمنين (عليه السـلام) وكان أهلُها – رجالاً ونساءً – قـد تَطبّعوا بأحسن الإنطباعات في ظِل حكومة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بسبب المَناهج الصحيحة التي انتَهجَها الإمام لِتربية وإدارة شَعبِه.

وكانت لَدى أهل الكوفة احسن الإنطباعات عن الإمام، نَظراً لِسيرته الشخصيّة والإجتماعيّة والحكوميّة، وأُسلوب تَعامُله مع افراد الشعب إبّانَ حكومته عليهم، فَعَواطفُه التي شَملَتْ جميع طبَقات الشـعب، وتوفيرُ لَوازم الحياة لهم، ومُواساتُه مَعهم في السـرّاء والضـرّاء، وعدْلُه الواسع الشامِل وعَطاياه السَنيّة، وسخاؤه وكرَمَه، وعِلْمُه الجَمّ، وغير ذلك مِن الفضائل الّتي تركتْ إنعكاساتها الإيجابيّة في نُفوس أهل الكوفة وأثّرتْ فيهم أحسَن الأثَر.

ص: 269

كلّ هذه الأمور .. جَعلتْ الطابعَ العام الغالب على الكوفة: هو الولاء والمَحبّة لآل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ومِن الطبيعي أنّ كلّ عصْرٍ ومصْر لا يَخلو مِن الأشرار والسَفَلة، حتّى المدينة المنوَرة – في عَهْدها الزاهِر .. في عصْر الرسول الكريم – كانتْ تَحتوي على عناصر المُنافقين وغيرهم.

وهنا سؤال يَقول: إذا كانتْ مدينة الكوفة مُوالية للإمام .. فكيف صَدرَتْ مِن أهلها تلك المَواقف المُخْزية تجاه الإمام الحسين (عليه السلام)؟!

إنّ الجواب على هذا السؤال يَحتاج إلى مَزيد مِن الشرح والتفصيل، وهو خارج عن أُسلوب الكتاب، ولكنّنا نَذكر الآن مثالاً توضيحيّاً لهذا البحث ونَتْرك دراسة الموضوع إلى فرصة أُخرى:

قد تَحدُثَ في فَردٍ مِن الناس أو شعبٍ مِن الشعوب حالةٌ شاذّة، غير طبيعيّة، تَشْبه حالة السُكْر وفُقدان الوعي، فإذا زالتْ آثار السُكر .. عادَ الوعيُ، ثمّ الحالة الطبيعيّة، ثمّ النَدَم!

وفِعلاً .. ترى ذلك الفَرد – او الشعب – يَتعجّب مِن تصرّفاته الشاذّة خِلالَ حالة سُكْره، بل ويَتعجّب منه عُقلاءُ العالَم!

ومِن الثابت أنّ العُقلاء لا يَقبَلون أيَّ عُذرٍ مِن ذلك الفَرد أو الشعب الّذي مَرّ بتلك الحالة الشاذّة، لأن العقل والدين يَفرُضان على الإنسان أنْ يُوفّر في نَفْسه وقلبه وذِهْنه خَلْفيّة عِلْميّة ومِناعة دينيّة وإيمانيّة تُبعّده عن هذا النوع مِن الحالات الشاذّة، وتَحفظه مِن السقوط في هكذا مُنعطفات مَصيريّة مُحتَمَلة.

وذلك يَحْصَل بتَقوية الإيمان بالله تعالى وبيوم القيامة .. في قلْب الإنسان، ثمّ الإستمرار في شَحْن النَفس بالطاقة الإيمانية التي تَقوم بدورٍ مُهمٍ في إبعاد الإنسان عن مَراكز وصالات واجواء الإنحراف العقائدي والسُلوكي، وتَحْميه مِن السقوط في مَهاوي جهنّم.

أجَل ..

لقد كانت مدينة الكوفة – قبلَ عشرين سنة مِن تاريخ فاجعة كربلاء –: عاصمةً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومَركزاً لحكومته، ومَقرّاً لِقيادته.

وكانتْ السيّدة زينب – حينذاك – في أوج العظمة والجلالة، وكانتْ سيّدات الكوفة يَتَمَنّينَ الحضور عندها، وإذا كانت السيّدةُ زينب تَنظر إلى إحداهنّ نَظرة، أو تَتكلّم مَعَها كلمة، لَكانَ قلبُها يَمتلىءُ فَرحاً وسُروراً، وتَشْعر بالشَرف والفَخْر، لأنّ إبنة أمير المؤمنين نَظرتْ إليها أو تكلّمَتْ مَعها!!

ولكن اليوم .. وبعـدَ حوالي عشـرين سـنة، تَغيّرت الأوضاع عمّا كانت عليه قبلَ ذلك!! وأخـذَت الكوفة طابعاً شاذاً يَختَلف عمّا مَضـى، فقد إنقلبتْ إلى جَوٍّ مِن الإرهاب والإرعاب، وانتَشَـر الآلاف مِن الشـرطة والجواسيس، وهم في حالة التأهّب والإستعداد، خوفاً مِن هِياج الناس، وخَنْقاً لِكّل صوت يَرتفع ضدّ السلطة.

هذا .. ويُضاف إلى ذلك: أنّ المئات – أو الآلاف – مِن المُوالين للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان الطاغية ابنُ زياد قد سَجَنَهُم كي لا يَلتَحقوا باصحاب الإمام الحسين في كربلاء.

وهناك مَن أخفى نفسَه في البيوت كي لا يَتَعرّضَ للقتل مِن قِبَل السـلطة حيث لم يَستطع الإلتحاق بالإمام بسبب الأعداد الهائلة مِن الشرطة الّتي كانتْ السلطة قد نَشَرتُهم في جميع نَواحي وبَوّابات مدينة الكوفة.

وعَدا مَن التحقَ بالإمام الحسـين في كربلاء – مِن أهل الكوفة – ونَصَـروه، وقُتلوا في سبيل الدفاع عنه، ويَبلُغُ عدَدُهم اكثر مِن عشرين رجل، مذكورة أسماؤهم في الكتُب المُفصّلة الّتي تَتَحدّث عن فاجعة كربلاء الدامية.

ص: 272

قافلة آل الرسول تَصِلُ الكوفة

وذكَرَ الطُريحي في كتاب (المُنْتَخَب) عن مسلم الجَصّاص قال:

دَعاني ابنُ زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينَما أنا أُجَصّص الأبواب، وإذا بالزَعقات قد ارتفعتْ مِن جَنبات الكوفة (1)، فاقبلتُ على خادمٍ كان يَعملُ معَنا، فقلتُ: مالي أرى الكوفة تَضجّ؟

قال: الساعة أتوا برأس خارجي خَرجَ على يزيد بن معاوية.

فقلت: مَن هذا الخارجي؟

قال: الحسين بن علي!

فتَركتُ الخادم حتّى خَرَج، ولَطمْتُ على وَجْهي، حتّى

1- الزَعْقات - جَمْع زَعْقة - الصَيحة. الزعق: الصِياح، كما في كتاب «لسان العرب» لابن مَنظور، و«الصحاح» للجوهري

خَشِيتُ على عَينيَّ أنْ تَذْهبا، وغَسلتُ يَديَّ مِن الجصّ، وخرجتُ مِن ظَهْر القَصر، وأتيتُ إلى الكُناس (1) فبينا أنا واقف، والناسُ يَتوقّعون وصولَ السَبايا والرؤوس إذْ أقبلتْ نحو أربعين شقّة، تُحمل على أربعين جَمَلاً (2)، فيها الحُرَم والنساء وأولاد فاطمة.

وإذا بِعَليّ بن الحسين على بَعيرٍ بغير وِطاء (3)، وأوداجُه تَشْخَب دَماً، وهو مع ذلك يَبكي ويَقول:

يا أُمّة السّوء لا سَقْياً لِرَبعَكُم *** يا أُمّةٌ لم تُراعِ جَدّنا فينا

إلى آخر الأبيات.

وصارَ أهلُ الكوفة يُناولون الأطفالَ الّذين على المَحامِل بعضَ التمر والخُبز والجَوز، فصاحتْ بهم أمّ كلثوم:

يا أهلَ الكوفة! إنّ الصَدَقة علينا حرام!

وصارتْ تاخذ ذلك مِن أيدي الأطفال وأفواههم، وتَرمي به إلى الأرض.

1- الكُناس والكُناسَة: مَحلَّة بالكوفة. كما في «معجم البلدان» للحَمَوي

2- شقّة: المَحْمِل و الهَودَج

3- وِطاء: القماش وشِبْهه الّذي يوضَع على ظهر الجَمَل، لِراحة الراكب

كلٌّ ذلك والناس يَبكون على ما أصابَهم!!

ثمّ إنّ أم كلثوم أطلعتْ رأسَها مِن المَحْمِل وقالت:

«صَهٍ يا أهلَ الكوفة! تَقتُلُنا رجالكم، وتَبكينا نساؤكم؟ فالحاكم بيننَا وبينكم الله، يومَ فَصْل القضاء».

فبينَما هي تُخاطبهن، وإذا بِضَجّة قد ارتَفعتْ، وإذا هُم قد أتوا بالرؤوس، يَقْدُمُهُم رأسُ الحسين (عليه السلام) وهو رأسٌ زُهَريّ، قَمَريّ (1)، أشْبَه الخَلْق برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولحيتُه كَسَواد السبج (2)- قد انتَصَلَ مِنها الخِضاب (3)، ووَجْهه دارة قَمَرٍ طالع (4)- والرِيحُ تَلْعبُ بها

1- زُهَري: أي مُشْرق اللون .. رَغم إنفصاله عن الجَسَد. وزُهَري: تَشْبيهٌ بِنَجْم «الزُهْرة» المشهورة بالإشراقة والإضاءة المُميّزة في نورها. والّتي هي عبارة عن اللون الأبيض المُشْرِق المَزيج مع لَون الوَرْد المُحَمّدي، أي: اللون الاحمر الفاتح. قَمَري: أي: أنّ وَجْهَهُ مُسْتَدير الشكل .. وليسَ مُسْتطيلاً. المُحقّق

2- السَبَج: - مُعرّب شَبه - : وهو حَجَر أسوَد، يضرَبُ به المَثل في شِدّة السَواد

3- إنتصل منها الخِضاب: أي بَدأ اللون الأسود يَذهَبُ مِن أُصول الشَعْر

4- دارة قَمَر طالع: أي مُستدير وجَميل، كالقَمر ليلة البَدْر، حيث يكون مُتكاملَ القُرص وشديد الإنارة. المُحقّق

يميناً وشمالاً، فالتَفتتْ زينبُ، فرأتْ رأسَ أخيها، فنَطحَتْ جَبينَها بمُقدّم المَحْمِل، حتّى رأينا الدَمَ يَخرج مِن تحت قناعها، وأوماتْ إليه بِخِرْقة، وجَعَلتْ تقول:

يا هِلالاً لَمّا استَتَمّ كمالاً *** غالَهُ خَسْفُه فابْدى غُروبا

ما تَوهّمتُ يا شقيقَ فؤادي *** كانَ هذا مُقدّراً مَكتوبا

يا أخي! فاطمَ الصغيرةَ كلّمْها *** فقد كادَ قلبُها أنْ يَذوبا

إلى آخر الأبيات (1).

وجاء في التاريخ: أنّ قافلة آل الرسول لمّا اقتَربتْ مِن الكوفة، إجتَمَع أهلُها للنَظَر إليهنّ، فأشرفَتْ إمرأة مِن الكوفيّات - مِن سَطح دارها - وقالت: مِن أيّ الأُسارى أنتُن؟

قُلْنَ: نحنُ أُسارى آل محمّد!

فنَزلَتْ مِن سطحها وجَمعَتْ مُلاءاً وأَزْراً ومَقانع، فأعطتْهُنّ فتَعَطّينَ. (2)

1- كتاب «المنتخَب» للطريحي، ج 2، ص 464، المجلس العاشر . وبحار الانوار للشيخ المجلسي ج 45، ص 114 - 115

2- كتاب (بحار الأنوار) ج 45، ص 108، نقلاً عن السيّد ابن طاووس

الفَصل الثالث عشر

إشارة

* خُطبة السيّدة زينب في الكوفة

* نَصُّ خطبة السيّدة زينب في الكوفة

* شرح خطبة السيّدة زينب في الكوفة

* كيفَ ولماذا قَطَعوا على السيّدة زينب خِطابها

* نَصّ خُطبة السيّدة زينب برواية أُخرى

ص: 277

خُطبة السيّدة زينب في الكوفة

تُعتبر خُطبة السيّدة زينب – في الكوفة وفي مجلس يزيد في الشام – في ذروة الفصاحة، وقمّة البلاغة، وآيةً في قوّة البيان، ومُعجزة في قوّة القلب والاعصاب وعدم الوَهْن والانكسار أمامَ طاغية بَنى أُميّة ومَن كان يُحيط به مِن الحَرَس المُسلّحين، والجَلاوزة والجَلّادين الّذين كانوا على أُهبّة الاستعداد يَنتظرون الأوامر كي يُنفّذوها باسرع ما يُمكن مِن الوقت.

وهنا سؤال قد يَتبادر إلى الذِهْن وهو:

إنّ السيّدة زينب كانت سيّدة المُحَجّبات المُخدّرات، ولم يَسبق لها أنْ خطبَتْ في مجلس رجال أو مَجْمَعِ عام، وليس مِن السَهْل عليها أنْ تَرفع صوتَها وتَخطب في تلك الاجتماعات، فلماذا قامتْ السيّدة بإلقاء الخُطَب على مَسامع الجماهير مع تَواجد الإمام زين العابدين (عليه السلام)؟

ص: 279

ومع العِلْم أنّ الإمام زين العابدين كان أقوى وأقدَر منها على فُنون الخطابة وأولى مِن التحدّث في جُموع الرجال؟

لعلّ الجواب هو: أنّ الضَرورة أو الحِكْمة إقتَضتْ أنْ يَسكُتَ الإمامُ زين العابدين طيلةَ هذه المسيرة كي لا يَجلبَ إنتباهَ الناس إلى قُدرته على الكلام، وحتّى يَستطيع أن يَصُبَّ جامَ غضَبه كلّه على يزيد، في الجامع الأموي ، بِمَرْأى ومَسْمع مِن آلاف المُصلّين الذين حضَروا يومذاك لأداء صلاة الجمعة خَلف يزيد.

فلو كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يَخطب في أثناء هذه الرحْلة .. في الكوفة وغيرها، فلعلَّه لم ولن يَكن يُسمَح له بالخطابة فى أيّ مكان آخر، فكانت تَفوتُه الفرصة الثَمينة القَيّمة، وهي فرصة التحدّث في تلك الجماهير المتجَمْهرة في الجامع الأموي، عِلْماً بانه لم يَبق مِن آل الرسول في تلك العائلة رجل سوى الإمام زين العابدين.

ولهذا السبب كانت السيّدة زينب تَتولّى الخطابة في المواطن والأماكن التي تَراها مناسِبة.

وليس معنى ذلك أنّها فَتَحتْ الطريق أمامَ النساء ليَخطبْنَ في جُموع الرجال، أو المجتمعات العامّة كالاسواق والساحات وغيرها، بل إنّ الضرورة القصوى كانت وراءَ خطبتها عليها السلام.

هذا أوّلاً.

ثانياً: لقد كانت حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) مُهدَّدة بالخطر طوالَ هذه الرِحْلة – وخاصّةً في الكوفة – فكم مِن مرّةٍ

حَكموا على الإمام بالقتل والإعدام، لولا أنْ دَفَع الله تعالى عنه شَرّهم؟!

فما ظنّكَ لو كان الإمام (عليه السلام) يَخطب في شارع الكوفة أو في مجلس الدَعيّ بن الدّعي عبيد الله بن زياد، والحال هذه؟!

هل كان يَسْلَم مِن القتْل؟

طبعاً: لا.

إنّهم أرادوا أن يَقتلوه وهو – بَعْـدُ – لم يَخطب شـيئاً، فكيفَ لو كان يَخطب في الناس ويكشِف لهم عن مَساوىء بَني أُميّة ومَخازيهم، ويُبيّن لهم ابعاد ومُضاعَفات جريمة مَقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته؟؟!

****

ص: 281

نَصُّ خطبة السيّدة زينب في الكوفة

والآن .. نَذكر نَصّ الخُطبة، ثم نَشرح بعضَ كلماتها:

قال بشير بن خزيم الاسدي (1):

ونظرتُ إلى زينب بنت علي (عليه السلام) يومئذٍ فَلَمْ ارَ خَفِرَةٌ – والله – أنطقَ منها (2)، كأنّها تُفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (3)، وقد أوْمأتْ إلى الناس أن اسكُتوا .

ص: 283

1- المصادر التي تَذكر خُطبة السيّدة زينب في الكوفة كثيرة، ونحن اعتمدنا على كتاب «المَلهوف» للسيّد ابن طاووس (رضوان الله عليه)

2- خَفِرةً: المرأة الشديدة الحياء

3- تُفرغ: تَصُبَ، الإفراغ «الصَبّ، قال تعالى: «أفرغْ علينا صَبرا»

فارتَدّت الأنفاس، وسَكَنتْ الأجراس، ثمَّ قالت:

«الحمدُ لله والصلاة على أبي: محمّد وآله الطيّبين الأخيار.

أمّا بعد:

يا أهلَ الكوفة، يا أهلَ الخَتْلِ والغَدْر!!

أتَبكون؟ فلا رَقات الدَمْعة، ولا هَدات الرَنّة.

إنّما مَثَلُكُم كَمَثَل التي نَقَضَتْ غَزْلَها مِن بعد قوَّةٍ أنكاثاً، تَتّخذون أيْمانكم دَخَلاً بينكم.

ألا وهلْ فيكمْ إلّا الصّلِفُ النَطِف؟ والصّدرُ الشَيْف؟ ومَلَقُ الإماء؟ وغَمْرُ الأعداء؟

أو كمَرْعىً على دِمْنة؟ أو كفِضّة على مَلْحُودَة؟

ألا ساءَ ما قَدّمتْ لكم أنفسُكم أنْ سَخطَ اللهُ عليكم وفي الأساءَ العَذاب أنتُم خالدون.

أتَبكون؟ وتَنْتَحِبون؟

إي والله، فابكوا كثيراً واضحَكوا قليلاً.

فلقد ذَهَبْتُم بِعارها وشَنارها، ولن تَرحَضُوها بِغَسلٍ بعدَها أبداً.

وأنى تَرحَضونَ قَتْلَ سَليلٍ خاتم النبوّة؟ ومعدنِ الرسالة، وسيِّد شباب أهل الجنّة، ومَلاذِ خِيَرتكم، ومَفْزَعِ نازلَتكم،

ومَنارِ حُجّتكم، ومِدرَة سَنَتكم؟؟

ألا ساءَ ما تَزِرون، وبُعْداً لكم وسُحقاً، فلقد خابَ السّعيُ، وتَبّت الأيدي، وخَسِرَت الصَفْقة، وبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِن الله، وضُربَتْ عليكم الذِلّةُ والمَسْكنَة.

وَيلَكمْ يا أهلَ الكوفة!

أتَدْرون أيَّ كبِدٍ لِرسول الله فَرَيْتُم؟

وأيّ كريمةٍ لَهُ ابْرَزَتُم؟!

وأيّ دَمَ لَهُ سَفَكْتُم؟!

وأيّ حُرْمَةٍ له هَتَكْتُم؟!

لقد جِئتُمْ بها صَلْعاء عَنْقاء سَوداء فَقْماء، خَرْقاء شَوهاء، كطِلاع الأرض ومِلْءِ السماء.

أفَعَجِبْتُمْ أنْ مَطرتِ السماءُ دَماً، ولَعَذابُ الآخرة أخزى، وأنتُمْ لا تُنْصَرون.

فلا يَسْتَخِفْنكم المُهَل، فإنّه لا يَحْفِزُه البِدار، ولا يَخافُ فَوتَ الثار، وإنّ رَبّكُم لَبالمرْصاد». (1)

قال الراوي: «فوالله لقد رأيتُ الناسَ - يومئذٍ - حَيارى

1- كتاب «المَلْهوف» للسيّد ابن طاووس، المُتوفّى سنة 664ه-، ص 192 -193

يَبْكون، وقد وضَعَوا أيديَهم في أفواههم، ورأيتُ شَيخاً واقِفاً إلى جَنْبي يَبكي حتّى أخصَلّتْ لحيَتُه، وهو يَقول: «بابي أنتُم وأمّي!! كُهُولُكم خيرُ الكُهول، وشَبابُكم خيرُ الشباب، ونِساؤكم خيرُ النساء، ونَسْلُكم خيرُ نَسْل لا يُخْزى ولا يُبْزى». (1)

1- كتاب «المَلْهوف» للسيّد ابن طاووس، ص 193 - 194. وسوف نَذكر نَصّ الخُطبة على رواية كتاب «الإحتجاج» للشيخ الطبرسي، وذلك لِوجود بعض الفُروق وزيادة بعض الإضافات، - بعد الفراغ مِن شَرح هذه الخطبة - إنْ شاء الله تعالى. المُحقّق

شرح خُطبة السيّدة زينب في الكوفة

قبلَ أن أبدأ بشَرْح بعض كلمات الخطبة أجلبُ إنتباهَ القارىء الذكي إلى بعض ما يَرويه الراوي لهذه الخطبة، وهو قوله:

«فلمْ أرَ خَفِرَة – والله – أنطقَ منها»

يقال: خَفِرت الجارية: إذا استَحتْ أشدَّ الحياء، فهي خَفِرة. ومِن الطبيعي أنّ المرأة الخَفِرة يَمنَعُها حَياؤها مِن أن تَرفع صوتها، أو تَخطب في مكان مُزدحَم، فمِن الواضح أنّها إذا لم تُمارس الخطابة لا تَقوى على النُطق والتكلّم كما ينبغي، ولكنّ راوي هذه الخطبة يقول: «فلم أرَ خفرة – والله – انطق منها» أي: لم أرَ أقوى منها على التكلّم، وأقدر على الخطابة، رغم كونها شديدة الحياء.

ص: 287

«كانّها تُفرغُ عن لسان امير المؤمنين علي بن أبي طالب».

إنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو إمامُ الخُطباء والبُلَغاء والمُتكلّمين، وقد كان له أُسلوب خاص، ومُسْتَوى رفيع في كلامه وخُطَبه، يَمتازُ عن كلام غيره، وفي أعلى قمّة الفصاحة والبلاغة، وجَودة التعبير، وعُلوّ المُستوى الأدَبى والعِلْمي.

فمِن ناحية: كان يَسْتَرسِلُ في الكلام .. دونَ أيّ توقّف أو شُرودٍ ذِهْني، وكان يَنطق بالحروف .. دونَ أيّ تَلَكّؤٍ في التلفّظ، فقد كان في غاية التمكّن مِن الكلام والخِطابة.

ومِن ناحية أُخرى: كانت الكلمات الأدَبيّة الرفيعة مُنقادة له بشكل عجيب، فهي فهي تَنْبُع مِن لسانه نَبْعاً طبيعيّاً .. دونَ أيّ تكلُّفٍ أو تَحضير مُسْبَق، وكانَ لِصَوته نَبْرة مُعيّنة.

وراوي هذه الخطبة كانَ ممّن رأى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وسَمعَ كلامه، وها هو الآن .. يَستَمعُ إلى كلام السيّدة زينب (عليها السلام) وبالمُقارنة بين الكلامين يَظهرُ له أنّ خطبة السيّدة زينب صورة طبق الاصل لِكلام أبيها، مِن ناحية الأُسلوب والبَيان والمستوى وغير ذلك.

ص: 288

«وقد أوماتْ إلى الناس أن أسكُتوا، فارْتدّت الأنفاس، وسكَنَت الأجْراس».

في ذلك المُجتمع المُتـدفّق بالسّـيل البَشَـري، وفي ذلك الجوّ المَمْلوء بالهتافات والأصوات المرتفعة مِن الناس، وأصوات الاجراس المُعلّقة في أعناق الإبل.

في بلدة إنتشَـر في جميع طُرُقها الآلاف مِن الشـرطة كي يَخنقوا كلَّ صوت يَرتفع ضدّ السـلطة، ويُراقبوا حَركات الناس وسَـكَناتهم بكلّ دقّة، ويَقضوا على كلّ إنتفاضة مُتوقَّعة.

في هذه الظروف وصَلَ موكبُ آل رسول الله إلى الكوفة، مُحاطاً بالحَرَس، عُملاء بَني أُميّة، وشَرِ طَبَقات البَشَر، وأرجَس جميع الأُمم.

في تلـك الأجواء والظروف أشارت السـيّدة زينب الكبرى (عليها السـلام) إلى الناس أن اسـكُتوا. فَتَصـرّفتْ في الإنسان والحيوان والجماد. إحتَبَست الأنفاس في صدور الناس، ووقفت الإبل وسكنَتْ عن الحركة، وسكنت الأجراس المُعلّقة في أعناق الإبل.

نعم، بإشارة واحدة، وبتلك الروح القويّة، والنفْس المطمئنّة إستولتْ على الموقف.

فقالت:

«الحمد لله، والصلاة على أبي: محمّد وآله الطيّبين الأخيار».

إفتَتَحتْ كلامَها بحَمْد الله، ثمِ الصلاة على أبيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهذا مُنتهى البلاغة، فإنّها - بهذا الإفتتاح - عرَّفتْ نفسَ ها - لِتلك الجماهير المُتَجَمْهرة - بأنّها بنت رسول الله، فالحفيدة تُعتبر بنتاً، كما أنّ الجدَّ يُعتبرُ أباً، ولهذا قالت: والصلاة على أبي: محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وممّا يُستفادُ مِن هذا التعبير هو التاكيد على مَسالةٍ مُهمّة جِدّاً وهي مسالة بُنُوَّة أولاد السيّدة فاطمة لِرَسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما هو صريح آية المباهلة في قوله تعالى: «فَقُلْ تَعالوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءكُم ... ». (1)

وقد كان أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكّدون على هذه النقطة، كما أنّ أعداءَهم النَواصب كانوا يُحاولون - دائماً - التَشْكيك والمُناقشة فيها، وقد ذكرنا كلمة موجزة حول هذه النُقطة في كتابنا: فاطمة الزهراء (عليها السلام) من المهد إلى اللحد.

1- سورة آل عمران الآية 61

«أمّا بَعدُ، يا أهلَ الكوفة! يا أهلَ الخَتْل والغَدْر».

الخَتْلُ: الغَدْر (1)، وقال البعض: هو الخُدْعَة عن غَفلة (2). وفي نسخة: «والخَتْر»: وهو شِبْه الغَدْر (3)، لكنّه أقبَح انواع الغَدْر (4)

لقـد كانتْ لِهذه الكلمات أشَدُّ الأثَر في نُفوسِ أهل الكوفة، فإنّها قد أوجَدَتْ فيهم اليَقظة والوعي بصورة عجيبة، حتّى شَ عُروا أنّ ضـمائرهم بَدَأتْ تُؤنّبُهم، و أنّ وجدانَهم صارَ يُوبّخُهم على جَرائمهم الفَجيعة وجِناياتهم العظيمة.

فقد ذكّرتْهم كلماتُ السيّدة زينب (عليها السلام) بِماضيهم المُخْزي وتاريخهم الأسود، حيثُ صَدَرَ منهم الغَدْر مَرّات عديدة، فَمِنها:

1 – في يوم صِفّين عند تَحْكيم الحَكَمين، غَدَرَ أهلُ الكوفة بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

1- الخاتِل: الغادِر. أقرب الموارد للشرتوني

2- المُعْجَم الوَسيط. وقالَ ابنُ عبّاد – في «المحيط» – الخَتْلُ: الخُدْعةُ عن غَفْلة

3- كتاب «العين» للخليل بن أحمد

4- كما في كتاب «القاموس» للفيروز آبادي

الذي كان الحقّ يَتَجَسّدُ فيه باكمَل وَجْه، وخَذَلوه بتلك الكيفيّة المُؤلِمَة!

2 – وحينَما قُتِلَ الإمام أميرُ المؤمنين تَهافَتَ أهلُ الكوفة على مُبايَعة إبنه الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام). وعندما خَرجَ مُعاوية لِحرب الإمام الحسن، خَذَلَه أهلُ الكوفة وقَعَدوا عن نُصْرته غَدْراً مِنْهم، فَخَلا الجوّ لمعاوية وفَعَلَ ما فَعَل، وضَربَ الرقم القِياسي في الجريمة واللُؤم!

3– وبعدَ موت معاوية أرسَلَ أهلُ الكوفة إثنَي عشَر ألف رسالة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) أيّامَ إقامَته في مكّة، يَطلُبون منه التَوجّه إلى العراق لِيُنْقِذَهم مِن الإستعمار الأموي الغاشِم. وضَمّنوا رَسائلَهم الايمان المُغَلّظة، والعُهُود المُؤكّدة .. لِنُصْرة الإمام والدِفاع عنه بأموالهم وأنفسهم.

فبَعَثَ إليهم سَفيرَة مُسلم بنَ عقيل، فبايَعه الآلاف مِن أهل الكوفة، ثمّ تَفَرّقوا عنه وغَدَروا به، وفَسَحوا المَجال للدَعيّ بن الدَعيّ: عُبيد الله بن زياد أنْ يُلقي القَبض على مُسلم بن عقيل ويَقتُله، واجتمَع أطفالُ الكوفة وشَدُّوا حَبْلاً بِرِجُل مُسلم، وجَعَلُوا يَسحَبونَ جُثمانَه الطاهِر في أسواق الكوفة .. بِمَرای مِن الناس!!!

4 – وحينَما لَبّى الإمامُ الحسين (عليه السلام) رَسائلَ أهل الكوفة وجاءَ إلى العراق، ووَصَل إلى أرض كربلاء، ومعه عائلتُه والصّفْوة الطيّبة مِن رجال أهل بيته، خَرج أهلُ الكوفة، وقَتَلوا جميعَ مَن كان مع الإمام، وأخيراً .. قَتَلوا الإمام الحسين عطشاناً وبتلك الكيفيّة المُقْرِحة للقلوب، ثمّ أحرَقوا خِيام الإمام، وأَسروا عائلتَه ونِساءَه وأطفالَه، وقَطعوا الرؤوس مِن الابدان ورَفَعوها على رَؤوس الرماح، وجاءوا بها مِن كربلاء إلى الكوفة.

هذا هو المَلَف الأسود، المَليء بالغَدْر والخيانة.

فحينَما نَظرتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) إلى دُموع أهلِ الكوفة، وسَمعَتْ أصوات بُكائهم لم تَنْخَدع بهذه المَظاهر الجَوْفاء، بل وَجّهتْ خِطابَها إلى جميع الحاضرين هناك، ولَعلّها كانتْ تَقصُدُ بِكلامها الّذين إشتركوا في جريمة فاجعة كربلاء.. بشكلٍ أو بآخَر، ولم تَقصُد كلَّ مَن كان حاضِراً وسامعاً لخِطابها:

«أتَبْكُونَ؟!»

إعتَبرت السيّدة زينب (عليها السلام) بُكاءَهم – لَدى المُقايسَة مع ما قاموا به مِن الجرائم – نوعاً مِن النِفاق والتلَوّن المُشين، فإنّ رِجالَهم هُم الّذين باشَروا الجريمة – وهي مَجْزَرة كربلاء الدامية – ونساءَهم هُنّ اللواتي قُمْنَ بتربية

أولئك الرجال .. على الغَدْر، وهاهم يبكون!!

يبكون وهم يُشاهـدون تلك الرؤوس المُقدّسـة على رؤوس الرماح، ويُشاهـدون حَفيدات الرسالة وبَنات الإمامة على النِياق .. بتلك الحالة المُقْرِحة للقلوب!

مِن الطبيعي أنْ يَبْكي كلّ مَن يُشاهِدُ هذه المَشاهِد، ولكن ..

ماهي فائدة هذا البكاء؟!

ولماذا عَدَم القيام بتغيير أنفسهم؟!

لماذا عدَم بِناء نُفوسهم ونَفسيّاتهم؟!

لماذا عَدَم الهجوم على مَن أصدَر الأوامر وهو الطاغية ابن زياد وحاشِيته الفاسِدة؟!

إنّ الحـاكم الطـاغي لاـ يَسـتطيع الظُلْم والتعـدّي إلّا مع وجود الأرضـيّة المُساعِـدة والأجواء المُلائمـة للظلم والطغيان. والناس – بِنِفاقِهم وخِذْلانهم لآل الرسول الكريم – هم الّذين مَهّدوا للظالمين القيامَ بتلك الف الفاجعة المُروّعة!

وهذا درس لِكلّ مُجتَمَعٍ يؤمن بالله واليوم الآخِر، ويُريد أن يَعيش في ظلّ حكومة عادِلة.

ص: 294

«فلا رَقأت الدَمْعة، ولا هَدأتْ الرَنّة»

رَقأتْ الدَمْعة: سَكنتْ (1) أو إنقطعتْ بعد جَرَيانها وجَفَتْ. الرَنّةُ: الصوتُ الحَزين عند البُكاء.

لمّا رأتْ السيّدة زينب (عليها السلام) ذلك البُكاء الذي كلّه نِفاق .. دَعَتْ عليهم، ومِن ذلك القلب المُلْتَهِب بالمَصائب والأحزان، دَعَتْ أن تَمُرّ عليهم ظروف وأحوال تَجعَل بُكاءَهم مُتَواصِلاً ودُموعَهم مُستمرّة في الجَريان، لاتَهْدأ ولا تَنْقَطع، ولا تَهْدأ رَنّتهم، أي: بُكاءَهم المَصْحُوب بالنحيب والعَويل، بعد أنْ قاموا بتلك الأعمال الإجراميّة.

وهنا.. نُقطة مُهمّة يَجِب أن لا نَغْفَل عنها، وهي:

رَغم أنّ في أغلب المُجتَمعات يوجدُ الاخيار والاشرار، والطيّبون وغيرهم، ومدينة الكوفة كانت كذلك إلّا أن الطابع العام عليهم في ذلك اليوم كان هو التلوّن كل يوم بِلَون، والغَدْر، وقِلّة الإلتزام بالأُسس الدينيّة.

مِن هنا .. فإذا جاءَهم حاكمُ طاغ، وعَرَفَ منهم هذه الطبائع والصِفات المَذمومة يَسهُل عليه التَسلّط عليهم واتّخاذهم مُساعدينَ وأعواناً له في تحقيق أهدافه الإجراميّة

1- كتاب الصِحاح للجوهري

الفاسِدة.

وهم – أيضاً – يَتَسارعون إلى التجاوب والتَعاطف معه، غير مُبالين بنتائج ذلك.

وعلاجُ هذا المجتمع هو التكلّم معَهم بكلّ صراحة، وبالكلام اللاذع، فالمَلَفُّ الاسود لأهل الكوفة كان يَقتضي أنْ تُواجِهَهُمُ السيّدة زينب (عليها السلام) بهذه الشِدّة وبأعلى درَجات التَوبيخ والشَجْب والمُؤاخَذة إزاءَ ما اقتَرفوه مِن جرائم مُتتالية، كلُّ واحدةٍ منها تَهتزّ منها الجبال.

نعم .. لم يكن يَنفَع مَعَهم – يومذاك – إلّا هذا الأُسلوب مِن الكلام اللاذع، فلم تَعُد النصائح والمواعظ تُؤثّر فيهم!

والسيّدة زينب – بملاحظة أنّها إمرأة (1)، وأنّها بنت الإمام أمير المؤمنين – كانت لها القُدرة على التَعنيف في الكلام مع الناس، ولإمتلاكها القُدرة العَظيمة على البيان والخطابة، فقد كانت مُؤهّلة للقيام بهذا الدور الكبير، لإيقاظ بعضَ تلك الضمائر المَيّتة مِن سُباتها

1- لا يُسمَح بمؤاخَذتها ولا يُمكن للمجرمين قَتْلُها بسهولة لوجود صِيانةٍ خاصّةٍ لكلّ امرأة في العَرَب. المُحقّق

العَميق.

ولا نَعلَم – بالضبط – كيفيّة إلقائها للخُطبة مِن ناحية درجة الحماس والحرارة، ولكنّنا نَعلَم أنّها وَرَثَتْ الخِطابة مِن جدّها رسول الله إمام الفَصاحة، ومِن والدها: إمام نَهج البلاغة!!

«إِنّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَل الّتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ أنكاثاً»

شَبّهَتْ السيّدةُ زينب أهلَ الكوفة بالمَراةِ الّتي نَقَضَتْ غَزْلَها، وهذا التَشْبيه مُسْتَقى مِن القرآن الكريم – ويا لَه مِن مُستَوى رفيع في البلاغة والأدَب الراقي – وإليك بعض التوضيح:

قال الله تعالى – في القرآن الكريم –: «ولا تكُونوا كالّتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ انْكاثا تَتّخِذونَ أيْمَانَكُم دَخَلاً بينَكم». (1)

وقد جاء في كُتُب تفسير القرآن الكريم أنّ امرأةً حَمْقاء مِن قريش، تُسمّى ب– «ريطة بنت عمرو بن كعب» (2) كانت تَغْزِل –

1– سورة النحل، الآية 92

2– ولعلّ إسمَها: زِيطة! لكي يَتَطابق الإسمُ مع المُسمّى. المحقّق

مع جَواريها – الصُوفَ والشَّعْر – مِن الصّباح إلى نصف النهار – وتَصنَع بذلك خُيوطاً جاهِزة للنَسيج، ثمّ تامُرُهُنّ أن يَنقُضْنَ ما غَزَلْنَ طوالَ هذا الوقت، ولا يَزالُ دابُها ذلك. (1)

«مِن بعد قُوّة» أي: كانت تَنكُثُ غَزلَها مِن بعد إحكام وإتْقان وإستِحكام وفَتْل للغَزْل، فى المرّة الأُولى وكانّها تُريد أن تَصنَع مِن ذلك الَغزل أقمشة. فبَعد النكْث والنَقْض كان يَفقُد الصوف مُعظم قُوّته.

«انكاثاً» جَمْع نكث، وهو الصوف والشَعْر، يُبْرَم – ويُعمَل منه الخيوط – ثمّ يُنْكَث: أي: يُنقَض ويُفَل لِيُغْزَل مرّةً ثانية.

وقد شَبّه اللهُ تعالى ناقِضَ العَهْد بتلك المرأة الّتى نَقَضَتْ غَزلَها مِن بَعْد قُوّة وإتقان.

«تَتّخِذُون أيْمانكم دَخَلاً بينكم»

أيْمان – جَمْع يَمين – : وهو القَسَم والحَلْف.

الدَخْل: المَكْر والخِيانة.

أي: كانوا يَحلِفون بالوَفاء بالعَهْد، ويُضْمرونَ في أنفسهم الخِيانة. وكان الناسُ يَطمَئنونَ إلى عَهْدهم ..

1- «والجُنونُ فُنون». المحقّق

لكنّ أولئك كانوا يَنقضون العَهْد.

وبعد هذا التمهيد .. نَقول: لقد شَبّهت السيّدة زينب (عليها السلام) أهلَ الكوفة بتلك المرأة الحَمْقاء، مِن ناحية عدم الوَفاء بعُهَودهم ونَقْضِهم لها. بسبب صِفة الغَدْر المُتجَذِّرة في نَفسيّاتهم اللَئيمة، البَعيدة عن الإنسانيّة، وعن التفكير في نتائج الأُمور ومُضاعَفاتها.

«ألا وهَلْ فيكُم إلّا الصّلِفُ النَّطِفْ»

الصَلِف: صَلِفَ الرجلُ: تَمَدّح بما ليسَ عنده إعجاباً بنفسه وتكبّراً (1)

ويُقال: أصلَفتُ الرجلَ إذا أبغَضتُه ومَقَتّه، ويُعبّر عن البَخيل – أيضاً – بهذه الكلمة. (2)

هذا ما ذكره عُلماءُ اللُغة، ولكنَّ الّذي يَتبادر إلى الذِهْن – مِن كلمة الصّلِف: هو الوَقِح، ولا مانع مِن تفسير الكلمة بهذا المعنى.. فبُكاؤهم بعد ارتكابهم تلك الجرائم يَدلّ على شِدّة وِقاحَتهم وقِلّة حَيائهم.

1- كما في كتاب (أقرب الموارد) للشرتوني

2- كما في كتاب (المحيط في اللغة) للصاحب بن عَبّاد

النَطِف: المُتَلَطّخ بالعَيب. (1)

«والصَدْرُ الشَنِف»

الشَّنَفُ: شِدّة البُغْض (2). والشَّنِفُ: المُبغِض. (3) والمعنى: الصَدر الذي يَحتوي على شِدّة البُغْض والعِداء لأهل البيت (عليهم السلام).

«ومَلَقُ الإماء»

المَلَق – بفتْح اللام – الوُدّ واللُطف، وأنْ تُعطي باللسان ما ليسَ في القَلب والفِعْل (4).

والمعنى: أنّكم مُجتَمَع لِلصفات الرذيلة، ففيكم حالةُ التَمَلُّق والتَذلُّل لِمَن لا يستحقّ ذلك مِن الحُكّام الخَوَنَة أمثال: يزيد وابن زياد اللَئيمَين، وحاشِيَتهما القَذِرة، فكما أنّ الإماء – جَمْع أمَة – : وهي العَبْدة. يَتَملّقْنَ إلى المالك لِجَلْب مَودّته، ويُعطينَه باللسان مِن الوُدّ

1- كما في كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، و «الصِحاح» للجَوهري

2- كتاب «العين» للخليل بن أحمد، والمحيط في اللغة لابن عبّاد

3- المُنجد في اللغة

4- القاموس المحيط، للفيروز آبادي

والمَشاعِر ماليسَ في قُلوبِهِنّ، بل يُفكرنَ في مَصالحهنّ حتّى لو استوجَبَ ذلك لَهُنّ التَذلّل والتَمَلّق والخُضوع لِمَن ليسَ أهلاً لذلك، أنتُمْ – يا أهل الكوفة! – كذلك تَتَمَلّقُون إلى حُكامِكم.. مِن مُنْطلَق المصالح، لا الإخلاص والوفاء!

«وغَمْزُ الأعداء»

الغَمْز: الإشارة بالجِفْن والحاجِب (1) ولعلّ السيّدة زينب (عليها السلام) تَقْصُد مِن هذه الكلمة: أنكم يا أهلَ الكوفة أنتُم غَمْز الاعداء، أي: إنّ الاعداء (وهم: ابنُ زياد وحاشيَتُه) يَنْظرون إليكم مِن جانب عيونهم غَمْزاً.. ويَتعامَلون مَعَكم بِمُنْتَهى التَحقير والإذْلال، فلا كرامةَ لكم عندهم، بل يُريدونكم عَبيداً وخَدَماً وجُسوراً للوصول إلى أهدافهم .. مِن دون أن يُكنّوا إليكم أيّة مَحبّة أو تَقدير أو إحترام. فيُعتبر هذا الكلام – مِن السيّدة زينب – تَنبيهاً لاهل الكوفة على مَدى فُقْدان عِزّة النَفس لَديهم، حيث جعَلوا أنفسَهم ادوات طيّعَة وذَليلة بِيَد أفراد لُؤَماء، وهم ناسِين للكرامَة التي أرادَها الله تعالى للبَشَر.

إنّنا نَرى – في زماننا هذا – أن المُوظّفين المُتكبّرين

1- كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

لا يَرفعون رُؤوسَهم لِيَستمعوا إلى ما يَقولُه المُراجِع لَهم، بل يَنظرون إليه بجانب عيونهم تَحقيراً وإذلالاً لَه!!

وهكذا كانتْ نَظرة الحُكّام إلى أعوانهم والمُتعاطفين مَعَهم.

ثمّ ذكرتْ السيّدة زينب (عليها السلام) مِثالاً آخَرَ لِبَيان حَقيقة أهل الكوفة والكَشْف عن واقعهم، وأنّ ظاهِرَهم يَخْتَلِف - تَماماً - عن باطنهم، وأنّ ما يَقولونه بالسنتهم يَختَلِف عن نفسيّاتهم، فشَبّهَتْهُم بالأعشاب الّتي تَنْبُتُ وتَنْمو في أماكن وَسِخَة وغير صِحيّة، فقالت (عليها السلام):

«أو كمَرْعى على دِمْنة»

المَرْعى: مَحلّ العِشْب الذي يَسْرحُ فيه القَطيع.

الدِمْنة: المَحلّ الذي تَتَراكم فيه أرواثُ الحيوانات وأبوالَها وتَختَلِطُ مع التُراب في مَرابِضهم، فتَتَلَبّد وتَتَماسَك الأوساخ المُتكوّنة مِن الرُوثْ والبَول والتُراب، ثمّ - بسَبَب الرُطوبة الموجودة - يَنْبُتُ هناك نَباتٌ أخضَر، جَميل المَنظر واللّون، ولكنّ الجُذور نابتة في مَكان وسِخ مَليىء بالجَراثيم والميكروبات! (1)

1- ذُكرَ هذا المعنى في أكثر كتُب اللُغة بِعِبارات مُختلفة والمَضمون واحِد، ونحنُ ذكرْنا ذلك بتَعبيرنا. «المحقّق»

كذلك أهلُ الكوفة كانَ لهم ظاهرٌ حَسَن، وكانتْ لَهم حَضارة عَريقة، لكنّ باطنَهم وواقعَهم كان قَبيحاً يَشْتَمل على الخُبْث والغَدْر، والخيانة والكذب والنِفاق، والجُرأة على الله تعالى، وسَحْق القِيَم والمَفاهيم، وعدم التَخلُّق بالفضائل، والّتي مِن أبرَزِها: الوَفاءُ بالعَهْد، وترجيحُ الدين على كلّ شيء.

هذا .. ونَعودُ لِنُذكّر – مَرَةً أُخرى – أنّه كانَ في الكوفة جَمْعٌ غَفيرٌ مِن المؤمنين الاخيار الطيّبين، لكنَّ الأشرار – بِتعاونهم مع الحُكم الفاسد – كانوا قد شَكّلوا هذه الواجِهة القَبيحَة، وكوّنوا هذه السُمْعَة السَيّئة لجميع أهل البَلَد!!

ثمّ ذكرَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) مِثالاً آخَر فقالتْ:

«أو كفِضّةٍ على مَلْحُودَة»

اللَحْد: القَبْر. المَلْحُودة: الجُثّة المَوْضُوعة في القَبْر.

إذا وُضِعَتْ عَلامة مَصنوعة مِن الفِضّة على قَبْر رَجل مُنحرف دينياً، فسوف يكون ظاهِرُ القَبر جَميلاً، لكنّ الجُثّة الّتي في داخِل القبر جِيفةٌ مُتَعَفّنة. كذلك أهلُ الكوفة كانوا أهلَ التَمَدُّن والحَضارة والثقافة، لكنّهُمْ في

الباطِن كانوا بمَنْزلـة الجِيفَـة، حيث تَجمّعتْ فيهم المَساوىء الأخلاقيّـة، كنَقْض العَهْـد والغَـدر والخيانـة وغيرها، فكوّنَتْ لهم سُوء الملف والسَوابِق المُخْزية.

وفي نسخةٍ: «كقَصّةٍ على مَلحُودة»

والقَصّـة: هي: الجصّ: وهي البُودرة والتُراب المَطبوخ الـذي يُخلَـط مع المـاء فيَصـيرُ طيناً أبيضَ اللون، ويوضَع ذلك الطين ما بين الطابوق ويكون سبباً لِتَماسُك أجزاءِ البِناء (1).

فما فائدةُ ذلك القبر الذي يُجَصّصُ – ليكون جميلَ الظاهِر –، لكنّه يَتَضمّن جُثْماناً نَتِنا لِرَجُلٍ خَبيث أو إمراةٍ مَنْحَرفة؟!!

وقد يُستفاد – مِن بعض كتُب التاريخ – أنّ المُتفرِّجين والمُستَمعين لِخِطاب السيّدة زينب (عليها السلام) إنقَسَموا إلى ثلاثة أقسام:

1 – قُوّات الشُرطة التابِعين لابن زياد.

2 – المُحايدين.

3– الأفراد الّذين تَفاعَلوا مع كلمات خُطبة السيّدة زينب

1– قال الخليل في كتاب «العين» القَصّةُ: لُغةٌ في الجِص. وجاء في القاموس المحيط: «القَصّةُ: الجُصّة»

(عليها السلام) وتأثّروا بكلامِها، وبَدأوا يَبكون!!

كيف لا .. وهم يَسمَعون صوتاً يَشْبَه صوت الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من أبنته الشُجاعة!

ولعلّها كانت تَخطبُ في ساحةٍ كبيرةٍ مِن ساحات مدينة الكوفة، حيث كانتْ تَسْتَوعِبُ أكبّر قَدَرٍ مُمكن مِن الجماهير: المُستمعين والمُتَفَرِّجات، الّذين وَقَفُوا على جانِبَي الطريق، أو على سُطوح دُورهم يَنظرون ويَسْتمعون.

«ألا: ساءَ ما قَدّمَتْ لكم أنفسُكُم أنْ سَخِط اللهُ عليكم وفي العَذاب أنتُمْ خالدون»

هذه الجُملة مُقْتَبَسَة مِن قوله تعالى: «تَرى كثيراً مِنْهُمْ يَتَوَلّون الّذين كفَروا لَبِئسَ ما قَدّمَتْ لَهُم أنفسُهُم أنْ سَخِطَ اللهُ عليهم وفي العَذاب هُمْ خالِدون». (1)

والمعنى: بئسَ ما قَدّموا مِن العَمل لِمَعادهم في الآخرة، أنْ سَخِطَ اللهُ عليهم. والمعنى - هنا - يا أهلَ الكوفة: إنّ أعمالكم قد أوجَبَتْ عليكم غَضَبَ الله وسَخطه، والبقاء الدائم في نار جهنّم.

1- سورة المائدة الآية 80

«أتبْكون وتَنْتَحِبُون»؟!

الإنتحاب: رَفعُ الصوت بالبُكاء الشَديد.

«إي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً

إشارة إلى قوله تعالى: «فَلْيَضحكوا قَليلاً ولْيَبْكُوا كثيراً» (1)، والمعنى : فلْيَضْحَك هؤلاء المُنافقون قليلاً، لأن الضِحك – حتّى لو إستَمرّ – فإنّه يَنْتَهي بِفَناء الدنيا، وهو قَليلٌ لَدى المُقايَسَة مع بُكائهم الدائم في يوم القيامة، لأنّ ذلك: «يوم كانَ مِقدارُهُ خَمسين ألفَ سَنَة» (2) وهُم يَبكون فيه كثيراً.. وباستمرار.

وهذا تهديدٌ وإنذارٌ مِن السيّدة زينب لأهل الكوفة، وليسَ امراً لَهُم بالضِحك، بل أمْر بالتَقليل مِن الضحك، – وتَهديدٌ ضِمْني – أنْ لا مُبَرِّرَ لِضِحكٍ وفَرَح يَتعَقّبه بكاءٌ طويل وعذابٌ مُسْتمّر.

«فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعارها وشَنارها»

يُقال: ذَهَبَ بها: أي إسْتَصْحَبَها. والعارُ: كلُّ شيء

1- سورة التوبة، الآية 82

2- سورة المعارج، الآية 4

يَلْزَم منه عَيبٌ (1) أو كلُّ ما يُعيّرُ به الإنسانُ مِن قَولٍ أو فِعْل، أو يَلزم منه عَيبٌ أو سَبٍّ. (2)

والشَنار: العَيب والعار (3) والأمْر المَشهور بالشَنْعَة. (4)

«ولَن تَرْحَضوها بِغَسْلٍ بَعْدَها أبَدا»

تَرحَضوها: تَغْسلوها.

غَسْلٍ: ما يُغْسَل به، كالماء والمَوادّ المُنظّفة المُزيلة للأوساخ.

قد يَقومُ الإنسانُ بجريمة صغيرة يَستطيع مُحاصَرة مُضاعَفاتها، وقد تكون الجريمة كبيرة جداً تابي أن يُحاصرَ أحَدٌ مُضاعَفاتها وآثارها، أو يَنسِبَ الغَفلة أو السّهْو والإشتباه إلى مُباشِر تلك الجريمة، ويَجعَلُ الإعتذار سَبَباً وطريقاً للعَفو عن ذلك المُجْرم وإغلاق مَلَفّه. فالمعنى: لا يُمكنُ لكم التخلُّص مِن مُضاعَفات هذه الجِناية العُظمى، فقد تَعلّقتْ الجريمةُ بأعناقكم، وسُجّلَتْ

1- القاموس للفيروز آبادي

2- أقرب المَوارد للشَرتوني

3- مَجمَع البَحرين، للطريحي. وكتاب «العين» للخليل بن أحمد

4- أقرب الموارد للشرتوني

في التاريخ .. بحيث لا يُمكن تَغْطيتُها أو إنكارها!! أو ذِكْر توجيهات واهِية وسَخيفَة لهذا الجُرْم العظيم والذَنْب الجَسِيم!

«وأنّى تَرْحَضُون قَتْلَ سَليلٍ خاتم النُبوّة؟»

رَحَضَ: رَحَضَ الثوبَ: غَسَلَه.

أي: كيفَ تَغْسِلونَ عن أنفِسكم، وتَمْحُونَ وتَمْسَحُونَ عن مَلَفّكم هذه الفاجعة العظيمة، وهي قَتْل وَلَد رسولِ الله خاتم الانبياء (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؟!

وبعبارة أُخرى:

كيفَ وبأيّ وَجْهٍ يُمكن لكم أنْ تُبرِّروا قَتْلَ سَليلِ خاتَم النُبوة؟! والسَليل: هو الوَلَد.

كيفَ يُمكن لكم غَسْلَ هذا الذُنب العظيم عن أنفسكم؟!

وهلْ هناك مَجالٌ للإعتذار في ارتكاب جريمةٍ بهذا الحَجْم ومع تِلْكُم الكيفيَّة والمُلْحَقات؟؟!!

«ومَعْدِنِ الرسالة؟ وسيّد شَباب أهلِ الجنّة؟»

إنّ الإمامة: هي إمتداد لِلرسالة، وكما أنّ الرسول يَختاره الله تعالى .. لا الناس، كذلك الإمام والخليفة ..

ص: 308

يَختاره الله تعالى أيضاً .. وليس الناس.

والإمام الحسين (عليه السلام) هو الخليفة الشَرْعي الثالث لِرَسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في أُمّته.

فَلَمْ يَكُن الإمامُ الحسين (عليه السلام) رَجلاً مَجْهولاً خامِلَ الذِكْر، غيرَ مَعروفٍ عند الناس، بل كان مَشْهوراً عند جميع المسلمين بِكلّ ما لِلعَظمَة والجَلالة والقَداسةِ مِن مَعانٍ، وأحاديثُ رسول الله في مَدْحِه والثَناء عليه .. كانتْ مَحفُوظة في ذاكِرة الجميع، وآياتُ القرآن الكريم كانتْ تُمَجِّدُه بِما هو أهلٌ لذلك، ف-«آيةُ التطهير» تَشْهَدُ له بالعِصْمة والطهارَة عن كلّ رِجْس، وآيةُ «إطعامِ الطعام» تُنْبِيءُ، عن نَفسيّته الّتي بَلَغَت القِمّة في الإخلاص وحُبّ الخَير للآخَرين، و «آيةُ القُربى» جَعَلتْ إظهارَ المَحبّة ومَشاعِرَ الوُدّ لَه أجْراً لِبَعض أتعاب الرسول الكريم، و «آيةُ المُباهَلَة»، أعلنَتْ أنّه الإبنُ المُميّز للرسول الأقدس (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأنّه واحِدٌ مِن «أهل البيت» الّذين بِدُعائهم يُغيّرُ الله تعالى المَوازينَ الكونيّة.

وأحاديث النبي العظيم حولَ مَكانَته ومَنْزلةِ أخيه الإمام الحسَن .. كانتْ أشهر مِن الشّمس في رائعة النَهار، كقوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : «الحسنُ والحسينُ سَيّدا شَباب أهل الجَنّة» ، «الحسنُ والحسين إمامان .. إنْ

قاما وإنْ قَعَدا» «حسينٌ منّي وأنا مِن حسين، أحَبّ اللّهُ مَنْ أحَبّ حُسَيناً». (1)

وكانت هذه الأحاديث وأمثالها قد مَلأَتْ آذانَ صَحابة الرسول وتابعيهم.. المُنْتَشِرين في كلّ البلاد.. وخاصةً الكوفة.

فَجَريمـةُ قَتْلِ الإمام الحسـين لا يُمْكن أن تُقاس بجَريمـة قَتْل غَيرِه مِن الأبْرياء، لأنّ المَقتول – هُنا – عظيمٌ فوقَ كلِّ ما يُتَصوّر، فيكونُ حَجَمُ جَريمة قَتْله أكبر وأعظم مِن جَريمَة قَتْل أيّ بَريء، فلا يُمكن لأهل الكوفة أن يَغْسِلوا عن أنفسِهم هذه الجَريمة الكُبرى.

ثمّ استمرَّتْ السيّدةُ زينب بذِكْر سِلْسلة مِن جَوانب العَظمة المُتَجَمّعَة في أخيها سيّد الشُهداء الإمام الحسين (عليه السلام) لِتُبيّن – للناس – حَجْم الخَسارة الفادِحة، ومُضاعَفات هذا الفراغ الذي حَصَل في كيانِ الأُمّة الإسـلاميّة، وهو قَتْلُ الإمامِ المُنْتَخَب مِن عند الله تعالى لِهداية البَشر، فقالتْ (عليها السلام):

«ومَلاذِ خِيَرتكم»

المَلاذ: المَلْجا، والحِصْن الأمِن الذي يُحْتَمى به

1- كتاب «بحار الأنوار» ج 43، ص 261

ويُلْجَا إليه في الشَدائد.

خِيَرتِكم: المُؤمنين الأبرار، المُتَفَوّقين في دَرَجة إيمانهم بالله تعالى، وفي جَوانبهم الأخلاقيّة والإيمانيّة كالتَقْوى، والعقيدة الراسخة، وحِماية وحِراسة الدين، وتَقديم الدين عَلى كلّ مَصْلحة .. مادّيّة كانت أو غيرها!!

«ومَفْزَعِ نازِلَتِكم»

المَفْزَع: مَن يُفزَعُ إليه، ويُلْتجا إليه.

النازلة: الشَديدة مِن شَدائد الدَهْر .. تَنْزِلُ بالقوم (1) وقيل: النازلة: هي المُصيبة الشديدة. (2)

«ومَنارَ حُجّتِكم»

المَنارُ: مَحَلٌّ إشعاع النُور. والحُجّةُ: الدليل والبُرهان للإستدلال على حَقيقة شيء.

المَنار: مَحَلّ على سَطح الدار، كان الإنسان الكريم يُشعِلُ النارَ فيه لَيلاً لِيُعْلنَ للناس أنّ هُنا مَحَلاً للضِيافة، فيَسْتَدلُ بِنُور تلك النار التائهون عن الطريق، أو المُسافرون الّذين وَصَلوا إلى البَلَد لِتَوّهِم، وهُم يَبْحَثون عن مَأوى

1- كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

2- المُعْجَم الوسيط

يَلْجَأون إليه حتّى يَحينَ الصَباح.

وتُطلَقُ هـذه الكلمـة – حاليّاً – على الاضواء الكَشّافـة القَويّـة في دَرجـة الإضاءة الّتي توضَع على أبْراجِ المُراقَبة في مَطارات العالَم، لإرشاد الطائرات إلى مَحلّ المطار، وخاصّةً في الليالي الّتي يُخيّم الضَبابُ على سَماء المدينة.

لقـد جَعَـلَ اللهُ تعالى الإمامَ الحسـين (عليه السـلام) مِصْـباحَ الهُـدى، يُنيرُ الـدَرب لِكلِّ تائه أو مُتَحيّر، ولكنّ الناس تَجمّعوا عليه وكسّـروا المِصـباح، وهـم غير مُبـالين بمـا يَنْتُـج عن ذلـك مِن مُضاعَفـات، ففي الظلاـم تَقَع حوادثُ السّـرقة والسّـطو على المَنازِل والبيوت، وجَرائم الإغتصاب والقَتْل، والضياع عن الطريق، والسُقوط في الحَفائر، وغير ذلك.

أمّا معَ وجود المِصْباح فلا تَحدُثُ هذه الجرائم والمَآسي.

ولـم يكن الإمام الحسـين مَناراً مادياً فقط.. بل كان مَناراً لِمَن يَبحثُ عن الحقيقة، ويَسال عن الدين، ويُريدُ الحُصول على رَدّ الشُـبُهات، وما يَتبادر إلى بعض الأذهان مِن تَشْكيكات. ولذلك فقد عَبّرتْ السيّدة زينب عن الإمام الحسين ب–«مَنار حُجّتكم».

«ومدرَةِ سَنَتكم»

السَنةُ: العامُ القَحط (1)، وقيل: السَنَة المُجْدَبة (2) وقيل: غَلَبَ إطلاقُ كلمة «السّنَة» على القَحْط، مِثْل ما غَلَبَ إطلاق كلمة «الدابّة» على الفَرَس (3).

هذا هو معنى السَنَة.

ولمْ أعْثَرْ – في المعاني الّتي ذُكِرَتْ في كتُب اللُغـة مَعنىً لِكلمة «مدرة» – يَتناسَبَ مع كلمة «سّنَتكم»، ويُحتَمل أن يكون تَصّحيفاً لِكلمة «ومَدَدِ» أي: مَن يُزوّدكم بالمُؤَن المادّية في سّنَوات القَحْط والجَذْب، ويُخلّصكم مِن المَجاعَة والموت. أو يُزوّدكم بالأدلّة المَعنويّة حينما تَحْتارون في قَضاياكم الدينيّة، ومَشاكلكم العائليّة، وتَتلاعَبُ بأفكاركم التَشّكيكات والأفكار المُنْحَرفة أو المُسّتَحْدَثة، فتَعيشُون في ضَياع.. لا تُفرّقون بين السُنّة والبِدْعَة، وبين القول الحقّ والأقوال الباطلة المَصْبوغة بِصِبْغة الدين!

ثمّ زادَتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) مِن دَرَجة تَوْبيخ

1- كتاب «العين» للخليل بن أحمد

2- لسان العَرَب، لابن منظور

3- أقرب المَوارد للشرتوني، مع تَصرّف في بعض الالفاظ

الناس، مُحاوَلـةً منها لإيقاظ تلك الضّـمائر، ولِتُعْلِنَ لَهم أنّهم سَوفَ لا يَصِـلُون إلى أيّ هَـدَفٍ تَحرّكوا مِن أجْلِه فقاموا بهذه الجَريمة النَكْراء. فقالت:

«ألا ساءَ ما تَزِرُون»

أي: بِئسَ ما حَمَلْتُمْ على ظُهوركم مِن الذنوب والجرائم، فهي مِن نوعٍ لا يُبقي أيّ مَجالٍ لِشُمُول غُفرانِ الله وعَفْوه.. لكم.

«وبُعْداً لكم وسُحْقاً»

بُعْداً: أي: أبعَدَكم الله تعالى .. بُعْداً عن رَحْمَته وغُفْرانه.

سُحْقاً: هَلاكاً وبُعْداً، يُقال: سَحِقَ سُحقاً: أي: بَعُدَ أشَدَّ البُعْد. (1)

«فَلَقَد خابَ السَعيُ، وتَبّتِ الايدي»

خابَ: لم يَنَلْ ما طَلِبَ، أو إنقطعَ رَجاؤه. (2)

1- المُعْجَم الوَسـيط. وقال الخليل في كتاب «العَين»: السّـحْق: البُعْـد. ولُغَةُ أهل الحِجاز: بُعْدٌ لَهُ وسُـحق، يَجْعَلونَه إسْـماً، والنَصْبُ على الدُّعاء عليه، أي: أبعَدَهُ اللهُ وأسْحَقَه

2- مُعجَم لاروس

تَبّت الأيدي، التَبُّ: الخُسْران والهَلاك (1) وقيل: القَطْع والبَتْر.

«وخَسِرَتْ الصَفْقَة»

الصّفقة: مُعامَلة البَيع أو أيّة مُعاملة أُخرى. والمعنى أنّكم - يا أهل الكوفة - خَسِرْتُمْ المُعاملة، مُعاملة بَيع الدين والآخِرة في قِبال الدُنيا، فمِن الجُنون أن يَبيعَ الإنسانُ ذلك في قِبال عَذابٍ مُسْتَمر مَزيج بالإهانة والتَحْقير، وبِثَمَن قَتْل إبنِ رسول الله، كلُّ ذلك وهو يَدّعي أنه مُسْلم!!

ولعلَّ المعنى: أنّكم بِعتُم الحياة في ظلّ حكومة الإمام الحسين (عليه السلام) بالحياة في ظلّ سُلْطة يزيد، وذَهَبْتُم إلى حرب الإمام الحسين لِتُحافظوا على كرسيّ يزيد مِن الإهتزاز، ولكنّ مُعامَلتكم هذه.. خاسِرة، فسوفَ لا تَتَهَنّؤون في ظلّ حكومته، فلا كرامة ولا أمان ولا مُستقبل زاهِر!!

إن الدين والإنضواء تحتَ لواء مَن اختاره الله تعالى هو الّذي يوفّر للإنسان الحياة السَعيدة والعِزّة والكرامة.

أمّا الإعراضُ عن ذلك فسوف يَجُرّ الوَيلات لكم،

1- كتاب «العَين» للخليل، ومَجْمَع البَحرين للطُريحي

فتَتَوالى عليكم حكومات جائرة، فتَعيشون حياةً مَمْزوجة بالتعاسة والـذُلّ، الشامِل لجميع جوانب حياتكم الدينيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والأمنيّة وغيرها.

وهنا أدمَجَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) كلامَها بالقرآن الكريم واسْتَلْهَمَتْ منهُ ذلك فقالتْ:

«وبُوْتُم بِغَضَبٍ مِن الله، وضُرِبَتْ عليكمُ الذلّة والمَسكنَة».

قال تعالى: «وضُربتْ عليهِمُ الذِلّةُ والمَسْكَنَة، وباؤا بغَضَبٍ مِن الله ... ». (1)

«وبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِن الله» أي رَجَعْتُم وقد احتَمَلْتُمْ مَعكم غَضباً مِن الله تعالى، وسوفُ يُسَبِّب لكم هذا الغَضبُ العقابَ الأليم والبُعْد عن رَحْمة الله وغُفرانه، بِكلّ تاكيد.

وإنّ الجريمة .. مهما كانَ حَجْمُها أكبر فَسوف يكون غَضَبُ الله أشَدّ، وبالتالي يكون العذابُ أكثرُ إيلاماً وأشدُّ إهانةً وتَحقيراً، ويكون بُعْدُ المُجْرم عن عَفْو الله وغفرانه اكثرَ مَسافة!

1- سورة البقرة، الآية 61

«وُضربَتْ عليكم الذِلّة والمَسْكنة»

ضُربَتْ: أي كُتبَتْ. فلقد كَتَب الله تعالى لكم الذُلّ، وقَدّر لكم المَسْكَنَة، بِسَبَبِ كُفرانكم بنعمة وجود الإمام الحسين (عليه السلام) والغَدْر به.

الذلّة والذُلّ: يَعنى الهَوان، وهو العذاب النّفْسي المُستمر، بسَبب الشعور بالحِقارة والنّقص والخوف مِن إعتداء الآخَرين!

المَسْكنة: الفَقْر الشَديد والبُؤس والتعاسَة.

ثمّ بَدأتْ السيّدة زينب (عليها السلام) بِوَضْع النقاط على الحروف، وذلك بالتحدُّث عن الأبعاد الأخُرى لِحَجْم هذه الجريمة – أو الجرائم – النكْراء فقالتْ:

«ويلكم يا أهلَ الكوفة! أتَدْرون أيَّ كبِدٍ لِرَسولِ الله فَرَيْتُم».

الكَبِد: كنايةٌ عن الوَلَد، وقد رُويَ عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال: «أولادُنا أكبادُنا ... ». (1)

فَرَيتُم: الفَرْي: تَقْطيع اللَحم.

لقد شَبّهتْ السيّدةُ زينب الإمامَ الحسين بكبِد رسول الله،

1- كتاب «بحار الأنوار» ج 104، ص 97

وشّبّهتْ جَريمة قَتْل الإمام بِقَطع كبِد الرسول الكريم، وكم يَحمَل هذا التَشبيه في طيّاتِه مِن مَعانٍ بَلاغيّة، وحَقائق روحانيّة، إذْ مِن الثابت أنّ مَكانة الكبد في الجسم لها غاية الأهميّة.

فكم يَبْلُغ الإنحراف بمَن يَدّعي أنّه مُسلم أن يَقتُل إماماً هو بمَنزلة الكبِد مِن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؟

«وأيَّ كريمةٍ لَهُ أبْرَزْتُم؟!»

كريمـةُ الرجُل: إبنتُه، فالسـيّدة زينب (عليها السـلام) بنت السـيّدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) فهي -إذنْ- حَفيـدةُ الرسول الكريم، والحفيـدة تُعتبر بِنتاً للرجل، وقد كانَ النبيُّ الكريم يُعبّر عن السـيّدة زينب - مُنذُ الأيام الأُولى مِن ولادتها - بكلمة «بِنْتي».

وكانتْ هذه البنت المُكرَّمة المُحترَمة تَعيشُ في دارها خَلْف سِتار الحِجاب والعَفاف وتُحافظ على حِجابها أكثر من مُحافظتها على حَياتها، ولكنّ أهلَ الكوفة هَجَموا على خِدرها وخِيامها، وسَلَبوا حِجابَها، ثمّ أسَروها وأبْرَزوها إلى المَلأ العام! وكانتْ هذه المُصيبة أشدّ مِن جميع المصائب وَقْعاً على قلبها.. بعد مصيبة مَقتل أخيها الإمام الحسين (عليه السلام).

أيّها القارىء الكريم .. تَوَقّف قليلاً لِتُفكّر وتَعرفَ عِظَم الفاجعة: إذا كان سَلْبُ الحِجاب عن إمرأةٍ مؤمنةٍ عَفيفةٍ عاديّة أصعبَ عليها مِن ضَرْبِها بالسَكاكين على جِسْمها .. فما بالُك بِسلْب الحِجاب عن سَيّدة المُحَجّبات وفَخْر المُخَدّرات: زينب الكبرى عليها السلام؟!

فهذه الجريمة – لِوَحْدِها – تُعتبر مِن أعظم الجرائم الّتي ارتكبَها أهلُ الكوفة تِجاه بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)!!

فكلُّ ضميرٍ حُرّ لا يُمْكن لَه أنْ يَنسى هذه الجريمة!!

ولم تَقتَصِر هذه المصيبة على السيّدة زينب (عليها السلام) بل شَملتْ أخواتها الطاهرات مِن آل رسول الله، والنِسْوة اللواتي كُنّ مَعَها في قَيْدِ الأسْر.

«وأيّ دَمٍ لَهُ سَفكتُمْ»

أتعلمون – يا أهلَ الكوفة – أيّ دَمٍ لِرسول الله سفكتُم!!

لقد اعتَبَرت السيّدةُ زينب (عليها السلام) الدمَ الذي سُفِك مِن الإمام الحسين – يومَ عاشوراء – هو دم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إذ مِن الثابت أنّ الدم الذي كان يَجري في عُروق الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكنْ كدِماء سائر الناس، لأنّ الإمام الحسين لم يكن رجلاً عاديّاً كبقيّة البَشَر،

فكلَّ قطرةٍ مِن دَمِه الطاهر كان جُزءاً مِن دم رسول الله، فالإمام الحسين: هو مِن «أهل البيت»، وأهلُ البيت: كُتْلَة واحدة، وقد صَرّح النبي الكريم بهذا المعنى يومَ قال: «اللهمّ: إنّ هؤلاء أهلُ بَيتي وخاصّتي وحامّتي، لَحْمُهُمْ لَحْمي ودمُهُم دَمي، يؤلِمُني ما يؤلمُهم ويُحزُنني مايُحزنهم، أنا سِلْمٌ لِمَن سالمَهُم، وحَربٌ لِمَن حاربَهم ... إنّهُمْ مِنّي وأنا مِنْهم ...» (1)

فالّذين أراقوا دمَ الإمام الحسين هُم – في الواقع – قد أراقوا دمَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهم يدّعون أنّهم مُسْلمون!!

«وأيَّ حُرْمة لَهُ هَتَكْتُمْ»

حُرْمة الرجُل: ما لا يَحلّ إنتهاكُه، وحَرَمَ الرّجُل أهلِه. (2)

1- جاء ذلك في الحديث المشهور ب- «حديث الكساء» المرويّ في كتاب العَوالِم، للمُحدّث الكبير الشيخ عبدالله البَحْراني ج 2 ص 930، والحديث مَرويّ عن الشيخ الكُليني باسناده المُعْتَبَرة عن الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري، عن السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

2- المُعْجَم الوَسيط

وهَتْكُ الحُرمـة: يَعني إهانـة كرامـة رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) في قَتْل إبنِه الحسـين وسَبي كريماته وبَناته، والهُجُوم عليهنّ في خِيامهنّ. بكلِّ وَحْشيّة!

وأيَّ إهانةٍ اكبر مِن هذه الإهانة؟!

لقد كانتْ المرأة تَمتاز في الإسـلام بِصِيانَة مُعيّنة، وكانَ كلُّ مَن يُهينُها يَسـتحقّ الذَم واللَوم مِن الجميع، ولكنّ أهلَ الكوفة – وبأمْرٍ مِن يزيد الطاغية وابن زياد اللّعين – قاموا بأبشَع انواع الجرائم في مَجال إهانة رسول الله و إهدار كرامته!!

ولذلك نَقرأ في كتاب واحدٍ مِن أبرز عُلماء أهل السُّنّة هذا الكلام: «إذا دافَعْنا عن يزيد، واعتَذرْنا له في قَتْله الإمامَ الحسـين بأنّه كانَ يَرى مِنه مُنافِسَاً لَه في الخِلافة، فبِماذا وكيف نَعتَذرُ لَه في سَبْيه لِبَنات رسول الله وأسْرهنّ بتلك الكيفيّة المُؤلمة، ثمّ الإنتقال بِهِنّ مِن بَلَد إلى بَلَد؟».

ثمّ استَمرّتْ السيّدة زينب (عليها السلام) تَصِفُ فاجعة كربلاء الدامية ومُلْحَقاتها مِن سَبْي النساء الطاهِرات .. بهذه الأوصاف المُتَتالية:

«لقد جِئتُم بها» أي بهذه الجريمة التي لا مَثيلَ لَها في

«صَلْعاء»: وهي الداهية الشديدة (1)، أو الأمر الشديد. ولعلّ المراد: الجَريمة المكشوفة الّتي لا يُمكن تَغْطيتُها بشيء.

«عَنْقاء»: الداهِية (2) وقيل: عُنُق كل شيء بِدايَتُه. (3)

فلَعلَّ المعنى أنّ هذه الجريمة سوفَ تكون بِدايةً لِسِلْسِلَة مِن الأزَمات والوَيْلات لكم، فلا تَتَوَقَّعوا خيراً بعد عَمَلكم الشَنيع هذا.

«شوهاء» قَبيحة (4) وفي نسخة: سَوداء.

«فَقْماء»: العظيمة (5) أو الشديدة (6) هذا بعض ما ذكرَه اللُغَويون، ولعلَّ معنى «فقماء» أي مُعقَّدة بشكلٍ لا يُمكن

1- ذكر ذلك «المحيط في اللغة» لابن عباد، وكتاب «العين» للخليل بن أحمد

2- القاموس المحيط، ولسان العرب

3- أقرب الموارد للشرتوني

4- المُعْجَم الوَسيط

5- المنجد في اللغة، وأقرب الموارد للشرتوني

6- المُعْجَم الوَسيط

معرفة طريق إلى حَلّها أو التخلّص مِن مُضاعَفاتها. (1)

«خَرقاء، كطلاع الأرض» أي مِلْؤها. (2)

«ومِلْء السماء لعلّ المعنى أن حَجْم هذه الجريمة اكبر مِن أن تُشَبّه أو توصَف بمَساحة أو حَجْمٍ مُعَيّن، بلْ هي بِحَجْم الأرض كلّها، والسماء والفضاء كلَيهما. أي: إنّ حَجْمَها أكبر مِن أن يُتَصوّر.

فإنّ قتْل الإمام الحسين (عليه السلام) وفُقدان الأُمّة إياه يعني:

أولاً : إبتلاءُ كلِّ حُرّ في العالَم – في جميع الأجيال القادِمة – بالحُزن والأسى حينَما يقرأ تفاصيلَ فاجعة كربلاء، فحتّى لو لم يكن مُسلماً يَشعر بالحزن وتَتَسابق دموعُ عَينَيه بالهطول، ويَشْعر بالإنزعاج والتَذَمّر مِن الّذين ارتكبوا هذه الجريمة النَكْراء.

ثانياً : لقد حُرِمَ البَشَر .. – بِمُخْتَلَفِ دِياناتهم وطبَقاتهم

1- المُحقق

2- المُعْجَم الوَسيط، والقاموس المحيط، وقال في «لسان العرب» طِلاعُ الأرض: ما طلعتْ عليه الشمس، طِلاع الشيء مِلْؤُه. المُحقّق

وأعمارهم و أجيالهم وبلادهم – مِن بَركات وجود الإمام الحسين (عليه السلام) والّتي كانتْ تُبْقى آثاراً إيجابيَّة مُسْتمرّةً ودائمةً إلى آخر عُمْر الدُنيا!

ثالثـاً: إنّ هـذه الجريمـة – بحَجْمهـا الواسع – فَتَحتْ الطريق أمـامَ كلّ مَن يَحمِلُ نَفْساً خَبيثـة في أن يَقوم بكلّ ما تُسَوّلُ له نفسُه وتُمليه عليه نَفْسيّته في مَجال الظلم والإعتداء على الآخرين، وعدم التَوَقُّف عند أيّ حَدٍّ مِن الحُدود في مَجال الطغيان وسَحْق كرامة الآخَرين.

وقد صَرّحَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) بِهذا المعنى – حينما كان يُقاتل أهلَ الكوفة بنفسه – فقال: «... . أما إنّكم لَنْ تَقتُلوا بَعْدِي عَبْداً مِن عِباد الله فَتَهابُوا قَتْلَه، بَلْ يَهُونُ عليكم عند قَتْلِكم إيّاي ... ». (1)

«أفَعَجِبْتُم أَنْ مَطَرتِ السماءُ دَماً»

إنّ المصادر والوثائق التاريخيّة التي تُصرّح بأنّ السماء أمطرتْ دَماً بَعْدَ قَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) كثيرةٌ جِدّاً.

وكانَ ذلك المطر احمر يَشْبه الدمَ في لونه وغِلْظته .. وهذه الحقيقة الكونيّة مَذكورة في كُتُب الشيعة

1- كتاب معالي السبطين، ج 2، الفصل العاشر، المجلس الثالث. وكتاب «تظَلُّم الزهراء» ص 222

والسُّنّة، القديمة منها والحديثة. (1)

ص: 325

1- إليك الآن بعضَ ما كتبه المُؤرّخون حولَ هـذه الظاهرة الغَريبة الّتي حَدَثَتْ يومَ عاشوراء عند مقتل الإمام الحسـين (عليه السـلام): 1 - ذكرَ الحافظ مُحبّ الدين الطبَري الشافعي - المتوفّى سنة 694 ه- - في كتابه: ذَخائرُ العُقْبى، طبّع مصر، عام 1356ه-، صفحة 145 قال: «وذكر أبو نُعيم الحافظ في كتاب «دَلائل النُبوّة» عن نضـرة الأزديّة أنّها قالتْ: لمّا قُتِلَ الحسينُ بن علي أمطرت السماءُ دَماً، فاصبَحْنا وجِبابُنا (أي: آبارُنـا) وجِرارُنـا (جَمْع: جَرَة) مَمْلُوءَةٌ دَماً». وعن مروان مَولى هنـد بنت المهلّب، قال: حَدّثَني بَوّاب عُبيـد الله، بن زياد أنّه لمّا جِيء برأس الحسـين بين يـديه رايتُ حِيطان دار الإمارة تَسايَلُ دَماً. خَرَجَه ابنُ بنت منيع. وعن جعفر بن سُليمان قال: «حَدّثَتْني خالتي أُمّ سالم: قالت: لمّا قُتِلَ الحسـينُ مُطِرْنا مَطراً كالـدَم على البُيوت والجُدُر. قالت: وبَلَغَني أنّه كان بخراسان والشام والكوفة. خَرّجَه ابنُ بنت منيع. وعن أُمّ سَلمة قالت: «لمّا قُتِلَ الحسينُ مُطِرْنا دَماً». وعن ابن شهاب قال: «لمّا قُتِلَ الحسينُ - رضيَ الله عنه - لم يُرفَع او لم يُقْلَع حَجَرٌ بالشام إلّا عن دَم» خَرَجَهما ابن السـري. 2 - ذكر العلّامة الشـيخ المحمودي في كتابه : عَبَرات المُصْطَفين في مقتل الحسـين عليه السلام طبع ايران عام 1417ه-، ص 169 : ذكر ابوبكر محمد بن أبي بكر التلمساني - المتوفى بعد عام 644ه- في ترجمة الإمام الحسين في كتاب الجوهرة ج 2 ص 218، طبع الريـاض، قال: رَوى البُخاري - في ترجمـة سـليم القاص تحت الرقم 2202 مِن القِسم الثاني مِن المجلّد الثاني مِن التاريخ الكبير، ج 4 ص 129 قال: وعن سليم القاص: مُطِرْنا يومَ قَتْل الحسين دَماً». 3 - ورَوى ذلك ابن حجر الهيثمي في كتابه: الصواعق. 4 - ورَوى ذلك القنـدوزي الحَنَفي في كتابه: ينابيع المَودّة ج 2 ص 320. 5 - وروى ذلك: سبطُ ابن الجوزي في كتاب (مِرآة الزَمان) ص 102. 6 - ورَوى البلاذري في الحديث 52 في كتابه (أنساب الأشراف) طبْع بيروت ج 3 ص 209 قال: حَدّثَني عمر بن شبة، عن موسى بن اسـماعيل، عن حَمّاد بن سلمة، عن سليم القاص قال: مُطِرْنا أيامَ قَتْل الحسين دَمَاً. 7 - ورَوى الشـيخ المحمودي - أيضاً - عن ابن العديم، عن هلالـ بن ذكوان قال: لمّا قُتِلَ الحسـينُ مُطِرْنا مَطراً بَقيَ أثَرُه في ثِيابنا مِثْل الـدَم. وعن قرط بن عبـدالله قال : مُطِرْتُ ذاتَ يوم بنصف نهار فأصابَ ثوبي فإذا دَم، فذَهَبت الإبل إلى الوادي فإذا دَم فلمْ تَشـربْ، وإذا هو يوم قتل الحسـين. 8 - وذكرَ القرطبي - المُتوفّى سـنة 671ه-، في تفسـيره المسمّى ب- «الجامع لاحكام القرآن» ج 16 ص 141، طبع بيروت عام 1405 ه-: «.... قال سليمان القاضي: مُطِرْنا دَماً يومَ قَتْلِ الحسين». 9- وروى ذلـك الحافـظ ابن عساكر الشافعي - المُتوفّى عام 571 ه- - في كتابه: تاريـخ مدينة دمشق قال: حَدّثتنا أُمّ شـرف العبديّة، قالت: حدّثتْني نضرة الأزديّة قالت: لمّا قُتل الحسين بن علي مَطرَتِ السماء دَماً، فأصبَحتُ وكلّ شيء لنا مَلَان دَماً. «المحقّق»

وكان هذا المَطر الاحمر كإعلان سَماوي – على مُستوى الكون – لِفَظاعة حادث قَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) واستنكاراً لهذه الجريمة النَكراء، ولكن .. ما أكثَرَ العِبَر و أقَلّ الإعتبار».

وقد بقيتْ آثار تلك الدماء مِن ذلك المطر على جُدران مدينة الكوفة وحيطانها وعلى ثياب أهلها مُدّةٌ تَقربُ مِن سنة كاملة.

لقد كان ذلك المطر تَنديداً بفظاعة الجريمة، وإنذاراً للعاقِبَة السيّئة لأهل الكوفة في يوم القيامة.

«ولَعَذابُ الآخرة أخزى»

أي: إنّ العقاب الصارم لِقَتَلة الإمام الحسين (عليه السلام) سوف لا يَقتَصر ولا يَنحَصر بالعذاب الدنيوي، والصَفَعات الدنيويّة المُتَتالية، بل إنّ العذاب الإلهي يَنتظرهم في الآخرة.

إن الدنيا سوف تَنْتَهي ويَخْرجُ كلّ إنسانٍ مِن قاعة

الإمتحان، وعندها يكون المُجرمون في قَبضة مَحْكمة العدالة الإلهيّة، فمَن يُخلّصُهُم – في ذلك اليوم – مِن رسول الله جَدّ الحسين؟!

«وأنتم لا تُنصَرون»

أي: لا تَجِدون مَنْ يَنصركم يومَ القيامة، ومَن يُنجّيكم مِن العذاب الأليم، لأنّ طرَفَ النِزاع: هو الإمامُ المظلومُ البَريءُ المَقتول: الإمامُ الحسين (عليه السلام) ذاكَ الرجلُ العظيم الّذي زَيّنَ اللهُ تعالى العَرشَ الأعلى باسمه «إنّ الحسين مِصباحُ الهُدى وسَفينةُ النجاة» ومِن الواضح أنّه سوف لا يَتَنازلُ عن حَقّه .. مهما كانتْ نفسيّتُه المُقدّسة عالية وفوق كلّ تصوّر . لأنّ المجرمين ضَربوا أرقاماً قياسيّة في اللُؤم والخُبْث والغَدْر والجناية!

والمُخاصِمُ لأهل الكوفة: هو أشرفُ الخَلْق وأعز البَشَر عند الله تعالى: وهو سيّدنا محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو ايضاً لا يَتنازل عن دَم إبنِه الحَبيب العزيز، وعن سَبْي بناته الطاهِرات!

والمُحامي: هو جبرئيل سيّدُ أهلِ السماء، حيثُ يَقِفُ ظهْراً لِرسول الله في قضيّة مَلَف مَقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

ونوعيـةُ الجريمـة وحَجْمُها ومُضاعَفاتُها .. تابى شّمولَ الغُفْران والعفو الإلهي لها، لعـدم وجود الفوضـى في أجهزة القضاء الإلهيّة، فاللازم إعطاء كلّ ذي حَقٍ حَقّه.

هذا أوّلاً ..

وثانياً: إنّ مِن آثار هـذه الجريمة النَكراء: هو أنّها تَمنَعُ المُجرِم مِن التوفيق للتوبة والإنابة إلى الله، كما صـرَّح بذلك الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

ويَجبُ علينا أنْ لا نَنْسـى أنّ كِبار قُوّاد جيش الكوفة .. كانوا مِن الّذين قد كتَبُوا إلى الإمام الحسين بأنْ يأتي إليهم في الكوفة، ووَعَدوه بالنَصْر .. حتّى لو آلَ الأمرُ إلى القَتْل والقِتال، وإلى التضحية بِبَذْلِ دِمائهم وأرواحِهم، وخَتموا رسائلَهم بتَوقيعاتهم وأسمائهم الصَريحة.

إلى درجـة أنّ البعض مِنْهم أعطى لِنَفْسه الجُرأة في أنْ انْ يَكتُب إلى الإمـام الحسـين (عليه السـلام) هـذه الكلمـات: «إنْ لَم تَأتِنـا فسـوف نُخاصِمُك غَداً – يومَ القيامة – عند جَدّك رسول الله»!!

فَهُمْ – إذنْ – كانوا يَعرفون الإمامَ الحسين، «وليس مَن يَعرف كمَن لا يَعرف» والأحاديثُ الشريفة تَقول: «إنّ الله تعالى يَغْفِرُ للجاهِل سبعين ذَنْباً .. قَبْلَ أَن يَغْفِرَ للعالِم ذَنْباً واحِداً».

«فلا يَسْتَخِفنّكُمُ المُهَل»

المُهَل - بضَمّ الميم - جَمْع المُهْلة: وهي بمعنى الإنظار والإمهال وعَدَم العَجَلَة. (1)

أي: لا يَصيرُ الإمْهالُ والتأخير في الإنتقام سَبَباً لِخِفّة نُفوسِكم وانتِعاشِها مِن الطَرب والفَرَح، وبذلك تاخذُكم سَكْرة الإنتِصار والظفَر. فالإنتصار الذي يَتعَقَبُه العذابُ الأليم - مع فاصِلٍ زَمَني قَصير - لا يُعتَبرُ إنتصاراً حقيقيّاً، بل هو سَرابٌ مُؤقّت، لايَعترفُ به العُقلاء، ف- «لاخَيرَ في لَذَةٍ وَرَاءَها النارُ»!

إنّ الإمْهال ليسَ دليلاً على الإهْمال، فإنّ الله تعالى قد يُمْهِل، ولكنّه (سُبحانه) لا يُهْمِل.

وبناءً على هذا .. فلا يكون الإمْهال سَبَباً لِتَصوّرٍ خاطيء منْكم بأنّ عِلّةَ تأخير العِقاب هي أنّ الجريمة قد تَمّ التَغاضي والتَغافُل عنها، ولَسَوف تُنسى بِمُرور الأيّام، لانّها شيء حَدَث وانتَهى .. بلا مُضاعَفات لاحِقة، أو أنّ الإنتقام غيرُ وارد حيث أنّ الأُمور قد فَلَتتْ مِن اليَد.

كلاّ . . ليسَ الأمرَ كذلك، بل شاءَ اللهُ تعالى أن يَجعَلَ الدنيا دارَ إمتحان لِجميع الناس: الأخيار والأشرار، وقَرّر أن يَدفَع كلُّ مَن يُخالفَ أوامرَ الله ضَريبةَ مُخالَفَته .. إنْ عاجلاً أو آجِلاً.

1- كما يُستفاد ذلك مِن «مجمَع البحرين» للطريحي

فعَدَم تعَجيل العُقوبة لا يَعني أن الأمور مُنفَلتة مِن يَد الله الغالِب القاهِر العليّ القدير، فهو المُهَيمنُ على العالَم كلّه. لكنّه قد يُؤخّر الجزاء لأسرار وحِكم يَعلَمُها سبحانه، فهو لا يُعجّل العذاب للعاصين - أحياناً أو غالباً - ولكنّه بالمِرْصاد، فكما أنّ الجُندي الذي يَجْلس وَراءَ المِتْراس يُراقِبُ ساحةَ الحرب، ويَنتظر الوقتَ المُناسِب للهجوم أو لإطلاق القَذيفة، كذلك العذاب الإلهي يَنزل في التَوقيت المُناسِب .. مع مُلاحَظة سائر أسرار الكون. ولا مُناقَشَة في الأمثال.

قال تعالى: «ولا تَحْسَبَنّ اللهَ غافِلاً عَمّا يَعمَلُ الظالِمُون، إنّما يُؤخرهُمْ لِيَومٍ تَشْخَصُ فيه الابصار، مُهْطِعين قطعين مُقْنِعي رُؤوسِهم، لا يَرْتَدّ إليهِم طرْفُهُمْ وأفئدتُهم هَواء». (1)

وقد رُويَ عن الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنّه قال: «ولَئنْ أمْهَلَ اللهُ الظالمَ فَلَنْ يَفُوتَ أخْذُه، وهو لَهُ بالمِرْصاد على مَجاز طريقِه وبمَوضِع الشجا مِن مَساغِ رِيقِه». (2)

1- سورة إبراهيم، الآية 42 و 43

2- نهج البلاغة، طبْع لبنان، المَطبوع مع تعليقات صُبحي الصالح، ص 141، خطبة 97

«فإنّه لا يَحفِزُهُ البِدار»

«يَحفِزُهُ» يُقال: تَحَفّزَ في مَشْيه: أي جَدّ وأسرَعَ (1) فهو مُحْتَفِزْ: أي: مُسْتَعجِل (2) والحُفْز: الإعجال في الأمر للبَطْش وغيره.

«البِدار» يُقال: بَدَرَ إلى الشيء مُبادرةٌ وبِداراً: أسرَعَ (3) وبَدَرَ فُلاناً بالشيء: عاجَلَه به. (4)

تَقول السـيّدة زينب (عليها السلام): إعلموا – يا أهل الكوفة –: أنّ عَدَمَ نُزولِ العَذاب الإلهيّ عليكم .. ليسَ سَبَبُه الإهمال، فإنّ الله تعالى لا تَـدْفَعُه العَجَلـة إلى إنزال العـذاب، لأنّ الحِكْمـة الإلهيّـة تَجْعَل إطاراً للمُقـدّرات الكونيّـة، ومنها: إختيار التوقيت المُناسب لِنُزول العذاب، وإختيار نَوْعِيّته.

هذا أوّلاً ..

وثانياً.. لقد جاء في الحديث الشَريف أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سَألَ ربّه أنْ لا يُعاجِلَ أُمَتَه

1- المُعْجَم الوَسيط
2- مَجْمَع البحرين للطريحي
3- نَفْس المصدر
4- المُعْجَم الوَسيط

بالعـذاب في الـدنيا، واسـتَجاب اللهُ تعالى لِرسوله ذلك ، فجَعَل مِن القوانين الكونيّـة عدَم نزول العذاب الغَيْبي على الأمّة الإسـلاميّة – في الدنيا – كرامةً واحتراماً لِرَسول الله، وهذه الكرامة لم تكُن لِغَير نَبيٍّ الإسلام، مِن الأُمم السالفة، والأنبياء السابقين في الزَمَن.

فمَعنى قول السـيّدة زينب (عليها السـلام): «فإنّه لا يَحفِرُه البِدار» اي: لا يَحُثُّ الله – سٌ بحانَه – شيءٌ على تعجيل العقوبة والإنتقام، لِوجود أسباب وأسرار كونيّة، ولِعَدَم خوف إنفلات المُجرم مِن قَبْضة العدالة الإلهيَّة. ونَقرأ في الدعاء: «ولا يُمكنُ الفِرارُ مِن حُكومتكَ».

«ولا يَخافُ قَوْتُ الثار، وإنّ رَبّك لبالمرصاد»

فسَوف ياتي الإمامُ المهدي المُنتَظر (عجّلَ الله ظُهورَه) ويَنتَقِم مِن قَتَلة الإمام الحسين.. في الدنيا، أمّا في الآخرة .. فَستكون أولُ دُفعة – مِن البَشَر – يُؤمَرُ بهم إلى نار جَهنّم: هم قَتَلة الإمام الحسين (عليه السلام).

المِرْصاد: المَكْمَن، وهو المَكان الّذي يُخْتَفى فيه عن أعين الأعداء، بانتظار التوقيت المُناسِب للهُجوم أو الدفاع.

قال الراوي:

«فوالله لقد رأيتُ الناسَ – يومئذٍ – حَيارى يبكون، وقد وَضَعوا أيديهم في أفواههم (1). ورأيتُ شَيخاً واقِفاً إلى جَنْبي يَبكي حتّى اخضَلّتْ لحيَتُه، وهو يَقول: «بـابي أنتُم وأُمّي!! كُهُولُكم خيرُ الكُهول، وشَبابُكم خيرُ الشـباب، ونِساؤكم خيرُ النساء، ونَسْلُكم خيرُ نَسْل لا يُخْزى ولا يُبْزى».

****

إلى هنا إنتهى ما هو مذكور في الكتُب حول نَصّ الخُطبة، وللقارىء الكريم أنْ يَتساءَل: ماذا حَدَثَ بَعدَ ذلك؟

الجواب: هذا ما سَتَقرؤه في الصفَحات القادمة إنْ شاء الله.

1- لعـلّ وَضْع أيـديهم في أفواهِهم كـانَ مِن أجْـل حَبْس أصوات بُكائهم كي لا تُغطّي على صوت السـيّدة زينب (عليها السـلام) وبـذلك يَسـتمروا في الإسـتماع إلى خُطبتها، أو كانَ ذلك لِعَضّ اصابعهم بسَبَب شِدّة النَدَم والتأثُّر للجريمة التي ارتكبوها، أو المُصيبة الكبرى الّتي نَزلَتْ بالإسلام والمسلمين. المحقّق

كيفَ ولماذا قَطعوا

على السيّدة زينب خِطابها؟

كانت السـيّدة زينب (عليها السـلام) الشّـجاعة المَفْجوعة تَتكلّم بصوت شَـجيّ، وكلّ كلمةٍ منها تُلْهِبُ أحاسـيس الحُزْن والاسى والنَدَم في الناس، حتّى ضَجَّ الناس بالبُكاء والعَويل، وارتَبَكتْ قُوّاتُ الأمن والشُرطة، وصارَ كلٌّ إحتمال لِلتَمَرُّد والإنتفاضة وارداً، فكيفَ يَتَصرّفون؟!

وماذا يَصْنَعون حتّى يَقْطعوا على السيّدة زينب خِطابَها، ويَصْرفوا أذهانَ الناس إلى شيء آخَر؟!

هناك مَن يَقول: أمَروا بحَركة القافِلة، وجاؤا بالرُمح الذي عليه راس الإمام الحسـين (عليه السـلام) وقَرّبُوهُ مِن مَحْمِل السـيّدة زينب، وتَعالتْ صَرخاتُ الناس: هذا رأسُ الحسين .. هذا رأس الحسين!!

وكانتْ عَينا الإمام مَفتوحَتين، وهو يَنظرُ نَظْرةً فَريدة، وَصَفَها المُؤرّخون بِقَولهم: «شاخِصٌ بِبَصره

نحو الأفُق»!

وهُنا لم تَسْتَطع السيّدة زينب أن تَسْتمرّ في الخُطبة رَغمَ شَجاعتها وانطلاقها بالكلام، فهاجَ بها الحُزْن مِن ذلك المَنْظر الذي وَتّرَ أعصابَها، وأوشَكَ أنْ يَقْضي عليها .. بسَبَب الألَم الذي بَدأ يَعْصِرُ قَلبَها العَطوف عَصْرةٌ يَعْلَمُ اللهُ دَرَجَتها.

فكان رَدّ الفِعْل منها أنّها نَطحَتْ جَبينَها بِمُقَدّم المَحْمِل .. وبكلّ قوّة، حتّى سال الدم مِن رأسها وجَبْهَتها، وأوْمأتْ (أي: أشارتْ) إليه بخِرْقة - حَسَب العادة العَشائريّة المُتّبَعة يومذاك، عند رؤية جَنازة الفَقيد الغالي -، وشاهَدتْ أنّ الناس يُشيرون بأصابع أيديهم إلى رأس الإمام الحسين، كما يُشيرون إلى مَكان وجود الهِلال في أول ليلةٍ مِن الشَهْر!

فنادَت السيّدة زينب (عليها السلام):

يا هِلالاً لَمّا اسْتَتَمّ كمالا *** غالَه حَسْفُهُ فَابْدَى غُروبا

ما تَوَهّمْت يا شَقيقَ فُؤادي *** كان هذا مُقَدّراً مَكْتُوبا

ويَتصوّر أحَدُ الشُعراء - وهو الحاج هاشم الكعبي - ذلك

المَوقف الحزَين ويَقول: كانت مع السـيّدة زينب (عليها السـلام) في مَحْمِلها بنت صـغيرة للإمام الحسـين (عليه السلام) فحينَما راتْ رأس أبيها بـدَأت تُناديه: يا أبَه .. يا أبه .. كلّمْني أينَ كُنتَ! ولمّا لَمْ تَسْ مَع جَواباً إنفَجَرتْ بالبكاء الشَديد، فنادَتْ السـيّدة زينب مُخاطَبةً رأس أخيها العَزيز:

أخي: فاطمَ الصَغيرةَ كلّمْها *** فقد كادَ قَلْبُها أنْ يَذوبا

***

الإحتمال الثاني: أنّ الإمام علي بن الحسـين (عليه السـلام) تَقدّم إلى عَمّته – ولعلّ ذلك كان بأمْرٍ مِن الشُرطة – وقال: يا عمّة! أُسكُتي، فَفي الباقي مِن الماضـي إعتبار، وأنتِ بحمْـد الله عالِمَـة غير مُعلّمة، وفَهمَة غيرُ مُفَهَمَة، إنّ البُكاء والحَنين لا يَرُدان مَنْ قد أبادَهُ الدَهرُ، فسَكَتَتْ. (1)

1- الإحتجاج للشيخ الطبرسي، طبْع لبنان، عام 1403ه-، ج 2 ص 305

نَصّ خطبة السيّدة زينب برواية أخرى

ورَوى الشيخ الطبرسي في كتاب «الإحتجاج» نَصّ الخُطبة مع وجود بعض الفُروق بين النُسختين، ونحن تَذكُرُ ذلك، تَتْميماً للفائدة:

قال حذيم الأسَدي : لم أرَ – والله – خَفِرةً قطّ انْطقَ مِنْها، كانّها تَنطِقُ وتُفْرغُ على لسان علي (عليه السلام) وقد أشارتْ إلى الناس بانْ انصِتُوا، فارتَدّتْ الأنفاسُ وسَكنَتْ الأجراس، ثمّ قالت – بَعْدَ حَمْد الله تعالى والصلاة على رسوله –: «أمّا بَعْد يا أهلَ الكوفة، يا أهلَ الخَتْلِ والغَدْر والخَذْل. (1)

1- الخَذْل: ترك النُصْرة والإعانة. مجمَع البحرين للطريحي

ألا فَلا رَقأت العَبْرة ولا هَدأت الزَفْرة.

إنّما مَثَلُكم كَمَثَلِ الّتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِن بَعْد قوةٍ أنكاثاً، تَتّخذون ايمانكم دَخَلاً بينَكم، هل فيكم إلّا الصّلف والعجب، والشنف، والكذب، ومِلْق الإماء وغمز الأعداء، أو كمَرْعى على دَمِنة، أو كفضة على مَلْحُودة، ألا بِئسَ ما قَدّمَتْ لكم أنفسُكم أنْ سَخِطَ اللهُ عليكم وفي العَذاب أنتُمْ خالِدون.

أتَبكونَ أخي؟!

أجَل – والله – فابكوا فإنّكم أحْرى بالبكاء، فابكوا كثيراً واضحَكوا قليلاً، فقد أُبْليتُم بعِارها، ومُنيتُم بِشَنارها، ولَن تَرحَضُوها أبَداً، وأنّى تَرحَضونَ قَتْلَ سَليلِ خاتَم النُبوّة، ومَعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، ومَلاذ حَربِكم، ومَعاذ حِزْبِكم ومَقَرَ سِلْمِكم وآسي كلمكم، ومَفْزَع نازِلتكم، والمَرْجع إليه عند مُقاتَلتكم، ومِدرةَ حُجَجكم، ومَنار مَحَجّتكم.

ألا ساءَ ما قَدّمَتْ لكم أنفسُكم، وساءَ ما تَزِرون لِيَومِ بَعْثِكُم، فَتَعْساً تَعساً!! ونكساً نكساً!! لقد خابَ السَعيُ، وتَبّت الأيدي، وخَسِرت الصَفْقةُ، وبُؤْتُم بغَضَبٍ من الله، وضُربتْ عليكم الذِلّة والمَسْكَنة ..

أتَدْرون – وَيلَكم – أيَّ كبدٍ لمُحمّد (صلّى الله عليه وآله)

وسلّم) فَرتُم؟!

وأي عَهْدِ نكثْتُم؟!

وأي كريمةٍ لَهُ أبرَزْتُم؟!

وأيّ حُرمة له هَتكْتُم؟!

وأيّ دَمٍ له سَفَكتُم؟!

لقد جِئتُمْ شيئاً إذا تكادُ السَماواتُ يَتفطّرنَ مِنْه، وتَنْشَقّ الأرضُ، وتَخرّ الجبالُ هَدّا؟!

لقد جئتُم بها شَوْهاء، صَلْعاء، عنقاء، سوداء، فَقْماء، خَرقاء، كطِلاع الأرض، أو مِلْء السماء.

أفَعَجِبْتُمْ أنْ تُمطرَ السماءُ دَماً، ولَعذابُ الآخرة أخزى، وهم لا يُنْصَرون.

فلا يَسّ تخِقنّكم المُهَل، فإنّه (عزّوجلّ) لا يحفزه البِدار، ولا يُخشى عليه فُوتُ الثار، كلّا إنّ ربّك لنا، ولَهُم لَبالمِرْصاد، ثمّ أنشَأتْ تَقول (عليها السلام):

ماذا تقولونَ إذْ قال النبيُّ لكم *** ماذا صنَعْتُمْ وأنتُم آخِرُ الأُمَمِ

بأهلِ بيتي واولادي وتكرمَتي *** مِنْهم أُسارى ومنْهم ضُرّجوا بدَمِ

ما كان ذاك جَزائي إذ نَصحُتُ لكم *** أنْ تَخلُفوني بسُوءٍ في ذَوي رَحِمي

إني لأخشى عليكم أن يَحِلّ بكم *** مِثْلُ العذاب الذي أودى على إرم

ثمّ ولّتْ عنهم ... .» إلى آخر الرواية. (1)

ص: 342

1- كتاب «الإحتجاج» للشيخ الطبرسي ج 2 ص 304 - 305، طبْع ايران، عام 1401 ه-، وذُكرت هذه الخطبة في الكُتُب التالية: 1 - مَجالس الشيخ المفيد. 2 - أمالي الشيخ الطوسي. 3 - بَلاغات النساء لابن طيفور. 4 - مقتل الإمام الحسين، للخوارزمي. 5 - البيان والتبيين، للجاحظ. 6 - روضة الواعظين، للفَتال. 7 - مَطالب السؤول، لمحمّد بن طلحة الشافعي. 8 - مَناقِبُ آل أبي طالب، لإبن شهر آشوب

الفَصل الرابع عشر

إشارة

* دار الإمارة

* السيّدة زينب في مجلس ابن زي--اد

* ماذا جَرى بَعْدَ ذلك؟

ص: 343

دار الإمارة

كـانت دار الإمـارة في الكوفـة – قبْل حوالي عشـرين سـنة مِن فاجعـة كربلاء – مَقرّاً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السـلام) وكـانت السـيّدة زينب تعيش في ذلـك المكـان في ظِ لّ والـدها أمير المـؤمنين، وهي في أوج العِزّة والعظمـة، وفي جـوٍّ ممْلوء بـالعواطف والإحترام، فيما بين إخوتها وذَويها .

والآن! وبعد عشرين سنة أصبحتْ دارُ الإمارة مَسكناً للدَعيِّ بن الدعيّ: عبيد الله بن زياد، وتَبدَّلتْ معنويّات دار الإمارة مائة بالمائة، فبعد أنْ كانتْ مَسكن أولياء الله، صارتْ مْسكن الدِّ أعداء الله، والأم خَلْق الله.

واليوم دخلت السيّدة زينب إلى دار الإمارة، وهي في حالة تَختلف عما مضى قبل ذلك.

ذكرَ الشيخُ المفيد في كتاب (الإرشاد) ما يلي:

ثمّ إنّ ابن زياد جَلسَ في قصْر الإمارة، وأذِنَ للناس إذْناً عامّاً، وأمَرَ بإحضار رأس الإمام الحسين (عليه السلام) فأُحضِرَ

ووُضعَ بينَ يديه، وجَعَل يَنظر إليه ويَبتَسم، وكان بيده قضيب فجعلَ يَضرب به ثناياه!!

وكان إلى جانبه رجل مِن الصّحابة يُقال له: «زيد بن ارقم» وكان شيخاً كبيراً، فلمّا رآه يَفعل ذلك قال له: «إرفَعْ قضيبَك عن هاتين الشَفَتين فوالله الذي لا إله إلّا هو لقد رايتُ ثنايا رسول الله ترتَشِفُ ثناياه» (1) ثمّ انتَحَبَ وبكى!

فقال ابن زياد أتَبكي؟ أبكى الله عينَيك، والله لولا أنّك شيخ قد خَرِفْتَ وذَهبَ عقلُك لأضربنّ عُنقَك، فنَهضَ مِن بين يديه وصارَ إلى منزله. (2)

وجاءَ في التاريخ: أنّ إبنَ زياد أمَرَ بالسّبايا إلى السِجن، فحُبِسُوا وضُيِّقَ عليهم، ثمّ أمَرَ أنْ يأتوا بعلي بن الحسين (عليهما السلام) والنِسْوَة إلى مَجلِسِه. (3)

1- وفي نسخة: لقد رأيتُ شَفَتي رسول الله عليهما ما لا أحصيه كثْرَةً يُقبّلهما

2- كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد ص 243 وكتاب «المنتخَب» للطريحي ص 464، المجلس العاشر

3- كتاب «أمالي الصدوق»، ص 140، وكتاب «رَوضة الواعظين» للفَتّال، ج 1، ص190

السيّدة زينب في مجلس ابن زياد

ذكرَ الشيخُ المفيد في كتاب «الإرشاد»:

«وأُدخِلَ عيالُ الحسين (عليه السلام) على ابن زياد، فدخلتْ زينب أُختُ الحسين في جُملَتهم مُتنكّرةً وعليها أرذَلُ ثيابها، فمَضَتْ حتّى جَلستْ ناحيةً مِن القَصْر، وحَفّتْ بها إماؤها .

فقال ابن زياد: مَن هذه التي انحازتْ ناحيةً ومعَها نساؤها؟!

فلمْ تُجبْه زينب.

فأعادَ القول ثانيةً وثالثةً يَسال عنها؟

فقالتْ له بعضُ إمائها: هذه زينبُ بنتُ فاطمة بنت رسول الله.

فأقبَلَ عليها ابنُ زياد وقال لها : الحمْدُ لله الذي فَضَحكم

ص: 347

وقَتَلكم وأكذبَ أحدوثتكم. (1)

فقالت زينب: الحمْد لله الّذي أكرمَنا بنَبيّه محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وطهّرَنا مِن الرجْس تطهيرا، وإنّما يُفتَضَحُ الفاسقُ ويكذبُ الفاجرُ، وهو غيرنا والحمدُ لله.

فقال ابنُ زياد: كيفَ رأيتِ فِعْلَ اللّهِ بأهلِ بيتكِ؟! (2)

فقالت: ما رأيتُ إلّا جَميلاً، هؤلاء قومٌ كتبَ اللهُ عليهمُ القتْلَ، فَبَرزوا إلى مَضاجِعِهم، وسَيَجْمعُ اللهُ بينَك وبينَهم فتُحاجّون إليه وتَختَصِمون عنده (3) فانظرْ لِمَن الفَلَج يومَئذٍ، ثَكلَتْكَ أُمّك يابنَ مَرجانة!!

فغَضِبَ ابنُ زياد واستَشاط (4)، فقال له عمْرو بن حُريث: أيّها الأمير، إنّها امرأة والمرأة لا تُؤاخَذ بشيء مِن مَنطقِها.

فقال ابنُ زياد: لقد شَفى الله قلبي مِن طاغيتكِ الحسين

1- قال الزبيدي في «تاج العروس»: الأحدوثة - بالضمّ -: ما يُتحدّث به. قال ابن بَرّي: الأحدوثة: بمعنى الأعجوبة، يُقال: قد صارَ فلانٌ أحدوثةً. وقال الطريحي في «مَجمَع البحرين»: «الأحدوثة: ما يَتحدّث به الناس

2- وفي نسخة: كيف رأيتِ صُنْعَ الله بأخيك وأهل بيتك»؟

3- وفي نسخة: فتُحاجُّ وتُخاصَم

4- وفي نسخة: «فغَضبَ وكانّه هَمّ بها: أي: أراد ضَرْبَها أو قتْلَها

والعُصاةِ المَرَدة مِن أهل بيتكِ.

فَرَقّتْ زينبُ وبكتْ وقالت له: لَعَمْري لقد قَتَلْتَ كَهْلي، وقَطعْتَ فَرعي، واجتَثَثْتَ أصْلي، فإنْ كان هذا شِفاؤك فقد اشتَفيت.

فقال ابنُ زياد: هذه سَجّاعة، ولَعَمْري لقد كان أبوها سَجّاعاً شاعراً. (1)

ثمّ التفَتَ ابنُ زياد إلى عليّ بن الحسين وقال له: مَن أنتَ؟ (2)

فقال : أنا عليُّ بن الحسين.

فقال : أليسَ الله قد قَتَلَ عليّ بن الحسين؟

فقال علي: قد كان لي أخٌ أن يُسمّى عليّ بنَ الحسين، قَتَلَه الناس.

فقال ابنُ زياد: بلْ الله قَتَلَه.

فقال عليُ بن الحسين: الله يَتوفّى الأنفُسَ حينَ موتها.

1- وفي نسخة: هذه شُجاعة ولَعمْري لقد كان أبوها شُجاعاً. كما في نسخة «تاريخ الطبري» ج 5 ص 457

2- وفي نسخة: «مَن هذا؟»؟

فغَضبَ ابنُ زياد وقال : ولك جُرأة على جَوابي (1) وفيك بَقيّة للرَدّ عليّ؟! إذهَبوا به فاضرِبوا عُنُقَه.

فتَعَلّقَتْ به زينبُ عمّتُه، وقالت: يابنَ زياد! حَسْبُك مِن دِمائنا. واعتَنَقَتْهُ وقالت: والله لا أُفارقُه، فإن قَتلْتَه فاقتُلْني معه.

فنَظَر ابنُ زياد إليها وإليه ساعة، ثمّ قال: عَجَباً للرَحِم! والله إنّي لأظنّها وَدّتْ أنّي قتَلْتُها معه، دَعوهُ فإنّي أراه لِما به. (2)

ثمّ أمَرَ ابنُ زياد بعليّ بن الحسين و أهله فحُمِلوا إلى دارٍ جَنْب المسجد الاعظم، فقالت زينبُ بنت علي: «لا يَدخُلَنَ علينا عَرَبيّة إلّا أمّ وَلَد أو مَمْلوكة، فإنّهن سُبينَ وقد سُبينا. (3) (4)

****

1- وفي نسخة: وبك جُراة لِجَوابي

2- الإرشاد للشيخ المفيد ص 243 - 244، وكتاب المَلهوف، لابن طاووس، ص 201 - 202، وتاريخ الطبري ج 5 ص 457

3- سُبينَ: أُسِرْنَ

4- بحار الأنوار ج 45 ص 118، والملهوف ص 202

في هـذا الحِوار القَصـير بينَ الخَير والشـرِ، وبين الفضـيلة والرذيلـة، وبين القداسة والرجْس، وبين رَبيبة الوحي وعقيلة النبوّة وبين الدعيّ ابن الدعيّ! إنكشَفَتْ نَفسيّات كلّ مِن الفَريقين.

أرايتَ كيفَ صَرّح ابنُ زياد بالحِقْد والعِداء لأهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والشماتة وبِذاءة اللسان، وحقارة النفس ودناءة الروح، وقذارة الأصل؟

فهو يَحمدُ الله تعالى على قَتْل أولياء الله، وتَدفعُه صلافةُ وجْهه أن يقول: «وفَضَحكم»، وليتَ شِعري أيّة فضيحة يَقصدها؟!

وهل في حياة أولياء الله مِن فضيحة؟!

أليسَ الله تعالى قد أذهَبَ عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً؟!

أليس نَسَبُهُم أرفع نَسَبٍ في تاريخ العظماء؟!

أليستْ حياتهم مُتلالاة بالفضائل والمكارم؟!

وهل – والعياذ بالله – توجد في حياتهم مَنقَصة واحدة أو عيب واحد حتّى يُفتَضحوا؟

ولكن ابن زياد يقول: «وفضحكم».

ويَزدادُ ذلك الرجْس عُتُوّاً ويقول: «وأكذب أُحدوثَتكم» الأُحدوثة: مايَتحدّث به الناس والثناء والكلام الجميل،

والقرآنُ الكريم هو الذي يُثْني على آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فهل أكذبَ الله تعالى القرآنَ الذي هو كلامه (عزّوجلّ)؟!

والرسول الأقـدس – الذي ما يَنطق عن الهَوى إنْ هو إلّا وَحيٌ يوحى – قد أثني على أهل بيته بالحقّ والصِدْق، فهلْ أكذَبَ الله تعالى رسولَه الأطهر، الذي هو أصدقُ البَريّة لَهْجةً؟!

وقد فَرَضَتْ الضَرورَةُ على حفيدة النبوّة، ووَليدة الإمامة، ورَضيعة العِصْمة أن تَتنازل وتُجيب على تلك الكلمات الساقطة السافلة.

ص: 352

ماذا جَرى بَعْدَ ذلك؟

قال الشـيخُ المفيد في (الإرشاد) : ولمّا أصـبَحَ عبيدُ الله بن زياد بَعثَ برأس الحسـين (عليه السلام) فَدير به (أي: طِيفَ به) في سِكك الكوفة كلّها وقبائلها.

فرُوِيَ عن زيـد بن أرقم أنه قال: مُرّ به عليّ وهو على رُمـح وأنا في غرفـة لي (1) فلمّا حاذاني سَـمعْتُه يَقرأ: «أمْ حسِبتَ أنّ أصحابَ الكهْفِ والرَقيمِ كانوا مِن آياتنا عَجَبا». (2)

فوَقَف – والله – شَعْري وناديتُ: رأسُكَ – والله - يابنَ رسول الله أعجَب وأعجَب. (3)

1- الغُرفة: الحُجْرة المُطلة على الطريق

2- سورة الكهف، الآية 9

3- الارشاد للشيخ المفيد ص 245

وذكرَ السيّد ابن طاووس في كتاب (المَلهوف): قال الراوي: ثمّ إنّ ابن زياد صَعدَ المنبر فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال – في بعض كلامه –: «الحمْدُ لِلّه الّذي أظهَرَ الحقّ وأهْلَه، ونَصَرَ أميرَ المؤمنين يزيد وأشياعه، وقَتلَ الكذّاب بن الكذّاب!!

فما زادَ على هذا الكلام شيئاً حتّى قام إليه عبدُ الله بن عفيف الأزدي – وكان مِن خِيار الشيعة وزُهّادها، وكانت عَينُه اليُسرى قد ذَهبتْ يومَ الجَمَل، والأُخرى يومَ صفّين، وكانَ يُلازمُ المسجدُ الاعظم فيُصلّي فيه إلى الليل – فقال: يابنَ مَرجانة! إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنتَ وأبوك ومَن استَعملَك وأبوه، يا عدّو الله! أتَقتُلونَ أولادَ النبيّين وتَتكلّمون بهذا الكلام على مَنابر المسلمين؟!

فغَضِبَ ابنُ زياد وقال: مَن هذا المُتكلّم؟

فقال: أنا المُتكلّم يا عدوّ الله! أتَقتُل الذُريّة الطاهِرة التي قد أذهَبَ الله عنها الرجْس، وتَزعم أنّك على دين الإسلام.

واغوثاه! أينَ اولاد المهاجِرين والأنصار، لِيَنتَقِمُونَ مِنْك ومِن طاغيتك، اللعين بن اللعين على لسان محمّد رسول ربّ العالَمين.

فازدادَ غضَبُ ابن زياد حتّى انتَفَخَتْ أوداجُه، وقال: عليّ به، فتَبادَرَتْ الجَلاوزةُ مِن كلّ ناحية لِياخذوه، فقامتْ

الأشراف مِن بَني عمّه، فخَلّصوهُ مِن أيدي الجَلاوزَة وأخرجوه مِن باب المسجد، وانطلَقوا به إلى مَنزله.

فقالَ ابنُ زياد: إذهَبوا إلى هذا الأعمى – أعمى الازد، أعمى اللهُ قلبَه كما أعمى عَينَه – فإيتوني به.

فانطلَقوا إليه، فلمّا بَلَغَ ذلك الازد اجتَمَعوا واجتَمَعتْ معَهم قَبائلُ اليَمَن لِيَمنَعوا صاحبَهم.

وبَلَغَ ذلك ابنَ زياد، فجَمَعَ قبائل مُضَر وضَمّهم إلى محمّد بن الاشعث، وأمَرَهم بقِتال القوم.

قال الراوي: فاقتَتلوا قتالاً شديداً، حتّى قُتِلَ بينَهم جماعة مِن العَرب.

ووَصَلَ أصحابُ ابن زياد إلى دار عبدالله بن عفيف، فكسَروا البابَ واقتَحَمُوا عليه.

فصاحَتْ ابنتُه: أتاك القوم مِن حيث تَحْذر!

فقال: لا عليكِ ناوليني سَيفي، فناولَتْه إيّاه، فجَعَلَ يَذُبّ عن نفسه ويقول:

أنا ابنُ ذي الفَضْل عفيف الطاهر *** عفيف شيخي وابن أُمّ عامِر

كم دارع مِن جَمْعكم وحاسِر *** وبطلٍ جَدّلتُه مُغاور

وجَعلتْ ابنتُه تَقول: يا أبتِ ليتَني كنتُ رجلاً أخاصِمُ بينَ يديك اليوم هؤلاء القوم الفَجَرة، قاتِلي العِتْرة البَرَرَة.

وجَعَلَ القومُ يَدورونَ عليه مِن كلّ جهـة، وهو يَذبّ عن نفسه فلم يَقدر عليه أحَد، وكلّما جاؤوه مِن جِهة قالت ابنتُه: يا أبتِ جاؤوك مِن جهة كذا، حتّى تكاثَروا عليه وأحاطوا به.

فقالت ابنتُه: واذْلّاه يُحاطُ بأبي وليسَ له ناصِرٌ يَستَعينُ به.

فجَعلَ يُديرُ سَيفَه ويَقول:

أُقسِمُ لو يُفسَحُ لي عن بَصَري *** ضاقَ عليكم مَوردي ومَصدري

فما زالوا به حتّى اخذوه، ثمّ حُمِلَ فأُدخل على ابن زياد.

فلمّا رآه قال: الحَمْدُ لله الّذي أخزاك.

فقالَ له عبدُ الله بن عفيف: يا عدوّ الله وبماذا اخزاني الله؟!

والله لو فُرّجَ لي عن بَصَري *** ضاقَ عليك مَوردي ومَصدري

فقال له ابنُ زياد: ماذا تقول – يا عبد الله – في أمير المؤمنين عثمان بن عفّان؟

فقال: يا عبْـد بَني علاج، يابن مَرجانـة – وشَـتَمه – ما أنتَ وعثمان بن عفّان أساءَ أمْ أحسَن، وأصـلَحَ أمْ أفسَـد، والله تعالى وليُّ خَلْقه يَقضـي بينَهم وبين عثمان بالعَدل والحقّ، ولكنْ سَلْني عنك وعن أبيك وعن يزيد وأبيه؟

فقالَ ابنُ زياد: والله لا سالتُك عن شيء أو تَذوق الموتَ غصّةً بعدَ غصّة.

فقال عبـدالله بن عفيف: الحمدُ لِلّه ربّ العالَمين، أما إنّي قد كنتُ أسالُ الله ربّي أن يَرزقَني الشّهادة مِن قَبْل أن تَلدكَ أمُّك، وسألتُ الله أنْ يُجعلَ ذلك على يَدَىْ العَن خَلْقه، وأبغَضِهم إليه، فلمّا كُفّ بَصَري يَئسْتُ مِن الشهادة، والآن .. فالحمْد لِلّه الّذي رَزقّنيها بعد الياس منها، وعَرّفَني الإجابةً بِمَنّه في قديم دُعائي.

فقالَ ابنُ زياد: إضربوا عُنُقَه.

فضُربتْ عُنقه وصُلِبَ في السَبخة. (1) (2)

1- السبخة: إسم موضع في الكوفة

2- كتاب (المَلْهوف) للسيد ابن طاووس ص 203- 207

الفَصل الخامس عشَر

إشارة

* ترحيل آل رسول الله إلى الشام

* السيّدة زينب الكبرى في طريق الشام

* السيّدة زينب الكبرى في الشام

* الدخول في مجلس الطاغية يزيد

* ماذا حَدَثَ في مجلس يزيد؟

* رأسُ الإمام الحسين في مجلس الطاغية يزيد

تَرْحيل آل رسول الله إلى الشام

وقد جاءَ في كُتُب التاريخ: أنّ ابنَ زياد كتَبَ إلى يزيد بن معاوية رِسالةً يُخبِرهُ فيها بقَتْل الإمام الحسين وأسْر نِسائه وعِياله، وتَفاصيلَ أُخرى عن الفاجعة.

فكتَبَ يزيدُ في جواب رسالتِه: أنْ يَبعثَ إليه برأس الحسين ورؤوس مَن قُتِلَ مَعَه والنساء الأُسارى.

فاستَدعى ابنُ زياد ب- «مخَفّر بن ثعلبة العائذي» و «شمر ابن ذي الجَوشن» للإشراف على القافلة ومَن مَعَها من الحَرَس، وسَلّم إليهم الرؤوس والأسرى، وأمر ب- «عليّ بن الحسين» أن تُغَلّ يَدَيه إلى عُنُقه بسِلْسِلَةٍ مِن حَديد!

فساروا بِهِنّ إلى الشام كما يُسارُ بسَبايا الكُفّار، يَتَصفَحُ وجوهَهُنّ أهلُ الاقطار! (1)

1- كتاب «المَلْهوف» ص 208، و«الإرشاد» للشيخ المفيد ص 245

لا نَعلَم بالضَبط – كم طالت المُدّة الّتي تَمَّ فيها قطعُ المَسافة بَينَ الكوفة والشام، ولكنّنا نَعلَم أنّها كانتْ رحلة مَليئة بالإزعاج والإرهاق وأنواع الصعوبات، فَقَد كانَ الأفراد المُرافِقُون للعائلة المُكرّمة قد تَلقّوا الأوامر بأن يُعاملوا النساء والأطفال بِمُنتهى القساوة والفَظاظة، فلا يَسمَحوا لَهم بالإستراحة اللازمة مِن أتعاب الطريق ومَشاقّه وصُعوباته، بل يُواصلوا السَير الحَثيث، للوصول إلى الشام وتقديم الرؤوس الطاهرة إلى الطاغية يزيد.

ومِن الثابت – تاريخيّاً – أنّه كانَ للسيّدة زينب (عليها السلام) الدَورَ الكبير في: إدارة العائلة، والمُحافَظة على حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) وحِماية النساء والأطفال، والتَعامُل معَهم بكلِّ عاطفة وحَنان .. مُحاولةٌ منها مَلأ بعض ما كانوا يَشعرون به مِن الفَراغ العاطفي،

والحاجَة إلى مَن يُهَوّن عليهم مَصائبَ الأسْر ومَتاعِبَ السّفَر.

ورُويَ عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنّه قال:

«إنّ عَمّتي زينب كانتْ تُؤدّي صَلَواتها: الفَرائضَ والنّوافِلَ .. مِن قِيام عند سَيْر القوم بِنا مِن الكوفة إلى الشام!

وفي بعض المَنازل كانتْ تُصلّي مِن جُلوس فسالتها عن سَبَب ذلك ؟

فقالت: أُصـلّي النوافِلَ مِن جُلوس لِشِدّة الجوع والضّعف، وذلك لأني مُنذَ ثلاث لَيال، أُوزَعُ ما يُعطونَني مِن الطعام على الأطفال، فالقوم لا يَدفَعون لكلٍّ مِنّا إلّا رَغيفاً واحِداً مِن الخُبز في اليوم والليلة!! (1)

أجل ..

وقد كانت الحِكْمةُ والمصْلَحةُ تَقتضي انّ الإمامَ زينَ العابدين (عليه السلام) يَبقى بمَعْزِل عن انتباه الأعداء والجواسيس المُرافقين، ولا يَتكلّم بأيّة جُملةٍ مِن شأنها جَلْب الإنتباه إليه. ولذلك فقد جاء في التاريخ: أنّ الإمام علي بن الحسين ما كانَ يُكلّمُ أحَداً مِن القوم .. طِوالَ الطريق

1- كتاب «زينب الكُبرى» للشيخ جعفر النَقدي، ص 59

إلى أنْ وَصَلوا إلى باب قَصْر يزيد بدمشق! (1)

مِن هنا .. فقد كان الدَور الأكبر مُلْقى على عاتِقِ السيّدة الكفوءة زينب العظيمة (عليها الصلاة والسلام).

ورغم قِلَّة المَعْلومات التي وَصَلتْنا عَمّا جَرى على السيّدة زينب في طريق الشام مِن الحوادث، إلّا أنّنا نَذكر هذه المَقطوعات والعَيّنات التاريخيّة الّتي تُعبّر للقارىء المُتدبّر الذكيّ عن أُمور كثيرة، وعن الدَور العظيم والمَسؤوليّات الجَسيمَة التي قامتْ بها السيّدة زينبُ الكبرى (عليها السلام) طِوالَ هذه الرِحْلة:

ونَقرأ في بعض كتُب التاريخ: أنّ في طريقهم إلى الشام مَرّوا على منطقة «قَصْر مُقاتل» (2) وكان ذلك اليوم يوماً شَديدَ الحَرّ، وقد نُزِفَت القِربةُ التي كانَت مَعَهم وأُريق ماؤها (3) فاشتَدَّ بهمُ العطش، وأمَرَ عمرُ بنُ سعد جماعةٌ مِن قومه أن يَبحَثوا عن الماء، وأمَرَ أن تُضرَب خَيمة لِيَجلسَ

1- كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد ص 245

2- قصر مقاتل: قصر كان بين «عين التمر» والشام. مَنسوب إلى مُقاتل بن حسان. وقيل: كان ذلك قُربَ القطقطانة. كما في «مَراصِد الإطلاع في اسماء الأمكنة والبِقاع» للبغدادي

3- نُزِفَت القِربة: نَفَدَ ماؤها وجَفّتْ

فيها هو وأصحابه، لكي تَحْميهِم مِن حَرارة الشمس، وتَركوا عائلةَ الإمام الحسين (عليه السلام) وجميعَ النساء والاطفال.. تَصْهَرُهم الشمس، وأقبَلَت السيّدة زينبُ (عليها السلام) إلى ظلّ جَمَلٍ هناك، وقد أمسَكتْ بالإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) وهو في حالةٍ خطيرة.. قد أشرف على الموت مِن شِدّة العطش، وبيَدها مِروَحة تُروّحُه بِها مِن الحَرّ، وهي تَقول: (يَعُزُّ عليّ أنْ أراك بهذا الحال يابنَ أخي»!

وذَهبَتْ السيّدةُ سكينة بنتُ الإمام الحسين (عليه السلام) إلى ظِلّ شجرة كانت هناك، وعَمِلَتْ لِنَفسّها وِسادةً مِن التُراب ونامَتْ عليها، فما مَضَتْ ساعة إلّا وبَدا القومُ يَرحَلون عن ذلك المكان مع السَبايا وتَركوا سكينة نائمة في مكانها.

فقالتْ فاطمةُ الصُغرى – وكانتْ عديلة سكينة (1) – للحادي (2): «أينَ أُختي سكينة؟! والله لا أركبُ حتّى تأتي بأُختي».

فقال لها: وأينَ هي؟

1– عَديلة: العَديلُ: الذي يُعادلُك في المَحْمل. كما في كتاب «العين» للخليل بن أحمد

2– الحادي: السائق للإبل

قالت: لا أدري أينَ ذَهَبَتْ.

فصاحَ السائق للقافلة باعلى صوته: ياسكينة هَلُمّي واركبي مَعَ النساء؟

فلمْ تَستَيقِظ سكينة مِن نَومَتها لِشِدّة مابِها مِن التَعَب والإرهاق، وبَقيتُ نائمة.

ولمّا أضَرّ بها الحَرُّ والعطش إنتَبَهَتْ مِن نَومتها، وجَعَلَتْ تَمشي خَلْفَ غُبار القافلة وهي تَصيح: «أخيّه فاطمة! ألسْتُ عَديلَتَك في المَحْمِل! وأنتِ الآن على الجَمَل وأنا حافية؟!».

فعَطفَتْ عليها أُختُها، وقالتْ للحادي: «والله لَئنْ لم تأتني بأُختي لأرمِينَّ نفسي مِن هذا الجَمَل، وأُطالبُك بِدَمي عند جَدّي رسول الله يومَ القيامة»!

فقالَ لها: مَن تكونُ أُختُكِ؟

قالت: سكينة التي كان الحسين يُحبّها حُبّاً شديداً، فَرَقّ لها الحادي، ورَجَعَ إلى الوَراء حتّى وَجَد أُختَها وأركبَها معَها. (1)

1- كتاب (الدَمعة الساكبة) للبهبهاني المُتوفّى عام 1285ه-، طبْع لبنان، ج 5، ص 75 . وقد نَقَلْنا الحادثة مع تغييرٍ يَسير في بعض العبارات. المُحقّق

وقد جاءَ في التاريخ – أيضاً – أنّ في ليلة مِن الليالي، بَينَما القومُ يَسيرونَ في ظَلام الليل، بَدأتْ السيّدةُ سكينةُ بنتُ الإمام الحسين (عليهما السلام) بالبُكاء، لأنّها تَذكّرتْ أيّامَ أبيها ، وماكانَ لَها مِن العِزّ والإحترام، ثمّ هي – الآن – أسيرة بعْدَ أنْ كانتْ أيّامَ ابيها عَزيزة، واشتَدّ بُكاؤها، فقال لها الحادي: أُسكُتي يا جارية! فقد آذَيْتيني بِبُكائك!

فما سَكتَت، بل غَلَب عليها الحُزْنُ والبكاء، وأنَّتْ أنّةٌ مُوجِعَة، وزَفَرَتْ زَفَرَةٌ كَادَتْ رُوحُها أَنْ تَخْرُجُ!!

فَزَجَرَها الحادي وسَبّها، فَجَعَلَتْ سكينةُ تَقول – في بُكائها – وا أسَفاهُ عليك يا أبي! قَتَلوك ظُلْماً وعُدْوانا!

فغَضِبَ الحادي مِن قَولها وأخَذَ بِيَدها وجَذَبَها ورَمى بها على الأرض!!

فلمّا سَقَطتْ غُشِيَ عليها، فما أفاقَتْ إلّا والقافِلة قد مَشَتْ، فقامَتْ وجَعَلتْ تَمشي حافيةً في ظلام الليل، وهي تَقومُ مَرَةً وتَقعُدُ مَرّةً!! وتَسْتَغيثُ بالله وبأبيها، وتُنادِي عَمّتَها، وتقول: يا أبتاه مَضَيتَ عَنّي وخَلَفْتَني وَحيدةً غَريبةً، فإلى مَن التَجِيءُ وبِمَنْ الوذُ في ظُلْمة هذه الليلة في هذه البَيْداء؟!!

فركضَتْ ساعةً مِن الليل وهي في غاية الوَحْشَة! فَلَمْ تَرَ أثَراً مِن القافِلة، فسَقَطتْ مَغْشِيّةٌ عليها!!

فعِنْدَ ذلك إقتُلعَ الرُمح – الذي كانَ عليه رأسُ الحسين – مِن يَدِ حامِلِه، وانشَقّت الأرضُ ونَزلَ الرُمحُ إلى نِصْفِه في الأرض، وثَبُتَ كالمِسْمار الّذي يُثَبّتُ في الحائط!!

وكلّما حاولَ حامِلُ الرُمح أنْ يُخرجَه مِن الأرض .. لم يَتمكّن! واجتَمَعتْ جماعة مِن القوم وحاولوا إخراج الرُمح فلمْ يَستَطيعوا ذلك.

فأخبَروا بذلك عمرَ بنَ سعد، فقال: إسألوا عليّ بنَ الحسين عن سَبَب ذلك.

فلمّا سألوا الإمام (عليه السلام) قال: قُولوا لِعَمّتي زينب تَتَفَقّد الأطفال، فَلَرُبَّما قد ضاعَ مِنْهم طفل.

فلمّا قيلَ لِزَينب الكبرى ذلك، جَعَلَتْ تَتَفَقَدُ الأطفال وتُنادي كلَّ واحدٍ مِنْهم باسْمِه، فلمّا نادتْ: بُنَيّه سكينة لم تُجِبْها! فَرَمَتْ السيّدة زينبُ (عليها السلام) بِنَفسِها مِن على ظهر الناقة! وجَعَلَتْ تُنادي: واغُربَتاه! واضَيعَناه واحُسَيناه!

بُنَيّه سكينة: في أيِّ أرضٍ طرَحُوكِ!

أمْ في أيّ وادٍ ضَيّعُوكِ! ورَجَعَتْ إلى وَرَاءِ القافِلة وهي تَعْدو في البَراري حافِية، وأشواكُ الأرض تَجْرَحُ رِجْلَيها، وتَصْرَخ وتُنادي!!

وإذا بِسَوادٍ قد ظهَر فَمَشَتْ نَحْوَهُ وإذا هي سكينة، فَرَجَعَتا مَعاً نحو القافِلة. (1)

ورُويَ عن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) أنّه سَألَ أباهُ عليَّ بنَ الحسين (عليهما السلام) عَمّا جَرى لَه في طريق الشام؟

فقالَ الإمامُ عليُّ بنُ الحسين: حُمِلْتُ على بَعيرٍ هَزيل، بِغَير وِطاء، ورأسُ الحسين (عليه السلام) على عَلَم، ونِسْوَتُنا خَلْفي، على بِغال، والحَرَسُ خَلْفَنا وحَولَنا بالرماح، إِنْ دَمِعَتْ مِنْ أحَدِنَا عَينٌ قُرِعَ رأسُه بالرُمح! حتّى دَخَلْنا دمشق، صاحَ صائحٌ: يا أهلَ الشام: هؤلاء سَبايا أهل البيت. (2)

1- كتاب «مَعالي السبطين» ج 2، الفَصل الثالث عشر، المجلس الثالث عشر، وهو يَنقل ذلك عن كتاب «مِصْباح الحرمَين»

2- كتاب «الإقبال» للسيّد ابن طاووس

السيّدة زينب الكُبرى في الشام

ووَصَل موكبُ الحُزْن والأسى إلى دمشق: عاصمة الأمويّين، ومَركز قِيادَتهم، وبُؤرة الحِقْد والعِداء، ومَسْكن الأعداء الألدّاء.

وقد إتّخَذَ يزيدُ التَدابيرَ اللازمة لِصَرْف الأفكار والأنظار عن الواقع والحقيقة، مُحاوِلاً بذلك تَغْطيةَ الأُمور وتَمْويهَ الحقائق، فأمَرَ بتَزيين البلدة بأنواع الزينة، ثمّ الإعلان في الناس عن وصول قافلة أُسارى وسَبايا، خَرجَ رجالُهم مِن الدين فقَضى عليهم يزيد وقتَلَهم وسَبى نساءَهم لِيَعتَبر الناسُ بهم، ويَعْرفوا مَصيرَ كلّ مَن يَتَمَرّد على حُكْم يزيد!

ومِن الواضح أنّ الدعاية والإعلام لها دَورُها في تَمْويه الحقائق، وخاصّةً على السُذّج والعَوام مِن الناس.

ص: 371

إستمعْ إلى الصحابي: سَهْل بن سعد الساعدي قال: «خَرجْتُ إلى بيت المقدس، حتّى تَوَسّطتُ الشام، فإذا أنا بمدينةٍ مُطَرَدَةِ الأنهار، كثيرةِ الأشجار، قد عَلَقُوا السُتور والحُجُب والديباج، وهم فَرِحون مُستَبشِرون، وعندهم نساءُ يَلعَبْنَ بالدُفوف والطبُول.

فقلتُ في نفسي: لانَرى لأهل الشام عيداً لا نَعْرفه نحن. فرأيتُ قوماً يَتحدّثون، فقلتُ: ياقوم لكم بالشام عيدٌ لا نَعْرفه نحن؟!

قالوا: ياشيخ نَراك أعرابياً غريباً!

فقلتُ: أنا سَهلُ بنُ سعد، قد رأيتُ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

قالوا: ياسَهْل، ما أعجَبَك السماء لا تُمْطِر دَماً، والأرض لا تَنْخَسِف بأهلِها!

قلتُ: ولِمَ ذاك؟

قالوا: هذا رأس الحسين عِتْرة محمّد يُهْدى مِن أرض العراق!

فقلتُ: واعَجَباه .. يُهْدى رأسُ الحسين والناسُ يَفرحون؟!

ثمّ قلتُ: مِن أي باب يَدخل؟

فأشاروا إلى بابٍ يُقال له: «باب الساعات».

فبينا أنا كذلك إذْ رأيتُ الرايات يَتْلُو بَعْضُها بعضاً، فإذا نحنُ بفارس بيده لواء مَنزوع السنان (1) عليه رأسُ مِن أشّ بَه الناس وَجْهاً بِرَسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فإذا أنا مِن وَرائه رأيتُ نِسْوةً على جِمال بغير وِطاء، فدَنَوتُ مِن أُولاهنّ، فقلتُ: يا جارية: مَن أنتِ؟

فقالت: أنا سكينة بنتُ الحسين.

فقلتُ لها: الَكِ حاجة إليّ؟ فأنا سَهْل بنُ سعد ممّن رأى جَدّكِ وسمِعَتُ حَديثَه.

قالتْ: ياسهل: قُلْ لِصاحِب هذا الراس أنْ يُقدّم الرأس أمامَنا، حتّى يَشتَغِل الناسُ بالنظر إليه ولا يَنظروا إلى حُرِم رسول الله.

قال سَهلُ: فدنَوتُ مِن صاحِب الراس فقلتُ له: هل لكَ أنْ تَقضي حاجتي وتأخذ مِنّي أربعمائة ديناراً؟

قال: ما هي؟

قلتُ: تُقدّمُ الرأس أمامَ الحرَم.

1- اللواء: العَلَم، وهو دون الراية. كما في «المعجَم الوسيط». والسِنان: الحَديدة التي في رأس العَلَم او راس الرمُح

ففَعَلَ ذلك.

فدَفَعتُ إليه ما وَعَدْتُه ... . ». (1)

ولمّا أدخَلوهُنّ دمشق طافوا بهِنّ في الشوارع المُؤدّيَة إلى قَصْر الطاغية يزيد، ومعَهُنّ الرؤوس على الرماح، ثمّ جاؤا بهِنّ حتّى أوقَفوهُنّ على دكّةٍ كبيرةٍ كانتْ أمامَ باب المسجد الجامع، حيث كانوا يوقِفُون سَبايا الكفّار على تلك الدكّة (2)، ويُعْرضونَهم للبيع، لِيَتفَرَّج عليهم المُصلّون لَدى دخولهم إلى المسجد وخروجهم منه، وبذلك يَخْتاروا مَن يُريدونَه للإستخدام ويَشْتروه.

نعم، إنّ الّذين كانوا يَعتبرون أنفسَهم مُسلمين، ومِن أُمّة محمّد رسول الله . . أوقَفوا آلَ الرسول على تلك الدكّة.

يا لَلأسَف!

يا لَلمأساة!

يا لَلفاجعة!

1- بحار الانوار للشيخ المجلسي، ج 45 ص 127 باب 39 وكتاب «تَظلّم الزهراء»، ص 275

2- كتاب «مَعالي السبطين»، ج 2، ص 140 الفصل الرابع عشَر، المجلس الرابع. وقد نَقلْنا مَضمونَ ذلك

يا لَلمُصيبة!

وجاءَ شيخ (1) ودَنى مِن نساء الحسين (عليه السلام) وقال:

«الحمْد لله الذي قَتَلَكم وأهلَككم، وأراحَ البلاد مِن رجالكم، وأمكنَ أمير المؤمنين مِنْكم».

فقالَ لَه عليُ بنُ الحسين (عليه السلام): «ياشيخ: هلْ قَرأتَ القرآن»؟

قال: نعم.

قال: فهَل عَرفْتَ هذه الآية: «قُل لا أسألُكم عليه أجْراً إلّا المَودَّةَ في القُربي» (2)؟

قال الشيخ: قد قَرأتُ ذلك.

فقال له الإمام: «نَحنُ القُربى يا شيخ، فهل قَرأتَ: «وآتِ ذا القُربى حَقّه»؟ (3)

فقالَ الشيخ: قد قَرأتُ ذلك.

فقال الإمام: «فنَحنُ القُربى يا شيخ، فهَلْ قَرأتَ

1- شيخ: أي: رجل طاعِن في السِن

2- سورة الشورى، الآية 23

3- سورة الإسراء، الآية 26

هذه الآية «وأعلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُم مِن شيء فانّ لِلّه خُمُسَه وللرسول ولِذِي القُربى»»؟ (1)

قال: نعم.

فقال الإمام: «فنَحنُ القُربى يا شيخ، وهل قرأتَ هذه الآية: «إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويُطهّركم تطهيراً»». (2)

قال الشيخ: قد قرأتُ ذلك.

فقال الإمامُ: «نَحنُ أهلُ البيت الّذين خَصّنا الله بآية الطهارة ياشيخ».

قال الراوي: بَقيَ الشيخُ ساكتاً نادِماً على ما تكلّم به، وقال - مُتَعَجَباً - تالله إنّكُمْ هُمْ؟!

فقالَ عليُ بنُ الحسين: «تالله إنّا لَنَحْنُ هُمْ .. مِن غير شَك، وحَقّ جَدّنا رسول الله إنّا لَنَحنُ هُمْ».

فبكى الشيخُ ورَمَى عِمامَتَه، ثمّ رَفَع رأسَه إلى السماء وقال: اللهُمّ إنّي أبرأُ إليك مِن عَدوّ آلِ محمّد، مِن الجِنّ والإنس.

1- سورة الأنفال، الآية 41

2- سورة الأحزاب، الآية 33

ثمّ قال: هلْ لي مِن تَوْبة؟

فقالَ له الإمامُ : «نعم، إنْ تُبْتَ تابَ اللهُ عليك، وأنتَ مَعَنا».

فقال الشيخ: أنا تائب.

فبَلَغ يزيدَ بنَ معاوية حديثَ الشيخ، فأمَرَ به فقُتِلَ. (1)

1- كتاب «المَلهوف على قتلى الطفوف»، ص 211 وكتاب «تَظلُّم الزهراء»، ص 278

الدخول في مجلس الطاغية يزيد

رُويَ عن الإمـام علي بن الحسـين (عليهما السـلام) أنّه قال: «لمّا أرادوا الوفود بنا على يزيـدين معاويـة أتَوْنا بحبال وربطونا مِثْلَ الاغنام (1) وكان الحَبْلُ بِعُنُقي وعُنُق أُمّ كلثوم، وبكتِف زينب وسـكينة والبُنَيّات، وساقُونا وكلّما قَصّرْنَا عن المَشـي ضَـرَبونا، حتّى أوقَفُونا بينَ يَدَي يزيد، فتَقدّمتُ إليه – وهو على سَرير مَمْلَكته وقلتُ له: ماظنُّك برسول الله لو يَرانا على هذه الصِفة»؟!

فأمَرَ بالحِبال فقُطّعتْ مِن أعناقنا وأكتافنا. (2)

ورُويَ – أيضاً – أنّ الحَريم لما أُدخِلنَ إلى يزيد بن

1- وفي نسخةٍ: ورَبّقُونا

2- كتاب «المنتَخَب» للطريحي، ج 2 ص 473، المجلس العاشر. وكتاب «تَظلّم الزهراء» ص 278

معاويـة، كـان يَنظرُ إليهنّ ويَسـأل عن كلّ واحـدةٍ بعَينها وهُنّ مُربّطات بِحَبْلٍ طويل، وكانتْ بينَهنّ امرأة تَسْتُر وَجْهَها بِزَنْـدها، لأنّها لم تَكُنْ عندَها ما تَسْتُر به وَجْهَها.

فقال يزيد: مَن هذه؟

قالوا: سكينة بنت الحسين.

فقال: أنتِ سكينة؟

فبَكتْ واختَنَقتْ بعَبْرتها، حتّى كادتْ تَطْلع روحُها!!

فقال لها: وما يُبكيكِ؟

قالت: كيف لا تَبكي مَن ليسَ لها سِتْر تَسْتُر وَجْهَها ورأسَها، عنك وعن جُلسائك؟! (1)

1- كتاب «المنتَخَب» للطريحي، ج 2 ص 473، المجلس العاشر. وكتاب «تَظلُّم الزهراء» ص 279

ماذا حَدَث في مجلس يزيد؟

ورَوى الشيح المُفيد في كتاب (الإرشاد): قالتْ فاطمة بنت الحسين (عليه السلام):

«فلمّا جَلَسَ نا بين يَدَي يزيد رَقَّ لنا! فقامَ إليه رجل مِن أهل الشام أحمر (1) فقال: «يا أميرَ المؤمنين! هَبْ لي هـذه الجارية – وهو يُعْنيني – (2)، وكنتُ جارية وَضيئة (3) – فأُرعِدْتُ، وظنَنْتُ أنّ ذلك جائزٌ لهم، فاخذْتُ بثياب

1– رجـلُ احمر: أي أبيض. قـال إبن مَنظور – في كتـابه «لسـان العرب» –: «... لأـنّ العَرب لاـ تَقول: رجـلُ أبيض» مِن بياض اللون، إنّما الابيض – عندهم – : الطاهِر النَقيّ مِن العُيوب. فإذا أرادوا الأبيض مِن اللون قالوا: أحمَر. المُحقّق

2– يُعنيني: يَقصُدني

3– جارية: فَتاة. وَضيئة مُشرِقة جَميلة

عَمّتي: زينب، – وكانتْ تَعلَم أنّ ذلك لا يكون – وقلتُ:

«يا عَمّتاه: أُوتِمْتُ وأُستَخْدَم»؟ (1)

فقالت زينب: «لا، ولا كرامة لهذا الفاسق»، وقالت – للشامي –:

«كذبتَ – والله – ولَؤُمتَ، والله ما ذلكَ لك ولا لَه (2)».

فغَضبَ يزيد، وقال كذبتِ والله، إنّ ذلك لي! ولو شِئتُ أنْ أفعَل لَفَعلْتُ.

قالت [زينبُ]: «كلّا، والله ما جَعَلَ اللّهُ ذلك لك إلّا أنْ تَخْرَج عن مِلّتِنا، وتَدينَ بغير ديننا»!

فاستَطارَ يزيدُ غَضَباً، وقال:

«إيّاي تَسْتقبلين بهذا؟ إنّما خَرجَ مِن الدين أبوكِ واخوكِ»!!؟

فقالتْ زينبُ: «بدين الله، ودين أبي، ودينِ أخي إهتَديتَ أنتَ وجَدُّك وأبوك .. إِنْ كُنتَ مُسْلماً»!

قال: كذبتِ يا عدُوَّةَ الله!!

قالتْ له: «أنتَ أمير تَشْتُم ظالماً، وتَقْهَر

1- أو تمت واستَخْدَم؟: أي صِرْتُ يتيمة وأصير خادمة ايضاً؟

2- أي: ولا ليزيد

بِسُلْطانِك».

فكأنّه استَحيى وسكت، فعادَ الشامي فقال: هَبْ لي هذه الجارية؟

فقال يزيد: «أُعزُبْ! وَهَبَ اللهُ لك حَتْفاً قاضِياً»!

فقال الشامي: مَن هذه الجارية؟

قال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب!!

فقال الشامي: الحسين بن فاطمة.. وعلي بن أبي طالب؟!

قال: نعم.

فقال الشامي: لعَنَك الله – يا يزيد – أتَقتُل عِتْرة نبيّك، وتَسْبي ذرّيته؟ والله ما تَوَهَمْتُ إلّا أنّهم سَبْيُ الروم.

فقال يزيد: والله لألحِقَنّك بِهم.

ثمّ أمَرَ به فضُرِبَ عُنقه. (1)

1- الإرشاد، ص 246، وقد حكى ذلك المازندراني في «معالي السبطين» عن الإرشاد، مع بعض الفُروق في الكلمات، ونحن جَمَعْنا بين النسختين. وجاء ذلك – أيضاً – في تاريخ الطبرى ج 5 ص 461. المحقّق

رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في مَجلس الطاغية يزيد

وجاء في التاريخ: ثمّ وُضعَ رأسُ الحسين (عليه السلام) بين يَدَي يزيد، وأمَرَ بالنساء أنْ يُجلَسْن خَلْفه، لِئلّاً يَنظرن إلى الرأس، لكنّ زينب لمّا رأتْ الرأسَ الشريف هاجَ بها الحُزن، فأهوَتْ إلى جَيْبِها فَشَقَتْهُ ثمّ نادتْ - بصوتٍ حَزينٍ يُقْرِح القلوب -: «يا حُسيناه!

يا حبيبَ رسول الله!

يابنَ مكّة ومِنى!

يابنَ فاطمة الزهراء سيّدة النساء!

يابنَ المصطفى»! (1)

ص: 385

1- كتاب «المَلْهوف على قتلى الطفوف» ص 213

قال الراوي: فأبكتْ – والله – كلّ مَن كان حاضِراً في المجلس، ويزيد ساكت!

ثمّ دعى يزيد بِقَضيب خَيزران، فجَعَلَ يَنْكُتُ به ثنايا الإمام الحسين عليه السلام.

فأقبَلَ عليه أبو برزة الأسلمي وقال: وَيحك يا يزيد! اتنكُتُ بقضيبك ثَغرَ الحسين بن فاطمة؟ أشهَدُ لقد رأيتُ النبي يَرشِف ثَناياه وثَنايا اخيه الحسن ويقول: «أنتُما سيّدا شباب أهل الجنّة، قَتلَ اللهُ قاتليكُما ولعَنَه وأعَدّ لَه جهنّم وساءتْ مَصيرا».

فَغَضِب يزيدُ وأمَرَ بإخراجه، فأُخرِجَ سَحْباً. (1)

****

وجَعَل يزيد يقول:

لَيتَ أشياخي ببَدْرٍ شَهِدوا *** جَزَعَ الخزرج مِن وَقْع الأسَلْ

لأهَلّوا واستَهلّوا فَرَحا *** ثمّ قالوا: يا يزيدَ لا تُشَلْ

1- كتاب «المَلْهوف» ص 214

قد قَتَلْنا القرم (1) مِن ساداتهم *** وعَدَلناه بِبَدْرٍ فاعتَدلْ

لَعِبَتْ هاشمُ بالمُلْك فلا *** خَبَرٌ جاءَ وَلا وَحَي نَزَلْ

لسْتُ مِن خِنْدَفَ إنْ لمْ انتقِمْ (2) *** مِن بَني أحمدَ ما كان فَعَلْ (3)

1- القَرْم: السيّد المُعَظَّم. كما في المعجَم الوَسيط. وفي نسخة: «قد قتلْنا القَومَ مِن ساداتهم»

2- خِنْدف: إسمُ واحدةٍ مِن جَدّات معاوية

3- كتاب «المَلْهوف» لابن طاووس ص 214

الفَصل السادس عشَر

إشارة

* لماذا خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد؟

* خُطبة السيّدة زينب عليها السلام في مجلس الطاغية يزيد

*شرح خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد

* نَص خُطبة السيّدة زينب على رواية أخرى

ص: 389

لماذا خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد؟

لقـد شاهَدَت السـيّدة زينب الكبرى عليها السـلام) في مجلس يزيد مَشاهِد وقضايا، وسـمِعتْ مِن يزيد كلماتٍ تُعتبر مِن أشدّ انواع الإهانة والإستخفاف بالمُقدَّسات، وأقبَح أشكال الإستهزاء بالمُعتَقَدات الدينيّة، وأبشَع مَظاهِر الدناءة واللُؤم .. في تصرُّفاته الحاقِدة!!

مَظاهِر وكلمات يَنكشِفُ منها إلحادُ يزيد وزَندقته وإنكاره لأهمّ المُعتقدات الإسلاميّة.

مُضافاً إلى ذلك .. أنّ يزيـد قامَ بجريمـة كُبرى، وهي أنّه وَضَع رأسَ الإمام الحسـين (عليه السـلام) أمامَه وبَـدأ يَضـربُ بالعَصا على ثَنَـفَتَيه وأسنانِه، وهو – حينذاك – يَشربُ الخَمر!!

ص: 391

فهَل يَصحّ ويَجوز للسيّدة زينب أن تَسكُت، وهي إبنة صاحب الشريعة الإسلاميّة، الرسول الأقدس سيّدنا محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؟!

كيف تَسكُت .. وهي تَعلمَ أنّ بإمكانها أنْ تُزيّف تلك الدعاوى وتُفَنّد تلك الأباطيل، لأنّها مُسلّحَة بسِلاح المَنطق المُفْحِم، والدليل القاطع، وقُدرة البَيان وقوّة الحُجّة؟!

ولَعلّ التكليف الشرعي فَرَضَ عليها أن تكشِفَ الغِطاء عن الحقائق المَخفيّة عن الحاضرين في ذلك المَجْلِس الرَهيب، لأنّ المَجْلس كانَ يَحتوي على شخصيّات عسكريّة ومَدَنيّة، وعلى شَتّى طبَقات الناس. فقد كان يزيد قد أذِنَ للناس إذْناً عامّاً لِدخول ذلك المجلس، فمِن الطبيعي أن تَموج الجماهير في ذلك المكان وحول ذلك المكان، وقد خَدَعَتْهم الدعايات الأمويّة، وجَعَلتْ على أعينهم أنواعاً مِن الغِشاوة، فصاروا لا يَعرفون الحقّ مِن الباطل، منذ أربعين سنة، طيلةَ أيام حُكْم معاوية بن أبي سفيان على تلك البلاد.

وعلاماتُ الفَرَح والسُرور تَبدو على الوجوه بسَبَب إنتصار السُلطة على عِصابةٍ عَرَّفتْهم أجهِزة الدعاية الأمويّة بصورة مُشَوَّهة.

وقد تَعَوَّد أهلُ الشام على مُشاهَدة قَوافل الأسرى التي كانت تُجلَب إلى دمشق بعد الفُتُوحات.

أما يَنبغي لِحَفيدة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن تَنتَهز هذه الفرصة، وتُجازف بحَياتها في سبيل الله، وتَنفُض الغُبار عن الحقّ والحقيقة، وتُعَرّف الباطلَ بكلّ صِراحةٍ ووضوح؟

بالرَغم مِن أنّها كانت أجلّ شاناً، وأرفع قَدراً مِن ان تَخْطب في مَجلس مُلوّثٍ لا يَليقُ بها، لانّها سيّدة المُخَدّرات والمُحَجَّبات!

ولكنّ الضّرورة أباحَتْ لها أن توقِظ تلك الضمائر التي عاشَتْ في سُبات، وتُعيد الحياة إلى القلوب التي أماتَتْها الشهَوات، وغَمَرتْها أنواعُ الفُجور، والإنحراف عن الفِطْرة، فباتَتْ وهي لم تَسْمَع كلمة موعظة مِن واعظ، ولا نصيحة مِن ناصِح.

خُطبة السيّدة زينب عليها السلام في مجلس الطاغية يزيد

لقد رَوى الشيخُ الطبرسي في كتاب «الإحتجاج» خُطبة السيّدة زينب الكُبرى (عليها السلام)، ورَواها – ايضاً – السيّد ابن طاووس في كتاب «المَلهوف».

وبين الروايتين بعض الفروق والإضافات المُهمّة، ونحن نَذكُر – أوّلاً – نَصّ الخُطبة على رواية الطبرسي، ثمّ نَذكُر شَرحاً مُتواضعاً للخُطبة .. وبَعْدَ الفَراغ مِن شَرحِها، نَذكر نصّاً آخَر للخُطبة على رواية أُخرى مِن دون أن نَشْرح كلمات النَشصّ الثاني.

ونكتفي بذِكْر توضيحات مُختصرة لِبعض كلمات الخطبة – على رواية ابن طاووس – في هامش الصفحة، والله المُستعان.

ص: 395

رَوى الشيخُ الطبرسي في كتاب «الإحتجاج» مايَلي:

«إحتجاجُ زينب بنت علي بن أبي طالب، حِينَ رَأتْ يزيد (لعَنَه الله) يَضربُ ثَنايا الحسين عليه السلام بالمِخْصَرة (1).

«رَوى شيخٌ صَدُوق مِن مَشايخ بَني هاشم، وغيرُهُ من الناس: أنّه لمّا دَخَلَ عليُ بن الحسين (عليه السلام) وحُرَمُه على يزيد، وجِيءَ برأس الحسين (عليه السلام) ووُضِعَ بين يَديه في طست، فجَعَل يَضْربُ ثَناياه بمِخْصَرَةٍ كانتْ في يَده، وهو يقول:

لعِبَتْ هاشمُ بالمُلْك فَلا *** خَبَرٌ جَاءَ ولا وَحيٌ نَزَلْ

لَيتَ أشياخي ببَدْر شَهِدوا *** جَزَعَ الخَزْرجِ مِن وَقْعِ الأسَلْ

لاهَلّوا واسْتَهلّوا فَرَحا *** ولَقالوا: يا يزيدُ: لا تُشَلْ

1- المِخصّرة - على وَزْن مِكنَسَة - : عَصا او شِبْهها، يُتَوكّا عليها.. ويأخذها المَلِك بيده لِيُشِيرَ بها إلى ما يُريد. وقيل: هي عصا في رأسِها حَديدة مُحَدّدة، مِثْل حديدة رأس السَهم. المحقّق

فَجَزيناهُ بِبَدْر مثلاً (1) *** وأقمْنا مِثْلَ بَدْرٍ فاعتَدلْ

لَسْتُ مِن خِنْدَفَ إنْ لم أنتَقِمْ *** مِن بَني أحمدَ ما كان فَعَلْ (2)

قالوا: فلمّا رأتْ زينبُ ذلك أهوَتْ إلى جَيْبِها فشَقّتْه (3)، ثمّ نادتْ بِصَوتٍ حَزين يُقْرِح القُلوب: «يا حُسَيناه! يا حَبيبَ رسولِ الله، يابنَ مكّة ومِنى، يابنَ فاطمةَ الزهراء سيّدة النساء، يابنَ محمّد المصطفى».

1- وفي نسخة: قد قَتَلْنا القومَ مِن ساداتِهم

2- خِنْدَفَ: لَقَبُ امرأةٍ في الجاهليّة وإلى لَقَبِها إنتَمَتْ قَبيلتُها. كما يُستفاد ذلك مِن كتاب «لسان العرب» لابن مَنظور. وقيل: هي مِن جَدّات معاوية. المحقّق

3- جَيْبُ القَميص: ما يُدْخَل منه الرأس عند لبْس القميص. كما في «المُعجَم الوسيط». قال بعضُ المُحقّقين مِن الخُطباء «كانت المرأة المُحَجّبة تَلبَس اكثر مِن ثوب - في ذلك الزمان -، فإذا هاجَ بها الحُزن لِدَرجةٍ كبيرة، تَشُقُّ جَيبها كرَد فِعْل طبيعي للحُزن الشديد الّذي صارَ يَعصِرُ قلبَها بكيفيّة خَطرة، ويَبقى عليها أكثر مِن ثوب غير الثوب الذي شَقّتْ جَيبه. المُحقّق

قال: فابْكَت – والله – كلّ مَن كان ويزيـد ساكت، ثمّ قامَتْ على قَدَمَيها، وأشـرَفَتْ على المجلس، وشَرَعتْ في الخُطبة، إظهاراً لِكمالات محمّد (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) وإعلاناً باثّا نَصْبِر لِرِضى الله، لا لِخَوف ولادَهْشة، فقامَتْ إليه زينبُ بنتُ علي، وأُمُّها فاطمة بنتُ رسول الله، وقالت:

«الحَمْدُ لِله رَبِّ العالَمين، والصلاة على جَدّي سيّد المرسلين.

صَدَقَ اللهُ سُبحانه، كذلك يَقول: «ثمّ كانَ عاقبةَ الّذين أساؤا السُوئى أنْ كذّبوا بآياتِ الله، وكانوا بها يَسْتَهزئون». (1)

أظنَنْتَ – يايزيد – حِينَ أخذْتَ علينا أقطارَ الأرض (2)، وضَيّقْتَ علينا آفاقَ السماء، فأصْبَحْنا لك في إسار، نُساقُ إليكَ سَوْقاً في قِطار، وأنتَ علينا ذواقتِدار، أنّ بِنا مِن الله هَواناً، وعليك مِنْه كرامةً

1- سورة الروم، الآية 10

2- وفي نسخة: حيثُ أخذتَ...

وامتنانا (1)، وأنّ ذلك لِعِظَمِ خَطرِكَ وجَلالةِ قَدْرك، فَشَمَخْت بأنفِك، ونَظرتَ في عِطْفِكَ، تَضْرِبُ أصْدَرَيكَ فَرَحاً، وتَنْقَض مِذرَويْك مَرَحاً، حينَ رَايتَ الدنيا لك مُسْتَوسَقة (2) والأمور لَدَيك مُتّسِقَة، وحِينَ صَفى لك مُلْكُنا، وخَلُص لك سُلْطانُنا، فَمَهْلاً مَهْلا، لا تَطِشْ جَهْلا، أنَسِيتَ قولَ الله (عزّوجلّ): «ولا يَحْسَبَنّ الّذين كفروا انّما نُمْلِي لَهُم خَيرٌ لأنفسِهم، إنّما نُمْلِي لَهُم لِيَزْدادوا إثْماً، ولَهُم عذابٌ مُهِين» (3).

أمِنَ العَدْلِ - يابنَ الطُلَقاء - تَخْديرُك حَرائرَك وإماءَك وسَوْقُك بناتِ رسول الله سَبايا، قَدْ هَتَكْتَ سُتورَهنّ، وأبْدَيتَ وجُوهَهُنّ، تَحْدُوا بهِنّ الاعداءُ مِن بَلَد إلى بَلَد، ويَسْتَشْرِفُهنّ أهلُ المَناقِل، ويُتَبَرّزْنَ لأهْل المَناهِل، ويَتَصَفَحُ وجوهَهُنّ القَريبُ والبَعيد، والشّريفُ والوَضيع، والدَنيءُ والرَفيع، ليسَ مَعَهُنّ

1- وفي نسخة: ولك عليه كرامةً وامتنانا. المُحقّق

2- لعلّ الأصح: مُسْتوثَقة. المُحقق

3- سورة آل عمران، الآية 178

مِن رِجالِهنّ وَلي، ولا مِن حُماتِهِنّ حَمِي، عُتُوّاً مِنْك على الله، وجُحُوداً لِرَسول الله، ودَفْعاً لِما جاءَ به مِن عند الله.

ولا غَرْوَ مِنْك ولا عَجَبَ مِنْ فِعْلِك، وأنّى تُرْتَجى مُراقَبَـةُ إبنِ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أكبادَ الشّهَداء، ونَبَت لَحْمُه بدِماء السّعَداء ، ونَصَبَ الحَرْبَ لِسـيّد الأنبياء، وجَمَعَ الأحزاب، وشَهَرَ الحِراب، وهَزّ السُيوف في وَجْه رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم). أشَدُّ العَرَبِ لِلّه جُحُوداً، وأنكرُهُم له رَسولاً، وأظهرُهُم لَهُ عُدْواناً، وأعتاهُمْ على الرَبِّ كُفْراً وطُغياناً.

ألا إنّها نَتيجَةُ خلالِ الكُفْر، وضَبٌ يُجَرجرُ في الصَدْر لِقَتْلى يومِ بَدْر.

فلا يَسّتَبْطى في بُغْضِنا – أهلَ البيت – مَن كان نَظرُهُ إلينا شَنَفاً وإحَناً واضْغانا، يُظهِرُ كُفْرَه برسول الله، ويُفصِحُ ذلك بِلسانِه وهو يَقول – فَرِحاً بقَتْل وُلْده وسَبْي ذُرّيتِه، غيرَ مُتَحَوِب ولا مُسْتَعْظِم، يَهْتِفُ بأشياخه –:

لأهَلّوا واسْتَهَلُوا فَرَحاً *** ولَقالوا: يا يزيد: لا تُشَلْ

مُنْحَنِياً على ثَنايا أبي عبدالله – وكانَتْ مُقَبّلُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم – يَنْكُتُها بِمِخْصَرَته، قد التَمَعَ السُرورُ بِوَجْهه.

لعَمْري لقد نَكأتَ القُرْحةَ، واستَاصَلْتَ الشافة، بإراقَتِك دَمَ سَيّدِ شَباب أهلِ الجَنّة، وابنِ يَعْسُوب الدين (1)، وشَمسِ آلِ عبْد المُطْلب.

وهَتَفْتَ بأشياخِك، وتَقَرّبْتَ بِدَمِه إلى الكَفَرة مِن أسْلافِك، ثمّ صَرَخْتَ بِنِدائك، ولَعَمْري لقد نادَيتَهم لو شَهِدوك، ووَشِيكاً تَشْهَدُهم ولَنْ يَشْهَدوك، ولَتَودُّ يَمينُك – كما زَعَمْت – شُلّتْ بِك عن مِرْفَقِها وجُذَّتْ، وأحبَبْتَ أمّك لم تَحْمِلْكَ، وإيّاك لمْ تَلِدْ (2)، حِينَ تَصيرَ إلى سَخَط الله، ومُخاصِمك رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

اللهُمّ خُذْ بِحَقّنا، وانتَقِمْ مِن ظالِمِنا، واحْلُلْ غَضَبَك على مَن سَفَكَ دِماءَنَا، ونَقَضَ ذِمارنا، وقَتَلَ

1- وفي نسخة: وابن يَعسُوب دين العَرَب. وفي نسخة: وابن يَعسُوب العَرَب

2- وفي نسخة: وأباك لمْ يَلدْك

حُماتَنا، وهَتَكَ عَنّا سُدُولَنا.

وفَعَلْتَ فِعْلتَك التي فَعلْت، وما فَرَيتَ إلّا جِلْدَك، وما جَزَرْت إلّا لَحْمَك، وسَتَرِدُ على رسولِ الله بما تَحَمَلْتَ مِن دَم ذُريّتِه، وانتَهَكْتَ مِن حُرْمَتِه، وسَفكَتَ مِن دِماء عِتْرته ولُحْمَتِه، حيثُ يُجْمَعُ به شَمْلُهم، ويُلَمُّ به شَعَثُهُم، ويَنْتَقِمُ مِن ظالِمِهم، ويأخُذُ لَهُم بحَقّهِم مِن أعدائهم، فلا يَسْتَفِزنّك الفَرَحُ بقَتْلِهم، «ولا تَحْسَبَنّ الّذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً، بل احياءٌ عند رَبّهمْ يُرزَقون، فَرِحين بما آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْله». (1)

وحَسْبُك بالله وَليّاً وحاكِماً، وبرسول الله خَصْماً، وبجَبْرائيل ظهِيرا.

وسَيَعْلَمُ مَن بَوّاك ومَكّنَكَ مِن رِقابِ المُسلمين أنْ «بِئْسَ للظالِمين بَدَلاً» وأيّكُمْ شَرّ مَكاناً أضَلُّ سَبيلا.

وما استِصْغاري قَدْرَك ، ولا استِعْظامي تَقْريعَك تَوَهُّماً لانتِجاع الخِطاب فيك، بعد أنْ تَرَكْتَ

1- سورة آل عمران، الآية 169 - 170

عيونَ المُسلمين – به – عَبْرى، وصُدورَهم – عند ذِكْره – حَرّى.

فَتِلْكَ قُلوبٌ قاسِية، ونُفوسٌ طاغية، وأجسامٌ مَحْشُوّةً بِسَخَط الله، ولَعْنةِ الرسول، قد عَشّشَ فيها الشيطانُ وفَرّخ، ومِن هناك مِثلُك ما دَرَجَ (1).

فالعَجَبُ كلُّ العَجَب لِقَتْلِ الأتقياء، وأسباط الانبياء، وسَليلِ الأوصياء، بأيدي الطُلَقاء الخَبيثة، ونَسْلِ العَهَرَة الفَجَرة!!

تَنْطفُ أكُفُهُم مِن دِمائنا، وتَتحَلّبُ افواههُم مِن لُحومِنا.

تلك الجُثَثُ الزاكية على الجُبُوب الضاحية، تَنْتابُها العَواسِل، وتُعَفّرها أُمَّهات الفَواعِل. (2)

فلَئنْ اتّخَذْتَنا مَغْنَماً، لَتَجِدُ بِنا ـ وَشيكاً – مَغْرماً، حِينَ لا تَجِدُ إلّا ما قَدّمتْ يَداك، وما الله بِظَلّامٍ للعَبيد.

1– وفي نسخة: مادَرَج ونَهَض

2– وفي نسخة: الفراعل

فإلى الله المُشْتَكى والمُعَوَّل، وإليه المَلْجَأ والمُؤمَّل.

ثُمّ كِدْ كَيْدَكَ، واجَهَد جُهْدَك.

فوّالله الّذي شَرّفنا بالوَحي والكتاب والنُّبُوّة والإنتِخاب (1)، لا تُدْرك أمَدَنا، ولا تَبْلُغُ غايَتَنا، ولا تَمْحُو ذِكْرنا، ولا يَرحَضُ عنك عارُها.

وهَل رَأيُك إلّا فَنَد؟ وأيّامُك إلّا عَدَد؟ وجَمْعُك إلّا بَدَدٌ؟

يَومَ يُنادي المُنادي: ألا: لَعَنَ اللهُ الظالِمَ العادي.

والحمْدُ لِلّه الّذي حَكَمَ لأوليائه بالسَعادة، وخَتَمَ لأصفيائه بالشَهادة، بِبُلُوغ الإرادة، ونَقَلَهم إلى الرَحْمة والرأفة، والرِضْوان والمَغْفِرة.

ولم يَشْقَ - بِهم - غيرُك، ولا ابتُلِيَ - بِهم - سِواك.

ونَسالُهُ أنْ يُكمِلَ لَهُمُ الأجْر، ويُجْزِلَ لَهُمُ الثَوابَ والذُخْر، ونَسالُه حُسْنَ الخلافة، وجَميلَ الإنابة، إنّه رَحيم وَدود».

1- وفي نسخة: والإنتِجاب

فقال يزيد - مُجيباً لها -:

يا صَيحة تُحْمَدُ مِن صَوائحِ *** ما أهونَ الموت (1) على النَوائحِ (2)

ص: 405

1- وفي نسخة ما أهْوَن النَوْح على النَوائح

2- كتاب «الإحتجاج» للطبرسي، طبْع لبنان عام 1403ه-، ج 2 ص 307 - 310

شَرح خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد

قبلَ أن نَبْدأ بِشَرح بعض كلمات هذه الخُطبة نَجْلبُ إنتباهَ القارىء الكريم إلى هذا التمهيد:

تَدَبَرْ قليلاً لِتَتَصوّر أجواءَ ذلك المجلس الرَهيب، ثمّ مُعجزَة السيّدة زينب الكبرى في مَوقِفِها الجَريىء!

بالله عليك! أما تَتَعَجّب مِن سيّدةٍ أسيرة تُخاطبُ ذلك الطاغوت بذلك الخطاب؟

وتَتَحدّاه تحَدّياً لا تَنقَضي عجائبُه؟

ولا تَهابُ الحَرَسَ المُسلّح الّذي يُنفّذ الأوامر بكلّ سرعة وبدون أيّ تأمُّل او تَعَقُّل؟!

ص: 407

وأعجَب مِن ذلك سكوت يزيد أمامَ ذلك الموقف مع قدرته وإمكاناته؟

وكأنّه عاجِز لا يَستطيع أنْ يَقولَ شيئاً أو يَفعَلَ شيئاً!

أليسَ مِن العَجيب أنّ يزيد – وهو طاغوت زَمانه، وفرعون عصْره – لم يَستَطع أو لم يَتَجرّا على أن يَرُدّ على السيّدة زينب كلامَها، بل يَشعر بالعَجْز والضعف عن مُقاومة السيّدة زينب، ويَكتفي بقَراءة قول الشاعر:

«يا صَيْحَةٌ تُحْمَد مِن صَوائح»!

فما معنى هذا البيت في هذا المقام؟!

وما المُناسبة بين هذا البيت وبين كلمات خُطبة السيّدة زينب؟

فهَلْ كانتْ حِرفَة السيّدة زينب النِياحة حتّى يَنطبِق عليها قولُ يزيد: «ما أهْوَن النَوْح على النَوائح»؟

وما يُدرينا مَدى نَدم يزيد بن معاوية مِن مُضاعفات جرائمه التي ارتكبَها؟ وخاصّةً تَسيير آل رسول الله مِن العراق إلى الشام.

فإنّه – بالقَطْع واليقين – ما كان يَتصوّر أنْ سيّدة أسيرة سوف تَغمِسُه في بحار الخِزْي والعار،

فلا يَستطيعُ يزيد أن يَغسل عن نفس- تلك الوصمات .. إلى يوم القيامة.

وتكشِف الغطاء عن هَويّة يزيد، وتَرفع السِتار عن ماهيّته وأَصْلِه، وحَسَبه ونَسَبه، وسوابقه ولواحِقه، وتُخاطبُه بكلّ تحقير، وتَقرع كلماتُها مَسامعَ يزيد وكانهّا مِطرَقة كهربائيّة، تَرتجّ مِنْها جميعُ أعصابه، فيَعجَز عن كلّ مُقاومة!!

والآن إليك شَرْحاً موجَزاً لبعض كلمات هذه الخُطبة الحماسيّة المُلتهبة:

«الحمْدُ لِلّه ربّ العالمين، والصلاة على جَدّي سيّد المرسَلين»

إفتَتحَتْ كلامَها بحَمد الله رَبِّ العالَمين، ثمّ الصلاة على جَدّها: سيّد المرسَلين، فهي - بهذه الجملة - عَرَّفتْ نفسَها للحْاضِرين أنَّها حفيدةُ رسول الله سيّد المرسَلين (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتّى يَعرَف الحاضرون أنَّ هذه العائلة المَسْبيّة الأسيرة هي مِن ذَراري رسول الله لا من بلاد الكُفر والشِرْك. ثمّ قَرأتْ السيّدةُ هذه الآية:

«صَدقَ اللهُ سُبْحانَه، كذلك يَقول: «ثمّ كانَ عاقبةَ الّذين أساؤا السُوئى أنْ كذّبوا بآيات الله وكانوا بها

يَستهزؤن» (1).

وما أروعَ الإستِشْهاد بِها، وخاصِةً في مُقدّمة خُطبَتها!!

وعاقبةُ كلِّ شيء: آخِرُه، أي: ثمّ كان آخِرُ أمْر الّذين أساؤا إلى نُفوسهم - بالكُفْر بالله وتكذيب رُسُله، وارتكاب مَعاصيه - السُوئى، أي: الصِفَة التي تَسُوءُ صاحِبَها إذا أدركتْه، وهي عذابُ النار.

«أنْ كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يَستهزؤن» أي: بسبَب تَراكُم الذنوب والمَعاصي في مَلَفّ أعمالهم حَصَلَ منهم التكذيب بآيات الله والحقائق الثابتة، وظهَرَ منْهم الإستهزاء بها وبالمُقدّسات الدينيّة. وهي (عليها السلام) تُشير بكلامها - هذا - إلى تلك الأبيات التي قالَها يزيد:

«لَعِبَتْ هاشمُ بالمُلْكَ فَلا *** خَبَرٌ جَاءَ وَلا وَحْيٌ نَزَلْ

ومعنى هـذا البيت مِن الشِعْر: أن بَني هاشم - والمَقصود مِن بَني هاشم: هو رسول الله - لَعِبَ بالمُلْك بإسم النبوّة والرسالة، والحال أنّه لم يَنزِل عليه وَحيٌ مِن السماء، ولا جاءَه خَبَرٌ مِن عند الله تعالى.

1- سورة الروم، الآية 10

فتَراه يُنكرِ النُبوّةَ والقرآنَ والوَحي!!

وهل الكفر والزَندقة إلّا هذا؟!

ثمّ إنّ بعض الناس – بسبب أفكارهم المَحْدودة – يَتصوّرون – خَطأً – أنّ الإنتصار في الحَرب يُعتَبرُ دليلاً على أنّهم على حَقّ، وعلى قُربِهم مِن عند الله تعالى، فتَسْتَولي عليهم نَشْوةُ الإنتصار والظَفَر، ويَشْملُهُم الكِبْرياء والتَجَبّر بسَبَب التَغَلّب على خُصومهم؛

ولكنّ السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) فَنّدتْ هذه الفِكْرة الزائفة، وخاطبَتْ الطاغية يزيد باسمه الصَريح، ولم تُخاطبه بكلمة: «أيّها الخليفة» أو «يا اميرالمؤمنين» وأمثالهما مِن كلمات الإحترام.

نعم، خاطبَتْه باسمِه، وكانّها تُصرّح بِعَدَم إعترافها بخلافة ذلك الرجس فقالت:

«أظنَنْتَ – يا يزيد – حينَ أخذْتَ علينا أقطارَ الأرض وضَيّقتَ علينا آفاقَ السماء، فأصبحْنا لك في أسار، نُساق إليك سَوْقاً في قِطار، وأنتَ علينا ذو اقتدار، أنّ بِنا مِن الله هَوانا، وعليك منه كرامة وأمتِنانا»؟!

تَصِفُ السيّدة زينب حالَها، وأحوالَ مَن معها مِن العائلة المُكرّمة، أنّهم كانوا في أشدّ الضيق، كالإنسان

الذي اخذوا عليه، أي: مَنْعُوه وحاصروه من جميع الجوانب والجهات، بحيث لا يستطيع الخروج والتخلص من الأزمة.

وبعد هذا التضييق والتشديد، والمَنْع والحَبْس اصبَحْنا نُساق مِثْل الأسارى الذين ياتون بهم من بلاد

الكفر عند فَتْحها

«سَوْقاً في قِطار» يُقال – ولا مُناقَشَة في الأمثال –: «قطار الإبل» أي: عدد مِن الإبل على نَسَق واحد وفي طابورٍ طويل، وقد قرأنا أنّ جميع أفراد العائلة ومعَهم الإمام زين العابدين والسيّدة زينب (عليهما السلام) كانوا مَربوطين ومُكتّفين بحَبْلٍ واحد!

«وأنتَ علينا ذو اقتِدار» أي: نحنُ في حالة الضعف وأنت في حالة القُدرة.

«أنّ بِنا مِن الله هَواناً، وعليك منه كرامة وامتنانا»؟!

أي: أظَنَنْتَ – لمّا رأيتَنا مَغْلوبين، ووَجَدتَ الغَلَبة والظَفَر لِنفسك – أنْ ليسَ لَنا جاه ومَنزلة عند الله، لأنّنا مَغلوبون؟!! وظننتَ أنّ لك عند الله جاهاً وكرامة لأنّك غَلبْتَنا وظَفَرتَ بِنا، وقَتلْتَ رِجالَنا وسَبَيت نساءَنا؟!!

«و» ظَنَنْتَ: «أنّ ذلك لِعِظَم خَطرك»

أي : لِعُلُو مَنْزِلَتِك.

«وجَلالة قَدْرك» عند الله تعالى؟!

وعلى أساس هذا الظنّ الخاطيء الذي «لا يُغني مِن الحقّ شيئاً» و «إنّ بعضَ الظنّ إثمٌ»، إستَولَتْ عليك نَشْوَة الإنتصار.

«فَشَمَخْتُ بأنفِك» يُقال: شَمَخَ بأنفه: أي رَفَع أنفَه عِزّاً و تكبُّراً.

«ونَظَرتَ في عِطْفك» العِطف – بكسر العين – جانبُ البَدن، والإنسانُ المُعْجَب بنفسه يَنظر إلى جسمه وإلى مَلابسه بِنوعٍ من الأنانيَّة وحُبِّ الذات والغُرور.

«تَضرب أصدرَيك فَرَحاً» الأصدَران: عِرقان تحت الصدْغَين، وضَرَبَ أصدريه: أي: حَرَكَ رأسَه – بكيفيّة خاصّة – تَدلُّ على شِدّة الفَرَح والإعجاب بالنَفْس.. إزاءَ ما حَقَقَهُ مِن إنتصارٍ مَوْهوم.

«وتَنفَض مِدْرَوَيكَ مَرَحاً»

يُقال: جاءَ فلان يَنْفَض مِدْرَويه : إذا جاءَ باغياً يُهدّد

الآخَرين.

هـذا ما ذكرَه اللُغَويّون، ولكنّ الظاهر أنّ معنى «يَنقَض مِـذْرويه» أي يَهُزّ إليَتيه، وهو نوع مِن حَركاتِ الرَقْص عنـد المُطْربين حينَما تأخُـذُهم حالةُ الطَرَب والخفة .

«حينَ رأيتَ الدنيا لك مُستوسَقة»

أي: مُجتَمِعة.

«والأُمور لَدَيكَ مُتّسِقة»

أي: مُنتَظَمة، بمعنى: أنّك رأيتَ الأُمور على ما تُحِبّ وتَرضى، وعلى ما يُرام بالنسبة إليك، فكلُّ شيء يَجري كما تُريد.

«وحينَ صَفى لك مُلْكُنا، وخَلُص لك سُلطانُنا»

أي: ومِن أسباب فَرَحِك، وقِيامك بالحَركات الطائشَة الّتي تَدلُّ على شِدّة سُرورك، أنّك رأيتَ مِن نَفْسِك مَلِكاً وسُلْطاناً قد نَجَحَ في خُطّتِه الّتي رَسَمَها لإبادة مُنافِسِه، وأسْرِ نِسائه.

لكن .. إعلَمْ أيّها المَغرور: أنّ هذه القُدرة والمكانة التي اغتَصَبْتَها – وهي الخلافة – هي لنا أساساً، لأنّ يزيد

كان يَحْكُم بِإسْم خِلافة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ومِن الواضـح أنّ خلافـة رسول الله لها مَوارد خاصّة، وأنّ خلفاءَ رسول الله افراد مُعَيّنون، مَنصوصٌ عليهم بالخلافة، وهم: الإمام علي بن أبي طالب، والأئمّة الأحَد عشَر مِن وُلْده (عليهم السلام)، ولكن الآن .. صارتْ تلك القُدرة والسُلطة بِيَد يزيد!!

بعد هذه المُقدّمة والتَمْهيد قالت:

«فَمَهْلاً مَهْلاً»

يُقال – لِلْمُسْتَرع في مَشْيه او المُتفَرّد بِرأيه –: مَهْلاً. أو على مَهْلِك، أي: أمهِلْ، ولا تُسْرِعْ، أي: ليسَ الأمرُكما تَعتقِد أو كما تَظنّ، أو: ليسَ هذا الإسراع في العَمَل صحيحاً مِنْك فَلا تَعْجَل حتّى تُبيّن لك حقيقةَ الأمْر.

«لا تَطِشُ جَهْلاً» طاشَ فلان: أخَذَهُ الغُرور وفَقَدَ إتِّزانَه، فصارَ غيرَ ناضِجٍ في تَصَرُّفاته.

أي: يا يزيد! لا تَطِشْ .. بسَبَب جَهْلِك بالحَقائق، وخَلْطِك بينَ المَفاهيم والقِيَم والإغترار بالظواهِر.

«أنَسِيتَ قولَ الله (عزّوجلّ): «ولا يَحْسَبنَّ الّذين كفَروا انّما نُمْلِي لَهُمْ خيرٌ لأنفسهم، إنّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزدادوا إثماً ولَهُمْ عذابٌ مُهين؟!! (1)

نُمْلي: أي نُطيلُ لَهُمُ المُدّة والمَجال، أو نُطيل أعمارَهم ونَجْعَلُ الساحة مَفتوحةً أمامَهم «خَيرٌ لأنفسِهم»، بلْ: إنّما نُطيلُ أعمارَهم ومُدّةَ سُلْطتِهِم وحُكومتِهم .. لِتكون عاقِبةَ أمْرهم هي إزديادُ الإثم والمعاصي في مَلفّ أعمالهم، ولهُم عذاب مُهين، أي: يَجزيهم - في جَهنّم - تَعذيباً مَمْزوجاً مع الإهانة والتَحقير.

ثمّ خاطبَتْه وذكّرَتْه بأصْله السافِل، ونَسَبه المُخزي، فقالت:

«أمِنَ العَدْل يابنَ الطُلَقاء»

وهذه الكلمة إشارة إلى ما حَدَث يوم فَتْح مكّة، فإنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لمّا فَتَح مكّة - وصارتْ تحتَ سُلْطتِه - كانَ بإمكانه أن يَقتُلَهم لِما صَدَرَتْ مِنْهم مِن مَواقف عِدائيّة وحُروب طاحِنة ومُتتالية ضدّ النبيّ الكريم - بالذات - وضدّ المسلمين بصورة عامّة، لكنّه رَغم كلّ

1- سورة آل عمران، الآية 178

ذلك .. إلتفَتَ إليهم وقال لهم:

«يا مَعاشِرَ قُريش! ما تَرَونَ أنّي فاعلٌ بكم؟»

قالوا: «خَيراً، أخٌ كريم، وابنُ أخٍ كريم»

فقال لَهم: «إذْهَبوا فأنتُمُ الطُلَقاء» (1)

وكان فيهم: معاوية وأبوسفيان.

ويزيد هو ابنُ معاوية، وحفيدُ ابي سفيان، ويُطلَق عليه (ابن الطلَقاء) إذْ قد يُستَعمَل ضميرُ الجَمْع في مَورد التَثْنية.

أمّا معنى كلمة «يابنَ الطلقاء» فالطُلَقاء – جَمْع طَليق –: وهو الأسيرُ الذي أُطلِقَ عنه إساره، وخُلّي سَبيلُه.

إنّ رسولَ الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) فَتَحَ مكّة فصارت البَلدة ومَن فيها تحتَ سُلطته وقُدرَته، وكان بإمكانه أن يَنتَقِم مِنْهم أشَدّ إنتقام، وخاصّـة مِن أبي سـفيان الـذي كان يؤَجِّجُ نارَ الفِتَن، ويُثيرُ الناسَ ضدّ رسول الله، ويَقودُ الجُيوش والعَساكر لِمُحاربة النبيّ والمسـلمين، كما حَدَث ذلك يومَ بَدْر وأُحُد، وحُنين

1- السِيرة النَبَويّة، لابن هشام، طبْع لبنان عام 1975م، ج 4 ص 41، وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج 21 ص 106

والأحزاب، وهكذا إبنُه معاوية «الذي كان على دين أبيه»، ولكنّ الرسول الكريم أطلقَهُما وخَلّى سَبيلَهُما في مَنْ أطلَقَهم.

قال الله تعالى: «فإذا لَقيتُمُ الّذينَ كفَروا فضَرْبَ الرقاب، حتّى إذا اثْخَنْتُمُوهُم فَشُدّوا الوثاق، فإمّا مَنّاً بَعْدُ وإمّا فِداءً، حتّى تَضَعَ الحَربُ أوزارَها» (1)

«فإمّا مَنّا بَعْدُ» أي: إمّا أنْ تَمُنّوا عليهم مَنّاً بعد أنْ تأسِروهم، أي: تُحْسِنُوا إليهم فتُطلِقوهم بِغَير عِوَض، وإمّا أنْ تفْدوهم فِداءً، أي: تَطْلُبوا مِنْهم دَفْعَ شيءٍ مِن المال إزاءَ إطلاقِكم سراحَهم.

وكانَ رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مُخَيّراً بينَ ضَرْب أعناقهم وبينَ المَنِّ والفِداء، فاختارَ الرسولُ الكريم المَنّ واطلَقَهم بِلا فِداء ولا عِوَض.

والظاهر أنّ السيّدة زينب تَقصد مِن كلمة «يابنَ الطُلَقاء» واحِداً مِن مَعنَيين:

المَعنى الأول: أنْ تُذكّرَ يزيد بأنّه ابن الطَليقَين الّذَين أطْلَقَهما رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع أهل مكّة، وكأنَّهم عَبيد، فتكون الجملة تَذكيراً له بِسُوء

1- سورة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، الآية 4

سوابِقِه المُخْزية ومَلَفّ والده وجَدّه!

والمعنى الثاني: أن تُذكّرَ يزيد بالإحسان الذي بَذَلَه رسولُ الله لأسْلاف يزيد حيثُ أطلَقَهم، فقالت: «أمِنَ العَدْل» أي: هل هذا جَزاءُ إحسان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع أسلافِك .. أنْ تَتَعامَل مَعَ حَفيدات الرسول هذا التَعامُلَ السَيّئ؟!

ولَعلّ السيّدة زينب قَصَدتْ المَعنَيّين مَعاً.

ومِن الواضح أنّها لا تَقصد – مِن كلامِها هذا – السؤال والإستفهام، بل تَقصد تَوبيخَ يزيد على سُلوكه القَبيح، ونَفسيّته المُنْحَطة، وتُنْكِر عليه تَعامُله السيّء، وتُعلنُ لَه أنّه بَعيدٌ – كلَّ البُعْد – عن أوّليّات الفِطْرة البَشريّة، وهى جَزاءُ الإحسان بالإحسان!!

«تَخْديرُك حَرائرك وإماءَك»

يُقال: خَدّر البِنتَ: الْزَمَها الخِدْر، أي: أقامَها وَرَاءَ السِتْر.

الحرائر – جَمْعُ حُرّة – نَقيضُ الأمَة. (1)

1- لسان العَرَب لابن منظور

«وسَوقُك بناتِ رسولِ الله سَبايا»

السَوق: يُقال: ساقَ الماشية يَسُوقُها سَوْقاً: حَثّها على السَير مِن خَلْف (1) وذلك يَعني: الحَثّ على السَير مِن الوَراء مع عَدَم الإحترام.

أقول: لايُرجى مِن يزيد العَدْل والعَدالة، ولكنّه لمّا ادّعى الخلافة لنفسه، كانَ المَفروض والمُتوقّع مِنْه أنْ يكونَ عادلاً.

ولهذا خاطبَتْه السيّدةُ زينب بقولها: أمِنَ العَدْل أنْ تَجْعَل جَواريك والنساء الحرائر – الساكنات في قَصْرك – وراءَ الخِدْر، وتَسوقَ بنات الرسالة وعَقائل النُبوّة، ومُخدّرات الوحي .. سَبايا؟

«قد هَتكْتَ سُتُورَهُن، وابدَيتَ وجوهُهُن»

فَبَعْد أنْ كُنّ مُخَدّرات مَسْتورات، لا يَرى أحَدٌ لَهنّ ظِلاً، وإذا بهِنّ يَرينَ أنفُسَهُنّ أمامَ أنظار الرجال الأجانب، وبعدَ أن كُنّ مُحَجّبات .. وإذا بالأعداء قد سَلَبُوهُنّ ما كُنّ يَسْتُرنَ به وجوهَهُن .. مِن البَراقِع والمَقانِع!

1- أقرب الموارد للشرتوني

«تَحْدو بِهِنّ الأعداءُ مِن بَلَد إلى بَلَد»

أي: يَسُوقُهُنّ الأعداءُ مِن كربلاء إلى الكوفة، ومنْها إلى الشام، ويَمُرُونَ بهِنّ على البلاد التي في طريق الشام.

وحينَما كان يَمُرّ موكبُهُنّ على البلاد والقُرى والأرياف، كان الناس – على اختلاف طَبَقاتهم – يَخْرُجون للتَفرُّج عليهِنّ، واحياناً كانوا يَصعَدون على سُطوحِ دُورِهِمْ لِلتَفرُّج عليهنّ، ولهذا قالت السيّدة:

«ويَسْتَشْرفُهُنّ أهلُ المَناقِل، ويُتَبرزْنَ لأهلِ المَناهِل»

المَناقل – جَمْعُ مَنقل – وهو الطريق إلى الجَبَل. والمَناهِل – جَمْع مَنْهَل –: وهو الماء الّذي يُنزَلُ عنده، والمقصود: المنازل الّتي في طريق المُسافرين، للتَزوُّد بالماء أو الإستراحة.

«ويَتَصَفَحُ وُجُوهَهُنّ القَريبُ والبَعيد»

يَتصَفّح: أي يَتأمّل وجوهَهُن لِيَنْظرَ إلى مَلامحِهِنّ!!

«والشَريفُ والوَضيع، والدنيءُ والرَفيع»

والحـال أنّه «ليس مَعَهُنّ مِن رِجـالِهنّ وَليٌّ، ولا مِن حُماتِهنّ حَميّ»، عائلـة مُحترَمـة، وليس مَعَهُنّ مِن رجالهنّ أحَـد يُشْـرِفُ على شؤونهن ويَحْرُسُهُنّ ويَحْمِيهِنّ مِن الأخطار والأشـرار، لانّ رِجالَهنّ قـد قُتلوا باجمَعِهم، ولـم يَبقَ مِنْهم سِوى الإمام زين العابـدين علي بن الحسـين (عليه السلام).

كلّ هذه الجرائم التي صَدرتْ مِنْك، وبأمْرك كانتْ «عُتُوّاً مِنك على الله»

العُتُو: هو التكبّر.

«وجُحُوداً لِرسول الله»

الجُحُود: هو الإنكار مع العِلْم بانّ هذا هو الواقعُ والحَقّ، قال تعالى «وجَحَدوا بِها واسْتَيْقَنَتْها أنفسُهم». (1)

1- سورة النمل، الآية 14

«ودَفعاً لما جاءَ به مِن عند الله»

الدَفْع: الإزالة والإبادة والرَدّ.

أي: قُمْتَ بهذه الأعمال لأجل القضاء على الإسلام، وعلى ما جاءَ به رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مِن عند الله تعالى.

«ولا غَروَمِنْك، ولا عَجَبَ مِن فِعْلِك»

لا غَرْو: لا عَجَبَ.

إنّ السيّدة زينب (عليها السلام) تَعتَبرُ تلك الجرائم - الّتي صَدرتْ مِن يزيد - أُموراً طبيعيّة وظواهِرَ غير عجيبة، فَـ «كُلّ إناءٍ بالّذي فيه يَنْضَحُ».

وإنّ الآثار السّلْبيّة لِعامِل - بل عَوامِل - الوراثة، والإستمرار على شُرب الخمر والفَحشاء والفُجور والعَيش في أحضان العاهِرات، كلّها أسبابٌ كان لها دورُها في إيجاد هذه النتائج والعَواقِب السَيِّئة للطاغية يزيد.

«وأنّى تُرتَجى مُراقَبَةُ ابنِ مَن لَفَظَ فُوهُ اكبلدَ الشهداء، ونَبَتَ لَحْمُه بِدِماء السُعَداء؟»

أي: كيفَ ومَتى يُتوقَّع الخوفُ مِن الله تعالى .. مِن ابن مَن رَمَتْ مِن فَمِها أكبادَ الشُهداء الأبرياء؟

هذه الكلمة إشارة إلى ما حَدَثَ في واقعة أُحُد، وإلى مَقتَل سيّدنا حمزة بن عبد المطلّب سيّد الشهداء وعمّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حينَما جاءتْ هند – أُمّ معاوية، وجَدَّة يزيد – وشَقَّتْ بطنَ سيّدنا حمزة، وأخرجَتْ كبِدَه وأخذَتْ قِطعةٌ مِن كَبِده، ووَضَعَتْها في فَمِها وعَضّتْها بأسنانها وحاولتْ أنْ تاكلَها بِسَبَب الحِقْد المُتاجّج في صَدرها، ولكنّ الله تعالى أبى أن تَدْخُل قطعة مِن كبد سيّدنا حمزة في جوف تلك المرأة الساقطة، فانقَلَبَتْ تلك القطعة صَلبةً كالحَجَر، فلم تُؤثّر أسنانُها في الكبد، فلَفَظتْها، ورَمَتْها مِن فَمِها، فاكتَسَبَتْ بذلك لَقَب (آكِلَة الأكباد)!!

ويزيد: هو حفيد هكذا امرأة حَقُودة. وحِقْدُه على الدين وارتكابهُ للجرائم الكبيرة ليس بشيء جديد!!

«ونَصَبَ الحَرب لِسيّد الأنبياء»

لقد ذكرْنا – في الفَصْل الرابع مِن هذا الكتاب – أنّ أبا سفيان هو الّذي كان يُجَهّزُ الجُيوش في مكّة، ويَخرجُ لحَرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقِتالَ المسلمين، حينَما كان النبيُّ الكريم في المَدينة المنوَّرة.

«وجَمَعَ الأحزاب»

إنّ أبا سفيان هو الّذي جَمَعَ العَشائر والقَبائلَ الكثيرة .. مِن المُشركين واليهود والنصارى وغيرهم، وأمَرَ بِنَفيرٍ عام وشامِل لِمُختلف الأعمار والدِيانات، وخَرَجَ بجَيشٍ جَرّار كالسّيل الزاحِف، للقضاء على الرسول العظيم ومَن مَعَه مِن المسلمين، في واقعة الأحزاب التي عُرفتْ - فيما بَعْد - ب- «غَزوة الخَنْدق».

«وشَهَرَ الحِراب، وهَزّ السُيوف في وَجْه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم»

الحِراب - جَمْعُ حَرْبَة -: وهي آلةٌ قَصيرة مِن الحَديد، مُحَدّدةُ الرأس، تُستعمَل في الحرب. (1)

«وهَزّ السيوف» كِنايَة عن الخروج للحَرب وإصدار الأوامر في هذه للهُجوم والغارة، وبما أنّ أبا سفيان كان هو السّبَب في الحروب فقد جاءتْ كلمةُ «السُيوف» بصيغة الجَمْع.

«أشَدُّ العَرَب لِلّه جُحُوداً، وأنْكرُهم لَه رسولاً، وأظهرهم له عُدواناً، وأعتاهُمْ على الرَبِّ كُفْراً وطُغياناً». (2)

1- المُعْجَم الوسيط

2- أعتاهم: العُتُو: الإستكبار والتَجَبُّر وتجاوز الحَدّ. كما في «العَين» للخليل، والمُعجَم الوسيط. المُحقّق

مِن الواضـح أنّ العَرَب في مكّة وغيرها.. كانوا على دَرَجات مُتَفاوتة في نِسَب إنكارهم لِوجود الله تعالى، أو إتّخاذهم الأصـنام آلِهَةٌ مِن دونه سُبحانَه.

فهُناك مَن هو جاحِدٌ ومُنكِرٌ مائة بالمائة، وهناك مَن هو جاحِد 70٪، وهكذا.

ومنهم: مَن هو عازمٌ على الإستمرار في الكُفر رَغْم عِلْمه بالتوحيد، ومِنهم: مَن كانَ يَعيشُ حالةَ الشَكّ في الإستمرار في الكُفْر أو الشِرْك.

ومِنهم: مَن كانَ يَحيكُ المُؤامرات ضِدّ النبيّ الكريم بصورة سِريّة، ومنهم: مَن كانَ يَخرُجُ لِحَرب رسول الله.. بِشكلٍ مَكشوف.

ومِنهم: مَن كانَ منكراً لِلّه تعالى .. ولكنّه يَتّخِذُ مَوقفَ المُحايد تِجاه النبيّ الكريم، ولا يَبْذل أيّ نشاط ضِدّ الإسلام والمسلمين.

ولكنّ الكافر الّذي ضَرَب الرقمَ القياسي في إنكار الله تعالى، وإنكار رسالة النبيّ الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم): هو أبو سفيان.

هذه كلُّها صِفات ومُواصفات أبي سُفيان، وقد وَرِثَها مِنهُ حَفيدهُ يزيد، حيثُ كانَ يَشتَرك مع جَدّه في جميع هذه الأوصاف والأحقاد، وبِنَفْس النِسْبة والدَرَجة، لكنْ مَع

تَبدَّل الظروف!

فلقد وَقَفَ أبو سفيان في وَجْه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وحارَبَه وأظهَرَ أحقادَه.

وجاءَ – مِن بَعْـدِه – إبنُه معاويـة، فَوَقفَ في وَجْه الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السـلام) وحارَبَه بكلِّ مالَدَيه مِن طاقـةٍ وقوّة، وعلى مُختَلَف الأصعِدَة والمَجالات، الإعلاميّة والعَسكريّة وغيرها.

إنّ الوثائق التاريخيّة تقول: «ماتَ معاوية وعلى صَدره الصّنَم»، فكمْ تَحملْ هذه الكلمة مِن معانٍ ودِلالات، «والحُرُّ تكفيه الإشارة»!!

وقد جاء في التاريخ – أيضاً –: «ماتَ معاوية على غير مِلَّةِ الإسلام». (1)

ثمّ جـاءَ يزيـد – مِن بَعْـد معاويـة – فكـانَ كالبُركـان يَتَفجّرُ حِقْداً على آلِ رسول الله وأبنـاءِ الإمـام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فماذا تَراه يَفعَل؟!

---

1 – جاء هذا النصّ – بالحرف الواحِد – في كتاب «سِيَرُ اعلام النُبَلاء: للذَهَبي، ج 10، ص 533 وكتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 14، ص 181 وكتاب خلاصة عبقات الأنوار ج 7، ص 305

وماذا تَتَوَقَّع مِنه؟!

وخاصّةً وأنّه يَرى تحتَ تَصـرُّفِه جَيشاً كبيراً يُنفّذ أوامِرَه بكلّ سُرعة، ويُطيعُه طاعةً عَمْياء، دونَ رِعاية الجوانب الإنسانيّة أو العاطفيّة أو الدينيّة. وكانَ له مُسـتَشارٌ مَسـيحيّ حاقِد إسمه: «سرجون» يُمْلي عليه ما يَتبادرُ إلى ذِهْنه في كيفيّة القضاء على الإسلام ، ويَرسِمُ لَه الخُطط للوصول إلى هذا الهَدَف!

«ألا: إنّها نتيجة خِلال الكفر»

ألا: حَرف لجَلْب الإنتباه، أو للتأكيد على ما يُخْبَر عنه. (1)

النتيجة – هنا – العاقبة.

خلال – جَمْع خلة – وهي الخصْلة.

أي: إنّ يزيد حينَما أمَرَ بقَتْل رَيحانة رسول الله الإمام الحسـين (عليه السـلام) لم يكنْ لمُجَرّد أنّه كان يَرى مِنْه مُنافِسَاً لَه في السـلطة فقضى عليه، بـل إنّ ذلـك كـان من منطلق الكفر والإلحـاد، ولـذلك .. فهو لم يكتف بقَتْـل الإمـام، بل أمَرَ بسَبْي نِسائه وأطفاله، وقامَ بغير ذلك مِن الجرائم والجِنايات.

1- كما يُستفاد مِن كتاب «مُغْني اللبيب» لإبن هشام

وهذه الأمور: هي نتيجة خُبْث نَفْسيّته الطائشة وأثَرُ صِفاته الكُفْرِيّة المَوْرُوثَة مِن أبيه وجَدِّه!

«وضِبٌ يُجَرْجِرُ في الصَدْر لِقَتْلى يوم بَدْر»

والضِبّ - بكَسْر الضاد -: الغيظ الكامِن والحِقْد الخَفي.

جَرْجَرَ البَعيرُ: إذا رَدّدَ صوتَه في حَنْجرته.

أي: وحِقْدٌ يَتاجَّجُ في الصدر، ويُطالبُ يزيدَ للأخْذ بشارات المَقتولين في غَزْوة بَدْر، وهم أقطاب المُشركين الّذين كانوا قد خَرجوا مِن مكّة لمحاربة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقِتالِ المسلمين.

وهم المشركون الّذين تَمَنّى يزيد حُضورهم بِقوله: «ليتَ أشياخي ببَدْرٍ شَهِدوا» وهم: عُتْبة بن ربيعة، وشَيبة، والوليد بن شيبة.

أمّا عُتْبة فقَتَلَه عُبيدةُ بنُ الحارث بن عبْدالمطّلب، وأمّا شَيبة وابنه الوليد فقد قتَلَهما الإمام اميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

إنّ جميع ما قامَ به الطاغية يزيد، مِن قَتْله الإمامَ الحسين وأصحابه وأهل بيته، وسَبْي الطاهِرات مِن نِسائه وحُرَمه، وإهانَتِه لرأس الإمام الحسين (عليه السلام) تُعتَبرُ

نَتيجـةً طبيعيّـة للكُفْر المَكْشوف والحِقْد الدَفين في قَلْب يزيد، فلمْ يكُنْ يوجَد في قَلْبه مِقْدارَ ذَرّة مِن الإيمان بالله تعالى وبيوم القيامة، بل إنّه إتّخذَ مَنصِبَ خلافة الرسول الكريم، وَسيلَةً لسلطته على الناس، وانهماكه في الشَهوات، ومُحاربَته للدين وعُظماء الدين.

فقـد كـان يَتَجـاهَرُ بشُـرْب الخَمْر، ولعْب القمـار وغيرهمـا مِن المُنكرات الّتي حَرّمها الله سـبحانه وبـذلك أعطى الجُرأة لجميع الناس كي يَجْلسوا في الأماكن العامَّة، ويَرتكبوا ما شاؤا مِن المعاصـي والـذنوب، مِن دون أيّ خوفٍ أو حَـذَر، أو حَياءٍ أو خَجَل، أو إحترام لحُـدود الله تعالى، أو رعايةٍ للخطوط الحَمْراء الّتي وَضَعَها الله سُبحانه حَولَ بعض الأعمال المُحرّمة.

لقد جاء في الحديث الشـريف عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) أنّه قال : «... . مَنْ نَظرَ إلى الشطرنج فَلْيَلْعَن يزيد وآل يزيد ...» (1)

«فلا يَستَبْطىء في بُغْضِنا – أهلَ البيت – مَن كان نَظرُه إلينا شَنَفاً وإحَناً وضِعناً»

وفي نسخة: «وكيف يَستَبْطىء في بُغضنا»

1- كتاب «عُيون أخبار الرضا عليه السلام» للشيخ الصَدوق

أي: كيف لا يُسْرِع إلى بُغْض اهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مَن كانت نَظْرَتُه وعقيدتُه فيهم عَقيدة الكراهة والحِقْد.

والشنف والشَنآن والإحَن والأضغان: مَعانيها مُتقاربة، والمقصود منها: شِدّة الحِقْد والبُغْض.

«يُظهِرُ كفْرَه بِرسوله، ويُفصِحُ ذلك بِلسانه»:

إشارة إلى الأبيات التي أنشَدَها يزيد

«لَعِبتْ هاشمُ بالمُلْك فلا *** خَبرٌ جاءَ ولا وَحيٌ نَزَل»

فقد أظهَرَ كُفْرَه بِرسالة النبيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وتَجاهَرَ بذلك، واعتَبَر النبوّةَ والرسالة والوَحي والقرآن كلّها العاب، وأنكرَها جميعاً.

يُفصِح: أي يُظهِرُ ما في قلْبه على لسانه.

«وهو يَقول – فَرَحاً بقَتْل وَلَده، وسَبْيِ ذُريّته، غيرَ مُتَحوّب ولا مُسْتَعْظم:

لأهَلُوا واستَهَلُوا فَرِحاً *** ولَقالوا: يا يزيدُ لا تُشَلْ»

غيرَ مُتَحوّب: أي غيرَ مُتَاثّم (1) أو غيرَ مُتَحَرّجٍ مِن

1- القاموس المحيط، للفيروز آبادي

القَبيح. والحُوبَة: مَن يَاثَمُ الإنسان في عُقوقه .. كالوالدَين. (1)

والظاهر: أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) تَقصُد أنّ يزيد كانَ يَعيشُ حالةَ عَدَم الإكتراث أو المُبالاة بما قامَ به مِن جَرائم، وبما يُصرّح به مِن كلمات كُفْريّة، وبما يَشْعُر به مِن الفَرَح والسّرور لقتْله ابن رسول الله، وسَبْي ذُريّته الطاهرة. إذ مِن الواضح أنّ الذي لا يؤمنُ بِيَوم الجَزاء لا يُفكّرُ في مُضاعَفات جَرائمه، ولا يَشْعر بالحَرَج أو الخوف مِن أعماله الّتي سوف تَجُرُّ إليه الوَيَل!!

«مُنْحَنِياً على ثَنايا أبي عبْد الله – وكانَ مُقَبّل رَسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم – يَنْكُتُها بِمِخْصَرَتِه»

ثَنايا – جَمْعُ الثَنِيَّة –: وهي الأسنان الأربع الّتي في مُقَدّمَ الفَم، ثِنْتان مِن فَوق وثِنْتان مِن تحت. (2)

مُقَبّل: مَوْضِعُ التَقْبيل.

يَنْكُتُ: يَضْرِبُ

مِخْصَرَة: العَصا، وقيل: هي العصا الّتي في أسْفَلها

1- المُعْجَم الوَسيط

2- كتاب «لسان العَرَب»، و«المُعْجَم الوَسيط»

حَديدة مُحدّدة، كحَديدة رأس السَهْم.

أقول: إنّ القَلَم لَيَعْجَزُ عن التَعبير عن شَرح هذه المَقْطوعة مِن الخُطبة!! وذلك لِهَوْل الُمصيبة، فكيف تَجرّأَ الطاغية يزيد على أنْ يَضْربَ تلك الثَنايا المُقَدّسَة، الّتي كانتْ مَوْضِعاً لِتَقبيل رسول الله .. مِئات المَرّات. وفَعَلَ يزيد ذلك بِمَرأى مِن عائلة الإمام الحسين ونِسائه وبَناته؟!

ولم يكْتَفِ يزيد بالضَرْب مَرَةٌ واحدة أو مَرّتين، بَلْ مَرّات مُتعدّدة، وهو في ذلك الحال في أوجِ الفَرَح والإنتعاش!!

ولم يكنْ الضَرْب على الأسنان الأماميّة فقط، بل كان يَضْربُ على شَفَتَيه ووَجهه الشَريف، ويُفَرّقُ بينَ شفتيه بعَصاه لِيَضْرب على أسنانه!

إنّا لِلّه وإنّا إليه راجعون، وسَيَعْلَمُ الّذين ظَلموا أيّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبون!!

«قد التَمَعَ السُرور بِوَجْهه»

قد يكونُ الفَرَحُ شَديداً فَيَتَدَفّقُ الدَمُ إلى الوَجْه فيَحْمَرُّ، وبذلك تَظهَرُ آثارُ الفَرَح على مَلامحه، فيُقال: إلتَمَعِ السُرور بِوَجْهه.

هكذا كانتْ فَرْحَةُ يزيد حِين ضَرْبِه تلك الثَنايا

الشَريفة. (1)

«لعَمْرِي لَقَدْ نكاتَ القُرْحَة»

نكأَ القُرْحَة: قَشّرَها بَعْدَ ما كادَتْ تَبْرأ. (2)

لَعلَّ المعنى: أنّ ضَرْبَ يزيد تلك الثَنايا صارَ سَبَباً لِهَيَجان الأحزان مِن جَديد، وفَجّرَ دُموعَ العائلة الكريمة، فاستولى عليهِنّ البُكاء والنَحيب، وخاصَّةً أنّ بِنْتين مِن بنّات الإمام الحسين (عليه السلام) جَعَلَتا تَتَطاولان (أي: تَقِفان على رؤوس أصابع رِجَليهما) لِتَنْظرا إلى الرأس الشريف، مِن وَراء كراسي الجالسين، فلمّا نَظرنا إلى يزيد وهو يَضْرِبُ الرأس الشريف، ضَجّتا بالبُكاء والعَويل، ولاذَتا بِعَمَّتهما السيّدة زينب، وقالَتا: ياعَمّتاه! إنّ يزيد

1- كتاب «الكامل» لإبن الأثير، ج 3، ص 300، وكتاب «تاريخ دمشق» لإبن عساكر، في ترجمة أبي برزة الاسلمي، وكتاب «أنساب الاشراف» للبلاذري، ج 3، ص 214 ، وكتاب «مَقتل الحسين» للخوارزمي ، ج 2، ص 55 - 57 ، وكتاب «تاريخ اليَعقوبي»، ج 2، ص 232 مِن الطبعة الأُولى، وكتاب «الجوهرة» للبُرّي، طبْع الرياض، ج 2، ص219 ، وكتاب «الرَد على المُتعصّب العَنيد» لإبن الجوزي، طبْع لبنان، ص 45 ، وكتاب «تاريخ الإسلام» للذَهبي، ج 2، ص 351

2- كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

يَضْرب ثَنايا أبينا، فَقُولي له: لا يَفعَل ذلك؟! (1)

فَقامَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) ولَطمَتْ على وَجْهها ونادتْ: «واحُسَيناه! يابنَ مكّة ومنِى! يا يزيد: إرفَعْ عُودَكَ عن ثَنايا أبي عبدالله».

«واستاصَلْتَ الشَافة»

يُقال: إسْتَاصَلَ شافَتَه: أي أزالَه مِن أصْلِه. (2)

ولعلَّ المعنى: يا يزيد: لقد قَطعْتَ شَجَرَة النُبوّة مِن جُذورها بقَتْلك الإمامَ الحسين (عليه السلام) فهو آخِرُ مَن كانَ باقياً مِن أصحاب الكساء، الّذين نَزَلتْ فيهم »آيـةُ التَطْهير» وعَبّرَ اللهُ تعالى عَنْهم – في القرآن الكريم – بكلمة «أهل البيت» ، فكلُّ مَن كان يُقتَل من هؤلاء الخَمسـة الطيّبة .. كانَ في الباقينَ – مِنْهم – سَلْوة لآل رسول الله، وبقَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) إنقطَعتْ شَجَرة اهل البيت مِن جُذورها، وكانَ ذلك بأمْرِ يزيد وتَنْفيذ إبن زياد.

«بإراقَتِكَ دَمَ سيّد شبابِ أهلِ الجَنّة، وابنِ يَعْسُوبِ

1- كتاب «المُعْجَم الكبير» للطبراني، طبْع بغداد، ج3، ص 109

2- المُعْجَم الوَسيط

الدين، وشَمْسِ آل عبد المطّلب»

يَعْسُوب: النَحْلَة التي يُعبّر عنْها ب- «المَلِكة» في مَمْلَكة النَحْل (1)، وقد لَقّبَ رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الإمامَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بِلَقَب «يَعْسوب الدين» وشبّه شيعتَه بالنَحل الّذي يَعيشُ في ظلِّ تلك المَمْلَكة ويَتّبعُ ذلك اليَعْسُوب، واشتُهرَ بين المسلمين - في ذلك اليوم - هذا اللَقَب للإمام علي (عليه السلام) ولذلك قالَ الشاعِر:

وِلايَتي لامير النَحْلِ تكْفيني *** عندَ المَمات وتَغْسيلي وتكْفيني

1- قال الخليل في كتاب «العين» اليَعْسوب: اميرُ النّحْل وفَحْلها، ويُقال: هي: عَظيمة مُطاعَة فيها، إذا أقبَلَتْ أقبَلَتْ، وإذا ادبَرَتْ أدبَرَتْ. وقال الزبيدي - في «تاج العَروس» - اليَعْسُوب: أميرُ النّحْل، واستُعْمِلَ بعد ذلك في الرئيس الكبير والسيّد والمُقدّم، ... وفي حديث علي (عليه السلام): «أنا يَعْسوبُ المؤمنين» أي: يَلُوذُ بي المؤمنون كما تَلُوذُ النَحّل بِيَعْسُوبها». وقال إبنُ مَنظور - في «لسان العرب» -: «اليَعْسوب: أميرُ النّحّل، ويُقال للسيّد: يَعْسُوبُ قومه، وفي حديث علي [عليه السلام]: أنا يَعْسُوب المؤمنين، يَلُوذُ بي المؤمنون كما تَلوذُ النّحلُ بيعسوبها» المُحقّق

وطِيْنَتي عُجِنَتْ مِن قَبْلِ تكْويني *** بِحُبِّ حَيْدر، كيفَ النارُ تكْويني؟!

ثمّ عَبَّرت السيّدة زينب عن الإمام الحسين (عليه السلام) ب- «شَمسِ آلِ عبْد المُطّلب»، ويا لِهذا التَعبير مِن بَلاغةٍ راقية، وتَشْبيهٍ جميل، فإنّ الإمام الحسين كانَ هو الوَجْه المُشْرِقَ الوَضّاء والواجِهَة المُتَلألأة لآل عبْد المُطّلب بن هاشم، وسَبَب الفَخْر والإعتزاز لَهُم، وهم كانوا المجموعة أو العَشيرة الطيّبة لِقَبيلة قُريش، وقُريش كانتْ أشرف قَبائل العَرَب.

«وهَتَفْتَ بأشْياخِك»

حينَما قُلْتَ: «لَيتَ أشياخي بِبَدْر شَهِدوا» فَتَمَنّيتَ حُضورَهم لِيَيّروا إنتصارَك المَوهوم، وأخْذك لِثارهم مِن آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، مع أنّ أشياخك هُمُ الّذين خَرجوا - مِن مكّة إلى المدينة - لِقتال رسول الله، وهم الّذين بَدَؤا الحربَ مع المسلمين، فكانوا بمَنْزلة الغُدّة السّرطانيّة الخَبيثة في جسم البَشَريّة، وكان يَلزم قَطْعَها كي لا يَنْتَشِرَ المرضُ والفَسادُ في بَقيّة أجزاء الجسم.

«وتَقَرّبْتَ بدَمِهِ إلى الكَفَرة مِن أسْلافِك»

أي: قُمْتَ بإراقَة دَمِ الإمام الحسين (عليه السلام) تَقَرُّباً إلى أسلافِك، وقلتَ:

قد قَتَلْنَا القَرْمَ مِن ساداتهم *** وأقمْنا مِثلَ بَدْرٍ فاعتَدَلْ

«ثمَّ صَرخْتَ بِندائك»

أي: بِندائك لأشياخِك. ومِن هذه الجُملة يُستفاد أنّ يزيد كانَ رافِعاً صَوتَه حينَ قِراءتِه لِتلك الابيات الكُفْريّة والشِعارات الإلحادية.

«ولَعَمْري لقد نادَيتَهُم لو شَهِدوك»

قال ابنُ مالك – ما مَعناه –: «لو: حَرفٌ يَقتَضي في الماضي إمتناعُ مايَليه، واستِلزامُه لتاليه». (1)

وبناءً على هذا .. يكون معنى كلام السيّدة زينب (عليها السلام): يايزيد! لقد تَمَنّيتَ أسلافَك لو كانوا حاضِرين كي يَشْهَدوك ويَشْهَدوا أخْذَك لِثارهم، ولكنّ هذه الأُمنِية لا تَتحقّقُ لك، فأسْلافُك مَوتى مُعَذّبون في نار جَهنّم، ومِن المُستَحيل أنْ يَعودوا الآن ويَشهدوا ما قُمْتَ به مِن الجرائم، وليَقولوا لك: سَلِمَتْ يَداك!!

«ووَشيكاً تَشْهَدُهم ولَنْ يَشْهَدوك»

1- حكى عنه ذلك إبنُ هشام في كتاب «مُغني اللَبيب» ص 342. المُحقّق

وَشِيكاً: أي: سَريعاً أو قَريباً (1) ويُقال: أمْرٌ وَشيكٌ: أي: سَريع (2)

المعنى: يـا يزيـد: سوف تَموتُ قَريبـاً عاجلاً لأـنّ مُلْكـك يَزولُ سَـريعاً، ولا تَطولُ أيامُ حياتك، وتَنْتَقِل إلى عالَم الآخِرة، إلى جَهنّم فَتَرى أسْلافَك هناك في الاغلال والقُيود وفي صالات التعذيب، ومَمَرّات السُجُون، ولكنّهم لا يَرونك، أي: لا تَجتَمعُ مَعَهم في مكانٍ واحد، لانّك ستكون في دَرَجـةِ أسْـفَلَ مِنْهم في طبَقات نار جَهنّم، لأنّ جَرائمَك المُوبِقَة تَسْـتَوجِبُ العذاب الأشَدّ، لكنّك حِينَ نُزولك إلى ذلك المكان الأسـفَل، سوف يكونُ طريقُـك عليهم، فتَراهم ولكنّهم لا يَرونَك، لأنّ شِـدّةَ عَـذابَهم يُشْـغِلُهم عن الإلتفات إلى ما حولَهم ومَن حولهم مِن الجُناة!

وقد رُويَ عن رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) أنّه قال: «إنّ قاتِلَ الحسين بن علي .. في تابوتٍ مِن نار، عليه نِصْفُ عَذابِ أهل الدُنيا، وقد شُدّتْ يَداهُ ورِجْلاه بِسَلاسِل مِن نار، مُنَكّس في النار، حتّى يَقَعَ في قَعْر جَهَنّم، ولَهُ ريحٌ يَتَعَوّذُ أهلُ النار إلى رَبّهم مِن شِدّة نَتْنِه، وهو فيها خالدٌ ذائقٌ

1- المُعْجَم الوَسيط

2- كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

العَذاب الأليم، مَعَ جَميع مَن شايَعَ في قَتْله، كلّما نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدّلَ الله (عزّوجلّ) عليهم الجُلود حتّى يَذوقوا العَذابَ الأليم، لا يُفَتَرُ عَنْهم ساعة، ويُسْقَوْنَ مِنْ حَميم جَهَنّم، فالوَيْل لَهُمْ مِن عذاب الله تعالى في النار». (1)

«ولَتَودُّ يَمينُك – كما زَعمتَ – شُلّتْ بك عن مِرْفَقِها وجُذّتْ»

شُلّتْ: الشَلَلِ: تَعَطّلٌ أو تَيَبُّسٌ في حَركة العُضو أو وظيفَته، يُقال – في الدُعاء: شُلّتْ يَمينُك. (2)

جُذَّتْ: قُطعَتْ أو كُسِرَتْ (3)

المعنى: يا يزيـد! إنّك في الـدنيا زَعمْتَ أن أسـلافَك لو كانوا حاضـرين .. لَقالوا لك: «يايزيدُ لا تُشَلْ» أمّا في يوم القيامة، حِينَ تُعاقَب تلك العقوبة الشديدة، سوف تَتَمَنّى أَنّ يَمينَك كانتْ مَشْلُولة أو مَقْطوعة حتّى لا تَستطيع أن تَضْربَ بعَصاك ثَنايا الإمام الحسين (عليه السلام).

1- كتاب «عُيونُ أخبار الرضا عليه السلام» ج2، ص 47، حديث 178

2- المُعْجَم الوَسيط

3- نَفْس المصدر

وهذا إخبارٌ مِن السيّدة زينب (عليها السلام) بما يَدورُ في ذِهْن يزيد حِين يُلاقي جَزاء أعماله الإجراميّة.

وتَتَمَنّى - أيضاً - حينَما تُلاقي أشدّ درجات العُقوبة والتعذيب:

«و أحبَبْتَ أنّ أُمَّك لم تَحْمِلك، وإيّاك لم تَلِدْ حِينَ تَصيرُ إلى سَخط الله ومُخاصمك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم»

أحبَبْتَ - هنا -: بمعنى تَمَنّيتَ مِن أعماق قلبك أنْ أُمَّك لم تكُنْ تَحمِلُ بِك، ولم تَلِدْك حتى لا تكون مَخْلوقاً وموجوداً مِن أوّل يوم، ولم تكتَسِبْ هذه السيّئة الكبيرة الّتي دَفَعَتْ بك إلى أسفل السافِلين في التابوت الموجود في أسْفَل طبَقات جَهنّم، حيث يَسْتَقرُّ فيه أفرادٌ مُعيّنونَ مِن الجُناة الّذين جَرّوا الوَيلات على البَشَريّة جَمْعاء، وعلى كلّ الأجيال والبِلاد والشُّعوب، وأسَّسُوا الأُسس ومَهّدوا الطُرُق لِمَن يأتي مِن بَعْدهم مِن الطغاة والخَوَنة، في أن يَقوموا بكلّ جَريمة، وبكلِّ جُرأة!

إنّ الأحاديث الشريفة تَقول: إنّ أهلَ النار - جميعاً - يَستَغيثُون بالمُوكَّلين بِهم مِن الملائكة .. أن لا يَفتَحوا بابَ ذلك الصندوق، لأنّ دَرجةَ الحَرارة فيها أشدُّ - بكثير - مِن

حَرارة جَهنّم نفسها!! (1)

وتَقول الأحاديث الشريفة: إنّه كلّما خَفّتْ ونَزَلَتْ دَرَجَهُ حَرارة نار جَهنّم .. تَفْتَحُ الملائكة بابَ ذلك الصندوق لِمُدّة قليلة فتَزداد حَرارةُ جَهَنّمَ كلّها بالحرارة الشَديـدة الّتي أُضـيفتْ إليها مِن ذلك التابوت، كالقِـدْر الكبير للطعام الّـذي تُوضَع فيه البُقول، وتُوضَع على نارٍ خَفيفـة، وفُجاةً يَرفَعون دَرَجة تلك النار إلى أقصى نِسْبةٍ مُمْكِنَة فيَحدُثُ إضطرابٌ عَجيبٌ في ذلك القِدْر وما فيه!

ويُعبّرُ عن ذلك الصندوق ب- «التابوت» وبالمُعذّبين فيه ب- «أهل التابوت».

وقد رُويَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «... إذا كانَ يومُ القِيامة أقبَلَ رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومَعَه الحسين (عليه السلام) ويَدُهُ على رأسه يَقْطرُ دماً، فيَقول: «يا رَبِّ سَلْ أُمّتي فِيْمَ (أي: لماذا) قَتَلوا وَلَدي!» (2)

1- كتاب (بحار الأنوار) ج 8، ص 296، وهو يَنقل ذلك عن كتاب «تفسير علي بن إبراهيم»، وقد نَقَلْنا مَضمون الحديث

2- كتاب «أمالي الطوسي» ص 161، حديث 268، ونَقَله المجلسي في «بحار الأنوار» ج 45، ص 313

ثمّ بَدأتْ السيدة زينب (عليها السلام) بالدُعاء على يزيد ومَن شاركَهُ في ظُلم آل رسول الله الطيّبين الطاهرين، دَعَتْ عليهم مِن ذلك القلب المُلْتَهِب بالمصائب المُتَتالية فقالت:

«اللهُمّ! خُذْ بحَقّنا، وانتَقِمْ مِن ظالِمِنا، واحْلُلْ غَضبَك على مَن سَفَك دِماءَنا، ونَقض ذمارنا، وقَتَلَ حُماتَنا، وهَتَكَ عَنّا سُدُولَنا»

نَقَضَ: لم يُراع الحُرْمَةِ والعَهْد.

الذِمار: ما يَنبغي حِفْظُه والدِفاعُ عنه، كالأهْل والعِرْض. (1)

وقيل : ذِمارُ الرَجُل: كلُّ شيء يَلْزَمَه الدَفْع عَنْه. (2)

سُدُول - جَمْع سِدْل -: السِتْرُ. (3)

ثمّ أرادتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) أنْ تُبَيّنَ ليزيد حقيقةً واقعيّة: وهي أنَّ جميعَ ما قُمتَ به ضِدَّ آل رسول الله، مِن قَتْل وسَبْي، وحَمْل الرؤوس مِن بَلَد إلى بَلَد، وإهانة

1- المُعْجَم الوَسيط

2- كتاب «العين» للخليل بن أحمد

3- نَفْس المصدر

الرأس الشـريف، والإفصاح عن الكلمات الكُفْريّـة الكامِنَـة في الصّـدر، وغيرها .. لا تَعُودُ عليك بالفائدة والنَفْع، بل تَعُودُ عليك بالخُسـران والعقوبـة، حتّى لو جَعَلَتْك تَفْرَح لِمُـدّةٍ قَصـيرة، لكنّ هـذا الفَرَح سوف لا يَسـتَمِر، بل يَتَعَقّبُه سِلْسِـلة مُتَواصِـلة مِن أنواع الخسارة والعَـذاب الجَسَدي والنَفْسي، فقالت (عليها السلام):

«وفَعَلْتَ فِعْلَتَك الّتي فَعلْت، وما فَرَيتَ إلّا جِلْدَك، وما جَزَرْتَ إلّا لحْمَك»

فَريتَ: شَقَقْت وفَتَتّ (1) وَقطعْتَ (2).

جَزَرْتَ: قَطعتَ (3) ويُستَعملُ غالباً في نَحْر البَعير وتَقْطيع لحمه.

«وسَتَرِدُ على رسولِ الله بما تَحَمَلْتَ مِن دَمِ ذريّتِه، وانتَهَكْتَ مِن حُرْمَتِه، وسَفكْتَ مِن دِمَاءِ عِتْرَتَه ولُحْمَته».

1- المُعْجَم الوَسيط

2- كتاب «العَين» للخليل

3- المُعْجَم الوَسيط

اللُحْمَة: القَرابَة، يُقال: بينَهم لحْمَةٌ نَسَب. (1)

المعنى: سَتَرِدُ على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) – بعد مَوتك – وأنتَ تَحمِلُ على ظهرك مِن الجَرائم ما لا تَحْمِلُها الجِبالُ الرَواسي، فيُخاصِمُك على كلّ واحدةٍ واحدةٍ منها .. أشَدّ أنواعَ الخُصُومة، مِن دون أنْ يخفى عليه شيء!

«حيثُ يُجمَع به شَمْلُهُم، ويُلَمُ بِهِ شَعَثُهُم، ويَنْتَقِمُ مِن ظالِمِهم، ويأخُذُ لَهُمْ بِحَقِّهِم مِن أعدائهم».

الشَعَث: ما تَفَرّقَ مِن الأُمور أو الأفراد، يُقال – في الدعاء – : «لَمَ اللّه شَعَثه». (2)

المعنى: سوف يَجْمَعُ الله تعالى آلَ رسول الله عند النبيِّ الكريم في جَبْهة واحدة – وذلك في يوم القيامة – فيَشْكو كلُّ واحدٍ مِن آل الرسول إلى النبيِّ الكريم كلَّ ما لَقيَ مِن الناس مِن عِداءٍ وظُلْم، فيَنْتَقِمُ الله مِن أعدائهم أشدّ الإنتقام. ومادام الأمر كذلك، فاسمَعْ يا يزيد:

«فلا يَستَفزّنّكَ الفَرَحُ بِقَتْلهم»

1- المُعْجَم الوَسيط

2- نَفْس المصدر

لا يَسْتَفزّنك: أي: لا يُخرِجُك الفَرَحُ عن حالتك الطبيعيّة، يُقال: إستَفزّهُ: أي استَخَفّه، أو خَتَلَه حَتّى القاهُ في مَهْلكة. (1)

فلا خيرَ في فَرْحَةٍ قَصيرة يَتعَقَبُها حُزْنُ دائم، وعذاب أليم، وخُلُودٌ في النار.

ثمّ أدمَجَتْ السيّدُة زينب (عليها السلام) كلامَها بالقرآن الكريم، فقالت:

««ولا ـ تَحْسَبَنّ الـذين قُتِلُوا في سَبيـل الله أمواتـاً بَـلْ أحياءٌ عنـدَ رَبِّهم يُرْزَقُون، فَرِحِينَ بما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِه ... (2) وحَسْبُك بالله وَلياً وحاكماً»

لَعلّ المقصود مِن قولها «وحَسْبُك بالله وليّاً وحاكماً» أي: وَليّاً للدَمَ، وآخِذاً للشار، فالإمامُ الحسين (عليه السلام) هو: وَصيُّ رسول الله، وسيّد أولياء الله تعالى، فمِنَ الطبيعي: أن يكون الله (عزّوجلّ) هو الطالبُ بِثاره، والوَليُّ لِدَمه، فهو الشاهِدُ المُصيبَة قَتْل الإمام الحسين، وهو القاضي، وهو الحاكم، فهُنا .. الحاكم والقاضي هو الذي قد شَهِدَ الجَريمة

1- كتاب «العين» للخليل، و «لسان العرب» لابن مَنظور، و «تاج العروس» للزبيدي. المُحقّق

2- سورة آل عمران، الآية 169 - 170

بِنَفْسِه، فلا يَحتاج إلى شهادة شُهود، وهو الّذي يَعرفُ عَظمةَ المقتول ظلماً، وهو الّذي يَعلمُ أهدافَ القاتِل مِن وَرَاء قَتْله للإمام، وهو يزيد.

«وبِرَسول الله خَصْماً، وبجبرائيل ظَهيرا»

لقد رُويَ عن الصحابي: إبن عباس أنّه قال: «لمّا أشتَدّ بِرَسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مَرَضُه الّذي ماتَ فيه، حَضَرْتُه وقَد ضَمّ الحسين إلى صَدْره، يَسيلُ مِنْ عَرَقِه عليه، وهو يَجُودُ بِنَفْسِه ويقول: «ما لي ولِيَزيد! لا بارك الله فيه، اللهمَّ العَنْ يزيد».

ثمّ غُشِيَ عليه طويلاً وأفاقَ، وجَعَلَ يُقَبّلُ الحسينَ وعَيناهُ تَذْرُفانِ ويقول: أما إنّ لي ولِقاتِلك مقاماً بينَ يَدَي الله». (1)

ثمّ صَعّدَتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) مِن لَهْجَتِها في تهديد يزيد وإنذاره، مُغامَرةٌ مِنها في حَرْبها الكلاميّة ومُخاطرَتها في كشْف الحقائق، وإهانَتها للطاغية يزيد، فقالتْ:

«وسَيَعْلَمُ مَن بَوّاكَ ومَكّنَكَ مِن رِقاب المسلمين أنْ

1- كتاب «الدُرّ النظيم» للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، المُتوفى عام 676 للهجرة، الطبعة الأُولى، طبع ايران عام 1420ه-، ص 540، وهو يَنقُلُ ذلك عن «مُثير الأحزان»

بِئسَ للظالمينَ بَدَلاً، وأيُّكم شرٌ مَكاناً واضَلُّ سَبِيلاً»

مَكِّنَكَ: مَهّدَ لِتسلُّطِك على كُرسيّ الحُكم على الناس والتَلاعُب بدماء المسلمين.

وهذا تَصّريحٌ مِن السـيّدة زينب (عليها السـلام) – أمامَ يَزيد ومَن كانَ حَولَه في مَجلِسه – بِعَدَمَ شـرعيّة تَسَلّطه على رِقاب الناس، بل وعَدَم شرعيّة سُلْطَة مَن مَهّدَ لِيَزيد هذه السلطة وهو أبوهُ مُعاوية بن أبي سفيان، فهو الّذي يَتَحَمَلُ ما قامَ به يزيد مِن الجرائم، مُضافاً إلى ما تَحَمّلَهُ هو مِن الجنايـات وقَتْل الأبرياء. فسـيكون عـذابُه أشـدّ، لأن جرائمَه أكثر ووِزْرَهُ اثْقَل. ولعلَّ هـذا المعنى هو المقصود مِن قول السـيّدة زينب – حِكايةً منها عن القرآن الكريم: «أيُّكم شرٌّ مَكاناً».

«وَما استِصْغاري قَدْرك، ولا استِعْظامي تَقْريعَك»

التَقْريع: الضَرْبُ مع العُنْف والإيلام.

وفي نسخة:

«ولَئِنْ جَرّتْ عليَّ الدَواهي مُخاطبتَك، إنّي لأسْتَصْغِرُ قَدْرك، واستَعْظِمُ تَقْريعَك». (1)

1- كتاب «المَلْهوف على قَتْلى الطفوف» للسيّد ابن طاووس، ص 217

الدَواهي – جَمْع داهية – دَواهي الدَهْر: ما يُصيبُ الإنسان مِن نُوَبِه. (1)

لَعـلّ السـيّدة زينب (عليهـا السـلام) تَقْصـد – مِن كلامِها هـذا –: أنّ يا يزيـد! مِن الصـعْب عليَّ جِـداً أنْ أُخاطبَك، لأنّي في مُنْتَهى العِفّة والخِدارة، وأنتَ في غاية اللُؤم والحِقارة، ومِن الصَعْب عليّ أن أُخاطبُ رَجلاً نازِلَ القَدْر والمَكانة، لكنِ الضَرورة والظروف المؤسِفة وتَقلُّبات الدَهْر، جَعَلَتْني أكونَ طرَفاً لك في الخِطاب، لكي أُبيِّنَ لك، فظاعَةَ تَقْريعِك لِرأس اخي الإمام الحسين (عليه السلام).

»تَوَهُماً لإنتجاع الخِطاب فيك«

الإنتِجاع: إحتمالُ التاثير. (2)

المعنى: ليسَ هَـدَفي مِن مُخاطَبَتِك إحتمال تاثير خِطابي فيك، بلْ هو رَدَ فِعْل طبيعي لِما شاهَـدْتُه وأُشاهِـدُهُ مِن المَصائب، وعسـى أنْ يؤثّر كلامي في بعض الجالسين في هذا المجلس، ممّن خَفيَتْ عنهم الحقائق، بِسَبَب تأثير الدعايات، وأقولُ قَولي هذا.. لكي أُبطِلَ

1- المُعْجَم الوَسيط

2- كما يُستفاد هذا المعنى مِن كتاب «العَين» للخليل، و«المُعْجَم الوَسيط». المُحقّق

وأَدمَرَ ما أحْرَزْته مِن الإنتصارات المَوْهومة.

«بَعْدَ أنْ تَرَكْتَ عُيونَ المسلمين به عَبْرى»

أي: مُغْرَورَقة ومَليئة بالدُموع بسَبَب استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بلا ذَنب، وبتلك الكيفيّة الفَجيعة!

«و صُدورَهُمْ عند ذِكْره حَرّى»

أي: مُلْتَهِبَة مِن الحُزْن والأسى، عند تَذكّر ماجَرتْ عليه مِن المَصائب المُقْرِحة للقلوب.

وهـذا أمرٌ طبيعي لِكلّ مُسْتَلمٍ – بل كلِّ إنسانٍ – لم تَتَغَيّر فيه الفِطرَة الأوّليّة الّتي فَطَرَ الله الناسَ عليها، فالتألّم مِن هكذا فاجعة.. هو رَدُّ فِعْلٍ طبيعي لِكلّ مَن تكونُ صِفَة العاطِفة سَليمة لَدَيه.

ثمّ ذكرتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) سَبَبَ عدم إحتمال تاثير خطابها في نَفْسيّة يزيد وحاشِيَته، فقالت (عليها السلام):

«فتِلْك قُلُوبٌ قاسِية، ونُفُوسٌ طاغية، وأجسامٌ مَحْشُوّة بِسَخَطِ الله ولَعنَةِ الرسول، قد عَشّشَ فيها الشَيطانُ وفَرّخ»

مَحْشُوّة: أي: مَمْلوءَة.

إنّ القلْب إذا صارَ قاسِياً، والنَفْس إذا أخَذَها الطغيان، فسَوفَ لا تكونُ الأرضيّة مُساعِدَة فيهما لِتَقَبُّل المَواعِظ والنَصائح.

يُضافُ إلى ذلك .. أنّ الشيطانَ الرَجيم إذا وَجَدَ التَفاعُل والتَجاوب مِن شَخْص، فسوف يَتَرَبَعُ في فِكْره وذِهْنه، ويَتّخذه لِنَفسه عِشاً ووكْراً، ومَسْكَناً ومَحَلاً للإقامة فيه، ويكونُ بِمَنزلة جَهاز التَحكُّم في الأشياء، يَتَحكَمُ في مُيوله واتّجاهاتِه، فيُوَجّهُ الشخصَ حيثما يُريد، ويأمرُه بأنواع الإنحراف والإنسِلاخ عن الفِطرة الإنسانيّة والعاطفة وجميع الصفات الحَميدة، ويُعطيه الجُرأة على اقتحام المَخاطر الدينيّة، فإذا أرادَ الشيطانُ مُغادَرة فِكْر هذا المُنْحَرف فإنّ هناك فراخه، أي: جُنوده، الّذين يَقومون مَقامه ويُؤدّونَ دَورَه في مُهمّة الإغراء والتَشْجيع على الجريمة مِن دون التفكير في مُضاعفاتها السَلْبيّة.

«ومِن هناك مِثْلك مادَرَج»

ومِن هناك: أي: وبسَبَب ذلك، ونتيجةً لتلك الأسباب. وقيل: «ما» في «ما درج»: زائدة.

دَرَج: يُقال: دَرَج الصَبيّ: أي: أخَذَ في الحَركة ومَشى

مَشْياً قَليلاً .. أوّل ما يَمشي. (1) وقيل: دَرَج أي: نَشَأ وتَقَوّى.

«فالعَجَبُ كلُّ العَجَب لِقَتْلِ الأتقِياء، وأسباطِ الانبياء، وسَليل الأوصياء، بايدي الطُلَقاء الخَبيثَة، ونَسْلِ العَهَرة الفَجَرَة»

الأتقياء – هُنا –: الإمامُ الحسين (عليه السلام) والمُسْتَشْهَدين مَعَه.

أسْباط – جَمْعُ سِبْط –: الحَفيد.

السَليل: الوَلَد.

العَهَرة – جَمْعُ عاهِر وعاهِرَة – الرجل الزاني، والمَرأة الزانية .

الفَجَرة – جَمْعُ فاجِر وفاجِرة –: الرجل أو المرأة الّتي تُمارس جَريمة الزنا والفُجُور.

حَقاً إنّه عَجيب، بل هو مِن أعجَب الأعاجيب أنْ يُقتَلَ أشرف وأطيب خَلْق الله تعالى على أيدي ذُريّة العاهِرين والعاهِرات!!

ولكن.. هذه هي طبيعةُ الحياة الدُنيا، أنّها تكونُ

1- المُعْجَم الوَسيط

قاعةَ إمتحانٍ للأخيار والأشرار، وللذينَ يَضْربونَ أرقاماً قِياسِيّة في الطِيب أو الخُبْث.

ومِن هنا .. بَقِيتْ «فاجعـةُ كربلاء» خالـدةً إلى يوم القيامـة، عنـد كلِّ مجتمع يَمتازُ بالوَعي والإدْراك، وفَهُم المَفاهيم والقِيَم الإنسانيّة، وكلّما إزدادَ البَشَر نُضْجَاً وفَهْماً أقبَلَ على دِراسة وتَحْليل هذه الفاجعة بصورةٍ أوسَع، والتفكير حولَها بشكلٍ أشْمَل، والكتابَة عنها بتفصيلٍ أكثر.

وقـد شاء الله تعالى أن يَبقى هـذا المَلَفُّ مَفْتوحاً لَدى العُقَلاء المؤمنين، ويُجدّدُ فَتْحُه في كلّ عام، بَلْ في كلّ يوم، لِتَحْليل ودراسة جُزْئيّات هذه الفاجعة!!

ولخُلُودِ فاجعـة كربلاء – وإمتيازها على بقيّة فَجائع وكوارث التاريخ – أسـبابٌ مُتعدّدة، نَذْكُر بعضَ ها، لِيَعرفَ ذلك كلُّ مَن يَبْحَثُ عن إجابة هذا السؤال، ويُريدُ معرفة الواقع والحقيقة:

1 – إنّ الذينَ انصَبّتْ عليهم مُصيبةُ القَتْل أو السَبْي .. – في هذه الفاجعة – كانوا هم أفضَلَ طبَقات البَشَر، وأشرفَ خَلْق الله تعالى .. رِجالاً ونِساءً، بل كانوا في قمّة شاهِقة، ودَرَجة عالية مِن العَظمة والجَلالة والإيمان بالله تعالى، والنَفْسيّة الطيّبة، بحيث لا مَجالَ لأن نَقِيسَ بِهِم

غيرَهم مِن البَشَر .. مَهْما كانوا عُظماء.

2 – إنّ الّذين ارتكبوا الجرائم – في هذه الفاجعة – .. كانوا أخبَثَ البَشر، وأكثرَ الناس لُؤماً، وأنزَلَهُم نَفْسيّةٌ.

3 – إنّ هـذه الفاجعـة مَهّـدَتْ الطريق لِسِلْسِـلَة مِن الفَجـائع والجَرائم والجِنايات، فأعطت الناسَ الجُراةَ بأنْ لا يَخافوا مِن أحَـد، ولا يَلتزموا بعَقيدةٍ أو دين، فكانَ عمَلُ مُرتكبي هذه الفاجعة.. بمنزلة تأسـيس الأُسُس وفَتْح الطريق أمامَ كلّ خَبيثٍ ولَئيم، في أن يَقوم بما تَطيبُ له نَفْسُه القَذرة مِن الجرائم والجنايات!

ولقد جاءَ في التاريخ: أنّ الإمام الحسـين (عليه السـلام) صَـرّح بهذه الحقيقة، أثناءَ مُقاتَلَتِه مع أهل الكوفة، فقال: «... . يا أُمّة السَوء: بِئسَ ما خَلَفْتُمْ محَمّداً في عِتْرته، أما إنّكم لَنْ تَقتلوا بَعْدِي عَبْداً مِنْ عِباد الله فَتَهابُوا قَتْلَه، بَلْ يَهُونُ عليكم ذلك عِنْد قَتْلكم إيّاي ... ». (1)

4 – إنّ طبيعـة الحياة: هي أنّ التاريـخ يُعيدُ نَفْسَه لكنْ .. مَع إختلاف الأفراد والاجيال، فكانَ ضَـرورِيّاً على كلِّ مُسْـلِمٍ أنْ يَسْـتلْهِم الدُروس والعِبَر مِن هذه الفاجعة الكُبرى، ويَقومَ بِدراستها ومَعرفة تَحليلها .. بِشكلٍ

1– كتاب «بحار الأنوار» ج 45، ص 52

شامِل، لكي لا يَسْقط في الإمتحانات الإلهيّة الصّعْبَة، والمُنعَطفات الحادّة الخَطيرة، وحتّى لا تَتكرَّر مَآسي وفَجائع مُشابِهَة.

وحتّى لو تكرّرتْ ذلك فإنّه يُبادرُ إلى صُفوف الأخيار، ويَتّخِذُ مَوقِفَ الإنسان المؤمن الّذي يَخافُ الله تعالى، ويؤمنُ بِيَوم الحِساب، وذلك لأنّ لَدَيه خَلْفيّة دينيّة واسِعة وشامِلة عن فاجعة كربلاء ومُضاعَفاتها.

5 – إنّ فَتْحَ مَلَف «فاجعة كربلاء» والبُكاء حِينَ قراءة أو سِماع تفاصيلها يعني: تأمين جاذِبيّة قَويّة، تَجذِبُ الناس نَحوَ الدين ب– «إسم الإمام الحسين عليه السلام»، وبجاذبيَّة عاطفيّة لا يُمكن تَصَوُّر دَرَجَة قُوّتها!!

وهنا .. يَنبغي الإلتفات إلى حقيقة مُهمّة، وهي: أنّ الادلَّة العَقْليّة والإستدلالات المَنطقية – في مَجال دَعْوة الناس إلى الإلتزام بالدين – تَقومَ بِدَور الإقناع فَقط، لكنْ لابدّ لذلك مِن عامِلٍ يَجذِبُ الناسَ لإستِماع هذه الأدلَّة، وأقوى عَوامِل الجَذْب هو: العامل العاطفي، وهو مُتوفّر في كلِّ بَنْدٍ مِن بُنُود هذه الفاجعة!

وهذه الجاذبيّة لا تَقْتَصِرُ على جَذْبِ الناس نحو الدين فَحَسْب، بل تَجْذِبُهُم نحو الفضائل والأخلاق، والتَطبيق العَمَلي لِبُنود الدين، وتَعَلّم مَعالم وعَقائد

وعِبادات الدين مِن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) .. لا مِن غيرهم.

فإنّ الله تعالى جَعَلَ شرطَ قَبُولَ الأعمال وِلاية اهل البيت وإتّباعَهُم، لا مُجَرّد مَحبّتِهم، وجَعَلَ الله (عزّوجلّ) الإسلامَ الواقعي يَنْحَصِرُ في مَذهب أهل البيت، لا المَذاهِب الأُخرى .. حتّى لو كانتْ تلك المَذاهِب مُشْتَمِلَةٌ على ظواهر ومَظاهر دينيّة، فالمَظهَر وَحْدَه لا يَكفي، بَلْ لابدّ مِن التمسُّك بالمُحْتَوى الصحيح!

ولابُدّ مِن التوقيع الإلهي على شَرْعيّة ذلك المَذهَب، عن طريق نُزول الوَحي على رسول الله الصادق الأمين، أو ظهور المُعجزات مِن إمام ذلك المَذهَب.

ولذلك فقد اشتُهِرَ وتَواتَرَ عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قوله: «مَثَلُ أهلِ بَيْتي فيكُمْ كَسَفِينَةِ نوحٍ، مَن ركِبَها نَجى، ومَن تَخلّفَ عَنْها غَرِق.

والآن .. نَعودُ إلى شَرْح كلمات خُطبة السيّدة زينب (عليها السلام):

تقول السيّدة: إنّ قَتْلَ الأتقياء واحفاد الأنبياء وإبن الأوصياء، كانَ على أيدي الطُلَقاء الخَبيثَة، ونَسْل العَهَرة الفَجَرة.

إنّنا حينَما نُراجعُ التاريخ الصحيح نَجِدْ أنَّ الّذين

ارتكبوا فاجعة كربلاء الدامية كانوا مِن أولاد الحَرام!! بِدْءاً مِن يزيد، إلى ابن زياد، إلى الشـمر، إلى العَشَرة الّذينَ سَحَقُوا جَسَد الإمام الحسين (عليه السلام) بَعْدَ شهادته، بِحَوافِرِ خُيولهم!!

ولإلتحاق كلّ واحدٍ مِنْهم بأبيه قصّةٌ مَذكورةٌ في كُتُب «عِلْم الأنساب». (1)

فقـد جاءَ في التاريخ: أنّ إمرأة نَصْرانيّة إسـمها: «مَيْسُون بنت بَجْدل الكلبي» زَنَتْ مع عبْد أبيها، فحَمَلَتْ ب- «يزيد» وبَعدَ الحَمْل بِشُهور تزوّجَها معاوية. (2)

وأمّا عُبيد الله بن زياد، فإنّ أُمّهُ «مَرْجانَة» كانتْ مَشهورة - عند الجميع - بالزنا المُستمرّ!! (3)

وكلامُ الإمام الحسين (عليه السلام) مَشهور وصَريح بأنَّ عُبيدَالله وأباهُ زِياد كانا إبنَيْ زنا، حيث قال الإمام: «... ألا وإنّ الدّعيَّ ابنَ الدَعيّ قد ركزَ بينَ اثنَتَيْن: بَينَ السِلَّة والذِلّة، وهَيهات مِنّا الذِلَّة ...».

1- إقرأ كتاب «مَثالِبُ العَرَب» لهشام بن الكلبي وكتاب «إلزام النَواصب» للشيخ مُفْلح بن الحسين البحراني

2- كتاب «مَجالس المؤمنين»، ج 2، ص 547، نَقْلاً عن كتاب «مَثالب الصحابة»

3- كتاب «مَعالي السِبطين» ج 1، الفصل السابع، المجلس الرابع

وقد رُوي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: «قاتِلُ الحسين (عليه السلام) وَلَدُ زنا». (1)

«تَنْطِفُ أكُفُهُمْ مِن دِمائنا»

تَنْطِفُ: تَقْطَرُ أو تَسِيلُ. (2)

والظاهر أنّ هـذا الكلام – أيضاً – إسـتعارة بَلاغِيّة وتَعني السـيّدة زينب (عليها السـلام) تلك الأيدي والأكُفّ الّتي كانتْ تَضْـربُ بسّـيوفها ورِماحِها على أجسام آل رسول الله: الإمام الحسين ورجالِ أهلِ بَيته وأصحابه، فتَتقاطر أكُفُهُمْ وسيوفهم مِن دِماء أُولئك الطيّبين.

وتَتَحَلّبُ أفواهُهُمْ مِن لُحومِنا»

تَتَحَلَبُ: يُقال: حَلَبَ فُلانٌ الشاةَ أو الناقةَ: أي: إسـتَخْرجَ ما في ضَـرْعِها مِن اللَبَن، واسـتَحْلَبَ اللَبَنَ: إستَدَرَهُ. (3) وتَحَلّبَ فُوهُ أو الشيء: إذا سال. (4)

1- كتاب «كامل الزيارات» لإبن قولويه ص 79، حديث 11، وكتاب «بحار الأنوار» ج 14، ص 183

2- على ما هو مذكور في أكثر كُتُب اللُغة. المُحقّق

3- كتاب «أقرب الموارد» للشرتوني

4- كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

لعلَّ المراد: أنّه كما أنّ وَلَدَ الناقة تَتَحَلّبُ وتَمتَصُّ بِفَمِها الحليبَ مِن مَحالِبِ أُمّها، كذلك كانَ الأعداء يَمْتَصُونَ بأفواهِهم مِن لُحوم ودِماء آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مَصّاً قَوِيّاً بِدافِع الحِقْد والبَغْضاء!!

وهذه – ايضاً – إستعارة بَلاغِيّة وكِنايَة عن شِدَّة حِقْدِهم وعِدائهم.

ويُمكن أنْ تكون هـذه الكلمـة إشارةً إلى ما فَعَلَتْه «هِنْـد» جَـدّة يزيـد – في غَزوة أُحُـد –: مِن شَـقّها لِبَطن سَـيّدنا حمزة بن عبـد المُطّلب، وإخراجِهـا كبِـده، ثمّ وَضْـعِه في فَمِهـا ومُحاوَلَتِهـا أنْ تَمْضَـغَهُ وتأكلَ مِنْه، حِقْـداً منها عليه، لكونه عَمّاً لِرسول الله، وقائـداً كفُوءاً في جيش المسلمين. (1)

«تلك الجُثَثُ الزاكية، على الجَبُوب الضاحِية»

الجَبُوب: وَجْهُ الأرض الصُلْبَة (2) وقيل: الجَبُوبُ: التُراب. (3)

1- المُحقّق

2- كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

3- المُعْجَم الوَسيط

الضاحِية: يُقال ضَحا ضَحُواً: بَرَزَ للشّمس او أصابَه حَرُّ الشّمس، وأرضٌ ضاحية الظِلال: أي: لا شَجَر فيها. (1)

إخبـارٌ مِن السـيّدة زينب (عليهـا السـلام) عن مصـيبة بَقاء الأجساد الطاهرة على وَجْه الأرض عِـدَّة أيّام .. مِن غير دَفْن، تَصْـهَرُها الشـمس بأشِعَّتِها المُباشرة، كلّ ذلك .. رَغْم كونهم سادات أولياءِ الله تعالى.

«تَنْتابُها العَواسِل»

تَنْتابُها: تأتي إليها مَرَةٌ بَعْدَ مَرَة.

العَواسِل – جَمْع عاسِل –: وهو الذِئب. (2)

وهنا إحتمالان في المَقصود مِن هذا الكلام:

الإحتمال الأول: إنّ المقصود مِن «العَواسِل»: هم الّذين حَضـروا يومَ عاشوراء لِقَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) والصَفوة الطيّبة مِن ذُريّته وأهل بيته وأصـحابه. عَبّرت السـيّدة زينب (عليها السـلام) عن أُولئك الأعـداء بالـذئاب، لأنّهم كانوا يَحْملون صِـفَة الذِئاب وهى الإفتراس، ويُعبّر

1- المُعْجَم الوَسيط

2- وقيل : العَواسِل – جَمْع عَسَال –: وهو الرُمح. المُحقّق

عن هذا النوع مِن التَشْبيه – في عِلْم البَلاغة والأدَب - ب– «الإستعارة».

وقد استَعمَلَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) هذا النوع مِن الإستعارة في خُطبته الّتي القاها قبلَ خروجه مِن مكّة نحو العراق، حيث قال – فيها –: «.... خُيّرَ لي مَصْرَع أنا لاقِيه، وكأنّي بأوْصالي تُقَطّعُها عُسْلانُ الفَلَوات، بينَ النَواويس وكربلاء ...». (1)

وبناءً على هـذا .. يكون المقصود مِن كلمـة «تَنْتابُها» الهُجُوم المُتَوالي والغارات المُتَتاليـة الّتي كانَ الاعـداء يَشِنّونَها على أصـحاب الإمام الحسين وخِيامه.. يومَ عاشوراء.

الإحتمال الثاني: هو أنّ الشأن والعادةَ تَقتضي أنْ لو بَقيتُ جُثَثُ أُناس على الأرض – مِن غير دَفْن، وكانتْ المنطقة تَتَواجَدُ فيها الذئاب، فإنّها تأتي إلى تلك الجُثَث وتأكل مِن لحومها.

إلّا أنّ المعنى لم يَحصَل – بكلّ تأكيـد – بالنسـبة إلى الجَسَـد الطاهر للإمام الحسـين (عليه السـلام) وأجساد أصـحابه وأهل بيته الطيّبين، الّذين قُتلوا معه، وبَقيتْ أجسادهم على

1– كتاب «بحار الأنوار» ج 44، ص 367. المُحقّق

الأرض لمُدّة ثلاثة أيّام، مِن غير دَفْن أو مُواراةٍ في الأرض، مِنْ دون أن يَتعرّض لها ذئبٌ أو أيُّ حيوان مُفْتَرسٍ آخَر.

«وتُعَفّرُها أُمّهَاتُ الفَراعِل»

الفَراعِل - جَمْعُ فَرْعُل -: وَلَدُ الضَبُع. (1)

الظاهر أنّ هذا الكلام - أيضاً - إستعارةٌ بلاغِيَّة، ولَعلّها تُشيرُ إلى أُولئك الأفراد العَشَرة الّذينَ ركبُوا خُيولَهم وسَحَقُوا جَسَد الإمام الحسين (عليه السلام) بَعْدَ قَتْله.. بِحَوافِر الخَيل، في يوم عاشوراء، أو اليوم الحادي عشر مِن المُحرّم.

قال الراوي: ثمّ نادى عمرُ بنُ سعد في أصحابه: مَن يَنْتَدِبُ للحسين فيُوطِئُ الخيلَ ظهْره؟

فانتَدَبَ منهم عَشَرة وهم: إسحاق بن حويـة، وأخنَس بن مرثـد، و حَكيم بن طفيل، وعمر بن صبيح الصَيداوي، ورجاء بن مُنقذ العبدي، وسالم بن خَيثمـة الجعفي، وصالـحُ بنُ وَهَب الجعفي، وواحِظ بنُ غانم، وهاني بنُ ثَبيت الحَضَرمي، وأُسـيد بنُ مالك (لَعَنَهُمُ الله) فَداسُوا الحسينَ بِحَوافِر خُيولهم حتّى رَضُّوا ظَهْرَه وصَدْرَهُ!!

1- كتاب «أقرب المَوارد» للشَرتوني

قال الراوي: وجاءَ هؤلاء العَشَرة حتّى وَقَفُوا عند ابن زياد، فقال لَهُ أحَدُهم:

نَحنُ رَضَضْنا الصَدْرَ بَعْدَ الظهْر *** بِكُلِّ يَعْبوبٍ شَديد الأسْر

فقال ابن زياد: مَن أنتُمْ؟

قالوا: نَحنُ وَطَلْنا بِخُيولنا ظهرَ الحسين.. حتّى طحَنّا جَناجِنَ صَدْره!!

فامَرَ لَهُم بجائزة.

قال ابو عَمرو الزاهِد: فَنَظرْنا في نَسَب هؤلاء العَشَرة، فَوَجَدْناهم جميعاً أولادَ زنا! (1)

«فلَئن اتّخَذْتَنا مَغْنَماً، لَتَجِدُ بِنا وَشِيكاً مُغْرَماً حِينَ لا تَجِدُ إلّا ما قَدّمَتْ يَداك، وما اللّه بِظلّامٍ للعَبيد»

مَغْنَماً: الغَنيمة، وجَمْعُها: مَغانِم (2) وقيل: المَغْنَم: هو كلُّ ما حَصَلَ عليه الإنسانُ مِن أموال الحرب. (3)

1- كتاب «المَلْهوف» للسيد ابن طاووس، ص 182- 183

2- المُعْجَم الوَسيط

3- كتاب «لسان العرب»

مُغْرَماً: المُغْرَمَ: المُثْقَلُ بالدَين (1) أو أسير الدَين (2) وقيل: المغْرَمَ: مَصْدرٌ وُضِعَ مَوضِع الإسم، ويُرادُ به مُغْرَم الذُنوب والمعاصي. (3)

المعنى: يا يزيـد! إنّك أمَرتَ بأسْـرِنا، وتَعامَلَت جَلاوزتُك مَعَنا – في طريق الشام – تَعامُلَ السّـبايا والغَنائم الحَربيّة، ولكن .. إعلمْ أنّك – في القَريب العاجِل – سَوفَ تَجِـدُ نَفْسَكَ مُثْقَلاً بالـذُنوب و مُحاصَـراً بالمعاصـي الّتي يَلْزَم عليك دَفْعُ ضَـريبتِها، والدفاعُ عن نَفْسِك في مَحكَمة العَـدْل الإلهيّة، حيثُ لا تَجِدُ مَعَك إلّا ما قَدّمَتْ يَداك: مِن جَرائم وجِنايات، والّتي مِنْ أبرَزها: سَبْي نِساء أل رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسلّم). وفي ذلك الحِين تَرى نَفْسك وَحيداً ذَليلاً مُهاناً، مِن غير مُحامٍ يُدافِع عنْك، ولا عُذْرٍ لِتُبَرّرَ به أعمالك، ولا مالٍ لِتَدْفَعُه رشوةً وتُخلّص به نفسك، بل تَبقى أنت وأعمالُك!!

«فإلى الله المُشْتَكى والمُعَوَّل، وإليه المَلْجأُ والمُؤمَّل»

المُعَوّلُ: إسمُ مفعول بمعنى «المُسْتعان»، يُقال:

1- المُعْجَم الوَسيط

2- أقرب الموارد للشرتوني

3- كتاب «مَجْمع البحرين» للطريحي

عَوّلْتُ عليه: أي استَعَنْتُ به، وصَيّرتُ أمْري إليه (1) وقيل: العَوْلُ: المُستَعان به، والعِوَلُ: الإتّكال والإستِعانة، يُقال: عَوَلَ الرجلُ عليه: أي: إعتَمَدَ وإتّكل عليه، واستَعانَ بِه. (2)

وبَعْدَ ما ذَكَرَتْ السيدة زينب (عليها السلام) ما جَرى على آل الرسول الطاهرين مِن المصائب، تَقول «فإلى الله المُشْتكى» وعليه الإعتماد والإتّكال والإستعانة به .. لا إلى غيره، فقد كانَ تعالى: هو الشاهِدُ على ماجَرى، وسيكونُ هو المُنْتَقِمُ مِن الاعداء، المُقتَدِرُ على إبادتهم وعُقوبتهم. «وإليه المَلْجأ والمُؤَّمل» فهو - سُبحانه - المَلْجَأ لَنا ولِبقيّة أفراد العائلة المُكرّمة، وخاصّةً بَعْدَ فَقْدنا لسيّدنا الإمام الحسين (عليه السلام) وتَواجُدِنا في عاصمة بَني أُميّة، في قَيْد الأسْر والسَبي!

وهو «المُؤمّل»: الّذي نَأمَلُ مِنه أن يُعينَنا على ما أصابَنا، ويُعطينا الصَبْر الجَميل على تحمُّل ذلك، ويَمْنَحَنا الاجرَ الجَزيل إزاءَ ما لاقَيْناهُ مِن المكاره والنَوائب.

1- كتاب «العَين»، للخليل بن أحمد

2- المُعْجَم الوَسيط

ثمّ عادَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) لِتَصُبَّ جاماً آخرَ مِن غَضَبها على المُجْرم الاصلي لِفاجعة كربلاء، وهو يزيد الّذي قامَ بتلك الجَرائم مُباشرةً، أو أصدَرَ الأوامِر لِعامِله اللَعين ابن زياد، الّذي نَفّذَ أوامرَ يزيد مِن القتْل والسَبْي والضَرْب وغير ذلك.

وكأنّها تَرى أن كلَّ ما خاطبَتْه به غيرُ كافٍ لِما يَستَحقّهُ مِن شَجْبٍ وتَعْنيف!

فقالتْ:

«ثمّ كِدْ كَيْدَك، واجهَدْ جَهْدَك»

الكيْدُ: إرادةُ مَضَرَة الغَير خُفْيَة، والحِيلة السَيِّئة، والخُدْعة، والمَكْر (1)

جَهَدَ جَهْداً: جَدَ، ويُقال: طلب حتّى وَصَلَ إلى الغاية، والجُهْد: الوُسْع والطاقة. (2)

هـذا كلامٌ يَطغى عليه طابعُ التَهْديـد الشَديـد، مِنْ سـّيّدة أسـيرة، ولكنّها واثِقَة مِن نَفسـها – أعلى دَرَجات الثِقَة – أنّ جميعَ نِشاطات يزيد – والفُصول اللاحِقة مِنْ مُخَطّطاتِه –

1- المُعْجَم الوَسيط

2- نَفْس المصدر

سَوفَ تَفْشَل، وسوفَ لا يَتَوَصَّل إلى أيّ واحد من أهدافِه!! بَلْ تَرجعُ عليه بشكلٍ مُعاكِس، فَكَرْسِيُّهُ يَتَزعْزع، وسُلطتُه تَضْعُف، وقُدرتُه تَذهَب!

فالسـيّدة زينب (عليها السلام) تُريدُ أنْ تَقول ليزيد: إصنَعْ ما بَدا لك، مِن تَخطيطٍ وتفكير، وقَتْلٍ وإبادة، وسَبْي وأسْر، وابذِلْ ما في وُسْعِك مِن جُهود، فسَوفَ لا تَصِلُ إلى الهَدَف الّذي حَلِمْتَ به، وهو إسْتِئْصال شَجَرَةِ النُّبوّةَ مِن جُذورِها .. بِكافّة أغصانها وفُروعها وأوراقها، وعَدَمُ إبقاء صَغيرٍ أو كبير مِن آل رسول الله .. رَجُلاً كان أو إمرأة!

«–فو الله الّذي شَرَّفَنا بالوَحي والكِتاب، والنُبُوَّة والإنْتخاب–»

القَسَم للتاكيد الأكثر، وهو – في الواقع – إنعِكاس آخَر لِعُلوّ مُستَوى درجة الثِقَة بالنَفْس والإتّكال على الله تعالى، واليَقين بما يَقولُه الإنسانُ ويَحْلِفُ مِن أجْله، وعِلْم السـيّدة بِحَوادث المُسْتَقبل، وما سَتَؤولُ إليه الأُمورُ، فإنّ حوادثَ اليوم، وأحداثَ المُسْتَقبَل تُعتَبر – أمامَ عَين السيّدة زينب عليها السـلام – في حَدّ سَواء، لأنّ الله تعالى مَيّزَها عن بقيّة سـيّدات البَشَر بأنْ يُوصَلَ إليها العُلوم مُباشرةً.. عن طريق الإلهام .. ودون التعلُّم مِن البَشَر،

ولِذلك فإنّ حَوداثَ المُستَقْبَل معلومة وواضحة لها كاملاً كالحوادث المُعاصِرة، ومثالُها مثال مَنْ يُخرج رَاسَه مِن نافِذَة الغُرفة، فيَرى – بكلّ وُضوح – كلَّ ما هو موجود إلى آخر الشارع، وليسَ مِثالُها مِثال مَن يَجلسُ في غُرفةٍ ويَفْتَح النافذة فلا يَرى إلّا ما يُقابِل النافِذة فقط.

إنّنا نَتَلمّس – مِن كلمات القَسَم هذه – المَعْنويّات العالية الّتي كانتْ تَمتازُ بها السيّدة زينب (عليها السلام) حِينَ إلقائها لخُطبتها، فهي تَفْتخِرُ وتَعْتَزَ بِمَزاياها الفَريدة فتَقول: «فو الله الّذي شَرَّفَنا بالوحَي والكِتاب»، فالقرآن الكريم نَزلَ على جَدِّ السيّدة زينب وهو رسول الله سيّدنا محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وفي دارها.

وكذلك إختارَ الله هذه الأُسْرة وانتَخبَها لِتَكونَ فيهِمُ النُبوّةَ. وكأنّها تُعرّض بكلامها لِيَزيد: أن أنتَ بماذا تَعْتَز؟ وبماذا تَفْتَخِر؟!

وهلْ توجَد فيك فضيلة واحدة حتّى تَفْتخر بها؟!

ولَعلّ السيّدة زينب كانتْ تَقصُد – أيضاً – إسماع الجماهير المُتَواجِدة في ذلك المجلس هذه الحَقائق، ومِنْ باب المَثَل الّذي يَقول: «إيّاك أعْني واسْمَعي يا جارَه».

وبعد كلمات القَسَم تَذْكر السيّدة زينب (عليها السلام) الأُمور الّتي أقسَمَتْ مِن أجْلِها:

لا تُدْرِكُ أمَدَنا، ولا تَبْلُغُ غايَتَنا، ولا تَمْحُو ذِكْرَنَا»

أمَدَنا الأمَد: الغايَة والنِهاية. (1)

أي: مَهْما بَـذَلْتَ مِن الجُهُود، وحاولْتَ مِن المُحاولات، فسوفَ تَفشَل في ذلك، فقـد حاوَلَ ذلك مَن كان قَبْلك. وهو معاوية – فلم يَسـتطع ذلك، رَغْمَ أنّه كانَ أقوى مِنْك.

«ولا يُرحَضُ عنْك عارُها»

يُرْحَضُ: يُغْسَلُ.

تُصرّحُ السيّدةُ زينب (عليها السلام بحقيقة واقعيّة: وهي أنّ العار والخِزْي وسَبّة التاريخ، سوفَ تكونُ مُلازمَةٍ لَيَزيد إلى الأبَد، ولا يَتمكّن مِن غَسْلها، لا هو .. ولا مَن سَيأتي مِن بَعْده مِن الشَواذ الّذين يُشاركونَهُ في الإتّجاه واللُؤم.

إنّ التاريخ يَقول: حينَما بَدأتْ الأُمور تَنْقَلب على يزيد، فقد صارتْ مَجالس تَعليم القرآن الكريم .. في الشام يتَحدَّث فيها المُعلّم عن جَرائم يزيد في قتْله الإمام الحسـين (عليه السلام) وسَبْيه نساء آل رسول الله، ثمّ بَدأ الناسُ يُنقبُونَ ويُنَبّشون في مَلَف يزيد، لِيَروا الفارق الواسع بينَ سيرته وأعماله، وبينَ ما سَمِعُوه او قَرَأوه عن سيرة الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

1- المُعْجَم الوَسيط

لمّا حَدَث كلُّ هذا.. بَدأ يزيدُ يُلْقي باللَوم على ابن زياد، وصار يَلْعَنُه ويقول: إنّه قَتَلَ الحسين مِن تِلْقاء نَفْسه.

ولكنّ جميع هذه المُحاولات باءَتْ بالفَشَل والفضيحة الأكثر ليزيد!

«وهَلْ رَأيُك إلّا فَنَد، وأيّامُك إلّا عَدَد، وجَمْعُك إلّا بَدَد»

فَنَد: الفَنَدُ: الخَطا في القول والرأي. وقيل: الفَنَدُ: هو الكَذِب. (1)

لَعلّ المعنى: أنّ رأيك – في تخطيطك ومُحاولتِك للتخلُّص مِن مُضاعَفات جَريمتك – خَطا وضَعيف.

«وأيّامُكَ إلّا عَدَد»

العَدَد: هو الكميّة المُتألّفَة مِن الوَحْدات، فيَخْتَصُّ بالمُتَعدِّد في ذاته. وعَدَد: للتقليل: أي: مَعْدود، هو نَقيضُ الكَثْرة. (2)

لَعلّ المعنى: يا يزيد إنّ أيّامك الباقية مِن عُمْرك قليلة،

1- كتاب «تاج العروس» للزبيدي، و«العَين» للخليل بن أحمد

2- كما يُستفاد ذلك مِن كتاب «تاج العروس» للزبيدي

فسَوفَ لا تَبقى في هذه الحياة إلّا أياماً مَعْدودة، فأنتَ قَريب إلى الموت والهَلاك، وبَعْد ذلك سوف تلاقى جَزاء أعمالك، فالعذابُ منْك قَريب.

إنّ جَريمَة قَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) أثَّرَتْ تأثيراً سَلْبيّاً في مِقْدار عُمْرك، فجَعَلَتْه قَصيراً جدّاً.

فقد جاءَ في التاريخ: أن يزيد عاشَ بَعْدَ فاجعة كربلاء سنتين وشهرين وأربعة أيّام (1)، فلمْ يَتَهنّا بُطول الحياة وطول مُدّة السّلطة، كما كانَ يتمنّى ذلك، وكما كان يُتوقَّعُه بَعْدَ القضاء على مُنافِسِه – حَسَبَ زعمه – وهو الإمام الحسين (عليه السلام).

«وجَمْعُكَ إلا بَدَد»

بَدَد: يُقال بَدَّهُ بَداً: أي فَرّقَه، وبَدّدَ الشيء: فَرّقَه (2) والتّبَدُّد: التفرق. (3)

المعنى: سَوفَ يَتفرقُ جَمْعُك وجَلاوزتُك، وحاشِيتُك الّتي كُنتَ تَسْهَرُ مَعَهم على مائدة الخَمر والقمار والغناء،

1- ذكرَ ذلك الطبَري – المتوفّى عام 310 ه– – في تاريخه، طبع لبنان، ج 5، ص 499. المُحقّق

2- المُعْجَم الوَسيط

3- العين للخليل

فسوف يَغيبُونَ عن عَينك، لِمَرض أو موت أو تَتغيّر نَظرتُهم بالنسبة إليك، أو غير ذلك من الأسباب الّتي تَجعَلُ كلّ يومٍ مِن الأيام يَحمِلُ لك حُزْناً وهَمّاً جَديداً، فلا تَتَهنّا بِمَن حولك.

«يومَ يُنادي المُنادي: ألا لَعَنَ اللهُ الظالمَ العادي»

المعنى: يومَ تَموتُ، وتَسْمع صوتاً مُرعِباً لِمُنادٍ يُنادي - مِن عند الله تعالى: «ألا لَعَنَ اللهُ الظالمَ العادي» فأوّلُ شيءٍ تَراه بعد موتِك هو: سِماعك لهذا الصوت.

وكلمة «لَعَن اللهُ الظالمَ»: أي: أبعَدَه عن رَحْمَتِه وعَفْوه ومَغْفِرَته.

ثُمّ .. بَدأت السيّدة زينب (عليها السلام) تُمهِّدُ لِختام خُطبَتِها الخالِدة، فقالتْ:

«والحمْدُ لِلّه الّذي حَكَمَ لأوليائه بالسَعادة، وخَتَمَ لأصْفيائه بالشَهادة، بِبُلوغ الإرادة»

حَكمَ لأوليائه: قَضى لَهم (1)، وقَدّر لَهم ذلك.

أصفيائه: الصَفيُّ مِن كلِّ شيء صَفْوُهُ، وجَمْعُه:

1- المُعْجَم الوَسيط

أصفياء. (1)

بِقَلْب مُفْعَمٍ بالإيمان بالله تعالى، والرضا بما يَختارُه اللهُ لِعِباده، بَدَأت السـيّدةُ زينب (عليها السـلام) تَخْتِمُ خُطبتَها بحَمْد الله سُبحانه الّذي قضـى لأوليائه بالسَعادة، وتَقصُد مِن الأولياء – هنا –: الإمامَ الحسين (عليه السلام) – الّذي هو سيّد أولياء الله تعالى – وأصحابه الّذين قُتِلوا معه يوم عاشوراء، ونالوا – بِذلك – شَرفَ الشَهادة.

إنّ الإنسان الّـذي يَلتَزِمُ بالدين، ويَصـّنَعُ مِن نفسه وَليّاً لِلّه – وذلك بأدائه لِلَوازم العُبُودِية لله سـبحانه – سوف يَحظى بِنَتائج إلهيّة فَريدة، وهي عبـارة عن المِنَـّح المُمَيّزة، والألطـاف الخـاصَّة الّتي يُفيضُـّها اللهُ عليه، والّتي لاـ تَشَـّمَلُ غيره مِن الناس، ومِن أبرز تلك الالطاف الخاصـة: السَعادة الأَبديّة، ولَعلَّ إلى هذا المعنى الرفيع أشارَ اللهُ تعالى بِقَوله: «واللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء». (2)

إنّ أولياء الله تعالى كانوا يُفكّرونَ – باستمرار – في جَلْب رِضى الله سُبحانه.

أجَل .. كانَ هذا هو الهدف الّذي يُشْغِلون به بالَهم،

1- المُعْجَم الوَسيط

2- سورة البقرة، الآية 105

ويَتحرّكون في هذا المَدار ويَدورونَ حولَ هذا المِحْوَر.

ومِن الطبيعي أنّهم كانوا – ولا زالوا – على دَرَجات فهناك مَن يكون وَليّاً لِلّه تعالى منذ السنوات الأُولى من حَياته، وهناك مَن يَصير ولياً لِلّه تعالى في مَرْحَلة مُتَقدِّمة مِن العُمْر.

وعلى هذا الأساس يَقضي الله (عزّوجلّ) لَهم بالفَوز والتَفَوّق والسَعادة الأبَديّة، بجميع ما لهذه الكلمة مِن معنى.

وأحياناً يُقدّر اللهُ تعالى لهم بعضَ المكاره والصّعوبات، وذلك لأسْرارٍ وحِكَمٍ يَعْلَمُها الله سُبحانه، فتَرى الأولياء يُظهِرونَ من أنفسِهم كلَّ إستعدادٍ وتَحمُّلٍ وتَقَبُّل لِتلك المكاره ويَستَقبلونَها بصدْرٍ واسع وصَبْر جميل.

وخَتَمَ الله تعالى لأصْفيائه بالشّهادة، فقد كانَت حياتُهم كلّها خَير وبَركة مُنْذ البداية إلى النهاية، فمن المؤسِف – حَقّاً أنْ يَموتَ الوَليُّ مِيْتَةً طبيعيةً على الفِراش، بل المُتَوقَّع لَه أنْ يوفّقه الله تعالى للشهادة والقَتْل في سَبيله، لكي تكونَ لِمَوته أصداءٌ تَعودُ للدين بالفائدة، كما كانتْ حياتُه كذلك.

فقَتْلُهم يوقِظُ الغافِلين غير المُلْتَزمين بالدين، ويَجْعَلُهم يُفكّرون ويَتَساءَلُون عن سَبَب قَتْله رَغم كونه

إنساناً طيّباً، ويَبْحَثُون عن هَويّة القاتل، وهَدفه مِن قَتْل هذا الرجل!

فتكونُ هذا الاصداءُ سَبَباً لِعَودة الكثيرين إلى الإلتزام الشَديد بالدين ومَبادِئه.

أليسَ كذلك؟!

ولَعلّ أولئك الأولياء هم الّذين أرادوا أنْ يكونَ خِتام حياتهم بالشهادة، وسَألوا مِن الله (عزّوجلّ) ذلك، فاستَجابَ الله – سبحانه – لَهُم دُعاءَهم، وقَدّرَ لهم الشهادة في سبيل الله تعالى، ولعلَّ هذا هو معنى كلام السيّدة زينب (عليها السلام): «بِبُلوغ الإرادة».

«نَقَلَهُم إلى الرَحمة والرَافَة، والرِضوان والمَغْفرة»

المعنى: نَقَلَهُم إلى عالَمٍ يُرَفْرِفُ على رؤوسهم رَحمة الله الواسعة المُخَصّصة للشُهَداء في سَبيل الله تعالى، والرأفة: أي: العاطفة المَزيجة باللُطف والحَنان، الّتي لا تَشْمَل غير الشُهَداء الّذين باعوا أعزّ شيء لديهم – وهي حياتهم – للدين، وفي سبيل المحافظة على رُوح الدين الّذي كان يَتَجَسّد في الإمام الحسين (عليه السلام)، وعدم الرُضُوخ لبيعة «يزيد» الكافِر.

«والرِضْوان والمَغْفرة» إنّ القرآن الكريم يُصرّحُ بأن أعلى

وأغلى والذّ نِعْمَةٍ يَتَنَعّمُ بِها بعضُ أهل الجنّة – وفي طليعتهم شّ هَداء فاجعة كربلاء – هو شّ عورُهم وإحساسُ هُم بأنّ الله تعالى راض عنهم، قال تعالى: «وَعَـدَ اللّه المؤمنينَ والمؤمنات جنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِها الأنهارُ خالـدينَ فيها ومَساكِنَ طَيِّبَـةٍ في جَنّاتِ عَـدْنٍ، ورِضْوانٌ مِن اللهِ اكْبَرُ، ذلك هُوَ الفَوزُ العَظيم». (1)

هذا سِوى ما يُعيّن لَهُم مِن أنواع النِعَم والكرامة والإحترام اللائق.. الّذي لا مَثيلَ لَه في عالَم الدنيا!

يُضافُ إلى ذلك: أنّ الرَجُل الـذي يُقتَلُ في سبيل الله بِنِيّـةٍ خالِصَـة سَوفَ يَمرُّ نَسـيمُ العَفْو والمَغْفرة على ما صَدَر مِنه مِن مخالَفات، فيَصـيرُ مَلَفُّه أبيض لا سَواد فيه.

إنّنا نَقرأ في دُعاء صـلاة يوم عيـد الفطر والأضـحى: «... اللهُمّ وأهلَ العَفْو والرحْمة وأهلَ التَقْوى والمَغْفِرة»، وهذا لجميع المؤمنين التائبين، ولكنّ الشهيد يَمتازُ بمَزايا وتَسْهيلات خاصَّة قَرَّرها الله تعالى للشُهَداء فقط.

هذا إذا كانَ الشَهيدُ إنساناً عادِيّاً غيرَ مَعْصُومٍ مِن الذنوب، أمّا إذا كان مَعصوماً فلا توجَدُ في صحيفة اعماله

1- سورة التوبة، الآية 72

ذُنوبٌ أو مَعاصي، فيكون معنى «المَغفرة» بالنِسبة إليه عُلوّ درجته في الجَنّة، واختصاصه بمِنَح فَريدة كالشفاعة للآخَرين، وغير ذلك مِن المُمَيّزات.

وأمّا سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) فقد خاطبَهُ اللهُ تعالى - بقوله -: «يا أيّتها النَفْسُ المُطمَئِنّة: إرجعي إلى ربّكِ راضِيَةً مَرْضِيّة، فادْخُلي في عبادي وادْخُلِي جَنّتي»، فقد رُويَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّ المقصود والمُخاطَب بهذه الآية: هي نَفسُ الإمام الحسين (عليه السلام). (1)

وكم تَتَضمَّن هذه الآيات مِن كلمات وضمائر عاطفيّة!!

«ولَمْ يَشْقَ بِهِم غيرُك»

المعنى: إنّ الّذي صارَ شَقيّاً وتَعِيساً ومَطروداً مِن رَحمة الله.. هو أنتَ يا «يزيد»،.. بسَبَب قَتْلك إيّاهم وقَضائك على حَياتهم، وطعْنِك في قَلْب الإسلام النابض وهو الإمام الحسين (عليه السلام).

1- كتاب (تفسيرُ البُرهان) للسيّد هاشم البحراني، عند تفسي الآية 27 - 30 مِن سورة الفَجْر. المُحقّق

«ولا ابتُليَ بِهِم سِواك»

إنّ الّذي امتُحنَ بالقُدرة والسّلطة ومُشاهَدة كُرسيّ المُلْك الّذي مَهّدَه له معاوية، فاراد القضاء على كلِّ مَن لا يَركع لَه، وبذلك سَقَط في الإمتحان سُقوطاً ذَريعاً هو أنتَ أيّها الخامِلُ الحاقِد!

أمّا الّذين قُتِلوا مَعَ الإمام الحسين (عليه السلام) ونالُوا شَرَفَ الشهادة مَعَه .. فهُمْ قد نَجَحوا في الإمتحان نجاحاً باهِراً وفَوزاً مُتوالياً مُتواصِلاً، أي: كما كانوا مِن قَبْل الشّهادة – أيضاً – في مَرحلةٍ عاليةٍ مِن سَلامة الفِكْر والعقيدة والسّلوك، والطاعة التامّة لإمام زَمانهم الحسين (عليه السلام).

فَهُمُ – الآن – في أعلى دَرَجات الجِنان والّتي يُعبّرُ عَنْها ب– «الفِرْدوس الأعلى».

أما انت – يا يَزيدُ – فسوفَ يكونُ مَصيرُك في أسفل دَرَك مِن الجَحيم، وفي ذلك التابوت الذي يُمَوّنُ جميعَ طبقات جَهنّم بالحَرارة العالية الّتي لا يُمكن للبَشر – في هذه الدنيا – أن يَتصوَّر دَرَجة حَرارتها وشِدّة اشْتِعالها.

قال تعالى – بالنسبة لأهل النار–: «ويأتيه المَوتُ مِن كلّ مَكان وما هو بمَيّت» (1) وقال (جَلّ ثَناؤه) «وقالوا:

1– سورة إبراهيم، الآية 17

يا مالِك! لِيَقْضِ علينا ربُّك؟ قال: إنّكم ماكثون». (1)

«ونَسْاله أنْ يُكمِلَ لَهُمُ الأجْر، ويُجْزِلَ لَهُمُ الثَواب والذُخْر»

أكمَلَ الشيءَ: أَتَمّهُ، وفي القرآن الكريم: «اليومَ اكمَلْتُ لكم دِينَكم» (2) ويُقال - أيضاً -: الكَمَلُ: الكامِل، يُقال: أعطاهُ حَقّه كمَلاً: وافياً. (3)

يُجْزِلَ: الجَزْلُ: العَطاء الكثير، ويُقال: أجزَلَ العَطاء. (4)

والجَزْلُ: الكثير مِن كلِّ شيء. (5)

الثَواب: الجَزاء والعَطاء (6)، وقيل: هو الجَزاء الّذي يُعطى مَعَ الإحترام والإجلال والتقدير .. وليسَ مُجَرَّد

1- سورة الزخرف، الآية 77

2- سورة المائدة، الآية 3

3- المُعْجَم الوَسيط

4- كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

5- المُعْجَم الوَسيط

6- نَفْس المصدر

إعطاء الجزاء (1)

الذُخْر يُقال: ذَخَرَ لِنَفْسه حَديثاً حَسَناً. (2)

المَعنى: ونَسال الله تعالى أن يُكمِلَ لهم الجَزاء المُخَصّص للشّهَداء جَزاءً تامّاً يَليقُ بِتَقدير الله سبحانه للشّهداء المُخْلِصين، الّذينَ تَركوا زَوَجاتهم أرامِل، وأطفالهم أيتام، وأُمَّهاتِهم ثُكالى .. كلُّ ذلك .. في سبيل الله!

فيُعْطيهم العَطاءَ الكثيرَ الوافِر، مَعَ الإحترام والتّقدير، إذْ قد يَدْفَعُ الإنسانُ الأُجْرة إلى العامِل .. مِن دون أنْ تكونَ كيفيّةُ الإعطاء مَقْرونةً بالإحترام، أمّا الثَوابُ: فهو إعطاءُ الأجْر .. مَعَ الإستقبال الحارّ، والإحترام والإبتسامة واللُطف.

ويَكتُبَ لَهُم الثَناءَ الجميل والذِكْرَ الحَسَن، على السِنة الناس وفي صَفَحات التاريخ.

وقد استجابَ الله تعالى دُعاءَ السيّدة زينب العظيمة عليها السلام، فقد رُوي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «ما مِنْ عَبْدٍ شَرِبَ الماء فَذكرَ الحسينَ (عليه السلام)

1- كما يُستفاد مِن كتاب «مَجْمَع البحرين» للطريحي

2- المُعْجَم الوَسيط

ولَعَنَ قاتِلَه إلا كَتبَ اللهُ لَه مائـة الف حَسَـنة، وحَطّ عَنْه مائة ألف سَـيّئة، ورَفَعَ له مائة الف دَرَجة، وكأنّما أعتَقَ مائة ألف نَسَـمة، وحَشَـرَهُ اللهُ تعالى يومَ القيامةِ تَلْجَ الفُؤاد». (1)

ورُوي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السـلام) أنّهما قالا: «إنّ اللهَ تعالى عَوَّضَ الحسـين (عليه السلام) عَنْ قَتْله أنْ: جَعَلَ الإمامة في ذُريّته، والشِفاء في تُرْبَتِه، وإجابَة الدُعاء عند قَبْره، ولا تُعَدُّ أيّامُ زائريه .. - جائياً وراجِعاً - مِن عُمره». (2)

وقد رُوي - ايضاً - عن الإمام جعفر الصادق (عليه السـلام) أنّه أمَرَ رجلاً كانَ يُريد الذهاب إلى زيارة قبر الإمام الحسـين (عليه السـلام) أن يَزورَ قُبورَ الشهداء - بعد الفراغ مِن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) - ويُخاطبَهم بهذه الكلمات:

«... . بأبي أنتُمْ وأمّي طبْتُمْ وطابَتِ الأرضُ الّتي فيها دُفِنْتُمْ، وفُزْتُمْ فَوزاً عظيماً ... .».

1- كتاب «كامِل الزيارات» لإبن قولويه، ص 106

2- كتاب «بحار الانوار» ج 44، ص 221، باب 29، نَقْلاً عن كتاب أمالي الطوسي

«ونَسْألُهُ حُسْنَ الخِلافَة، وجَميلَ الإنابَة، إنّه رَحيمٌ وَدود»

الخِلافة: يُقال خَلَفَ فلانٌ فُلاناً .. خَلْفاً وخِلافَةٌ: جاءَ بَعْدَه فَصارَ مَكانه (1). وفي الدعاء: أخلَفَ اللهُ لَك وعليك خيرا».

وفي الدعاء أيضاً: «واخلُفْ على عَقِبِه في الغابِرين».

الإنابة: الرجوعُ إلى الله، قالَ سُبحانه: «إرجعي إلى رَبِّكِ».

المعنى: ونَسْأَلُ الله تعالى أنْ يُخَلِّفَ لَنا عَمّنْ فَقَدْنَاهُ أفراداً صالحِين، يَسُدّون بعضَ الفَراغ الّذي تَركه مَقتَل أُولئك الصّفْوَة الطيّبة مِن رِجال آلِ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأنْ يَجْعَلَ فِي البَقيّة الباقِية مِنْهم خَيراً.

أو: أنْ يَجْعَلَ مُسْتَقْبَلَنا مُستقبلاً حَسَناً مُريحاً، بَعْدَ ما شاهَدْنَاهُ وعانَيْناهُ مِن المصائب الفَجيعة الّتي لَنْ تُنسى!!

إنتَهتْ السيّدة زينبُ البَطلةُ الشُجاعَة، مِن إلقاءِ خُطبَتِها الخالِدة.

والآن .. تَوَجّهَتْ أنظارُ الحاضرين إلى يزيد الحاقِد

1- كما يُستفاد مِن مَجْمَع البحرين للطريحي

لِيَروا منه رُدُودَ الفِعْل.

فما كان مِنْه سِوى أنّه عَلّق على هذه الخُطبة المُفَصّلة بِقوله:

يا صَيحةً تُحْمَدُ مِن صَوائحِ *** ما أهونَ الموت على النوائحِ (1)

فهلْ إنعَقَدَ لسانُه عن إجابة كلِّ بَنْد مِن بُنُود تلك الخُطبة؟!

أمْ أنّ أعصابَه أُصيبَتْ بالإنْهيار والاهتزاز، فلم يَسْتَطعْ التركيز والرَد؟!

أمْ رأى أنّ الإجابة والتَعْليق يُسبِّبُ له مَزيداً مِن الفَضيحة أمامَ تلك الجماهير الغَفيرة الحاشِدة في المَجلس، فرأى السكوتَ خَيراً له مِن خَلْق أجواء الحِوار مع إبنة الإمام أمير المؤمنين (عليها السلام) الّتي ظَهَرتْ جِدارَتُها الفائقة على مُقارَعَة أكبر طاغوت، بكلامٍ كلّه صِدْقٌ، واستدلالٌ منْطقي وعَقْلي مُقْنِع. وخاصةً أنّ

1- وفي نسخة: «ما أهونَ النَوْح على النوائح» ولَعلَّه (لعنَه الله) يَقْصُد مِن قراءته لهذا الشعر: أنّها إمرأة مَفْجُوعة .. دَعْها تَتكلّم بما تُريد، فإنّ ذلك لا يُهمّني! المحقّق

الجُملات الأخيرة – الّتي كانتْ تَحمِل في طَيّاتها التَهديد المُرْعِب – جَعَلَتْ يزيد يَنهار رَغمَ ما كان يَشْعُرُ به مِن تَجبرُّ وكِبرياء. (1)

ص: 484

1- لقد ذُكرت خُطبة السيّدة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد في المصادر التالية: 1 – كتاب مَقتَل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي ج 2 ص 63. 2 – كتاب نَثْرُ الدرر، لمنصور بن الحسين الآبي، المتوفّى عام 421 ه-، طبْع مِصْر، ج 4، ص 26. 3 – كتاب بَلاغات النساء لإبن طيفور، المتوفّى عام 280ه-. 4 – كتاب (معالي السبطين) للشيخ محمّد مهدي المازندراني الحائري. 5 – كتاب «تَظلُّم الزهراء» للقزويني، طبْع بيروت، ص 283. 6 – كتاب «الإيقاد» للسيّد الشاه عبد العظيمي ص 173. المُحقّق

نَصّ خُطبة السيّدة زينب على رواية أخرى

لقـد ذكرْنا أنّ السـيّد ابن طاووس قد رَوى خطبة السـيّدة زينب الكبرى (عليها السـلام) بكيفيّةٍ تَختَلف عَمّا ذكرناه، وتَمتاز ببعض الإضافات والفُروق، ولا تَخْلو مِن فَوائد، وإليك نَصُّها:

قال الراوي: فقامتْ زينبُ بنتُ علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالت:

«الحمدُ لله رَبِّ العالَمين، وصلّى الله على محمّد رسوله وآله أجمعين، صَدَقَ اللهُ سبْحانه، كذلك (1) يَقول: «ثمّ كانَ عاقبةَ

1- وفي نسخة: إذْ يَقول

الّذين أساؤا السُوئى أنْ كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يَسْتَهزون» (1).

أظَنَنْت – يا يزيد! – حيثُ أخذت علينا أقطارَ الأرض وآفاقَ السّماء – فأصْبَحْنا نُساقُ كما تُساقُ الأُسارى (2) – أنّ بِنا على الله هَواناً، وبكَ عليه كرامة؟ وأنّ ذلك لِعِظَم خَطرك عنده؟

فَشَمَخْت بأنفِك، ونَظرْتَ في عِطفِك، جَذْلان مَسْروراً (3)، حينَ رأيتَ الدنيا لك مُسْتَوثَقة، والأُمورُ مُتّسقَة، وحينَ صَفى لك مُلْكُنا وسُلْطانُنا!

فمَهْلاً مَهْلاً! أنَسِيتَ قول الله – عَزّ وجَل –: «ولا يَحْسَبَنّ الذينَ كفَروا أنّما نُمْلِي لَهُمْ خَيرٌ لأنفسِهِم، إنّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزدادُوا إِثْماً ولَهُم عَذابٌ مُهِين» (4).

أمِنَ العَدْل يابنَ الطُلَقاء؟! تَخْديرُك إماءَكَ وحَرائرَك، وسَوقُك بناتِ رسولِ الله سَبايا؟

1- سورة الروم، الآية 10

2- وفي نسخة: كما تُساقُ الإماء

3- وفي نسخة: جَذِلاً مَسْروراً

4- سورة آل عمران، الآية 178

قـد هَتَكَت سُتُورَهن، وابْدَيت وجوهَهُنّ، تَحْدوا بهِنّ الأعداءُ مِن بَلَد إلى بَلَد، ويَستَشْرِفُهُنّ أَهْلُ المَنازِل والمَناهِل (1)، ويَتصَفَحُ وجوهَهُنّ القَريبُ والبَعيد، والدَنيُّ والشَريف، ليسَ معَهنّ مِن رِجالِهِنّ وَليّ، ولا مِن حُماتِهِنّ حَميّ.

وكيفَ تُرتَجى مُراقَبَةُ ابن مَن لَفَظَ فُوهُ اكبادَ الأزكياء؟ ونَبَت لَحْمُهُ بِدِماء الشُهَداء؟

وكيف يَسْتَبطا في بُغضنا أهل البيت مَن نَظَرَ إلينا بالشنف والسنان، والإحن والاضغان.

ثمّ تَقولُ – غيرَ مُتأثّم ولا مُسْتَعظِم–:

«لا هَلّوا واستَهَلُوا فَرَحاً *** ثم قالوا: يا يزيد لا تُشَلْ»

مُنْحَنِياً على ثَنايا أبي عبد الله، سيّد شباب أهل الجنّة، تَنْكُتُها بمِخْصَرَتِك.

وكيف لا تَقولُ ذلك؟ وقد نكاتَ الفُرْحة، واستَأصَلتَ الشأفة، بإراقتِك دِماءَ ذُرّيّةِ محمّدٍ (صلّى الله عليه وآله وسلم) ونُجومِ الأرض مِن آل عبدالمُطّلب.

1– وفي نسخة: أهلُ المناهِل والمَناقِل

وتَهْتِفُ باشـياخِكَ، زَعَمْت أنّك تُناديهم، فَلَتَرِدَن - وشـيكاً - مَورِدَهم ، ولَتَوِدّنّ أنّك شُلِلْتَ وبَكمْتَ (1)، ولم تكُن قلْتَ ما قلْتَ، وفَعَلْتَ ما فَعَلْتَ.

اللهُمّ خُذْ بِحَقّنا، وانتَقِم مِمّن ظَلَمَنا، واحْلُلْ غَضبَك بمَنْ سَفَك دِماءَنا، وقَتَلَ حُماتَنا.

فوالله مـا فَرَيْتَ إلّا جِلْـدَك، ولا حَزَزْتَ إلّا لَحْمَك (2)، ولَتَردَنّ على رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) بما تَحمّلْتَ مِن سَفْك دِماء ذُريّته، وانتَهَكْتَ مِنْ حُرمَته في عِتْرَته ولُحْمَته، وحيثُ يَجْمَعُ اللّهُ شَمْلَهم، ويَلُمُّ شَعثَهُم، ويأخذُ بِحَقّهِم.

«ولا تَحْسَبَنّ الّذين قُتِلوا في سَبيل الله أمواتاً بَل أحياءٌ عند رَبّهم يُرزَقون» (3)

وحَسْبُك بالله حاكِماً، وبمُحمّد خَصِيماً، وبجبرئيل ظهيراً.

1- بَكمْتَ: عجَزْتَ عن الكلام خِلْقَةً، المُعْجَم الوَسيط

2- وفي نسخة: جَزَزْتَ

3- سورة آل عمران، الآية 169

وسَيَعْلَمُ مَن سَوَّل لك (1) ومَكَنَكَ مِن رِقاب المُسلمين، بِئسَ للظالمين بَدَلاً، وأيّكم شَرٌّ مَكاناً (2)، وأضعَفُ جُنْداً.

ولَئنْ جَرّتْ عَلَيّ الدَواهِي مُخاطَبتَك، فإنّي لأستَصْغِرُ قَدْرَك، وأستَعْظِمُ تَقْريعَك، وأستَكْثِرُ تَوبيخَك، لكن العُيون عَبْرى، والصُدورُ حَرّى.

ألا: فالعَجَبُ كُلّ العَجَب! لِقَتْل حِزْب الله النُجَباء، بحِزْب الشيطان الطُلَقاء (3)، فهذه الأيدي تَنطِف مِن دِمائنا، والأفواهُ تَتَحَلَّبُ مِن لُحومِنا، وتلك الجُثثُ الطواهِرُ الزَواكِي تَتَناهَبُها العَواسلُ، وتَعْفُوها أُمّهاتُ الفَراعِل.

ولَئن اتّخذْتَنا مَغْنَما لَتَجِدنَّا - وَشيكاً - مَغْرَماً، حِينَ لا تَجِدُ إلّا ما قَدّمَتْ يَداك، وما رَبّك بِظلّام للعَبيد.

فإلى الله المُشْتَكى، وعليه المُعَوَّل.

1- سَوّل لك: زَيّنَ لك عملك

2- وفي نسخة : وأينا شَرّ مَكانا

3- لعلّ الأصحّ: على أيدي حِزْب الشيطان. المُحقّق

فَكِدْ كَيْدَكَ، واسْعَ سَعْيَك، وناصِبْ جُهْدَك (1)، فوالله لا تَمْحُونَ ذِكْرَنا، ولا تُميتُ وَحْيَنا، ولا تُدركُ أمَدَنا، ولا تَرحَضُ عنْك عارَها.

وهل رأيُك إلّا فَنَد، وأيامُك إلّا عَدَد، وجَمعُكَ إلّا بَدَد؟ يومَ يُنادي المُنادي: ألا: لَعْنةُ الله على الظالمين.

فالحَمْدُ لِلّه الّذي خَتَمَ لأوَّلنا بالسَعادةِ والمَغْفِرة، ولآخِرنا بالشَهادةِ والرَحْمة، ونَسال اللهَ أن يُكمِلَ لَهُم الثَواب، ويُوجِبَ لَهُم المَزيد، ويُحْسِنَ علينا الخلافة، إنّه رَحيمٌ وَدودٌ، وحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكيل».

فقال يزيد:

«يا صَيْحَةٌ تُحمَدُ مِن صَوائحِ *** ما أهوَنَ الموت على النَوائح» (2)

1- وفي نسخة: واجهَدْ جهْدك

2- كتاب «المَلهوف» للسيّد ابن طاووس، ص 215 - 218

الفَصل السابع عشر

إشارة

* آلُ رسول الله في خَرِبَة الشام

* حِوارٌ بين مِنهال والإمام زين العابدين (عليه السلام)

* مَجيء زوجة يزيد إلى خَربة الشام

* آل رسول الله يُقيمونَ المَآتِم على الإمام الحسين (عليه السلام) في الشام

*بين الإمام زين العابدين (عليه السلام) ويزيد بن معاوية

* تَرحيل عائلة آل الرسول مِن دمشق إلى المدينة المُنوّرة

ص: 491

آلُ رسول الله في خَرِبَة الشام

ماذا حَدَثَ بعد مجلس الطاغية يزيد؟

لقـد جاءَ في التاريـخ: أنّ يزيـد أمَرَ بهم إلى مَنزلٍ لا يُكِنّهُم مِن حَرٍّ ولا بَرْد، فأقامُوا فيه حتّى تَقَشّرتْ وجوهُهم مِن حَرارة الشـمس وأشـعَّتها المُباشرة، وكانوا مُدّة إقامتهم في ذلك المكان يَنوحون على الإمام الحسين (عليه السلام). (1)

1- كتاب «المَلْهوف» لابن طاووس، ص 219

حِوارٌ بين مِنهال والإمام زين العابدين عليه السلام

وفي كتاب (الأنوار النعمانيّة) للجزائري: عن منهال بن عمرو الدمشقي قال:

كنتُ أتمشّى في أسواق دمشق، وإذا أنا بِعَليّ بن الحسين يَمشي ويَتوكّأ على عصا في يَده، ورِجلاه كانّهما قَصبَتان! والدم يَجري مِن ساقَيه! والصُّفْرَةُ قد غَلَبَتْ عليه!

قال منهال: فخَنقَتْني العَبْرة، فاعتَرضتُه (1) وقلتُ له: كيف أصبحْتَ يابنَ رسول الله؟!

قال: يا منهال! وكيف يُصبح مَن كان أسيراً لِيَزيد بن معاوية؟!

يا منهال! والله، مُنذ قُتِلَ أبي نساؤنا ما شَبعْنَ بُطونهن!

1- اعترضتُه: أقبَلت نَحوَه وواجَهْتُه

ولا كَسَوْنَ رؤوسَهن! صائمات النهار، ونائحات الليل.

يا مِنهال! أصبَحْنا مِثْلَ بَني إسرائيل في آل فرعون! يُذبّحون أبناءَهم، ويَستَحيون نِساءَهم، فالحاكمُ بينَنا وبينَهم الله، يومَ فَصْل القَضاء.

أصبَحَتِ العَرَب تَفْتَخِر على العَجَم بأنّ محمّداً منْهم، وتَفْتخِر قريشُ على العَرَب بأنّ محمّداً منها، وإنّا - عِتْرَة محمّد - أصبَحْنا مَقتولين مَذبوحين، مَأسورين، مُشَرّدين، شاسِعين عن الأمصار، كأنّنا أولاد تُرْكٍ أو كابُل، هذا صَباحُنا أهلَ البيت.

ثمّ قال: يا منهال! الحَبْسُ الّذي نَحنُ فيه ليسَ له ياسقفٌ، والشّمسُ تَصّهَرنا، فأفِرّ منه سُوَيعَةٌ لِضَعْف بَدَني، وأرجع إلى عَمّاني وأخَواتي، خَشْيةً على النساء.

قال منهال: فبينمَا أنا أُخاطبُه وهو يُخاطبُني وإذا أنا بإمرأةٍ قد خَرجَتْ مِن الحَبْس وهي تُناديه، فتركَني ورَجَع إليها، فسَألتُ عنها وإذا هي عَمّتُه زينب بنت علي تَدعوه: إلى أينَ تَمْضي يا قُرّةَ عَيني؟

فرَجع معَها، وتَركني، ولم أزلْ أذكرُه وأبكي. (1)

1- كتاب «مَعالي السبطين» ج 2 ص 158، الفصل الرابع عشر، المجلس الثاني عشر، وذُكرَ ايضاً في كتاب «الأنوار النُعمانيّة»، للجزائري ج 3 ص 252 مع بعض الفُروق بين النسختين

مَجيء زوجة يزيد إلى خَرِبَة الشام

لقد جاءَ في التاريخ أنّ إمرأةٌ كانت تُسـمّى «هند بنت عبدالله بن عامر» لمّا قُتل أبوها جاءتْ إلى دار الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وبَقِيَتْ هناك مُدّةٌ مِن الزَمَن تَخْدم في دار الإمام، وكانت على قَدَرٍ مِن الجمال، ولمّا قُتل الإمام امير المؤمنين إنتَقلتْ إلى دار الإمام الحسـن المجتبى (عليه السـلام) وكانت تَخْدم هناك في دار الإمام أيضاً، فسَمعَ عنها معاويـة فطلبها وزوَّجَها لإبنه يزيـد، فبَقيتْ في دار يزيد، وهي تَسْتَخبِر – دائماً عن الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) وتُحاول أن تَسمَع أخبارَهم من القادِمينَ مِن المدينة المنوّرة.

ولمّا قُتلَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) لم تَعْلَم هند

بالخَبَر!!

ولمّا جاؤا بعائلة الإمام الحسين إلى الشام، دَخلتْ امرأة على هند وقالت لها: لقد أقبَلوا بسَبايا ولا أعلَم مِن أينَ هُم؟

فلَعلّكِ تَمْضين إليهنّ وتَتفرّجين عليهنّ؟!

فقامَتْ هند ولَبِسَتْ أفخَر ثيابها وتَخَمّرتْ بخِمارها، ولبِستْ إزارها – أي: عَباءتها –، وأمرتْ خادمةً لها أنْ تُرافِقَها وتَحمِل معها الكرسي حتّى لا تَجلس على التُراب.

ويقول البَعض: أنّ يزيد صادَفَها قَبْل الخروج مِن القَصْر فاستأذَنتْ منه، فأذِنَ لها لكنّه تغيّر لَونُه وبَقيَ مَذْهولاً حيث إنّه خَشيَ مِن مُضاعَفات ورُدود فِعْل هذه الزيارة، فهو يَعلَم أنّ زوجتَه الحَظيّة عنده .. كانت – مُدّة سِنين – خادمة في دار أهل البيت، وهي تُحبّهم حبّاً كثيراً، لأنّها قَضتْ سنوات مِن حياتها خادمةً لهم، ولم تَرَ منهم إلّا العَطف والإحترام والإنسانيّة والأخلاق العالية، فماذا يَصنع يزيد؟

هل يُوافق على الزيارة أم يَرفُض ذلك؟

ولكن يَبدو أنّ شخصيّة هند كانتْ قويّة، فقد فَرضَتْ نفسَها على يزيد، فأذنَ لها إلّا أنّه طلبَ منها أن تكون الزيارة بعد المَغرب، حينَما يُخيّم الظلام على الأرض،

فوافَقَت على ذلك.

وعنـد المَساء أقبَلَتْ هنـد ومَعَها الخَدَمَ يَحْمِلون مَعَهم القَناديل لإضاءة الطريق. فلمّا رأتْها السـيّدة زينب (عليها السـلام) مُقْبِلَةٌ هَمَسَتْ في أُذن أُختها أُمّ كلثوم وقالت: «أُخيّه أتعْرفين هذه الجارية؟

فقالتْ: لا و الله.

فقالت زينب: هذه خادِمَتُنا هند بنت عبدالله!!

فسَكتَتْ أمّ كلثوم ونكّسَت رَأسَها!

وكذلك السيّدة زينب نكّسَتْ رَأسَها.

فأقبلَتْ هند وجَلَسَتْ على الكرسي قَريباً مِن السيّدة زينب – باعتبارها زَعيمة القافِلة –، وقالت: أخيّه أراكِ طأطأتِ رأسَكِ؟

فسَكتَتْ زينبُ ولم تَردّ جواباً!

ثمّ قالت هند: أُخيّه مِن أيّ البلاد أنتُم؟

فقالت السيّدة زينب: مِن بلاد المدينة!

فلمّا سَمعَتْ هند بذِكْر المدينة نَزلَتْ عن الكُرسي وقالت: على ساكِنها أفضلُ السلام.

ثمّ التَفتَتْ إليها السيّدةُ زينب وقالتْ: أراكِ نَزَلْتِ عن الكرسي؟

قالت هند: إجْلالاً لِمَنْ سَكَن في أرض المدينة!

ثمّ قالت هند: أُخيّه أريد أن أسالكِ عن بيتٍ في المدينة؟

فقالت السيّدة زينب: إسالي عمّا بَدا لَكِ.

قالت: أسألكِ عن دار علي بن أبي طالب؟

قالت لها السيّدة زينب: ومِنْ أينَ لكِ المعرفة بِدار على؟

فبَكتْ هند وقالت: إنّي كنتُ خادمة عندهم.

قالت لها السيّدة زينب : وعن أيّما تَسْألين؟

قالت: أسألكِ عن الحسين واخوته وأولاده، وعن بَقيّة: أولاد علي وأسألكِ عن سيّدتي زينب! وعن أُختها أُمّ كلثوم وعن بَقيّة مُخَدّرات فاطمة الزهراء؟

فبَكتْ – عند ذلك – زينبُ بكاءً شديداً، وقالت لها يا هند: أمّا إنْ سألتِ عن دار علي فقد خَلَفْناها تَنْعى أهلَها!

وأما إنْ سألتِ عن الحسين فهذا رأسُه بين يَدَي يزيد!!

وأمّا إنْ سألتَ عن العبّاس وعن بقيّة أولاد علي (عليه السلام) فقد خَلّفناهُم على الأرض .. مُجَزّرينَ كالأضاحي بِلا رؤوس!

ص: 500

وإن سـألتِ عن زين العابـدين فها هو عَليلٌ نَحِيل.. لايُطيق النُهوض مِن كَثْرة المَرَض والأسـقام، وإنْ سألتِ عن زينب فأنا زينب بنت علي!! وهذه أُمّ كلثوم، وهؤلاء بَقيّة مُخدّرات فاطمة الزهراء!!!

فلمّا سـمِعَتْ هندُ كلامَ السيّدة زينب رَقّتْ وبكتْ ونادتْ: واإماماه! واسيّداه! واحُسَيناه! لَيتَني كنتُ قبلَ هذا اليوم عَمْياء ولا أنظر بَنات فاطمة الزهراء على هذه الحالة، ثمّ تَناولتْ حَجَراً وضَربتْ به رأسَها!! فسالَ الدمُ على وَجْهها ومَقنَعتِها، وغُشِيَ عليها.

فلمّا أفاقَتْ مِن غَشْيَتها أتَتْ إليها السيّدةُ زينب وقالتْ لها: ياهند قُومي واذْهَبي إلى دارِكِ، لانّي أخشى عليك مِن بَعْلِك يزيد.

فقالت هند: والله لا أذهَب حتّى أنوحَ على سيّدي ومولاي أبي عبدالله، وحتّى أُدخِلَك وسائرَ النساء الهاشميّات .. مَعى إلى داري!!

فقامَتْ هند وحَسّرتْ رأسـها وخَرجَتْ حافية إلى يزيد وهو في مَجلسٍ عام، وقالت: يا يزيد! أنتَ أمَرتَ رأسَ الحسين يُشال على الرمح عند باب الدار؟

أراسُ ابنِ فاطمة بنت رسول الله مَصْلوب على فِناء داري؟!

وكان يزيد في ذلك الوقت جالساً وعلى رأسه تاج مُكلّل بالدُرّ والياقوت والجواهر النَفيسَة!

فلَمّا رأى زوجتَه على تلك الحالة وَثَبَ إليها وغَطّاها وقال: نَعَم فاعْوِلي ياهند وابكي على ابن بنت رسول الله وصَريخَة قُريش، فقد عَجّلَ عليه ابنُ زياد (لعنَه الله) فقَتَلَه .. قتَلَه الله!!!

فلمّا رأتْ هنـد أنّ يزيـد غَطّاها قالتْ له: وَيلك يا يزيـد! أخَذَتْك الحَميّـة عليّ، فلِمْ لا أخَذتْك الحَميّـة على بنات فاطمة الزهراء؟! هَتكْتَ سُتُورَهنّ وأبدَيتَ وجوهَهنّ وأنزَلْتَهنّ في دارٍ خَرِبة!! والله لا أدخُلُ حَرَمَك حتّى أُدخِلَهنّ معي.

فأمَرَ يزيدُ بهِنّ إلى مَنزله وأنزلَهم في داره الخاصّة، فلمّا دَخلتْ نساءُ أهل البيت (عليهم السلام) في دار يزيد، إستَقبَلَتْهُنّ نساءُ آل أبي سفيان، وتَهافَتْنَ يُقبّلْنَ أيـدي بنات رسول الله وأرجُلِهن، ونُحْنَ وبَكينَ على الحسـين، ونَزَعْنَ ما عليهنّ مِن الحُلي والزينة، وأقَمْنَ المَأتَم والعَزاء ثلاثة أيام ... . (1)

1- المصدر: «مَعالي السـبطين» ج 2، ص 164، الفصل الرابع عشـر، ، المجلس السادس عشـر، وتاريخ الطبَري ج 5، ص 465، وكتاب «الإيقاد»، ص 180 وبعض المصادر الأُخرى. المُحقّق

آلُ رسول الله يُقيمونَ المَآتِم على الإمام الحسين (عليه السلام) في الشام

لقد جاءَ في كتُب التاريخ: أنّ جَمْعاً كثيراً مِن أهل الشام تَغَيّرتْ نَظْرَتهُم الإيجابيَّة إلى حُكومة بَني أُميّة بشكلٍ عام، وإلى الطاغية يزيد بشكلٍ خاص، إلى نَظرة سَلبيّة

وصارَ هذا الجَمْع الكثير يُشَكّلون الرأيَ العام الناقِم على السُلْطة، ممّا جَعَلَ يزيد يَضْطرّ إلى أنْ يَتظاهَرَ بِتَغيير مَوقِفه تِجاه أهل البيت (عليهم السلام) فَنَقَلَهم إلى بيته الخاص حتّى يُخفّف التوتُّر السائد على عائلته وحَريمه، بل وعلى كافَّة نِساء آل أبي سفيان.

وجاءَ في التاريخ – أيضاً –: أنّ يزيد إستَدعى بِحُرَم

ص: 503

رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقال لَهُن: «أيّهما أحبُّ إِلَيْكُنُ: المُقام عندي، أو الرُجوع إلى المدينة؟

فَقُلْنَ: نُحِبُّ أوّلاً أنْ نَنُوح على الحسين.

فقال: إفعَلوا ما بَدا لَكم.

ثمّ أُخلِيَتْ الحُجُرات والبُيوت في دمشق، ولم تَبْقَ هاشِمِيّة ولا قُرشيّة إلّا ولَبِسَتْ السَواد على الحسين، ونَدَبوه سَبعةَ أيام، فلمّا كانَ اليومُ الثامِن أرادوا الرجوع إلى المدينة، فأمَرَ يزيد أنْ يُحضِرُوا لَهُنّ المَحامل، وأعطاهنّ أموالاً كثيرة وقال: هذا المالُ عِوَض ما أصابَكم!

فقالت أمُّ كلثوم: «يا يزيد! ما أقَلَّ حَياؤك وأصلَبَ وَجْهُك؟! تَقتُلُ أخي وأهلَ بَيتي وتُعطينا عِوَضَهم؟!

فرَدُّوا جميعَ الأموال، ولم يأخُذوا مِنها شيئاً. (1)

وجاء في بعض كُتُب التاريخ: أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) أرسلَتْ إلى يزيد تسألُه الإذن أن يُقِمْنَ المآتِم على الإمام الحسين، فاجازَ ذلك، وأنزلَهُنّ في دار الحجارة، فاقَمْنَ المآتِم هناك سبعة أيّام، وكانتْ تَجْتَمِعُ عِنْدَهُنّ - في كلّ يومٍ - جماعة كثيرة لا تُحصى مِن النساء».

فَقَصَدَ الناسُ أن يَهْجِموا على يزيد في داره ويَقتُلوه،

1- كتاب «بحار الأنوار»، ج 45، ص 196 - 197

فاطّلع على ذلك مَروان، وقال ليزيد:

«لا يَصْلُحُ لك تَوقُّف اهل البيت في الشام فأعِدّ لهُم الجهاز، وابعَثْ بِهِمْ إلى الحِجاز».

فهَيّأ لَهُمُ المَسير، وبَعَثَ بِهِمْ إلى المدينة. (1)

1- كتاب «كامل البهائي»

بين الإمام زين العابدين (عليه السلام) ويزيد بن معاوية

وقد جاءَ في التاريخ أنّ يزيد قال للإمام زين العابدين (عليه السلام): «أُذكُر حاجاتِك الثلاث التي وعَدتْك بقَضائهن»؟

فقال الإمام: «الأُولى: أنْ تُرينَي وَجْه سيّدي ومولاي الحسين، فأتزَوّد منه وأنظر إليه وأُودّعه؟

والثانية: أنْ تَردّ علينا ما أُخِذَ مِنّا؟

والثالثة: إِنْ كُنتَ عَزَمتَ على قَتْلي أن تُوَجّه مع هؤلاء النِسْوة مَنْ يَرُدّهِنّ إلى حَرَمَ جَدّهنّ صلّى الله عليه وآله وسلّم»؟

فقال يزيدُ: «أمّا وَجْه أبيك، فلَنْ تَراه أبَداً!!

ص: 507

وأمّا قَتْلُك، فَقد عَفَوتُ عنْك، وأمّا النساء فلا يَرُدّهن إلى المدينة غيرُك.

وأمّا ما أُخِذَ مِنْكم، فإنّي أُعوّضكم عنه أضعافَ قِيمته».

فقال الإمام: «أمّا مالُك فلا نُريدُه، وهو مُوَفَّرٌ عليك، وإنّما طلِبْتُ ما أُخِذَ منّا .. لأنّ فيه مِغْزَل فاطمة بنت محمّد، ومَقْنَعَتها وقِلادَتها وقَميصَها». (1)

1- كتاب (المَلْهوف) ص 224

تَرحيل عائلة آل الرسول مِن دمشق إلى المدينة المُنوّرة

المُستفاد مِن مَجموع القضايا التاريخيّة أنّ خُطبة السيّدة زينب الكبرى في مجلس يزيد، والوقائع التي حَدَثتْ في ذلك المجلس، ثُمّ خُطبة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الجامع الأموي في دمشق، أوجَدَتْ في الناس وَعْياً وهِياجاً، واستِياءً عامّاً ضدّ الحُكم الأموي في الشام.

وخاصّةً: أنّ بِلاط يزيد لم يَسْلَم مِن التَوَتُّر والإضطراب.

والعَجيب: أنّ يزيد – الّذي كان يَحْكُم على بلاد الشام وغيرها – شَعُر بأنّ كُرسيّه قد تَضَعْضَع، بل وأنّ حياتَه صارتْ مُهدّدة، حتّى زوجته إنقلب حُبُّها إلى عِداء، كلّ ذلك مِن نتائج خُطبة امرأة أسيرة، وشابٍ

أسيرٍ عَليل!!

فاستَشار يزيد جُلساءَه حول إتّخاذ التدابير اللازمة لِدَفْع الخَطر المُتَوقَّع، فأشارَ عليه أصحابُه بِتَرحيل العائلة مِن دمشق، وإرجاعِهم إلى المدينة المنوّرة.

وتَبدَّل مَنطق يزيد، فبَعْد أنْ كان يقول: «لعِبتْ هاشمُ بالمُلك» صارَ يَلعنُ عبيدَ الله بنَ زياد الّذي قامَ بهذه الجناية مِن تِلْقاء نفسه، فكأنّ يزيد يُبرّأ نفسَه ممّا جَرى، ويُلقي المسؤوليّة على عبيد الله بن زياد.

وتَبَدّلت تلك الخشونة والقَساوة، والشماتة والإهانة، إلى الرِفق واللِّين والإحترام المُزيَّف، فالظروف تَصنَع كلّ شيء، والسياسة التابعة للظروف والخاضعة للمَصالح ذو قابليّة لِلتلوُّن بكلّ لون.

فأمَرَ يزيد نعمانَ بن البشير أن يُهيّىء وسائلَ السَفَر لِتَرحيل أهل البيت مِن الشام، مَع رِعاية الإحترام اللائق بهم.

وجاءَ في كتاب (الفُصولُ المُهمّة) لإبن الصبّاغ المالكِي: ثمّ إنّ يزيد - بعد ذلك - أمرَ النُعمانَ بنَ بَشير أن يُجَهّزَهُم - بما يَصْلُح لَهُمْ - إلى المدينة الشَريفة، وسَيّرَ مَعَهم رَجُلاً أميناً مِن أهل الشام، في خَيلٍ سَيّرَها في

صُحْبَتِهِم، ... وكانَ يُسايِرُهم هُو وخَيلُهُ التي مَعَه، فيكونُ الحَريم قُدّامَه، بحيث أنّهم لا يَفوتُونه.

وإذا نَزَلْنَ تَنَحّى عَنْهم ناحيـةً .. هُوَ وأصـحابُه الّذين كانوا حَولَهم كهَيئة الحَرس، وكانَ يَسالُهُم عن حالِهِم، ويَتلَطّف بِهِم في جميع أُمورهم، ولا يَشُقّ عليهم في مَسِيرهم ... إلى آخِره.

ص: 511

الفَصل الثامِن عشر

إشارة

* يوم الأربعين

* الرجوع إلى مدينة الرسول

ص: 513

يوم الأربعين

يوم الأربعين: هو اليوم العشرون مِن شهر صَفر، وفيه وَصَلتْ عائلةُ الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء قادِمين مِن الشام، وهُمْ في طريقِهم إلى المَدينة المنوَّرة.

وسُمّي ب-«يوم الأربعين» لأنّه يُصادفُ إنقضاءَ أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

ويُعتبر تَحديد - أو تعيين - السَنة التي وَصَلتْ فيها قافلة آل الرسول إلى أرض كربلاء بعد رُجوعهم مِن الشام .. مِن غَوامض المسائل التاريخيّة.

فهلْ كان الوصول في نَفس السَنة التي حَدثتْ فيها فاجعة كربلاء الدامية، أي سنة 61 للهجرة، أمْ كان ذلك في السَنة التي بعدَها؟

فهُنا تَساؤل يقول: كيف يُمكن ذهاب العائلة مِن كربلاء إلى

الكوفة، ثمّ إلى دمشق، ثمّ الرجوع والوصول إلى كربلاء، كلُّ ذلك في أربعين يوماً، مع الإنتباه إلى نوعيّة الوسائل النَقليّة المُتوفّرة يومذاك؟!

وهذه معركة عِلْميّة تاريخيّة لا تَزال قائمة على قَدَم وساق بين حَمَلة الأقلام مِن المُحدّثين والمُؤرّخين.

ونحن إذا أردنا دراسة هـذا الموضوع فإنّ البحث يَحتاج إلى شـرح وافٍ، وكلام مُفصّل مُطوّل، ونَرجوا اللهَ تعالى أن يوفّقنا للبحث والتحقيق عن هذا الموضوع في مؤلّفاتنا القادمة، إنْ شاء الله تعالى.

ولعلّ رجُوعَهم كان مِن طريق الأُردن إلى المَدينة المنوّرة، فحينَما وَصَلوا إلى مُفتَرَق الطُرُق طلبوا مِن الحَرَس – الذين رافَقوهم مِن دمشق – أن يَجعلوا طريقَهم نحو العراق وليس إلى المدينة. ولم يَستطع الحَرَس إلّا الخضوع لهذا الطَلَب والتوجّه نحو كربلاء.

وحينما وَصَلوا أرضَ كربلاء صادَفَ وصولُهم يومَ العشرين من شهر صَفر.

وكان الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قد جاءَ إلى كربلاء يُرافقه عَطاء – أو عَطيّة ـ العَوفي (1) .. وجماعة مِن

1– وهو مِن مَشاهير التابعين .. الذين لم يَرَوا رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولكنّهم رأوا صحابة الرسول

بَني هاشم، جاؤا جميعاً لِزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام.

واجتمعَ جماعة مِن أهل السَواد (1) وهم أهـل القُرى والأرياف التي كانت في ضواحي كربلاء يومـذاك، فصار هناك اجتماع كبير - نِسْبيّاً - مِن شَتّى الطبَقات، فالجميع حضَـروا عنـد قبر رَيحانة رسول الله وسـيّد شـباب أهل الجنّة، يَزورون قبرَه ويُسـلّمون عليه، والكآبَةُ تُخيّم على وجوههم، والأسى والأحزان تَعصِرُ قلوبَهم.

كانت القلوب تَشْتَعل حُزْناً، والدموع مُسـتعدّة لِتَجري على الخُدود، ولكنّهم يَنتظرون شـرارة واحدة، حتّى تضـطرم النفوسُ بالبكاء، وتَرتفع أصوات النَحيب والعَويل.

في تلك اللحظات وصَلَتْ قافلـة العائلة المكرّمة إلى كربلاء، فكانَ وصولُها في تلك الساعات هي الشـرارة المُترقّبة المُتوقَّعة، «فتَلاقَوا - في وقتٍ واحد - بالبكاء والعَويل». (2)

1- أهل السَواد. كان يُعبَّر عن أراضي العراق ب-«أرض السواد» لكثرة وكثافة الأشجار فيها .. مع الانتباه إلى تُرْبتها الصالحة للزراعة لِدَرجة كبيرة، فالأراضـي التي تُغطّيها الأشـجار تَتراءى مِن بعيـد وكأنّها سوداء، ومَن هنا سَمّوا المَزارع والبَساتين ب-«أرض السَواد» وسَمّوا الذين يَسكنون هذه المناطق ب« «أهل السَواد». المُحقّق

2- ذكَر السّيد ابن طاووس - في كتاب (المَلْهوف) ص 225 -: ولمّا رَجَعَتْ نساء الحسـين (عليه السلام) وعياله مِن الشام وبَلَغوا العراق، قالوا للدليل : مُرّ بِنا على طريق كربلاء. فوَصَلوا إلى موضع المَصْرَع، فوَجَدوا جابر بن عبدالله الأنصاري وجماعة مِن بَني هاشم، ورجالاً مِن آل الرسول، قـد وَرَدوا لزيـارة قبر الحسـين (عليه السـلام)، فوافَوا في وقتٍ واحـد، وتَلاقوا بالبكـاء والحُزن واللَطم، وأقـاموا المَآتم المُقْرحة للأكباد، واجتمعتْ إليهم نساءُ ذلك السَواد، وأقاموا على ذلك أيّاماً». المُحقّق

كانت السـيّدة زينب (عليها السـلام) – في هـذا المَقطع مِن الزمان، وفي هـذه المنطقة بالذات، وهي أرض كربلاء، – لها الموقف العظيم، وكانت هي القلبُ النابِض للنشاطات والأحاسيس المَبْذولة عند قبور آل رسول الله (عليهم السلام في كربلاء.

نشاطات مَشفوعة بكلِّ حُزن ونُدْبة، مِن قلوب مُلتهِبة بالاسى!

وما تَظنّ بسيّدةٍ فارقتْ هذه الأرض قبل أربعين يوماً، وتَركتْ جُثَثْ ذَويها مُعفَرةٌ على التراب بلا دَفْن، واليوم رَجَعتْ إلى مَحلّ الفاجعة .. فما تَراها تَصنع وماذا تَراها تَقول؟؟!

أقبلتْ نَحْو قبر أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) فلمّا قَربتْ مِن القبر صَرختْ ونادتْ أكثر مِن مرّة ومرّتين:

وا أخاه!! وا أخاه!! وا أخاه!!

كانت هذه الكلمات البسيطة، المُنْبعثة مِن ذلك القلب المُلتَهِب، سَبَباً لِتَهْييج الأحزان وإسالة الدُموع، وارتفاع أصوات البُكاء والنَحيب!

والله العـالِم كـم كانت كلماتُ الشـكوى تَمرّ بخاطر السـيّدة زينب الكبرى (عليها السـلام) حين كانت تَبثّ آلامها وأحزانَها عنـد قبر أخيها الإمام الحسين؟! ممّا جرى عليها وعلى العائلة طيلةَ تلك الرِحْلة المُزْعِجَة.

ومايدرينا..؟ ولَعلّها كانت سعيدة ومُرتاحة الضمير بما قامتْ به طيلةَ تلك الرِحْلة!

فقـد أيقَظتْ عشّرات الآلاف مِن الضـمائر الغافلة، وأحيَتْ آلافَ القلوب المَيّتة، وجعلتْ أفكار المُنْحرفين تَتغيّر وتَتَبَدّل مائة وثمانين درجة على خِلاف ما كانتْ عليه قبلَ ذلك!

كلٌّ ذلك بسّبَب إلقاء تلك الخُطَب المُفَصّلة، والمُحاورات المُوجَزة التي دارتْ بينَها وبين الجانب المُناوىء، أو الأفراد المُحايـدين الـذين كانوا يَجهلون الحقائق ولا يَعرفون شيئاً عن أهل البيت النَبوي الطاهر.

وتُعتبر هذه المساعي مِن أهمّ إنجازات السـيّدة زينب الكبرى، فقد أخذوها أسـيرة إلى عاصـمة الأمويّين، وإلى البلاط الأموي الذي أُسّسَ على عِداء أهل البيت النبَوي مِن أوّل يوم، والـذي كانت مَوادُّه الإنشائيّة – يومَ بناء صَرحه – مِن النُصْب والعِداء لآل رسول الله، ومكافحة الدين الإسلامي الذي لا يَنْسَجِمُ مع أعمال الأمويّين وهِواياتهم.

أخذوها إلى مَقرّ ومَسكن طاغوت الأمويّين، وبمَحْضَر منه ومَشْهد، ومَسمَع منه ومِن أسرته. خَطبتْ السيّدة زينب تلك الخطبة الجَريئة، وصَبّتْ جامَ غَضَبها على يزيد، ووَصَمَتْه بكلِّ عارٍ وخِزْي، وجَعلتْ عليه سَبّة الدهر، ولَعنةَ التاريخ!!

نعم، قد يَتجرّأ الإنسان أن يَقوم بمُغامرات، إعتماداً على القدرة الّتي يَملكُها، أو على السلطة التي تُسانده، وأمثال ذلك.

ولكن – بالله عليك – على مَن كانت تَعتمد السيّدة زينب الكبرى في مُواجَهاتها مع أولئك الطواغيت وأبناء الفراعنة، وفاقدي الضمائر والوجدان، والسُكارى الذين أسكرتْهم خَمرةُ الحُكم والإنتصار، مع الخَمرة التي كانوا يَشربونها ليلاً ونهاراً، وسِرّاً وجهاراً؟؟!

هل كانت تَعتَمد على أحَدٍ غيرَ الله تعالى؟!

ويُمكن أن نَقول: إنّها قالت ما قالتْ، وصَنَعت ما صَنَعتْ – في إصطدامها مع الظالمين – أداءً للواجب، وهي غير مُبالية بالعواقب الوخيمة المُحتمَلة، والأضرار المُتوقَّعة، والأخطار المُتّجهة إلى حياتها .. فليكُنْ كلُّ هذا. فإنّ الجهاد في سبيل الله مَحْفُوف بالمخَاطر، والمُجاهِدُ يَتوقّع كلَّ مكروه يُحيط به وبحَياته.

ونَقرأ في بعض كُتُب التاريخ: أنّ قافلة آل الرسول مَكثَتْ في كربلاء مُدَّة ثلاثة أيام، مَشْغولةً بالعَزاء والنياحة، ثمَّ غادرتْ كربلاء نَحو المدينة المنوَّرة.

الرجوع إلى مدينة الرسول

وصَلَت السيّدة زينبُ الكبرى إلى وطنها الحبيب، ومَسقط رأسها، ومهاجَر جدِّها الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) .

وكانت قد خرجتْ من المدينة قبلَ شهور، وهي في غاية العِزّ والإحترام بصُحْبة إخوتها ورجالات أُسرتها، واليوم قد رجعتْ إلى المدينة وليسَ معها مِن أُولئك السادة الأشاوس سوى إبن أخيها الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) فرأت الديار خالية مِن آل الرسول الطاهرين.

وتَرى ديارَ أُميّةٍ مَعمورةً *** وديار أهل البيت منهم خالية

وجاءَ في التاريخ: أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) لمّا وَصَلتْ إلى المَدينة تَوجَّهتْ نحو مَسجدِ جَدّها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومَعَها جماعة مِن نساء

بَني هاشم، وأخذتْ بعُضادَتى باب المسجد (1) ونادتْ: «يا جَدّاه! إنّي ناعِيةٌ إليك أخيَ الحسين»!!، وهي مَعَ ذلك لا تَجفُّ لَها عَبرْة، ولا تَفْتُرُ عَن البُكاء والنَحيب. (2)

إنّ الأعداء كانوا قد منَعوا العائلة عن البكاء طيلة مَسيرتهنّ مِن كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام، وهُنّ في قَيد الأسْر والسَبْي، حتّى قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) «إنْ دَمَعَتْ مِن أحَدنا عينٌ قُرِعَ رأسُه بالرُمح» (3).

والآن .. قد وَصلت السيّدة إلى بيتها، وقد ارتفعتْ المَوانع عن البكاء، فلا مانع أنْ تُطلِق السيّدة سراح آلامها لتَنفَجر بالبكاء والعَويل، على أشرف قَتيل وأعزّ فَقيد، وأكرم أُسْرة فَقَدتْهم السيّدة زينب في معركة كربلاء.

وخاصةً إذا اجتَمعتْ عندها نساءُ بَني هاشم لِيُساعدْنَها على البكاء والنياحة على قَتْلاها، وحَضرتْ عندها نساءُ أهل المدينة ليُشاركْنَها في ذَرْفِ الدموع، ورفْع الأصوات بالصراخ والعويل.

والبلاغة والحكْمة تُتطلَّب مِن السيّدة زينب أن تتحدَّث

1- أي: الخَشَبتين المَنْصُوبَتين عن يَمين الباب وشِماله. كما في «لسان العرب»

2- كتاب «بحار الانوار» ج 45، ص 198. المُحقّق

3- بحار الانوار ج 45 ص 154، باب 39، نَقلاً عن كتاب (إقبال الاعمال)

عمّا جرى عليها وعلى أسرتها طيلةَ هذه الرِحْلة، مِن ظُلم يزيد وآل أبي سفيان وعُمَلائهم الأرجاس الأنذال.

وتَتَناوبُ عنها السيّدات الهاشميّات اللاتي حضَرنَ في كربلاء ونَظرنَ إلى تلك المآسي والفجائع، وشاهَدْنَ المَجازر التي قامَ بها أتباع الشياطين مِن بَني أُميّة.

كانت النسوة يَخرُجَن مِن مجلس العزاء وقد احمرَّتْ عيونُهنّ مِن كثرة البكاء، وكلُّ امرأة مُرتبطة برَجلٍ أو أكثر، مِن زوجٍ أو أبٍ أو أخ أو إبن، وتَقُّص عليهم ما سمعْته من السيّدة زينب (عليها السلام) مِن الفجائع التي وقَعتْ في كربلاء وفي الكوفة، وفي طريق الشام، وفي مَجلس يزيد، وفي مدينة دمشق بصورة خاصَّة.

كان التحدّث عن أيّ مشهدٍ من تلك المشاهد المؤلمة يكفي لأن تمتلىء القلوب حِقْداً وغيظاً على يزيد وعلى مَن يَدوُر في فَلكه، وحتّى الذين كانوا يَحملون الحُبّ والوداد لِبَني أُميّة، إنقلبت المَحبّة عندهم إلى الكراهية والبُغض، كما وأنّ الذين كانوا يُكنّونَ الطاعة والإنقياد للسلطة الحاكمة صاروا على أعتاب التمرّد والثورة ضدّ السلطة. (1)

1- وقد جاءَ في التاريخ: أنّ عبدالله بن جعفر كانَ جالساً في داره يَستَقبِلُ الناسَ الّذين يُريدونَ أنْ يُعزّوه بإستِشْهاد الإمام الحسين (عليه السلام) واستِشْهاد ولَديه عون وجعفر، إذْ دَخَل عليه رجلٌ وعَزّاه. فقالَ عبد الله: إنّا لِلّه وإنّا إليه راجِعون! فقال رجلٌ يُقالُ لَه: «أبو السلاسل»: هذا ما لَقِينا مِن الحسين بن علي! فحَذَفَهُ (أي: رَمَاهُ) عبْد الله بنُ جعفر بِنَعْله، وقال له: يابنَ اللَخناء! (يُقال في السَبّ: يابنَ اللَخْناء، أي: يابنَ المَرأة المُنْتَنَة) اللحسين تَقولُ هذا؟! ثمّ قال: «والله لو شَهِدْتُهُ لأحْبَبْتُ أنْ لا أُفارقَه حتّى أُقتَلَ مَعَه، والله إنّه لَمِمّا يُسَكّن نَفْسي، ويُهَوّنُ عليّ المُصابَ، أنّ اخي وابنَ عمّي أُصيبا مع الحسين، مُواسِيَيْنِ لَهُ، صابِرَين مَعَه. ثمّ أقبَلَ على جُلَسائه فقال: الحمْدُلِله عَزّ عليّ مَصْرَعُ الحسين، إنْ لَمْ أكُنْ واسَيتُ حُسيناً بِيَدَيّ فَقد واساهُ وَلَداي. المصدر: كتاب «بحار الانوار» ج 45، ص 122 - 123. وذكرَهُ الطبَري في تاريخه، ج 5، ص 466. المُحقّق

ومِن الطبيعي أنّ الأخبار كانت تَصِل إلى حاكم المدينـة، وهو مِن نفس الشـجرة الّتي أثمَرَتْ يزيـد وأباه وجَدّه، فكان يَرفع التقارير إلى يزيد ويُخبِره عن نشاطات السيّدة زينب، ويُنذرهُ بالإنفجار، وانفلات الأمر مِن يده، قائلاً: «إنْ كان لك في المدينة حاجة فأخرجْ منها زينب».

جُبَناء، يَحُكمون على نصف الكُرة الأرضية ويخافون مِن بكاء امرأة لا تَملك شيئاً مِن الإمكانات والإمكانيّات.

ص: 524

إنهم يَعرفون أنفسَهم، ويَعرفون غيرَهم، يَعرفون أنفسَهم أنهم يَحكُمون على رقاب الناس، ويَعرفون أنَّ غيرهم يَملكون قلوبَ الناس.

مِن المؤسِف المُؤلم أنْ يُحْسَب هؤلاء الظَلَمة مِن المسلمين، وأن تُحسَب جناياتهم على الدين الإسلامي.

وأيّ إسلام يَرضى بهذه الجناية التي تَقشَعرّ منها السماوات والأرض؟!

هل هو إسلام النبيِّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم؟!

أمْ إسلام بَني أُميّة؟!

إسلام معاوية، ويزيد بن معاوية، وعمر بن سعد والدعيّ بن الدعيّ عُبيد الله بن زياد؟!!

ولا مانع لدى يزيد أن يأمر حاكمَ المدينة بإبعاد السيّدة زينب مِن مدينة جَدّها الرسول.

ولكنّ السيّدة إمتنعتْ عن الخروج مِن المدينة، وكأنَّها لاتَهاب الموت، ولاتخاف مِن أيِّ رجسٍ مِن أُولئك الارجاس.

وهل يَستطيع الأعداء أن يَحكُموا عليها بشيء أمرّ مِن الإعدام؟

فلا مانع، فلقد صارت الحياة مَبغوضة عندها، والموت خيرٌ لها مِن الحياة تحتَ سُلْطة الظالمين.

إنّها تلميذة مدرسة كان أساتذتُها يَقولون: «إنّي لا أرى

المَوتَ إلّا سَعادة، والحياة مع الظالمين إلّا بَرَماً».

وتَحدّت السلطة، وأعلنتْ إمتناعَها عن الخروج من المدينة. ولكنّ عدداً مِن السيّدات الهاشميّات إجتمعن عندها وذكَّرنَها بيزيد وطغيانه، وأنّه لا يَخاف مِن الله تعالى، ومِن المُمكن أن تتكرّر فاجعة كربلاء، بان يَأمر الوالي بإخراج السيّدة مِن المَدينة قَسْراً وجَبراً، فيقومُ بعضُ مَن تَبقّى مِن بَني هاشم لأجل الدفاع، وتَقع الحرب بين الفريقين، وتُقام المجزرة الرهيبة.

فقرّرتْ السيّدة زينب (عليها السلام) السفر إلى بِلاد مصر.

ولماذا اختارتْ مصر؟

إنّ احسن بلاد الله تعالى عند السيّدة زينب - بعد المدينة المُنوّرة - هو مِصْر، لأنّه كان لآل رسول الله في بِلاد مِصْر رَصيدٌ عظيم.. مِن ذلك الزمان إلى هذا اليوم. والسّبَب في ذلك أنّ أفراداً مِن الخط المُوالي للإمام امير المؤمنين (عليه السلام) كانوا قد حكموا مصر في تلك السنوات، أمثال: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومحمّد بن أبي بكر، وأخيراً مالك الأشتر النَخَعي. (1)

1- وقد ذكرَ تفاصيلَ ذلك المَقريزي المُتوفّى عام 845ه- في كتابه «المواعظ والإعتبار»، طبع لبنان سنة 1418ه-، ج 2 ص 93، وج 4، ص 151 حيث قال: «... ومصر - يومئذٍ - مِن جيش علي بن أبي طالب» وص 156 و 157

الفَصل التاسع عشر

إشارة

* بعض ما روي عن السيدة زينب

* 1- خُطبة السيّدة فاطمة الزهراء

* 2- حديث أمّ أيمن

* 3 - مُتفرِّقات

ص: 527

بعضُ ما رُوي عن السيّدة زينب

بعضُ ما رُوي عن السيّدة زينب

مِن القطع واليقين أنَّ السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) كانتْ قد سمعتْ ما لا يُحصى من الأحاديث مِن جدّها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأبيها امير المؤمنين (عليه السلام) وأخويها: الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) ورَوتْ عنهم الشيء الكثير الكثير.

وكيف لا؟ وقد فَتحتْ عينَيها في مَهْبَط الوحي والتنزيل، وترعْرعتْ ونَمَتْ في أحضان مَصادر التشريع الإسلامي، وتَراجِمة الوحي الإلهي، ومَنابع المعارف والاحكام السماويّة.

ولكن.. هل ساعدتْها الظروف أنْ تَتَحدَّث عمّا سمِعتْ وشاهدتْ في حياتها المُباركة مِن أسلافها الطاهرين؟

وما يُدرينا، فلعلّها حدَّثتْ شيئاً ممّا رأتْ ورَوَتْ، ولكنّ الدهر الخَؤون لم يَحتَفِظ بِمَروِيّاتها، فضاعَتْ وتَلفتْ تلك الكنوز،

وأبادت الحوادثُ تلك الثروات الفكرية والعِلْميّة (1)، وقد بَقيَ منها الشيء اليَسير اليَسير، فمّنها:

ص: 530

1- لقد تَعرّض التراثُ الإسـلامي الشـيعي لِغارات قاسِية مِن قِبَل أعداء الدين، منذ فاجعة وفاة الرسول الكريم.. وإلى عصْرنا الحاضر. فبَعد وفاة ذلك النبيِّ العظيم بَـدأت حَمْلة شَـعْواء وهجوم عنيف ضدّ تراث أهل البيت (عليهم السـلام) تحت أقنعة الدين والمصـلحة الإسـلاميّة العامّـة!!، فبإسم «مُكافحة الأحاديث المنسوبة - كِذْباً - إلى النبي الكريم» مُنعَ تَداولُ الحديث وكتابته، وكان الهدف - الأوّل والأخير - مِن ذلك: هو مَنْع تَـداول كلّ حـديث نَبَوي يَرتبط بمَدح أهل البيت، وبتفسـير الآيات القرآنيّة النازلة في شأنهم، وسَدّ الطريق أمامَ كلّ صَـحابيّ يُريد الدفاع عن آل الرسول الطاهرين، عن طريق الإستدلال بالقرآن الكريم - المُؤيّد بالتفسير الصحيح - والأحاديث النبويّة الصحيحة الّتي كانتْ حَديثة عَهْدِ بالصدور. وعلى هذا النَهْج وروايَة (المَنْعِ مِن تَداول تلك الأحاديث) سارَ الأمويّون والعباسيّون والإمبراطوريّة العثمانيّة .. وإلى يومنا هذا. ولولا ضـيق المَجال لَذكرْنا اسـتعراضاً سـريعاً لأرقام مُذْهِلة عن التراث الشـيعي العظيم الذي تَعرَّض للإتلاف والإبادة، مع الوثائق والاثباتات التاريخيّة، كشاهد ودليل على هذا القول. المُحقّق

1 - خُطبة السيّدة فاطمة الزهراء

لقـد ذكرنا في كتاب (فاطمـة الزهراء مِن المهد إلى اللحد) أنّ خُطبة السـيّدة فاطمة الزهراء (عليها السـلام) تُعتبر مُعجزة من معاجز السـيّدة فاطمة، لأنّها في قمّة الفصاحة وذروة البلاغة، وذكرنا - هناك - بعض مَزايا الخطبة.

والعَجَب كلّ العجَب أنّ السـيّدة زينب رافَقَتْ السـيدة فاطمة الزهراء - يومذاك - إلى المسـجد، وسَجّلت الخطبة كلَّها في قلبها وذاكرتها، لتكون راويـةً لخطبـة أُمّهـا، ولتكون همزةَ وَصْل في إيصال صوت أُمِّها إلى مَسامع الأمم والمِلَل، وجهازاً إعلاميّاً في بَثِّ هـذه الخطبـة إلى العالَم، وعلى مَرِّ الاجيال والقرون.

ويَجب أنْ لا نَنسى أن عُمرَها كان - يومذاك - حوالي خمسة أعوام فقط، فانظر إلى الذكاء المدْهِش والإستعداد الكامل والمؤهِّلات الفريدة مِن نوعها.

لقد ذكر الشيخ الصدوق في كتاب (عِلَل الشرائع) شيئاً من خطبة

ص: 531

السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بسَنده عن أحمد بن محمّد بن جابر، عن زينب بنت علي عليه السلام. (1)

وروى أيضاً بسَنده عن عبدالله بن محمد العَلَوي، عن رجال من أهل بيته عن زينب بنت علي عن فاطمة عليها السلام.

وروى أيضاً بسنده عن حفص الأحمر، عن زيد بن علي عن عمته زينب بنت علي عن فاطمة (عليها السلام) مِثْله.

و إليك نصَّ الرِواية:

رَوى عبدالله بن الحسن باسناده عن آبائه، أنّه لمّا أجمَعَ أبوبكر على مَنْع فاطمة فدك، وبَلغَها ذلك، لاثَتْ خمارَها على رأسها (2) واشتَملتْ بجِلْبابها، وأقبلتْ في لُمةٍ مِن حَفَدتها ونساء قومها (3)، تَطأُ ذيولَها (4)، ماتَخْرُم مِشْيَتُها مِشْيَةَ رسول الله

1- عِلَل الشرائع، ج 1 ص 289 باب 182

2- لاثَتْ: شَدّتْ، والخمار: ثوبٌ يُغطّى به الرأس

3- اللُمة - بضَمّ اللام وتخفيف الميم -: الجماعة. الحَفَدة: الخَدَم والأعوان. كما في «القاموس» و «لسان العرب» والظاهر أنّ المقصود - هنا-: مجموعة مِن نساء بَني هاشم ومِن النساء اللواتي كُنّ يُشاركْنَها في الفِكْر والإتّجاه والهَدَف، ورافَقْنَها إلى المسجد. ويمكن أنّه كانَ وَراء مجموعة النساء وكلاءُ السيّدة فاطمة، الّذين كانوا يُشرفون على شؤون أراضي فَدَك وبَساتينها. المحقّق

4- كناية عن شِدّة التَستّر

(صلّى الله عليه وآله وسلّم) (1) حتّى دَخلتْ على أبي بكر، وهو في حَشْدٍ مِن المهاجرين والأنصار وغيرهم (2)

فنِيطتْ دونَها مُلاءة (3).

فجَلستْ ثمّ أنَّتْ أنَّةً أجهَشَ القومُ بالبكاء فارتـجَّ المَجلس، ثمّ أمهَلتْ هُنيئـة (4) حتّى إذا سَـكنَ نَشيجُ القومِ وهَدأتْ فَورتُهم (5)، إفتَتَحتْ الكلامَ بحَمْد الله والثَناء عليه، والصلاة على رسوله، فعادَ القومُ في بكائهم، فلمّا أمسَكوا عادتْ في كلامها. فقالت (عليها السلام):

الحمْدُ لله على ما أنعَم، وله الشكرُ على ما ألْهَم، والثناءُ بما

1- ما تَفْرُق مشيتُها عن مِشْية أبيها مِن حيث الكيفية والوقار

2- الحَشْد: الجماعة

3- نيطتْ: عُلّقتْ. والمُلاءة: الإزار، أو المِلْحَفة، كما في «لسان العرب». ويُعبّر عنها - حاليّاً، في بعض البلاد - ب-«الشّرشَف» و «المَلافة»، ويُستعمَل في مجالات مُتعدّدة، منها: السِتار، ومنها الإلتحاف بها في موسم الربيع. والمقصود أنّه أُسدِلَ بين السيّدة وبين القوم سِتراً وحِجاباً. المُحقّق

4- وفي شرح نَهْج البلاغة لابن ابي الحديد ج 16 ص 211: «ثمّ أمهَلَتْ طويلاً»

5- النَشيج: صوت البكاء مع التوجّع، الفَوْرَة: الشِدّة

قَدّم، مِن عُمومِ نِعَمِ ابتداها، وسُبوغِ آلاءٍ أَسْداها (1)، وتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمّ عن الإحصاء عدَدُها (2)، ونأى عن الجزاء أَمَدُها (3)، وتَفاوتَ عن الإدراك أَبَدُها.

ونَدَبَهم لاستزادتها بالشُكر لاتّصالها (4) واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالنَدب إلى أمثالها (5).

وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحْدَه لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمَّن القلوب موصولها (6)، وأنارَ في التفكير مَعقولهَا.

1- سُبوغ النعم: إتّساعها وشُمولها لِمُختلف جوانب الحياة. أسْداها: أعطاها

2- جَمّ: كثُرَ

3- ناي: بَعُدَ، وهكذا تفاوت. الأمد: الغاية ومُنتَهى الشيء

4- نَدَبَهم: دَعاهم. والإستزادة: طلبُ زيادة النِعَم عن طريق الشُكر، لكي تَتّصل وتَستمرّ وتَدوم

5- ثنى بالنَدْب: أي: كما أنّه نَدَبهم لاستزادتها بالشُكر .. كذلك نَدَبهم إلى أمثالها مِن موجِبات الثواب والأعمال الّتي تُسبّب دوامَ النِعَم

6- جعلَ القلوب مُحتوية لمعنى كلمة التوحيد

المُمْتَنع مِن الأبصـار رؤيتُه، ومِن الألسُن صِفَتُه، ومِن الأوهام كيفيّتُه. إبْتَدَعَ الأشـياءَ لا مِن شـيء كان قَبْلَها (1)، وأنشاها بلا احتـذاء أمثلَةٍ امتَثَلَها (2)، كوَّنَها بقُدرته، وذَرأها بمَشيئته (3)، مِن غير حاجـةٍ منه إلى تكوينها، ولا فائـدةٍ له في تصويرها، إلّا تثْبيتاً لحِكْمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لِقُدرته، وتَعبّداً لِبَريّته، وإعزازاً لِدَعوته.

ثم جَعَل الثوابَ على طاعته، ووَضَع العقاب على معصيته، زيادة لعباده مِن نقمته (4)، وحياشةً لهم إلى جنّته (5).

وأشـهد أنّ أبى (محمّداً) عبدُهُ ورسولُه، إختاره وانتَجَبه قبلَ أنْ أرسَلَه، وسَمّاه قَبْلَ أنْ اجتَبَلَه (6). واصطفاهُ قبلَ أن ابتَعثَه، إذ الخلائق بالغَيب مكنونة، وبستر الأهاويل مَصونة، وبنهاية

1- ابتَدَعَ: أحدَثَ وابتكرَ

2- الإحتذاء: الاقتداء. وحذو النَعْل بالنعل: أي قَطْع النَعل على مِثال النعل وقَدرها

3- ذَراها: خَلقَها

4- ذيادة: مَنْعاً

5- حياشة لهم: سَوْقَهم

6- اجتَبله: فَطَره، أو خَلَقَه

العدم مقرونة، عِلْماً مِن الله تعالى بمثائل الأمور (1)، وإحاطةً بحَوادث الدُهور، ومعرفةً بمواقع المقدور.

ابتَعثَه اللهُ إتماماً لأمره، وعزيمةً على إمضاء حُكْمه، وإنفاذاً لمقادير حَتْمه. فرأى الأُممَ فِرَقاً في أديانها، عُكّفاً على نيرانها، وعابدةً لأوثانها، مُنْكِرةً لله مَعَ عِرفانها، فانارَ اللهُ بمحمّدٍ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ظُلَمَها (2)، وكشَفَ عن القلوب بُهَمَها (3)، وجلى عن الأبصار غُمَمَها (4)، وقامَ في الناس بالهداية، وأنقَذَهم مِن الغواية، وبَصّرهم مِن العماية، وهَداهم إلى الدين القَويم، ودَعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثمّ قَبَضَه اللهُ إليه قبْضَ رافةٍ واختيار، ورَغبةٍ وإيثار، فمُحمّدٌ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مِن تَعَب هذه الدار في راحة، قد حُفَ بالملائكة الأبرار، ورِضوان الرَبِّ الغَفّار، ومُجاوَرة الملِك الجبّار، صَلّى الله على أبي، نَبيّه

1- المثائل: جَمْع مَآل، أي المرجع، وما يَنتهي إليه الأمْر

2- ظُلَم: جَمْعُ ظُلْمة

3- البُهَم - جَمْعُ بهمة -: وهي مُشْكلات الأُمور

4- الغُمَم - جَمْعُ غُمَة -: الشيء المُلْتبس المستور

وأمينه على الوحي وصَفيّه، وخِيَرته مِن الخَلْقِ ورَضيّه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثُمّ التفَتتْ إلى أهل المَجلس وقالت: أنتُم – عبادُ الله – نصْب أمْره ونَهْيه (1)، وحَمَلة دينه ووَحْيه، وأُمَناءُ الله على أنفسكم (2)، وبُلَغاؤه إلى الأُمم (3)، زعيم حقّ له فيكم، وعهْد قَدّمه إليكم، وبَقيّة استَخلَفَها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع (4)، والضياء اللامع (5)، بَيِّنة بَصائره، مُنْكشِفة سَرائره (6)، مُتجَلّية ظواهِره (7)،

1- مَنْصوبون لأوامره ونواهيه

2- أمناء: جَمْع أمين

3- البُلَغاء – جَمْع بليغ – والمقصود – هنا –: المُبلّغ

4- الساطع: المرتفع، أو المُتَلألأ

5- اللامع: المضيء

6- البصائر: جَمْع بَصيرة، والمراد – هنا: الحُجَج والبَراهين. والسرائر: جَمْع سَريرة، والمقصود – هنا –: الأسرار الخَفيّة واللطائف الدقيقة

7- مُتجلّية: مُنكَشِفة، أو: واضِحة

مُغْتَبَط به أشـياعُه (1)، قائـدٌ إلى الرضـوان إتّبـاعُه، مُؤدٍّ إلى النجـاة اسـتماعُه، به تُنـالُ حُجَـجُ الله المُنوّرة، وعَزائمُه المُفَسّـرَة (2)، ومَحارمُه المُحَذّرة، وبَيّناتُه الجالية (3)، وبَراهينُه الكافية، وفضائلُه المندوبة (4)، ورُخصُه الموهوبة، وشَرائعه المَكْتوبة (5).

فجَعَلَ الله الإيمانَ تطهيراً لكم مِن الشِـرْك، والصـلاةَ تَنْزيهاً لكم مِن الكِبْر، والزكاةَ تزكيةً للنَفْس ونماءً في الرِزْق، والصـيامَ تَثْبيتاً للإخلاص، والحجَّ تشْييداً للدين، والعَدلَ تَنسيقاً للقلوب (6)، وإطاعتَنا نِظاماً للمِلّة، وإمامتَنا أماناً مِن الفُرقة، والجهادَ عِزّاً للإسـلام، والصَبْرَ مَعونةً على استيجاب الأجْر، والأمرَ بالمعروف مصلحةً للعامَّة، وبرّ

1- الغِبْطة: أنْ تَتَمَنّى مِثْلَ حال المَغبوط إذا كان بحالة حسَنة

2- العزائم - جَمْع عزيمة -: الفريضة التي افترضَها الله تعالى

3- الجالية: الواضحة

4- المندوبة: المَدْعوّ إليها

5- المكتوبة - هنا -: الواجبة

6- التنسيق: التنظيم

الوالـدين وِقايـةً مِن السّـخَط، وصِـلَةَ الأرحام منماةً للعَدَد (1)، والقِصـاصَ حِقْناً (2) للـدِماء، والوَفاء بالنّـذْر تَعريضاً (3) للمَغْفِرة، وتـوفية المكاييل والموازين تغييراً للبَخْس (4)، والنهيَ عن شُـرْب الخمر تنزيهاً عن الرجْس، واجتنابَ القَذْف حِجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعِفّة.

وحَرّمَ الشِـرْك إخلاصاً له بالرُبوبيّة، فَـ «اتّقوا اللهَ حَقّ تُقاته، ولا تَموتُنّ إلّا وأنتُم مُسْلمون، وأطيعوا الله فيما أمَركم به و نهاكم عنه، فإنّه «إنّما يَخشى اللهَ مِن عباده العلماء».

ثمّ قالت: أيّها الناس! إعلَموا أنّي فاطمة! وأبي محمّد. أقولُ عَوداً وبِدْءاً (5)، ولا أقولُ ما أقول غَلَطاً، ولا أفعلُ ما أفعل

1- منماة - على وَزْن مسحاة -: إسم آلة للنموّ، ولعلّها مَصْدر ميمي للنموّ

2- حِقْناً: حِفظاً

3- تعريضاً: إذا جعلتَه في عرضة الشيء

4- المكاييل - جَمْع مِكْيال: وهو ما يُكال به، والموازين: جَمْع ميزان. والبَخْس: النَقْص

5- عوداً وبدءاً: آخِراً وأوّلاً

شَططاً (1). «لقد جاءكم رسولٌ مِن أنفسِكم عزيزٌ عليه ما عَنتُمْ حَريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» (2).

فإنْ تُعْزوه وتَعرفوه تَجدوه أبي دونَ نسائكم (3)، وأخا ابن عمّي دونَ رجالكم، ولَنِعْم المعزِيُّ إليه (4) (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فَبَلّغ الرسالة، صادِعاً بالنذارة (5)، مائلاً عن مدرجة المشركين (6)، ضارباً ثَبَجَهم (7)، آخِذاً بأكظامهم (8)، داعياً إلى سَبيل رَبِّه بالحِكْمة والمَوعظة الحَسنَة، يَكسِرُ الأصنام، ويَنكتُ الهام (9)، حتّى انهزَم الجَمْعُ ووَلّوا الدُبُرَ، وحتّى تفرّى

1- شَططاً: ظُلْماً وجَوراً

2- سورة التوبة، الآية 128

3- تُعزوه: تَنْسِبوه

4- المعزيّ إليه: المنسوب إليه

5- صادعاً: مُظهراً. النذارة: الإنذار والتخويف

6- مدرجة المشركين: طريقهم ومَسْلَكهم

7- الثَبَج - بفَتْح الثاء والباء -: الظَهْر، وقيلَ: ما بين الكاهِل إلى الظهر

8- الكظم: - بفتْح الكاف والظاء -: الفَم أو الحَلْق أو مَخرَج النفَس

9- نكتَه على هامته: إذا القاه على رأسه

الليلُ عن صُبْحه (1)، وأسْفَرَ الحقّ عن مَحْضه (2)، ونَطقَ زعيمُ الدين، وخرستْ شقاشقُ الشياطين (3)، وطاح وشيظ النفاق (4)، وانحلّتْ عُقَد الكفر والشِقاق (5) وفُهتُم بكلمة الإخلاص (6)، في نَفَرٍ مِن البيض الخِماص(7) ، وكنتُم على شَفا حُفْرَةٍ مِن النار (8)، مُذْقةَ الشارب (9)، ونُهزَةَ الطامع (10)، و قَبْسَة العَجْلان (11)، و مَوطيء الأقدام، تَشْربون

1- تفرّى: إنشَقّ

2- أسْفَر: إذا انكشَفَ واضاء. والمَحْض: الخالص

3- شقاشق - جَمْع شقشقة -: وهي شيء يَشْبه الرئة يَخرج مِن فَم البَعير إذا هاج

4- الوشيظ: الاتباع والخدَم

5- الشقاق: الخلاف

6- فُهتُم: تَلفّظتُم، تَفَوَهْتُم

7- البيض - جَمْع ابيض - والخِماص - جَمْع خَميص -: وهو الجائع

8- شَفا حُفرة: جانبها المُشرف عليها، أو حافَّتِها

9- المذقة - بضَمّ الميم - شربة مِن اللَبَن الممزوج بالماء

10- النهزة - بضَمّ النون -: الفُرصة

11- قبسة العجلان: الشُعْلة مِن النار التي يأخذها الرجل العاجل

الطرْق (1)، وتَقْتاتون القِدِّ والوَرَق (2)، أذلّةً خاسِئين، تَخافون أنْ يَتخَطّفَكم الناسُ مِن حولكم، فأنقذكم الله تعالى بمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعد اللّتيّا والّتي، وبعد أن مُنِيَ بِبُهم الرجال (3)، وذُؤبان العَرَب، ومَرَدَة أهلِ الكتاب (4)، كلّما أوقَدوا ناراً للحَرْب أطفأها الله، أو نَجَم (5) قَرْنٌ للشيطان، أو فَغَرَتْ (6) فاغِرةٌ مِن المشركين، قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتها (7)، فلا

1- الطرق - بفتح الطاء وسكون الراء-: الماء الذي خاضَتْ فيه الإبل وبالَتْ فيه

2- تَقتاتون: تَجعلون قُوتكم. القِدّ- بكسر القاف -: قطعة جلد غير مدبوغ، ويُحتمل أنْ يكون بمعنى القديد: وهو اللحم المجفف في الشمس. الوَرَق: وَرَق الأشجار .. على اختلاف أنواعها

3- مُني - فعل ماضي مَجهول -: ابتُلي. والبُهَم - على وَزْن الغُرَف - جَمْع بهمة: وهو الشجاع الذي لا يُهتدى مِن أين يؤتى

4- مردة - بفتح الميم والراء والدال -: جَمْع مارِد وهو العاتي

5- نَجَمَ - فعل ماضي -: طَلَع. وقرن الشيطان: اتْباعُه

6- فغر: فَتَح. فاغرة فاها: أي: فاتحة فَمَها

7- اللهوات - جَمْع لَهاة -: لحمة مُشْرفة على الحلْق في اقصى الفَم. أخاه: المقصود هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يَنْكَفى حتّى يَطأ صِماخَها بأخمَصه (1)، ويُخْمِدَ لَهَبَها بسَيفه (2)، مَكدوداً في ذات الله (3)، مُجتهداً في أمْر الله، قَريباً مِن رسول الله، سيّداً فى أولياء الله، مُشمّراً ناصِحاً، مُجدّاً كادِحاً (4)، وأنتم في رَفاهيـة مِن العَيش (5)، وادِعون فـاكهون آمِنون (6)، تَتَربّصون بنا الـدَوائر (7)، وتَتَوكّفون الأخبار (8)، وتَنكصون عند النزال (9)، وتَفرّون مِن القتال.

فلمّا اختارَ الله لِنَبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) دارَ

1- يَنكفىء: يَرجع. يَطأ: يَدوس. صِماخها: أُذُنَها. بأخمَصه: بباطن قَدَمه

2- يُخمد: يُطفىء. لَهبَها: إشتعالها

3- المكدود: المُتعَب

4- شَمّرَ ثوبَه: رَفَعَه. مُجِدّاً - بضم الميم وكسْر الجيم -: مُجْتهداً، والكادح: الساعي

5- رفاهية: سِعة

6- وادعون: مرتاحون. فاكهون: ناعمون

7- الدوائر: العَواقب المذمومة والمُفاجَآت المؤسِفة

8- تتوكّفون: تتوقّعون بلوغَ الأخبار

9- تنكصون: ترجعون وتتأخّرون. والنزال: القتال

أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهَرَ فيكم حسكة النفاق (1)، وسمل جلبابُ الدين (2)، ونَطقَ كاظم الغاوين (3)، ونَبَعَ خامِلُ الاقلّين (4)، وهَدَرَ فنيـق المبطلين (5)، فخَطر في عَرَصــاتكم (6)، وأطلـع الشـيطانُ رأسَه مِن مِغْرَزه (7) هاتفـاً بكم، فالفاكم لِـدَعوته مُسـتَجيبين، وللغِرّة فيه مُلاحظين. (8)

ثمّ استَنْهضكم فوجَدكم خِفافاً، وأحمَشكم فألفاكم غِضابا (9)، فوسَمْتُم غَيرَ إبلكم (10)، وأوردْتم غيرَ

1- الحسكة والحسيكة: الشوكة

2- سمل الثوب: صارَ خَلِقاً. والجِلباب. ثوبٌ واسع

3- كاظم الغاوين: الساكت، الضالّ، الجاهل

4- ظهر مَن خَفي صوتُه واسمه .. مِن الأذلّاء، غير المَشْهورين

5- هدر البعير: رَدّد صوتَه في حنجرته، والفنيق: الفحْل مِن الإبل

6- خطر: إذا حَرّك ذَنَبَه، مِن مُنطلَق الإعجاب بنفسه

7- المغرز - بكسر الراء: ما يُختفى فيه

8- الغِرة - بكسْر الغين -: الانخداع. ومُلاحظين: ناظرين ومُراعين، ومُتَجاوبين للإنخداع

9- أحمشكم: أغضَبَكم

10- الوَسْم: الكيّ، وَسَمَه: كواه، لِتَبقى في جسمه عَلامة خاصّة تُميّزه عن غيره

شِرْبكم (1)، هذا والعَهْدُ قريب، والكلْمُ رَحيب (2)، والجُرْحُ لمّا يَنْدَمل (3)، والرسولُ لمّا يُقبَر (4)، إبتداراً زَعَمْتُم خوفَ الفتنة (5)، «ألا: في الفتْنة سَقطوا وإنّ جَهَنّمَ لَمُحيطة بالكافرين».

فهَيهات منكم! وكيف بكم؟ «وأنّى تؤفكون» (6)، وكتابُ الله بين أظهُركم أُمورُه ظاهرة، وأحكامُه زاهرة، وأعلامُه باهِرة، وزَواجِره لائحة، وأوامِره واضحة، وقد خلّفتُموه وراءَ ظهوركم.

أرَغبةً عنه تُريدون؟ أم بغيره تَحكُمون؟ «بئسَ للظالمين بَدَلاً»، «ومَن يَبتغ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرة مِن الخاسرين».

1- الشِرْب - بكسْر الشين -: النصيب مِن الماء

2- الكلم: الجرح. رَحيب: واسع

3- اندمل: تَماثَل للشِفاء والإلتئام

4- يُقبَر: يُدفَن

5- ابتداراً: مُعاجَلة منكم في غَصب الخلافة

6- تؤفكون: أي تُصْرَفون

ثمّ لم تَلْبثوا إلاـ ريث أنْ تسكن نفْرتُها (1)، ويَسْلَس قيادها (2)، ثمّ أخذتم تُورون وُقْدتُها، وتُهيّجون جَمْرتها (3)، وتَستجيبون لِهتاف الشيطان الغَويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإخماد سُنَن النبيّ الصَفيّ، تسرّون حسْواً في ارتغاء، وتَمشون لأهله ووُلده في الخَمَر والضراء (4)، ونَصبر منكم على مثْل حَزّ المدى (5)، ووَخْز السنان في الحشى (6)، وأنتم - الآن - تَزعمون أن لاـ إِرثَ لنا، «أفحكمَ الجاهلية يَبْغون»؟، «ومَن أحسنُ مِن الله حُكْماً لقومٍ يوقنون؟» أفلا تَعلمون؟ بلى تجلّى لكم - كالشمس الضاحية - أنّي ابنتُه.

أيّها المسلمون! ءأُغلَبُ على إرثيَه.

يا ابنَ أبي قُحافة!

1- رَيث: قَدَر. نَفرتها، نَفرت الدابة: جَزَعَتْ وتباعَدَتْ

2- يسلس: يَسهل

3- تورون: تُخرجون نارَها. تُهيّجون: تُشيرون

4- الخمر - بفتح الخاء والميم -: ما يَسترُك مِن الشجر وغيره

5- المُدى - بضمّ الميم - جَمْع مُدية: وهي الشَفْرة أو السِكّينة

6- الوَخز: الطعن. والسنان: رأس الرمح

أفي كتاب الله أنْ تَرِثَ أباك ولا أرِث أبي؟؟

لقد جئتَ شيئاً فَرِيّاً!! (1).

أفعَلى عَمْدٍ تَركتُم كتابَ الله ونَبَذْتُموه وراءَ ظهوركم؟ إذ يَقول: «ووَرِثَ سليمانُ داود» (2). وقال - فيما اقتصّ مِن خَبر زكريّا - إذ قال: «فهَبْ لي مِن لَدُنك وَليّاً يَرثني ويَرث مِن آل يعقوب» (3).

وقال: «وأُولوا الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله» (4). وقال: «يوصيكمُ الله في اولادكم للذكر مثْلَ حظّ الأُنثَيَين» (5).

وقال: «إنْ تَرِكَ خيراً الوصيّة للوالدَيْن والأقرَبين بالمعروف حَقّاً على المتّقين» (6).

وزَعَمتُمْ أنْ لا حَظوة لي؟ (7) ولا ارث مِن أبي!

1- فريّاً: أمراً عظيماً أو منكراً قبيحاً

2- سورة النمل، الآية 16

3- سورة مريم، الآية 5 - 6

4- سورة الأنفال، الآية 75

5- سورة النساء، الآية 11

6- سورة البقرة، الآية 180

7- الحظوة: النَصيب

أفخَصَّكم الله بآيةٍ أخرَجَ أبي منها؟

أم تَقولون: إنّ أهلَ مِلّتَين لا يَتوارثان؟

أوَلَسْتُ أنا وأبي مِن أهل مِلّةٍ واحدة؟

أم أنتُم أعلَمُ بخُصوص القرآن وعُمومه مِن أبي وابنِ عمّي؟

فدونكها مَخطومة مَرحولة (1)، تَلْقاك يومَ حَشْرك، فنِعمَ الحَكَمُ الله، والزعيمُ محمّد، والمَوعِدُ القيامة، وعند الساعة يَخْسَرُ المُبطلون، ولا ينفعكم إذ تَندمون، ولكلّ نبأ مُستقَرّ، فسوف تَعلَمون مَن يأتيه عذابٌ يُخزيه، ويَحلّ عليه عذاب مُقيم.

ثمّ رَمَت بِطَرْفها نحو الانصار فقالت: يا مَعشَر النَقيبة، وأعضاد المِلّة، وحَضَنَة الإسلام (2)، ما هذه الغَميزة في حَقّي؟ (3)، والسِّنَة عن ظلامتي؟!، أما كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أبي يقول: «المَرءُ يُحفَظ في وُلْده»؟

سَرْعان ما أحْدثتُم، وعَجْلان ذا إهالة، ولكم طاقة

1- مَرحولة: يُقال: ناقة مَخْطومة ومرحولة، الخِطام - بكسْر الخاء -: الزِمام، ومرحولة: مِن الرحل: وهو للناقة كالسَرْج للفَرَس

2- حَضَنة - جَمْع حاضِن: بمعنى الحافظ

3- الغَميزة: الضعف أو الغفلة

بما أحاول، وقوّة على ما أطلب وأزاول (1).

أتقولون: ماتَ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فخَطبٌ جليل، استَوسع وَهْنه (2)، واستنهر فتقه، وانفَتَق رَتقه، وأظلمت الأرض لِغَيبَته، وكُسفَت النجومُ لمصيبته، واكدت الآمال (3)، وخَشعَت الجبال، وأُضيعَ الحَريم (4) وأُزيلَت الحُرمة عند مَماته، فتلك - والله - النازلة الكُبْرى (5)، والمُصيبة العُظمى، لا مثْلُها نازلة ولا بائقة عاجلة (6) أعلنَ بها كتابُ الله - جَلّ ثناؤهُ- في أفنيَتِكم (7)، في مَمْساكم ومَصْبَحِكم، هتافاً وصُراخاً، وتِلاوةً والحاناً، ولَقَبْلَه ما حَلّ بأنبيائه ورُسُله، حُكمٌ فَصْل، وقضاءٌ حَتْم، «وما محمّد إلّا رسولٌ قد خَلَتْ مِن

1- أُزاول: أقصد

2- استوسَع وَهْنه: إتّسع غايةَ الإتّساع وهْنُه

3- أكدت: انقطعت

4- الحريم: ما يَحميه الرجل ويُقاتل عنه

5- النازلة: الشديدة

6- البائقة: الداهية

7- أفنيتكم - جَمْع فِناء، بكسْر الفاء -: جوانب الدار مِن الخارج، أو العَرَصة المتّسعة أمامَ الدار

قَبله الرُّسُل، أفإنْ ماتَ أو قُتلَ انقلبتُم على أعقابكم ومَن يَنقلِبْ على عَقبيه فلنْ يَضرّ اللهَ شيئاً وسَيجْزي اللهُ الشاكرين» (1).

ثمّ رَمَتْ بطرْفِها نحوَ الانصار وقالت:

إيهاً بَني قيلة! (2).

أَ أُهضَم تُراث أبي؟، وأنتُم بمرايً منّي ومَسْمَع، ومُنتَدى ومَجْمَع (3) تلبسُكم الدَعوة، وتَشْملكم الخبرة (4)، وأنتم ذَوو العَدَد والعُدّة، والأداة والقوّة، وعندكم السِلاح والجُنّة، تُوافيكم الدَعوةُ فلا تُجيبون؟، وتأتيكم الصَرْخة فلا تُعينون؟، وأنتُم مَوصوفون بالكفاح، مَعروفون بالخير والصلاح، والنُخبة التي انتُخِبتْ، والخِيرةُ التي اختيرت (5).

قاتَلتُم العَرَب، وتحمَّلتُم الكَدّ والتَعَب (6)، وناطحْتُم

1- سورة آل عمران، الآية 144

2- إيهاً: بمعنى هيهات، أو مَزيداً مِن الكلام

3- مُنتدى: مَجلس القوم

4- الخبرة: العِلْم بالشيء

5- الخيرة - بكسر الخاء وسكون الياء - المُفضّل مِن القوم

6- الكدّ: الشِدّة

الأـمم، وكافحتُم البُهَم (1)، لاـ نَبْرح أو تَبرحون، نَـأمُركم فتَـأتَمرون، حتّى إذا دارتْ بنـا رَحى الإسـلام، ودَرّ حَلْبُ الأيام، وخَضَـعَتْ ثَغرة الشِـرك، وسَـكنَتْ فَورةُ الإفك، وخَمَـدتْ نيرانُ الكفر، وهَـدأتْ دعوةُ الهرج، واسـتوسقَ نِظامُ الـدين، فأنّى حِرتُم بعد البَيان؟، وأسـررتُم بعد الإعلاـن؟، ونكصـتُمْ بعـد الإقـدام، وأشـركتُمْ بعـد الإيمان؟، «ألا تُقاتِلُونَ قوماً نكثوا أَيْمانهم وهَمّوا بإخراج الرسول، وهم بَـدؤكُمْ أوّلَ مرّة، أتخْشَوْنَهم فالله أحَقِّ أنْ تَخْشَوه إنْ كُنتُم مؤمنين» (2)

ألا: قـد أرى أنْ قـد أخلدتُمْ إلى الخفْض (3) وأبعَـدتُم مَن هو أحقُّ بالبَسْط والقَبْض، وخلَوتُم إلى الدعـة (4)، ونَجَوتُم مِن الضـيق بالسعة، فمَجَجْتُم ما وَعَيتُم (5)، ودسعتُم الذي تسوّغتم (6)، «فإنْ تكفُروا أنتُم ومَن في الأرض جميعاً فإنّ الله

1- البَهم - جَمْع بهمة -: الشجاع

2- سورة التوبة، الآية 13

3- الخفض: الراحة

4- الدعة: الراحة والسُكون

5- مَجَجْتُم: رَميتُم. وَعيتم: حِفظتم

6- دسعتم: تقيّاتم. وتسوّغتم: شَربتُم بسهولة

لَغَنيٌّ حميد»، ألا: قد قلتُ ما قلتُ على معرفة منّي بالخذلة التي خامَرتْكم (1) والغَدْرَة التي استَشْعَرتْها قلوبُكم (2).

ولكنّها فيضَة النَفْس (3)، ونَفْثة الغَيظ (4)، وخَوَر القنا (5)، وبثّة الصَدر، وتَقْدِمة الحُجّة، فدونكمُوها، فاحتَقِبوها دَبِرَة الظَّهر (6)، نقبةَ الخُف (7)، باقيةَ العار، موَسومَةً بغضَب الله، وشَنار الأبد (8)، مَوْصُولة بنار الله المُوقدة الّتي تَطّلعُ على الأفئدة، فبِعَين الله ماتَفعلون، «وسيَعلَمُ الّذين ظلَموا أيّ مُنقَلَب يَنقَلبون»، وأنا ابنةُ نَذيرٍ لكم بينَ يَدَي عذابٍ شديد، فاعمَلوا إنّا عامِلون، وانتظروا إنّا مُنتظِرون.

1- خامَرتْكم: خالطتْكم

2- استشعرتْها: لبسَتْها

3- فاضَ صدرُه بالسِرّ: باحَ به

4- كالدم الذي يُرمى به مِن الفم ويَدلّ على وجود قرحة

5- ضَعْف النَفْس عن التحمّل

6- دونكموها: خُذوها. دبرة: مَقروحة

7- نقبة الخُف: رَقيقة الخُفّ

8- شنار: العَيب والعار

فأجابَها أبوبكر (عبدالله بن عثمان) (1) وقال:

يابنَـة رسول الله! لقـد كـانَ أبوكِ بالمؤمنين عَطوفاً كريماً، رَؤفاً رَحيماً، وعلى الكافرين عـذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، إِنْ عَزَوْناه وجَـدْناه أباكِ دونَ النساء (2)، وأخا إلفِكِ دونَ الأخِلاّء (3)، آثرَهُ على كلّ حَميم (4)، وساعَدَهُ في كلّ أمرٍ جَسيم، لا يُحبّكم إلّا كلُّ سَعيد، ولا يُبغضَكم إلّا كلّ شقيّ.

فأنتُم عِتْرةُ رسولِ الله الطيّبون، والخِيرة المُنتَجَبون، على الخَير أدِلّتُنا، وإلى الجَنّـة مَسالِكُنا، وأنتِ يا خيرة النساء، وابنة خَير الأنبياء، صادِقةٌ فى قَولكِ، سابقـة في وُفور عَقلِكِ، غيرُ مَردُودة عن حَقّكِ، ولا مَصّـدودة عن صِـدقكِ (5)، والله ما عَـدَوتُ رأيَ رسول الله!!! (6) ولا عَمِلتُ إلّا بإذنه، وإنّ الرائدَ لا يكذِبُ أهلَه (7)، وإنّي أُشهد الله وكفى به شهيداً، أنّي

1- أي: أبوبكر بن أبي قُحافة

2- عَزَوناه: نَسَبْناه

3- وفي نسخة: وأخا بَعْلك. والمعنى واحد

4- حَميم: قريب

5- مَصْدودة: ممنوعة

6- عَدَوتُ: جاوزتُ

7- الرائد: الذي يَتقدّم القوم، يَبْحَث لهم عن الماء والكلأ ومَساقط الثِمار

سَمعتُ رسولَ الله يقول: «نحنُ مَعاشِرَ الأنبياء لا نُورّث ذهباً ولا فضّةً ولا داراً ولا عِقاراً، وإنّما نُورّث الكتابَ والحِكْمة، والعلْمَ والنبوّة، وما كانَ لنا مِن طعْمَة فلوالي الأمر بَعْدَنا، أن يَحكُمَ فيه بحُكْمِه».

وقد جَعَلْنا ما حاولْتِهِ في الكُراع والسلاح (1)، يُقاتلُ بها المُسلمون، ويُجاهِدون الكفّار، ويُجالِدون المَردة الفُجّار (2). وذلك بإجماعٍ مِن المسلمين!! لم أنفَرِدْ به وَحْدي، ولم أستَبِدَّ بما كانَ الرأي فيه عندي (3)، وهذه حالي ومالي، هي لكِ، وبَينَ يَدَيكِ، لا تُزوى عنكِ (4)، ولا تُدّخر دونكِ، وأنتِ سيّدة أُمّة أبيكِ، والشجرة الطيّبة لِبَنيكِ، لا يُدفَع مالَكِ مِن فَضْلكِ، ولا يوضَع في فَرْعك وأصلكِ، حُكْمُك نافِذ فيما مَلَكَتْ يَداي، فهل تَرينّ أن أُخالفَ في ذلك أباكِ؟

فقالت (عليها السلام):

سُبحانَ الله! ما كان رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن

1- الكراع - بضمّ الكاف: جماعة الخيل

2- يُجالدون: يضاربون

3- استبدّ: انفرد بالأمر مِن غير مُشارك فيه

4- تُزوى عنك: تُقبَض عنك

كتاب الله صادِفاً (1)، ولا ـ لأحكامه مُخالفاً، بل كان يَتّبع أثَره، ويَقْفُو سُوَره (2)، أفتُجمعون إلى الغَدْر إعتلالاً عليه بالزور، وهذه بعدَ وَفاته شبيهٌ بما بُغيَ له مِن الغَوائل في حياته (3).

هذا كتابُ الله حَكَماً عَدْلاً، وناطقاً فَصْلاً، يقول: «يَرِثُني ويَرِثُ مِن آل يعقوب»، «ووَرِثَ سليمانُ داودَ»، فبَيّنَ (عزّوجلّ) فيما وزّع عليه مِن الاقساط، وشَرع مِن الفرائض والميراث، وأباحَ مِن حَظّ الذُكرانِ والإناث، ما أزاحَ عِلَّة المُبطلين، وأزالَ التظنّي والشُبَهات في الغابرين (4)، كلّا، «بلْ سَوَّلتْ لكم أنفسُكُمْ أمْراً فصَبرٌ جميل، والله المُسْتعانُ على ما تَصِفون».

فقال أبوبكر:

صَدَقَ الله وصَدَقَ رسولُه وصَدقتْ ابنتُه، أنتِ مَعدِنُ الحِكْمة، ومَوطنُ الهُدى والرَحْمة، ورُكنُ الدين، وعَينُ الحُجّة، لا أُبعدُ صَوابكِ، ولا أُنكر خِطابكِ، هؤلاء المسلمون

1- صادِقاً مُعْرِضاً. يُقال: صَدَفَ عن الحقّ إذا أعرَضَ عنه

2- يَقفو: يَتبع

3- الغوائل - جَمْع غائلة -: الحادثة المهلكة

4- التظنّي: إعمال الظن. الغابرين: الباقين

بَيْني وبينَكِ، قَلّدوني ما تَقَلّدتُ، وباتّفاقِ مِنْهم أخذتُ ما أخذت، غير مُكابرٍ ولا مُسْتَبِدّ ولا مُستاثرٍ، وَهُم بذلك شَهود.

فالتَفتَتْ فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالتْ:

مَعاشِرَ الناس! المُسْرعة إلى قِيل الباطل، المُغْضية على الفِعْل القَبيح الخاسِر (1)، أفلا تَتَدبّرون القرآن أمْ على قلوبٍ أقفالُها؟

كلّا، بَلْ رانَ على قلوبكم ما أسأتم مِن أعمالكم. فأُخذ بسَمْعكم وأبصاركم، ولَبئسَ ما تأوّلتُمْ، وساءَ ما به أشَرْتُم، وشَرّ ما منه اعتَضتُم (2)، لَتجِدَنَ ـ والله ـ محْمله ثقيلاً وغِبّه وَبيلاً (3)، إذا كُشِفَ لكم الغِطاء وبانَ ما وراءه الضرّاء، وبَدا لكمْ مِن رَبّكُمْ ما لَمْ تكونوا تَحْتَسِبون، وخَسِرَ هنالك المبطلون.

ثمّ عَطفَتْ على قبر أبيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقالتْ:

1- المغضية: الساكنة، الراضية

2- اعتضتّم: مِن الإعتياض وهو أخْذ العوض

3- الغِبّ - بكسْر الغين - العاقبة. الوَبيل: الشديد الثقيل

قد كانَ بَعْدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثة (1) *** لو كنتَ شاهِدَها لم تَكثُر الخُطب (2)

إنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الأرضِ وابِلَها (3) *** واختلِ قومُك فاشهَدْهم وقد نكبوا (4)

وكلُّ أهلٍ لَهُ قُرْبَى وَمَنْزلَةٌ *** عند الإله على الأدنين مُقْتَرَبُ

ابدَتْ رِجال لنا نجوى صدورهم (5) *** لمّا مَضَيت وحالت دونَك التُّربُ

تَجَهَمَتْنا رِجالٌ واستُخِفَّ بنا *** لَمّا فُقدت، وكلّ الإرث مُعْتَصَب (6)

1- الهنبثة: الأمر الشديد المختلف

2- الخطب - بضمّ الخاء والطاء - جَمْع خطب، بفتح الخاء -: المصائب الشديدة

3- الوابل: المطر الغزير الكثير

4- نكبوا: عَدَلوا عن الطريق

5- نجوى - هنا -: الأحقاد الكامِنة المَخْفيّة سابِقاً

6- مُغتصَب: مغصوب

وكنْت بَدْراً ونوراً يُستَضاءُ به *** عليك تَنْزِلُ مِن ذي العِزّة الكتُبُ

وكانَ جِبْريلُ بالآيات يؤنسُنا *** فَقَدْ فُقدت، فكلّ الخير مُحْتَجَبُ

فليتَ قَبْلَك كانَ الموتُ صادَفَنا *** لمّا مَضَيتَ وحالتْ دونك الكُثُب (1)

إنا رُزينا بما لَمْ يُرزَ ذو شَجَنٍ (2) *** مِن البَريّة لا عَجْمُ ولا عَرَبُ

ثم انكفَآتْ (عليها السلام) (3)، وأميرُالمؤمنين (عليه السلام) يَتَوقّعُ رُجوعَها إليه (4)، ويَتطلّعُ طلوعَها عليه، فلمّا استَقرّتْ بها الدار قالتْ لأمير المؤمنين (عليه السلام):

1- الكثُب - بضمّ الكاف والثاء - جَمْع كثيب: وهو الرَمْل

2- رُزينا: مِن الرَزيّة وهي المصيبة، والشَجَن: الحُزن

3- انكفاتْ: رَجَعتْ

4- يَتوقّع: يَنتظر

يابْنَ أبي طالب، إشتَملْت شَملَة الجنين (1)، وقَعَدتَ حُجْرةَ الظنين (2)، نَقَضْتَ قادِمَةَ الأجْدَل (3)، فخانَك ريشُ الاعزَل (4)، هذا ابنُ أبي قُحافة يَبْتَزَنِي نِحْلَةَ أبي (5) وبُلْغَةَ إبني (6).

لقد أجهَرَ في خِصامي (7)، والفَيتُه الألدّ في

1- إشـتَمَلَ الثوبَ: إذا أدارَه على الجسَد. والشِـمْلة - بكسْـر الشـين -: هيئة الإشـتمال وكيفيّته .. والشَـمْلة - بفَتْح الشـين -: ما يُشتَملُ به، والمقصود هنا: مَشيمة الجنين، وهي الكيس الذي يكون فيه الجَنين داخِل الرَحِم

2- الحجرة - بضَمّ الحاء -: البيت. وبضَمّ الحاء وسكون الجيم ثمّ الزاء: هو المكان الذي يُحتَجَز فيه. والظنين: المُتّهَم

3- نَقَضَتَ: كسَـرْتَ. والقادمة - واحِدة القوادم -: وهي مَقاديم ريش الطائر. والأجدل: الصَقْر. والمقصود: كنتَ - فيما مَضى - تكسِرُ ظهرَ الأبطال والشَجعان في الحروب

4- خانَك مِن الخيانة. وفي نسخة: خاتكَ: أي: إنقَصَّ عليك

5- يَبْتزّني: يَسلبني بالقَهر والغَلَبة. والنِحْلة - بكسْر النون -: العَطية، والنُحيلة تَصغيرها

6- البلغة: ما يُتبلّغ به مِن العَيش ويُكتفى به

7- أَجْهَر: أعلَنَ بكلّ وضوح. وفي نسخةٍ: اجهَدَ: أَي جَدّ وبالَغَ

كلامي (1)، حَتّى حَبَسـتْني قِيلةُ نَصْرَها (2)، والمهاجِرةُ وَصّلَها (3)، وغَضّت الجماعـةُ دوني طرفَها، فلادافع ولا مانع، خَرجْتُ كاظمـة، وعُدْتُ راغِمَة (4)، إضْرَعْتَ خَدّكَ يومَ أضعْتَ حَدّكَ (5)، إفتَرسْتَ الذئاب وافتَرَشْتَ التُراب، ماكفَفْتَ قائلاً ولا أغنَيْتَ باطلا (6)، ولا خِيارَ لي (7)، لَيتَني مِتُّ قبلَ هِينَتي (8)، ودونَ ذِلّتي، غذيري الله منْك عادياً ومنْك حامياً.

وَيْلاي في كلّ شارِق، ماتَ العَمَد ووَهَنَ العَضُد، شَكوايَ إلى أبي، وعَدواي إلى رَبّي، اللهمّ أنتَ أشَدُّ قوّةً وحَوْلا، وأحَدُّ بأسَاً وتَنْكيلا.

1- القَيتُه: وَجَدْته. والالدّ: شديد الخصومة، والحَقُود

2- حَبَسَتْني: منَعَتْني. وقيلة: اسم أُمِّ الأوس والخزرج، وهما قبيلتان مِن الانصار

3- المهاجِرةُ: المهاجرون. وَصْلَها: عَونَها

4- كاظمة: مُتجرّعةً الغيظ مع الصَبْر

5- أضرعْتَ: أذللتَ، وأضعتَ حَدّك: أهمَلْت قَدْرَكَ

6- ما كفَفْت: ما مَنعتَ. أغنيتَ: صَرَفتَ ودَفعْتَ

7- لا خيار لي: لا اختيار لي

8- هينتي - بكسْر الهاء -: مهانتي

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

لا وَيلَ عليكِ، بل الويلُ لِشأنِئكِ، نَهْنِهي عن وَجَدِكِ يابنةَ الصَفْوة (1)، وبَقيّة النُبُوّة، فما وَنَيْتُ عن دِيني (2)، ولا أخطأتُ مَقْدوري، فإن كُنتِ تُريدينَ البُلْغة فرزْقُكِ مَضْمون (3)، وكفيلُك مَأمون، وما أُعدّ لَكِ خيرٌ ممّا قُطعَ عنكِ، فاحتَسِبي الله.

فقالتْ: حَسبي الله. وأمسَكتْ. (4)

1- نَهنِهي: كُفّي. وَجْدكِ: حُزْنكِ

2- وَنَيْتُ: عَجَزْتُ

3- البُلْغة - بضَمّ الباء -: الكفاية

4- نُنَبّه القارىء الكريم أنّ السيّد المؤلّف (رحمة الله تعالى عليه) قام بشَرح كلمات هذه الخطبة في كتابه: «فاطمة الزهراء مِن المهد إلى اللحد»، وجَديرٌ بالقارىء الكريم أن يَقرأ شَرحَ الخُطبة في ذلك الكتاب، ليَطّلع على بعض ما فيها مِن الأسْرار والإشارات والتَعليقات والتوضيحات. المُحقّق

2 - حديث أمّ أيمَن

كانت السـيّدة زينب (عليها السـلام) قد بَلَغَتْ مَبْلَغاً مِن الوعي والنُضْج الفِكْري والإسـتعداد العقلي بحيث استطاعت أن تَسمع مِن أُمّ أيمَن حديثاً يَتعلّق بمستقبلها ومُستَقبَل أُسرتها. (1)

حديثاً يَقشَعرُّ منه الجُلود، وتَتوتِر منه الاعصاب، لأنّه إخبار عن مُستقبلٍ مُحاطٍ بشتّى أنواع الفجائع والكوارث، والمآسي

1- أُمّ ايمن: اسـمُها بَركـة بنت ثعلَبـة بن عمرو، غَلَبتْ عليها كُنْيَتُها، إمرأةٌ جَليلة مُحترَمة، كانتْ أمَةٌ لِسـّيّدنا عبدالله بن عبْد المُطّلب - والِد رَسول الله -، وصارتْ ميراثاً لِرَسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم)، وبذلك صارَتْ حاضِنَةً لَه، وقد اعتقها النبيُّ الكريم عندما تَزوَّج مِن السـيّدة خديجة (عليها السـلام). رَوَتْ عن النبيّ الكريم أحاديثَ مُتَعدِّدة، وقد شَهِدَ لَها رسول الله بأنّها مِن أهْل الجَنّة، وشهد لها - أيضاً - الإمامُ الباقر (عليه السـلام) بذلك حيث قال للراوي: «أرأيت أُمّ أيمن فإنّي أشهد أنّها مِن أهل الجنّة». تَزوَجَها عُبيد بن زيد، مِن بَني الحارث بن الخزرج، فوَلَـدتْ لَهُ «أيمَن»، واستُشْـهِدَ عُبيـد يومَ خَيبر، فتزوّجها - بَعْـدَ ذلك زيدُ بنُ حارثة، والدُ أُسامة بنِ زيد كانتْ علاقاتُها مع اهل بيت رسول الله.. علاقات طيّبـة جـداً، وخاصّـةً بعد وَفاة النبي الاعظم (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم). قيل: تُوفِّيَتْ في أيّام حكومة عثمان بن عفّان، وصَلّى على جنازتها الإمامُ أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ودُفنت في البَقيع. المُحقّق

والإضطهاد والأهوال، وهو مقتل أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) وأسرته وأهل بيته.

إذن، لم تكن فاجعة كربلاء للسيّدة زينب مُفاجاة، بل كانت على عِلْم بهذه المُقدّرات الّتي كتَبَتْها المَشيئة الإلهيّة.

ولا نَعلَم – بالضبط – التاريخَ الذي سَمعتْ فيه السيّدة زينب هذا الحديث مِن أُمّ أيمن، حتّى نَستطيع معرفة مقدار عُمْر السيّدة زينب يومَ سماع هذا الحديث، لكن ذكرَ المؤرّخون تاريخَ وفاة أُم أيمن سنة 36 مِن الهِجرة، وبناءً على هذا .. فقد كان عُمْر السيّدة زينب (عليها السلام) يومَ وفاة أُمّ أيمن ثلاثين سنة. ولَعلّها كانتْ قد حَدّثَتْ السيّدة زينب قبلَ وفاتها بسَنَوات.

وعلى كلّ تقدير، فإنّ السيّدة زينب كانت تَعلم بقضايا كربلاء قبلَ وقوعها بأربع وعشرين سنة .. على أقلّ التقادير، إستناداً إلى

حديث أمّ أيمن، سوى ما سـمِعَتْه مِن جدّها رسول الله وأبيها أمير المؤمنين مِن الإخبار بمقتل الإمام الحسـين في أرض كربلاء، وقد إتّضَـحَ شيء مِن هذا الموضوع في الفصول الماضية من هذا الكتاب.

وأمّا حديثُ أمّ ايمن فإليك نَصُّه:

ذُكرَ في مُلحَقات كتاب (كامل الزيارات) لابن قولويه (1)، بسَنَده عن نوح بن درّاج، قال: حدَّثني قدامة بن زائدة، عن أبيه قال:

قال علي بن الحسين – عليه السلام –: «بَلَغَني – يا زائدة – أنّك تَزور قبرَ أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) أحياناً؟».

فقلت: إنّ ذلك لَكَما بَلَغَك.

فقال لي: «فلماذا تَفعل ذلك، ولك مَكانٌ عند سُـلْطانك الّذي لا يَحتَمِلُ أحَداً على مَحَبّتنا وتَفْضيلنا وذِكْر فضائلنا، والواجب على هذه الأُمّة مِن حَقّنا»؟

فقلت: واللهِ ما أُريد بذلك إلّا الله ورسوله، ولا أحْفَلُ بِسَخَط مَن سخَطَ (2) ولا يَكْبُرُ في صَدْري مَكروهٌ يَنالُني بسَبَبه!

1- كتاب (كامل الزيارات) لإبن قُولويه المتوفّى سنة 367 ه-

2- لا أحفَلُ: لا أبالي. كما في كتاب «العَين» للخَليل بن أحمد

فقال: «والله إنّ ذلك لَكذلك». (1)

فقلت: والله إنّ ذلك لَكَذلك. يَقولُها ثلاثاً، وأقولُها ثلاثاً. (2)

فقال: «أبشِرْ ثمّ أبشِرْ ثمّ أبشِرْ فلأُخبِرنّك بِخَبَرٍ كان عندي في النَخب المَخزون (3) فإنّه لمّا أصابَنا بالطّفِّ ما أصابَنا (4) وقُتلَ أبي (عليه السلام) وقُتلَ مَن كان معه مِن وُلْده وإخوته وسائر أهْله، وحُملَتْ حُرَمُه و نِساؤه على الأقتاب يُراد بِنا

1- لَكذلك: أي: هو كما اخبرتني بذلك، وأنت صادق في قولك

2- أي: لِمَزيد التاكيد على صِدْقٍ كلامي .. كُنتُ أُقسِمُ بالله تعالى ثلاث مَرّات، وكانَ الإمام (عليه السلام) أيضاً يُقسِمُ بالله سُبحانه ثلاث مَرّات أنّي صادقٌ في قَولي، أو: أنّه يُصدقني على كلامي. المُحقّق

3- هناك إحتمالان في معنى كلمة «النُخب»: الإحتمال الأول: هو صُنْدوقٌ صغير، يُصنَع مِن خَشَب، توضَع فيه الاشياء النَفيسَة أو الثَمينَة، كالمُجَوهَرات والكُتُب المخطوطة الفَريدة. الإحتمال الثاني: هو ما يَختارها الإنسان ويَنْتَخِبُها مِن المَعلومات الثِقافيّة النادِرة الّتي يَعْتَزُّ بِها، ويُوْدِعُها في ذاكِرَته. قال إبنُ مَنظور - في «لسان العرب» -: نَخَبَ: إنتَخَبَ الشّيءَ: إختارَه، مُشتَقٌ مِن النُخْبَة. وجاء في كتاب «لاروس»: نَخَبَ الشيءَ: أخَذَ أحسَنَه. والله العالم. المُحقّق

4- الطفّ: أرض كربلاء

الكوفة (1).

فجَعَلْتُ أنظرُ إليهم صَرعى ولم يُوارَوا ، فعَظُم ذلك في صَدْري، واشتَدّ - لما أرى منهم - قَلَقي، فكادَتْ نَفْسي تَخْرُجُ ، وتَبيّنَتْ ذلك منّي عمّتي زينب الكبرى بنت علي (عليه السلام) فقالتْ: مالي أراكَ تَجودُ بنفسِك يا بقيّة جَدّي وأبي وإخوتي؟؟!

فقلتُ: وكيفَ لا أجزَع وأهلَع؟ وقد ارى سيّدي وإخوتي وعُمومتَي ووُلْدَ عمّي، وأهْلي مُصرَّعين بدمائهم (2) مُرَمَّلين بالعراء، مُسَلّبين، لايُكفّنون ولا يُوارَوْن، ولا يُعَرّج عليهم أحَد، ولا يَقرَبُهم بَشَر، كأنّهم أهل بيتٍ مِن الدَيلَم والخَزر؟؟ (3)

1- لقد ذكرنا - فيما مَضى - أنّ الأقتاب - جَمْعُ قَتَب -: وهي مجموعة مِن الاقمشة السَميكة المُخَيّطة بعضُها فوقَ بعض، لكي تُوضَعَ على سَنام الإبل وتُشَدّ وتُثَبّت هناك، وذلك لراحة الراكِب. ويُعَبَّر عنه ب- «الإكاف». المُحقّق

2- لعلّ الصحيح: مُضرّجين بدمائهم. المُحقّق

3- الدَيلَم والخَزَر: أهالي مُقاطعة «مازَندران» و«كيلان» في إيران، كانوا يُحاربونَهم ويأسِرونَ رِجالَهم ونِساءَهم، ويأتونَ بهم إلى الشام، ويَتَعامَلون مَعَهم تعامُل العَبيد والإماء، فيَبيعونَهم. المُحقّق

فقـالت: لاـ يُجْزعنّـك ما تَرى، فوالله إنّ ذلك لَعَهْـد مِن رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) إلى جَـدّك [أمير المؤمنين] وأبيك وعمّك [الإمام الحسن].

ولقـد أخَـذَ اللهُ الميثاقَ، أُناسٌ مِن هـذه الأُمّـة – لا تَعرفُهم فَراعِنةُ هذه الأُمّة (1)، وهم معَروفون في أهل السـماوات – أنّهم يَجمعون هـذه الاعضاء المُتفرّقة وهذه الجُسوم المُضَرّجة فيُوارونَها.

ويَنْصِبُون لهذا الطفّ عَلَماً لِقَبْر أبيك سيّد الشهداء، لا يُدْرَس أَثَرُهُ (2) ولا يَعْفُو رَسْمُه على كرور الليالي والأيّام. (3)

ولَيَجْتَهدَنّ أئمّةُ الكُفر وأشياعُ الضَلالة في مَحْوه وتَطْميسه فلا يَزداد أثَرُه إلّا ظهوراً، وأمْرُهُ إلّا عُلُوّاً. (4)

فقلتُ: وما هذا العَهْد وما هذا الخَبَر؟؟

فقالتْ: نَعَمْ، حَدَثَتْني أُمُّ أيمن أنّ رسول الله (صلّى الله

1- وفي نسخة: فَراعِنَةُ هذه الأرض

2- لا يُدرسُ أثَرُه: أي: لا يُعْفا ولا يُمْحى أثَرُه. كما يُستفاد مِن «المعْجَم الوَسيط». المُحقّق

3- كرور الليالي والأيّام: مُرور ومُضِيّ الليالي والأيّام. المُحقّق

4- تَطميسه: مَحْوِه وإزالَتِه

عليه وآله وسلّم) زارَ مَنزلَ فاطمة (عليها السلام) في يومٍ مِن الأيام، فعَمِلَتْ له حَريرة (1)، وأتاهُ علي (عليه السلام) بطَبَقٍ فيه تَمْر.

ثمّ قالتْ أُمّ أيمن: فاتيتُهم بعُسٍ فيه لَبَن وزُبْد (2) فأكلَ رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين مِن تلك الحريرة، وشَربَ رسول الله وشَربوا مِن ذلك اللّبَن، ثم أكلَ وأكلوا مِن ذلك التمْر والزُبْد. ثمّ غَسَل رسولُ الله يَدَه، وعلىٌ يَصُبَ عليه الماء.

فلمّا فَرِغَ من غَسْل يده مسَحَ وجهَه، ثمّ نظَرَ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نَظَراً عرفْنا به السّرورَ في وَجْهه، ثمّ رَمَقَ بِطَرفه نَحو السماء مَليّاً (3) ثمّ إنّه وَجّه وَجهَه نحو القِبْلة، وبَسَط يديه ودعا، ثمّ خَرَّ ساجداً وهو يَنْشَج (4) فأطالَ النَشيج، وعَلا نَحيبُه وجَرَتْ دموعُه.

ثمّ رَفعَ رأسَه، وأطْرَقَ إلى الأرض ودموعُه تَقْطرُ كانّها

1- الحَريرة: دَقيق «طحين» يُطبَخُ بِلَبَن. كما في كتاب «مَجمع البحرين» للطريحي

2- العُسّ - بِضَمّ العَين، وتَشْديد السين -: القَدح الكبير. كتاب «العَين» للخليل. الزُبْدُ: ما خَلُصَ مِن اللّبَن إذا مُخِضْ .. يَشّ بَه الدُهْن. «لسان العرب»

3- مَلِيّاً: مُدّةً طويلةً من الزمن. كما يُستفاد مِن كُتُب اللُغة. المُحقّق

4- يَنْشَجُ: يَتَرَدّدُ البُكاء في صَدْره .. دون صوتٍ عالٍ

صَوبُ المطَر (1)، فحَزنَتْ فاطمـة وعليٌّ والحسنُ والحسـين (عليهم السـلام) وحَزَنْتُ معَهم، لِما رأينا مِن رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسلّم) وهِبْناه أنْ نَسأله (2).

حتّى إذا طالَ ذلك، قال له على وقالتْ له فاطمة: ما يُبكيك يارسول الله؟ لا أبكى اللهُ عينَيك! فقد أقرَحَ قلوبَنا ما نرى مِن حالك.

فقال: يا أخي سُرِرْتُ بكم (3) وإني لأنظرُ إليكم وأحمَدُ الله علىَّ نعمته علي فيكم، إذ هَبَطَ عليَّ جبرئيل فقال:

يا محمّد! إنّ الله - تبارك وتعالى - إطّلع على ما في نفْسك، وعرفَ سُرورَك بأخيك وابنتك وسبْطيك، فأكملَ لك النعمة وهَنّاكَ العَطيّة: بأنْ جعَلَهم وذُريّاتهم ومُحبّيهم وشيعتهَم مَعك في الجنّة، لايُفرّق بينَك وبينَهم، يُحْبَوْنَ كما تُحْبى (4)، ويُعطَوْنَ كما تُعطى، حتّى تَرضى وفوقَ الرضا.

1- صَوْبُ المَطر: إنصِباب المطر الغَزير. المعْجَم الوَسيط

2- هِبْناه: أخَذَتْنا هَيْبَتُه مِن أنْ نَسْأله عن سَبَب بُكائه

3- وفي نسخة: فقال: يا حبيبَيَّ إنّي سُررتُ بكم سروراً ما سررتُ مِثْلَه قطّ

4- يُحْبَونَ كما تُحْبى: أي يُعْطوْن كما تُعْطى، يُقال: حَبَا الرجلَ حَبْواً: أعطاه؛ مأخوذٌ مِن الحَبْوَة: وهي العَطِيّة الهَنيئة .. بِلا مَنْ أو تَوَقُّع جَزاء. كما يُسْتَفاد مِن «القاموس» و «لسان العَرَب». المُحقّق

على بَلوى كثيرة تَنالُهم في الـدنيا، ومَكاره تُصـيبُهُم بأيـدي أناسٍ يَنْتَحِلُون مِلّتَك، ويَزعُمُون أنّهم مِن أمّتك، بُرآء مِن الله ومِنْك، خَبْطاً خَبْطاً (1) وقَتْلاً قَتْلاً، شَتّى مَصارعُهم (2) نائية قبورُهم، خِيرةٌ مِن الله لَهم ولك فيهم، فاحْمَد اللهَ - عزّوجلّ - على خِيرته، وإرضَ بقَضائه.

فحَمِدتُ اللهَ، ورَضيتُ بِقَضائه بما اختارَهُ لكم.

ثمّ قال لي جبرئيل: يا محمّد! إنَّ اخاك مُضْطهَدٌ بعدَك، مَغلوبٌ على أُمّتك، مَتْعوبٌ مِن أعدائك، ثمّ مَقتولٌ بعدَك، يَقتله أشَرُّ الخَلْق والخَليقة، وأشـقى البرَيّـة، يكون نَظيرَ عاقِرَ الناقة (3) ببَلَـد تكون إليه هِجْرَته، وهو مغْرَسُ شـيعته وشـيعة ولْـده، وفيه - على كـلِّ حال - يَكثُر بَلْواهم، ويَعظُم مُصابُهم.

1- خَبْطاً خَبْطاً: أي ضَرْباً ضَرْباً، أو كسْراً كسْراً، والخَبْط: شِدّة الوَطء بأيدي الدَوابّ. كتاب «العَين» للخليل بن أحمد. وقالَ ابنُ دُريد في «جَمْهرة اللغة»: كلَّ شيءٍ ضَرَبْتَهُ بِيَدك فقد خَبَطتَه. المُحقّق

2- شَتّى مَصارعُهم: مُتَفَرّقة أو مُتباعِدةً قُبورُهم. وقيل: المَصارع - جَمْع مَصْرَع -: هو المكان الّذي يَقَعُ فيه المَقتول

3- أي: عاقِرَ (أي: قاتِل) ناقة النبيّ صالح، وإسـمه «قدار»، ويُعبّر عنه ب- «أشـقى الأوّلين» أي: أشـقى البَشر الّذينَ كانوا قبْلَ الإسلام. قال تعالى: «وإذ انبَعَثَ أشْقاها، فقال لَهُمْ رَسولُ الله: ناقةَ الله وسُقْياها، فكذّبوه فَعَقَروها ... .» (سورة الشمس، الآية 12 - 14)

وإنّ سبطك هذا – وأوما بيده إلى الحسين (1) ـ مقتولٌ في عصابَة مِن ذُريّتك وأهل بيتك، وأخيارٍ مِن أمّتك، بضِفّة الفرات (2) بأرضٍ يُقالُ لها: كربلاء. مِن أجْلها يَكثُر الكربُ والبلاء على أعدائك وأعداء ذُريّتك في اليوم الذي لا يَنقضي كَربُه، ولا تُفنى حَسْرتُه.

وهي أطيَبُ بِقاعِ الأرض وأعظمُها حُرْمةً، يُقتَلُ فيها سبطُك وأهلُه، وإنّها مِن بَطْحاء الجَنّة.

فإذا كان ذلك اليومُ الذي يُقتَلُ فيه سِبطُك وأهلُه، وأحاطَتْ به كتائبُ أهل الكفر واللَعنة، تَزَعْزعت الأرض مِن أقطارها، ومادَت الجبالُ وكثُرَ إضطرابُها، واصطَفَقَت البحارُ بأمواجها، وماجَت السماواتُ بأهلها، غَضَباً لك – يا مُحمّد – ولذُرّيتِك، واستِعْظاماً لِما يُنتَهَكُ مِن حُرْمتك، ولشَرّ ماتُكافَأ به في ذُريّتك وعِتْرتك.

ولا يَبقى شيء مِن ذلك إلّا استأذَنَ اللهَ – عزّوجلّ – فى نُصْرة أهلك المُستَضعَفين المظلومين الّذين هُم حُجّة الله على خَلْقه بَعْدك.

فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومَن

1– أوْمَأ بِيَده: أشارَ بِيَده

2– الضِفّة: جانب النهر أو شاطئه. الفُرات: نَهر مَعروف في العراق

فيهنّ:

«إنّي أنا الله المَلِك القادر، الذي لا يَفوتُه هارب، ولا يُعْجزُه مُمتَنع، وأنا أقدر فيه على الإنتصار والإنتقام.

وعِزّتي وجَلالـي!! لأُعـذّبَن مَن وَتَرَ رسولي وصَفيّي، وانتَهَك حُرْمتَه، وقَتَلَ عِتْرته، ونَبَذَ عهْده، وظَلمَ أهلَ بيته عـذاباً لا أُعـذّبُه أحَداً مِن العالَمين».

فعند ذلك يَضِجُ كلُّ شيء في السماوات والأرضين، بِلَعْنِ (1) مَن ظَلَم عِترتَك، واستَحَلّ حُرْمَتَك.

فإذا بَرَزَتْ تلك العصابةُ إلى مَضاجعها (2) تَوَلّى الله – عزّوجلّ – قَبْضَ أرواحها بيَده، وهبَطَ إلى الأرض ملائكةٌ مِن السماء السابعة، مَعَهم آنيـة مِن اليـاقوت والزُمرّد، مَملوءَة مِن مـاء الحيـاة، وحُلَل مِن حُلَل الجَنّة، وطِيب مِن طِيب الجنّة، فغَسَّلوا جُثَثَهم بـذلك الماء، والبَسُوها الحُلَل، وحَنّطوها بذلك الطِيب، وصَلَّت الملائكةُ – صَفّاً صَفّاً – عليهم.

ثمّ يَبعثُ الله قوماً مِن أُمّتك لا يَعرفهم الكفّار، لم يشركوا في تلك الدماء بِقَولٍ ولا فِعْلٍ ولانيّة (3)، فيُوارون أجسامَهم،

1- وفي نسخة: يَلعَن

2- مَضاجِعها – هُنا – مَصارعِها، أي: أماكن سُقوط القَتيل على الأرض. المُحقّق

3- لعلّ الصحيح: لم يَشتركوا في تلك الدماء. المُحقّق

ويُقيمون رَسْماً لِقَبْر سيّد الشهداء بتلك البَطْحاء، يكون عَلَماً لأهل الحقّ، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتَحُفّه ملائكةُ مِن كلّ سماء: مائة ألف مَلَك في كلّ يوم وليلة ويُصلّون عليه، ويَطوفونَ عليه، ويُسبّحونَ اللهَ عنده، يَستغفرون اللهَ لمن زارَه، ويَكتُبونَ أسماءَ مَن يأتيه زائراً مِن أُمّتك، مُتقرّباً إلى الله – تعالى – وإليك بذلك، وأسماءَ آبائهم وعشائرهم وبُلْدانهم ويوسِمُون في وجوههم بمِيْسَمِ (1) نور عرش الله: «هذا زائر قبر خيرِ الشهداء وابنِ خيرِ الأنبياء».

فإذا كان يومُ القيامة سَطَعَ في وجوههم – مِن أثر ذلك الميسم – نورٌ تغشى منه الأبصار، يُدلّ عليهم ويُعرَفون به.

وكأنّي بك – يا مُحمّد – بيني وبين ميكائيل، وعليٌ أمامَنا، ومَعَنا مِن ملائكة الله ما لا يُحصى عَدَدهم، ونحن نَلتَقِطُ – مَن ذلك الميسم في وَجْهه – مِن بين الخلائق، حتّى يُنجيهم الله مِن هَول ذلك اليوم وشَدائده.

وذلك حُكمُ الله وعَطاؤه لِمَنْ زارَ قَبْرَكَ – يا محمّد – أو قبرَ أخيك أو قبرَ سبطيك، لا يُريد به غيرَ الله عزّوجلّ.

1– المِيْسَم: حَديدةٌ تُحمى بالنار، ثمّ توضَع على جِسْم الحيوان فَتَكويه، لِتكون عَلامةً لها، لِفَرْزها عن حيوانات القَطيع الآخَر، والجَمْعُ: مَياسِم ومَواسِم. ويُقال – أيضاً – لكلّ جهازٍ يُستَعمَل لِوَضع علامَة فارقة لِفَرْز شيء عن شيء. المُحقّق

وسَيَجْتهدُ أُناسٌ – مِمَن حَقّتْ عليهم اللعنة مِن الله والسَخَط – أن يُعفُوا رَسْمَ ذلك القبر، ويُمحُوا أثَرَه، فلا يَجعلُ اللهُ – تبارك وتعالى – لَهُم إلى ذلك سبيلاً.

ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فهذا أبكاني وأحزَنَني.

قالت زينب: فلمّا ضَربَ إبنُ ملجم (لعنَه الله) أبي (عليه السلام) ورأيتُ عليه أثَرَ الموت منه، قلتُ له: يا أبَه حَدّثَتْني أُمّ أيمن بكذا وكذا، وقد أحبَبْتُ أن أسمَعَهُ مِنْك.

فقال: يا بُنيّه الحديث كما حدَّثَتْكِ أُمّ أيمن، وكأنّي بكِ وبنساء أهلِكِ سَبايا بهذا البَلَد، أذلّاء خاشعين، تَخافون أن يَتخطَّفكم الناس.

فَصَبْراً صَبْراً، فوالّذي فَلَقَ الحَبّة وبَرَأ النسمة، ما لِلّه على ظهرْ الأرض – يومئذٍ – وليٌّ غيركم وغير مُحبّيكم وشيعتكم.

ولقد قال لنا رسول الله – حين أخبَرَنا بهذا الخَبَر –: «إنّ إبليس (لعنَه الله) في ذلك اليوم يَطير فَرَحاً (1) فَيَجُولُ الأرضَ كلَّها بشياطينه وعَفاريته فيقول: يا مَعاشِر الشياطين: قد أدركْنا مِن ذُريّة آدم الطلبة، وبَلغْنا في هَلاكهم الغاية، وأورَثْناهم النارَ إلّا مَن اعتَصَمَ بهذه العِصابة، فاجعَلوا شُغْلَكم بِتَشْكيك الناس

1– ذلك اليوم: يوم قَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يوم 10/ محرّم مِن سنة 61 للهجرة، المشهور ب– «يوم عاشوراء»

فيهم وحَمْلِهم على عَداوَتِهم، وإغرائهم بهم واوليائهم، حتّى تَسْتَحكموا ضَلالة الخَلْق وكُفرهم، ولا يَنجو منهم ناج.

ولقد صَدَقَ عليهم إبليسُ – وهو كذوب – أنه لا يَنفَعُ مَعَ عداوتكم عملٌ صالح، ولا يَضُرُّ مَعَ مَحبّتكم ومُوالاتكم ذَنبٌ غير الكبائر.

قال زائدة: ثمّ قال عليّ بن الحسين (عليه السلام) بعد أنْ حَدّثني بهذا الحديث: خُذْهُ إليك، ما لو (1) ضَربْتَ في طَلَبه آباط الإبل حَوْلاً (2) لَكان قليلاً (3).

1- وفي نسخة: أما لو

2- حَولاً: الحَوْل السّنّة. كان البَشَر – في الزَمَن الماضي، وقبل صُنْع: وسائل النَقْل الحديثة كالسّيارات والقطارات والطائرات – يَستعمل الدَوابّ للإنتقال من مكان إلى مكان وللسفر من بَلَد إلى بَلَد، وخاصةً الإبل.. حيث كانت وسيلةَ نَقْلٍ جيّدة لِقَطْع المسافات الصحراوية، لأنّ قُدرتها على تحمّل العطش والجوع أكثر من الدَوابّ الأُخرى، وحينما يَركب الإنسان على ظَهْر الإبل (البعير) تُحاذي قَدَمُه إبطَ الإبل، فإذا ابطات في السّير يَضربُ الراكبَ – احياناً – بقَدَمه على إبط الإبل وبطنها لكي تُسرع في المشي، وبذلك يَقطَع مسافةً أطولَ في مدّةٍ أقصَر. فالضَرب على إبط الإبل: هو كناية عن السفر من بلد إلى بلد، وتحمّل الجوع والعطش والحَرَ والبَرْد، مِن أجل الوصول إلى الهَدَف وهو البلد الآخر. المُحقّق

3- كامل الزيارات، لابن قولويه المتوفّى سنة 367ه-، ص 260 – 266، باب 88، ونقَلَه عنه الشيخُ المجلسي في كتاب بحار الانوار ج 28، باب 2، ص 55 – 61

3 – مُتَفَرِّقات

1 – روى الشيخ الطوسي باسناده عن السيّدة زينب بنت علي – عليهما السلام – قالت:

صلّى أبي مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) صلاةَ الفَجْر، ثمّ أقبَلَ على علي (عليه السلام) فقال : هل عندكم طعامٌ؟

فقال: لم آكل مُنذُ ثلاثة أيّام طعاماً.

فقال رسولُ الله: إمضِ بِنا إلى إبنتي فاطمة.

فدخَلا عليها وهي تَتَلوّى مِن الجوع! وإبناها مَعَها. فقال رسولُ الله: يا فاطمة! فِداكِ أبوكِ، هل عندكِ شيءٌ مّن الطعام.

فاستَحْيَتْ فاطمة أنْ تَقول لا. وقامتْ واستَقبَلت القِبلة لِتُصلّي ركعتين. فاحسّتْ بحَسيس، فالتفَتَتْ

ص: 577

وإذا بصَفحة مَلأى ثَريداً ولَحْماً، فأتتْ بها ووَضعتْها بين يَدَي أبيها، فدَعى رسولُ الله بعليّ والحسن والحسين.

ونَظر عليّ إلى فاطمة مُتعجّباً وقال: يا بنتَ رسول الله! أنّى لكِ هذا؟

فقالت: هو مِن عند الله، إنّ الله يَرزُقُ مَن يَشاء بغَير حِساب .

فضَحِك النبيُّ وقال: الحَمْدُ لله الّذي جَعَلَ في أهلي نَظيرَ زكريّا ومريم، إذ قال لها : أنّى لكِ هذا؟ قالت: هو مِن عند الله، إنّ الله يَرزق مَن يَشاء بغير حِساب... . (1)

2 – وجاءَ في التاريخ: أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) كانتْ جالسةً ذاتَ يوم، وعندَها أخَواها الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) وهما يَتَحدَّثان في بعض أحاديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم). فقالت السيّدة زينب سَمِعْتُكُما تَقولان: إنّ رسول الله قال: «الحَلالُ بَيّن، والحرامُ بَيّن، وشُبُهاتٌ لا يَعْلَمُها كثيرٌ مِن الناس».

ثمّ استمرّت السّيدةُ زينب تُكمِلُ الحديث وتَقول: «مَن تَركها (أي: تَركَ الشُبُهات) صَلُحَ لَهُ أمْرُ دِينِهِ وصَلُحَتْ لَهُ مُرُوءَتَه وعِرْضُه، ومَن تَلَبّسَ بِها ووَقَعَ فيها واتّبَعَها ..

1- الثاقب في المناقب، ص 221 – 222 و 295

كـانَ كمَنْ رَعَى غَنَمَهُ قُرْب الحِمى (1) ومَن رَعى ماشِيَتَه قُرْبَ الحِمى نـازَعَتْهُ نَفْسُهُ أنْ يُرْعاهـا في الحِمى، ألا: وإنّ لكلِّ مَلِكٍ حِمى، وإنّ حِمى الله مَحارِمُه». (2)

ص: 579

1- الحِمى: موضعٌ فيه كَلأٌ يُحمى مِن الناس مِن أن يَدخل قَطيعُ غَنَمِهم فيه، وهو بِمنزلة السُور.. سواء كان مِن حائط أو شجر. وفي الحديث «ومَنْ حامَ حولَ الحِمى أُوشك أن يَقع فيها». كما يُستفاد مِن كتاب «العَين» للخليل. المُحقّق

2- يُعَبّر عن المَكان القَريب لِدار مَلِك أو رئيس، أو لِمَنطقةٍ مَخْطورَة بكلمة «حِمى»، وفي عالَم اليوم .. نَجِدُ أنّ إدارة البَلَديّة تَجعَل سِياجَاً أو حِزاماً أحمر حول المَناطق المَخْطورة، كالأراضـي المَزْروعَة بالألغام أو المُتفجِّرات، أو الغابات الّتي تَتَواجَدُ فيها الحيوانات المُفْترسَة. وهذا السِياج: هو عَلامة تَعْني: أيّها الإنسان! لا تَدخُلْ هذه المَنطقة، بلْ لا تَقْتربْ مِنْها، فإنّ اللازمَ عليك أنْ تَبتَعِدَ عن المكان القريب مِن المنطقة المَخْطورة، إذْ مِن المُمْكن أن يكونَ المكـانُ القَريب مِنْهـا مَزْروعاً - أيضاً - بالألغام مَثَلاً. مِن هُنا .. فقـد جَعَلَ الله تعالى حول المعاصـي والمحرّمـات حِمّى وحَظراً دِينيّاً كي يُساعِدَ الإنسان على الوقايـة مِن التَلَوّث بالـذنوب وعـدم الإقتراب من أجواء الحرام. ومنها الإبتعاد عن الشُبُهات، أي: الأُمور أو الأطعمـة او الأعمـال الّتي لا يُعلَم - بالضـبط - هل هي حَرامٌ أو حلال؟ فإذا لم يُراعِ الإنسانُ الإحتياط اللازم، فَسَوف يكون مِن السَهْل عليه إرتكابُ المُحَرّمات، لأنّ مِن آثار الشُبهات: هو حصول الجُرأة على الحرام. وقد رُويَ عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السـلام) ما مَضمونُه: لا تُفكّرْ في الحَرام، فإن ذلك - يَجُرّك إلى التخطيط لإرتكابه، وإذا بَدأتَ بالتفكير فسَوفَ تُفكّر في لَذة الحرام، وتَغْفَل عن العقوبات والمُضاعَفات الناتجـة عن ذلك. ونَقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: «ولا تقربوا الزنا...» وهـذا يَعني وَضْع «حِمى» حولَ هذه الجريمة، ويوضِّحُ هذا الحِمى قولُ الشاعر: نَظرةٌ فابتسامَةٌ فَسَلامُ *** فكلامٌ فمَوْعِدٌ فلِقاءُ

3 - ثمّ رَوَتْ السـيّدة زينب (عليها السـلام) حَديثاً آخَر عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقالت: «ألا: وإنّ في الجَسَد مُضْغَة (1) إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَد كُلّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلّه، ألا: وهي القَلْب. (2)

ثمّ قالت السيّدة: أما سَمِعْتُما رسولَ الله (صلّى الله عليه

1- المُضغَةُ: قِطعةُ لحْم، وقَلْبُ الإنسانِ مُضْغَةٌ مِن جَسَده. كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

2- وهي القلب: لَعَلّهُ كناية عن مَحلّ إصدار الأوامر في المُخ، حيثُ جاءَ التَعبير عن الفِكْر والمُخ بالقَلْب في كثيرٍ مِن الروايات. المُحقّق

وآله وسلّم) الّذي تادّبَ بأدَبِ الله (عزّوجلّ) - ويقول: «أدّبَني رَبّي فأحسَنَ تأديبي - يَقول: «الحَلالُ: ما أحَلَهُ الله (عزّوجلّ) في القرآن الكريم وبَيّنَه رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مِثْل: البيع والشراء، وإقام الصلاة في أوقاتها، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البَيت لِمَن استَطاعَ سَبيلا، والأمر بالمَعروف، والنَهي عن المُنكر، وتَرْك الكذب والنِفاق والخِيانة.

والحَرامُ: ما حَرّمه اللهُ (عزّوجلّ) وذكرَهُ في القرآن الكريم وبَيّنَهُ رَسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والحرامُ نَقيضُ الحلال.

وأمّا الشُبُهات: فهي أُمورٌ لا يُعْلَمُ حَلالُها وحَرامُها، والمؤمنُ إذا لم يَعلَم الشيءَ أنّه حَلال أو حَرام، وكانَ يَرْجو سَعادةَ الدنيا والآخرة، فَعَليه أن لا يَتْبَع الشُبُهات فالشُبُهات تَجُرُّه إلى المُحرَّمات».

فقال لها الإمامُ الحسن (عليه السلام): «زادَكِ اللهُ كمالاً، نَعم .. إنّه كما تَقولين، إنّكِ حَقّاً مِن شَجَرة النُبوّة ومِن مَعدِن الرسالة».

4 - ورَوى أحمد بن جعفر بن سليمان الهاشمي، قال: كانت زينبُ بنت علي (عليهما السلام) تَقول: «مَن أرادَ أنْ لا يكونَ الخَلْقُ شُفَعاءَه إلى الله فَلْيَحْمَدْه، ألَم تَسْمَع إلى قَولهم:

«سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِده» فَخِفِ الله .. لِقُدرَتِه عليك، واسْتَحِ مِنْه لِقُربه مِنْك». (1)

5 – ورُوِيَ عن السيّدة زينب (عليها السلام) أنّها قالت: «إنّ جَدّي المُصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) شَرّعَ لَنا حُقوقاً لأزواجِنا كما شَرّعَ على الرجال حُقوقاً مَفْروضة». (2)

6 – ورُوِيَ عنها (عليها السلام) – أيضاً –: يَقول جَدّي الرسول الكريم: «إذا صَلّت المَرأةُ خَمْسَها، وصامَتْ شَهْرَها، وحَفَظتْ فَرْجَها، وأطاعتْ زوجَها، قيلَ لها: أُدخُلي الجَنّة مِن أيِّ أبواب الجنّة شِئْتِ». (3)

7 – روَتْ السيّدةُ فاطمة بنت الإمام الحسين (عليهما السلام) عن عَمّتِها زينب الكبرى (عليها السلام) أنّها قالت: رأيتُ أُمّي فاطمة (عليها السلام) قامَتْ في مِحْرابها ليلةَ جُمُعَتِها، فَلَمْ تَزَل راكعةً ساجِدة، حتّى اتّضَحَ عَمودُ الصُبْح، وسَمِعْتُها تَدْعو للمؤمنين والمؤمنات،

1– كتاب «زينب الكبرى» للشيخ النقدي ص 34، وهو يَنقلُ ذلك عن كتاب «بلاغات النساء» لإبن طيفور

2– كتاب «عَقيلةُ الطُهْر والكرم السيّدة زينب» لموسى محمد علي، وهو يَنقلُ ذلك عن إبن الأنباري

3– نَفْس المصدر

وتُسَمّيهِمْ وتُكْثرُ الدُعاءَ لَهُمْ، ولا تَدْعُو لِنَفْسِها بشيء.

فقالَ لَها أخي الحسين – ذاتَ يوم – يا أُمّاه! لِمَ لا تَدْعينَ لِنَفسِكِ كما تَدْعينَ لِغَيرِكِ؟!

قالتْ: بُنَي! الجارُ ثُمّ الدار. (1)

8 – ورُويَ عن السيّدة زينب (عليها السلام) – أيضاً – أنّها قالت: كان آخرُ عَهْد أبى إلى أخَوَي (عليهما السلام) أنّه قال لهما: يابَنيَّ إذا أنا مِتّ فَغَسّلاني ثمّ نَشّفاني بالبُرْدة الّتي نُشِّفَ بها رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وفاطمة، وحَنّطاني وسَجّياني على سَريري، ثمّ انظرا حتّى إذا ارتفَعَ لَكُما مُقدّمُ السَرير، فاحْمِلا مُؤخّرَه.

قالتْ: فخَرجْتُ أُشَيّعُ جنازة أبي، حتّى إذا كُنّا بظَهْر الكوفة وقَدْمْنا بظَهْر الغَري رُكزَ المُقدّم، فوضعْنا المُؤخّر، ثمّ برزَ الحسن مُرْتَدياً بالبُردة الّتي نُشِّفَ بها رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وفاطمة وأمير المؤمنين (عليهم السلام) ثمّ أخَذ المِعْوَل فَضَرَب ضربَةً فانشَقّ القبر عن ضريح (2)، فإذا هو فإذا هو بساجَةٍ (3) مَكتوبٌ عليها سطران

1– كتاب «رَياحين الشَريعة» للمَحلّاتي، ج 3، ص73. المُحقّق

2– ضريح: لَحْد: أي: قَبْرٍ جاهز

3– ساجَة: قِطعة مِن خَشَبٍ مُعيّن. الساج: نوعٌ مِن الشَجَر، لا تَنْبُتُ إلّا ببلاد الهِنْد، لا تُبْليه الأرض.. حتّى لو بَقِيَ تحتَ التُراب مُدّةٌ طويلة. كما يُستفاد مِن كتاب «مَجْمَع البحرين» للطريحي. المُحقق

بالسريانية: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قَبْرٌ حَفَرَهُ نوحُ النبي لِعلي وَصيّ محمّد قبْلَ الطوفان بِسَبعمائة عام. (1)

9 – ورَوَتْ السـيّدةُ زينب (عليها السلام) – أيضاً – عن أُمّها السيّدة فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنّها قالت: قال رسول الله – لِعليّ عليه السلام – «أما إنّك يا عليُّ وشيعَتُك في الجَنّة». (2)

10 – ورَوى الإمامُ زين العابدين عن عَمّته زينب (عليهما السـلام) عن السـيّدة فاطمة الزهراء (عليها السـلام) أنّها قالتْ: «دَخَلَ عليَّ رسولُ الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) عِندَ ولادة إبْني الحسـين، فناولْتُهُ إيّاه ... ثمّ قال: خُذيه يا فاطمة! فإنّه إمامٌ إبنُ إمام .. أبو الائمَّة التِسْعة، مِن صُلْبِه أئمَةٌ أبْرار، والتاسِعُ قائمُهُم». (3)

1- كتاب «زينب الكبرى» للشيخ جعفر النَقْدي، ص 37

2- كتاب «الخَصائص الزَينبيّة» للسيّد الجزائري، ص 92، وهو يَنْقلُ ذلك عن كتاب «دَلائل الإمامة» للطَبري

3- كتاب «كفاية الأثَر»، ص 193 ـ 194. المُحقّق

11 – وقد نُسِبَ إلى السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) هذه الأبيات الشِعْريّة:

تَمَسّكْ بالكتابِ ومَن تَلاهُ *** فأهْلُ البيتِ هُمْ أهلُ الكِتابِ

بِهِمْ نَزَلَ الكتابُ وهُمْ تَلوهُ *** هُمْ أهلُ الهِدايةِ للصَوابِ

إمامي وَحَّدَ الرحمنَ طفلاً *** وآمنَ قبْلَ تَشْديد الخِطاب

عليٌّ كانَ صِدّيقَ البَرايا *** عليٌّ كانَ فاروقَ العَذابِ

شَفيعي في القيامة عنْد ربّي *** نَبيّي والوَصيّ أبو تُرابِ

وفاطمةُ البَتول وسيّدا مَن *** يُخَلّدُ في الجِنانِ مِن الشَبابِ

على الطفّ السلامُ و ساكنيهِ *** ورَوْحُ الله في تلك القُباب

نُفُوسٌ قُدّسَتْ في الأرض قِدْماً *** وقد خَلُصتْ مِن النطف العذاب (1)

1- وفي نُسخة: وقد خُلِقَتْ مِن النطف العذاب

مَضاجع فِتْيَةٍ عَبَدوا فنامُوا *** هُجوداً في الفَدافِد والشِعاب

عَلَتْهُمْ في مَضاجِعهم كعابٌ *** بأوراقٍ مُنَعّمة رِضاب

وصُيّرتِ القُبورُ لَهُم قُصوراً *** مُناخاً ذات أفنيةٍ رِحاب

لَئنْ وارتُهُمُ أطباقُ أرضٍ *** كما أغْمَدْتَ سَيفاً في قِراب

كأنمارٍ إذا جاسُوا رَواضٍ *** وآسادٍ إذا ركبوا عصاب

لقد كانوا البحار لِمَنْ أتاهُمْ *** مِن العافين والهَلكي العطاب

فقد نُقلوا إلى جَنّات عَدْنٍ *** وقد عيضوا النَعيم مِن العقاب

بَناتُ محمّدٍ أضحَتْ سَبايا *** يُسَقْنَ مع الأُسارى و النهاب

مُغبَّرة الذَيول مُكشّفاتٍ *** كسَبْي الروم دامِية الكِعاب

لَئنْ أُبرزن كُرْها مِن حِجابٍ *** فَهُنّ مِن التعَفّف في حِجاب

أيُبخَلُ بالفُرات على حسينٍ *** وقد أضحى مُباحاً للكلابِ

فَلي قلْبٌ عليه ذو التِهابٍ *** ولي جَفْنٌ عليه ذو انسكاب (1)

12 - ونَخْتِمُ هـذا الفَصل بهـذه المَقطوعـة التاريخيّة المُهمّة: لقد رُويَ عن السـيّدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد (عليهما السـلام) أنّها قالتْ: إنّ الحسـين بن علي (عليه السلام) أوصى إلى أُختِه زينبَ بنت علي (عليهما السلام) في الظاهر، وكانَ ما يَخرجُ مِن علي بن الحسين مِن عِلْمٍ يُنْسَبُ إلى زينب سِتْراً على علي بن الحسين (عليهما السلام). (2)

1- كتاب «المُنْتَخَب» للطريحي، ج 2، ص 454، المجلس العاشر. وكتاب «أدَبُ الحسين وحماسته» للصابري الهمداني، ص 181، نَقلاً عن التحفة الناصريّة. المُحقّق

2- كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي، ص 138. المُحقّق

الفَصل العشرون

إشارة

* تاريخ وفاة السيّدة زينب عليها السلام

* مَرْقَد السيّدة زينب الكُبرى عليها السلام

ص: 589

تاريخ وفاة السيّدة زينب عليها السلام

إنّ المَشـهور أنّ وفاة السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) كانَ في يوم الأحَد مساء الخامس عشر مِن شهر رجب (1)، مِن سنة 62 للهجرة. (2)

وهناك أقوال أُخرى – غير مشهورة – في تحديد يوم وسنة وفاتها.

ولقد أهمَلَ التاريخُ ذكرَ سَبَب وفاتها!

فهَلْ ماتتْ مِيتةً طبيعيةً، وبسَبَبِ المُعاناة مِن تَراكُم المصائب الّتي تَوالتْ على قَلْبِها الصَبور.

أمْ أنّها قُتِلَتْ بسَبَب السُمّ الّذي قد يكون دُسّ

1- وهناك قَولٌ: بأنّها توفَيتْ مساء يوم الرابع عشَر مِن رَجَب. المُحقّق

2- كتاب «أخبار الزَينَبات» للعُبيدلي، ص 122

إليها مِن قِبَل الطاغية يزيد، حيث لا يَبعُد أنْ يكونَ قد تمَّ ذلك، بِسِريّةٍ تامّة، خَفيَتْ عن الناس وعن التاريخ.

وعلى كلّ حال، فقد لَحِقَتْ هذه السيّدة العظيمة بالرَفيق الأعلى، وارتاحَتْ مِن تَوالي مَصائب ونَوائب الدَهر الخَؤون.

لقد فارقَتْ هذه الحياة بَعْدَ انْ سَجَلَتْ إسمَها - بأحْرُفٍ مِن نور - في سِجِلّ سيّدات النساء الخالِدات، فصارت ثانيةَ أعظم سَيّدة مِن سيّدات البَشَر، حيث إنّ أُمّها السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي: أُولى اعظم سيّدة مِن النساء، كما صَرّحَ بذلك أبوها رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حيث قال: «وأمّا ابنَتي فاطمة .. فهيَ سيّدة نِساء العالَمين، مِن الأوّلين والآخِرين». (1)

1- كتاب «أمالي الصَدوق» طبْع بيروت - لبنان، مَنشورات مُؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ص 394، المجلس الثالث والسبعون، حديث 18، ورُويَ ذلك ايضاً في كتاب «مَعاني الأخبار» للصدوق، ص 107، وكتاب «عِلَل الشرائع» للشيخ الصدوق - أيضاً - وكتاب «الإختصاص» للشيخ المفيد، طبْع ايران، ص 37 و ص 91. كتاب «المُسْتَدْرك على الصحيحَيْن» للحافظ الحاكم النيسابوري، طبْع بيروت - لبنان، مَنشورات دار المَعرفة، ج 3 ص 156

ويُقيمُ المسلمون الشيعة وغيرُهُم مَجالسَ العَزاء والمَآتِم، في كلِّ سَنَة، حينَما تَمُرُّ عليهم هذه الذكرى الاليمة، ويَتَحدّث الخُطباءُ والشُعَراء في تلك المَجالس والمآتم عن الجَوانب المُخْتلِفة لِحياة هذه السيّدة العظيمة، وعن فُصول حياتِها المُزدَحَمة بالفضائل والمَكْرُمات، والمَقْرونة بالمصائب والنَوائب.

وقد جاءَ في التاريخ: أنّه بَعْدَ مُرورِ عامٍ على وَفاتِها، وفي نَفْس اليوم الّذي تُوفّيتْ فيه السيّدةُ زينبُ (عليها السلام) إجتَمَعَ أهلُ مِصْر.. جَميعاً، وفيهم الفُقَهاء وقُرّاء القرآن وغيرُهم، وأقاموا لَها مَجْلِساً تَأبينيّاً عَظيماً بإسم ذِكْرى وفاتها على ما جَرتْ به العادة - مِن إقامة مَجلس العَزاء والتأبين بَعْدَ مُرور عام على وفاة المَيّت - ومِن ذلك الحِين لم يَنْقَطع إحياءُ هذه الذِكرى إلى عَصْرنا هذا، وإلى ماشاءَ الله، ويُعَبّر عن مَوسم إحياء هذه الذكرى - في مِصْر - ب- «المَوْلِد الزَينَبي» وهو يَبْتَدأُ مِن أوّلِ شهر رَجَب .. مِن كلِّ سنة، ويَنتَهي ليلةَ النِصْف مِنْه، وتُحْيى هذه الليالي بِتِلاوة آيات القرآن الحكيم، وقِراءة مَدائح أهل البيت النَبَوي، والّتي يُعَبّرون عنها ب- «التَواشيح».

ويكونُ المجلس عَظيماً جِداً حيث يَشْتَرك فيه أهلُ مدينة القاهِرة، والمُدُن المِصْرِيّة الأخرى.. حتّى البَعيدة مِنْها، ثمَّ يَدخلون إلى مَرْقَدِها الشريف، للسَلام عليها، وقِراءة سورة الفاتحة على روحها الزكيّة الطاهِرة. (1)

1- كتاب زينب الكُبرى، للشيخ جعفر النَقْدي، وقد نَقَلْنا ذلك بِتَصرّف مِنّا في بعض الكلمات. المُحقّق

مَرقد السيّدة زينب الكبرى

مَرقد السيّدة زينب الكبرى

إختَلفت الأقوال في مَدْفَن السـيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) ومَحَلِّ قَبرها، إختلافاً عجيباً. ونحن نَستَعرض تلك الأقوال، ثمّ نَقوم بتسليط الأضواء عليها، كمحاولة لِمَعرفة القول الصحيح:

القول الأول: أنّها توفَيتْ في المَدينة المنوَّرة، ودُفنتْ هناك.

القول الثاني: أنّها دُفنتْ في ضواحي مدينة دمشق في الشام.

القول الثالث: أنّها هاجَرَتْ إلى بلاد مصر، وعاشَتْ هناك حوالي سنة واحدة، ثمّ توفّيتْ ودُفنتْ في مدينة القاهرة.

وقبلَ أَنْ نَضَع هذه الأقوال الثلاثة على طاولة التَشْريح والمُناقَشة نَقول:

أليسَ مِن أعجَب الأعاجيب أنْ يَخْتَلِفَ المُؤرّخون في تاريخ وفاة السيّدة زينب الكُبرى ومَكان دَفْنِها، مَعَ الإنْتِباه إلى أنّها ثانية سيّدة في أهل البيت النَبَوي المُكرّم؟!

ففي ضاحية دمشق.. يوجَدُ مَشْهَدُ مُشَيّد، يَقصُدُه الناسُ مِن شَتّى البلاد، ويُنسَب إلى السيّدة زينب عليها السلام.

وفي القاهرة – أيضاً – مَشْهَدٌ عظيم يَرْتاده المِصْريّون وغيرُهم، وهو يُنسَب إلى السيّدة زينب.

أجل ..

ولكن.. قد يَزولُ هذا التَعَجُّب، بَعْدَما عَلِمْنا بالظُلْم الشامِل والمُسْتَمرّ الّذي ظلَمَه التاريخُ لآل رسول الله الطاهِرين.. رجالاً ونساءً! حيث إنّ أكثر الكُتُب التاريخيَّة – المَوجودة حاليّاً – مَكتُوبَةٌ بأقلام مُعادِية لآل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ويَزولُ التَعجُّبُ – أيضاً – عند ما نَعْلَم بِمُحاربة أكثر الحكومات للكُتُب والمُؤلَّفات الّتي كانتْ تَتَحدّثُ عن أهل البيت (عليهم السلام).

مُحارَبَتِها للكُتُب عن طريق الإحراق والإتلاف والإبادة، ثمّ مُحاربتَها عن طريق عدم السّماح بِطبْعِها أو نَشْرها أوْ دخولها في البِلاد الإسلاميّة!!

ص: 596

دراسة القول الأول

لقد كان القولُ الأوّل: أنّها توفّيتْ في المدينة المنوّرة فَدُفنتْ هناك.

ودليلُ هذا القول: هو أنّه ثَبَت – تاريخيّاً – أنّ السيّدة زينب وَصَلَتْ إلى المدينة ودَخَلَتْ إليها، ولم يَثْبُت خُروجُها مِن المدينة.

ونحنُ – في مَجال توضيح هذا القول الأوّل – نَذكُرُ كلامَ المَرحوم السيّد محسن الأمين ثمّ نُعلّق عليه بَعْدَ ذلك.

كلام السيّد الأمين

قال السيّد محسن الأمين العاملي ما يَلي:

يَجبُ أنْ يكون قبرها في المدينة المنوَّرة، فإنّه لم يَثْبُتْ أنّها – بعد رجوعها للمدينة – خَرجتْ منها، وإن كان (1) تاريخُ وَفاتها ومَحَلّ قبرها بالبقيع [مجهولاً]، وكم مِن أهل البيت أمثالها مَن جُهِلَ مَحَلُّ قبره وتاريخ وفاته، خصوصاً النساء. (2)

1- وإن كان: أي حتّى لو كانَ تاريخ وفاتها ومحل قبرها مَجهولاً

2- موسوعة اعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين، الطبعة الحديثة عام 1403ه-، ج 7 ص 140

تَعْليق على كلام السيّد الأمين

رَغم أنّنا نُقدّر للسيّد الأمين مَكانَته العِلْميّة ومؤلّفاته القيّمة، ولكنّنا نَقول:

إنّ التحقيق في القَضايا التاريخيّة عامٌ للجميع، وليسَ وقْفاً على إنسانٍ مُعيّن، فإذا كانَ السيّدُ الأمين يقول بحُجّيّة الظنّ حتّى في المسائل التاريخيّة، فليستْ هذه المَزيّة خاصّة به، بل يَجوز لغيره – أيضاً – أنْ يُبْدي رأيَه، وخاصّةً بَعْدَ الإنتباه إلى «حُريّة الرأي» المَسْمُوح بها في هذه الأُمور والمَواضيع!

وعلى هذا الأساس.. فَنَحنُ نُناقِشُهُ في رأيه ونَظَريَّته، ونَقول:

أوّلاً:

إنّه لا يوجَد في المدينة المُنوّرة – وفي مَقبرة البقيع بصورة خاصّة – قبرٌ للسيّدة زينب عليها السلام.

فكيفَ يُمكن أنْ يَكون قَبرُها هناك، ولم يَعْلَم بذلك أحَد؟!

مَعَ الإنتباه إلى الشخصيّة المَرْموقة التي كانتْ للسيّدة زينب في أُسرتها، وعند الناس جميعاً؟!

فهلْ ماتَتْ في المدينة ولم يَحْضَر تَشييع جنازتها أحَد؟!

ولم يَشهَد دَفنَها أحَد؟!

ولم يَعْلَم بموضع قَبرها أحَد؟

ولم يَتحدّث أحدٌ مِن أئمّة اهل البيت (عليهم السلام) عن هذا الموضوع المُهم؟! وخاصةً الإمام السجّاد والإمام الباقر والإمام الصادق (عليهم السلام).

ثمّ .. كيفَ ولماذا لم يُشاهَد أحَدٌ مِن الأئمّة الطاهرين أو مِن شخصيّات بَني هاشم .. عند قبرها؟!

وكيف لم يَتحدَّث واحِدٌ منهم عن زيارة قبرها، أو عن تعيين موضع قبرها في المدينة؟! مَعَ ما وَرَدَ عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حولَ الثَواب العظيم لِزيارة قَبرها. (1)

وما هيَ الدَواعي لهذا الغُمُوض والتُعْتيم على سبَب وتاريخ وفاتها ومَكان دَفنِها .. حتّى مِن رجالات أهل البيت؟!

فهلْ كانتْ هناك أسبابٌ وحِكَم تَفرضُ إخفاءَ قبْرها، كما كانتْ ذلك بالنسبة إلى قبر والدتها السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)؟

أمْ أنّ هناك حَقائقَ واخباراً خَفيَتْ عنّا؟!

هذه اسئلة حائرة.. تَجْعَلنا لا نُوافِقُ على القول الأوّل!

1- وقد ذكرْنا ذلك في ص 35 مِن هذا الكتاب

ثانياً:

هُناك أقوالٌ تَقول: إنّها خَرجَتْ مِن المدينة .. إلى الشام أو إلى مِصْر، وهي تَمنَع مِن مُوافَقَتِنا على القول الأوّل، لأنّه مُعارَض بِقَولَين آخَرَين.. لكلّ واحِدٍ مِنْهما وثائقُهُما وأدلّتُهُما.

ثالثاً:

لَيتَ شِعْري هلْ يأذَن لي السيّدُ الأمين (رَحمه الله) أنْ أسأله:

إنْ كانت السيّدة زينب دُفنتْ في المدينة المنوّرة، وكان المَرقَد الموجود في قرية الراوية في ضاحية دمشق قبرَ امرأةٍ مَجْهولة النّسَب، كما ادّعى ذلك السيّدُ الأمين، فلماذا دُفنَ السيّد بَعْدَ وَفاتِه عند مَدخَل مَقام السيّدة زينب بضاحية دمشق؟!

فهلْ كان ذلك بوصيّةٍ مِنْه؟!

أمْ أنّ أولاده إختاروا لِقبْره ذلك المكان .. وهم يَعلَمونَ نَظريّة والدهم حول ذلك المقام؟!

ص: 600

دراسة القول الثاني:

خُلاصة القول الثاني هي: أنّ السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) سافرتْ مع زوجها إلى الشام بسَبَبِ المَجاعَة الّتي وَقعتْ في المدينة المُنوّرة، وقد كانتْ لِعبد الله بن جعفر في ضواحي دمشق ضَيْعَة (بستان أو مَزْرعة) فَسافَرت السيّدةُ زينب (عليها السلام) إلى هناك، وبَعْدَ وُصُولها – بِمُدّة – مَرِضَتْ وماتَتْ ودُفِنَتْ هناك.

جاءَ في كتاب كامل البهائي: «رُويَ أنّ أُمّ كلثوم أُختَ الحسين (عليه السلام) توفّيت بدمشق (سلام الله عليها). (1)

وقالَ ابنُ بطوطة – في رِحْلته المَعروفة –:

«وبقَريةٍ قِبَلي البَلَد – أي: بلدة دمشق – على فرسخ منها: مَشْهد أُمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) مِن فاطمة (عليها السلام).

ويُقال:

إنّ اسمها: زينب، وكَنّاها النبيّ «أُمّ كلثوم» لِشَبَهِها بخالتها أُمّ كلثوم بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعليه مسجد كبير، وحَولَه مَسْكن ولَه أوقاف، ويُسمّيه

1- كامل البهائي، ج 2، ص302

أهلُ دمشق: قبر السِت أمّ كلثوم. (1)

ص: 602

1- رَغْم مُضـيّ أكثر مِن ألف وثلاثمائة وستّين عاماً على تاريخ وفاة السـيّدة زينب (عليها السلام) إلّا أن الوثائق التاريخيّة لِتَحديد مكان قبر هذه السـيّدة العظيمة .. بصورة قاطعة، لازالتْ ناقصة يَبقى الأملُ في العُثور على قَرائن تاريخيّة مُؤيّدة لأحَد القولَين - الثاني أو الثالث - في السّنوات القادمة، إنْ شاء الله تعالى، إلّا أنّ لِكلّ قول مِن الأقوال الثلاثة المذكورة قائلين يَميلون إليه، لا لِشيء إلّا لإطمئنانهم النِسْبي بوثائق ذلـك القول، وكـان السـيّد الوالـد (مؤلّف هـذا الكتاب) يَميلُ - بقوّة - إلى القول بأنّ قبرها في مصـر، وإنّني اتصوّر أنّه لو كان كتاب (أخبار الزينبات) للعُبيدلي يُطبَع قبلَ مئات السنين لكان أكثرُ المُحقّقين يَقولون بِدَفْنها في مصر. إلّا أنّ هذا لا يَعني - أيضاً - القطع واليقين بذلك، حتّى يَلزَم منه إهمـال القبر الموجود في ضاحيـة دمشق بالشـام. فالتوسّل إلى الله تعالى بالسـيّدة زينب وطلب الشـفاعة منها لقضاء حوائج الـدنيا والآخرة .. له دَورُه الكبير، سواء كـان عنـد القبر في سوريا أو في مصـر، خاصـةً مع احتمال كون ذلك القبر مَدْفناً لبنْت ثانيـة لأمير المؤمنين (عليه السـلام). وقد نَشَرت مجلّة «أهل البيت» الصادرة مِن لبنان، في تاريخ 1 / صفر / 1414هـ- مَقالاً تحت عنوان: «ربع مليون زائر لِمَقام السيّدة زينب في دمشق»، ممّا يدلّ على أهميّة هذا المقام أيضاً. ويُحكى أنّ هناك إعتقاداً عند المسلمين الشيعة في لبنان أن المرأة التي لم تُرزَق النَسل والذريّة تَحضُر عند قبر السـيّدة زينب في دمشق، في ليلة أو يوم أربعين الإمام الحسـين (عليه السلام) وتَتوسَل إلى الله تعالى بجاه السيّدة زينب (عليها السلام) لِيَتفضّل عليها بنعمة الولَد، وتَرى النَتائج المَطْلوبة بسرعة!! المُحقّق

وهُنا أكثر مِن سؤال يَتبادر إلى الذِهْن حولَ هذا القول:

السؤال الأول: إنّ التاريخ لم يَذكُر مَجاعةً وقَعتْ في المدينة المنوّرة!! ففي أيّ سنةٍ كانت تلك المَجاعة؟

وكم دامتْ حتى اضطرّ آلُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسلّم إلى الهجرة إلى الشام؟

السؤال الثاني: إذا كانت وفاة السيّدة زينب (عليها السلام) في السنة الثانية والستّين – كما ذكرَه بعضُ المؤرّخين – فلماذا لم تكن في المدينة المنوّرة حينَما حَدثَتْ مَجْزرة «واقعة الحَرّة»؟

إذ لا يوجَد لَها – ولا لِزوجها عبد الله بن جعفر – أيّ إسم أو أثَر، فهلْ وَقعتْ المَجاعَة قبلَ واقعة الحَرَة أمْ بَعْدَها؟!

هذه أسئلة وتساؤلات مُتعدّدة لا جواب لها سوى الإحتمالات، والظن الذي لا يُغنى عن الحق شيئاً.

هذا.. وقد حاوَلَ بعضُ المُعاصِرين في كتاب سمّاه «مَرقَد العقيلة» أن يُثْبت مَدفنَها في دمشق .. لا القاهرة، واستَدلّ بأدلّة وتَشَبّثَ بِبَعض الأقوال، ولكنّها لاتَفي بالغَرض، لأنّ الأدلّة غير قاطعة، والأقوال غير كافية للإحتجاج والإستدلال، وكما يُقال: «غير جامعة وغير مانعة».

وممّا يُضعّفُ القولَ الثاني: أنّه حينَما أرادوا تَجْديد بِناء حَرَم السيّدة زينب (عليها السلام) الموجود في ناحية

دمشق – قبلَ حَوالي أربعين سـنة – وحَفَروا الأرض لِبناء الأسُّس والأعمِدة وَصَلوا إلى القبر الشـريف، ووجَدوا عليه صَخرةَ رُخام .. هذه صورتُها:

صورة

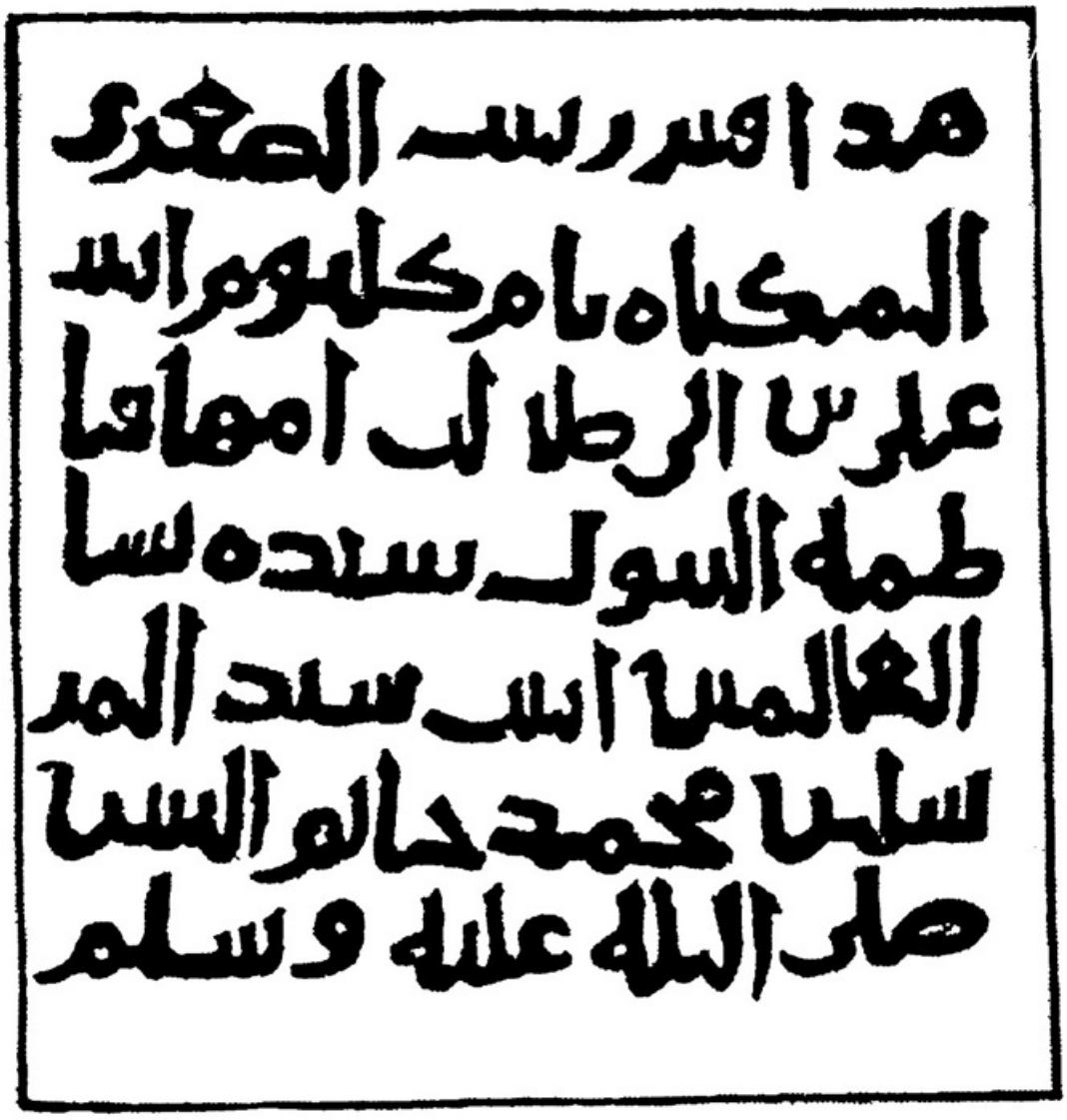

هذا قبر زينب الصـغرى المكنّاة بام كلثوم ابنت على بن ابى طالب أمّها فاطمة البتول سـيّدة نساء العالمين أبنت سيّد المرسلين محمّد خاتم النبيين صلّى الله عليه وسلم

ص: 604

فـإنْ صـحّـتْ هـذه الكتابـة فـالقبرُ الموجود في ناحيـة دمشق قبْرٌ لِسـيّدةٍ مِن بَنات الإمام علي بن أبي طالب (عليه السـلام) واسـمها: زينب الصُغرى، وهذا يَدلّ على مَدى إهتمام الإمام (عليه السلام) بهذا الإسم حيث اختارَه لأكثَر مِن بنتٍ واحدة مِن بَناته.

يُضاف إلى ذلك .. أنّنا نَجِدُ في بُطون كُتُب التاريخ وَصْف السيّدة زينب ب- «الكُبرى» للفَرْق بينَها وبين أُختها.

وفي مَجـال دراسـة القول الثاني .. هناك كلامٌ طويلٌ للسـيّد محسن الأمين في مُناقَشـته لهـذا القول، ونحنُ نَـذكُره - هنا - تَتْميماً للدراسـة المَوضوعيّة.

وليسَ معنى نَقْلِنـا لِكلامـه هو تأييـدُنا لَه في قوله، بل .. إنّ هـذا يَعني أنّنا نَضَعُ المَعلومات أمامَ الباحِث، لِيكون على بَصـيرةٍ أكثر مِن النقاط الّتي يُمكن أنْ تَنفَعَه في إسـتِكْشافه لِمِحْوَر البَحْث، مَع التَنْبيه المُسْـبَق - مِنّا - على إسـتِغْرابِنا مِنْ كلامه! ومِنْ لَهْجَتِه في التَعبير عنـد الكتابة حول هذا الموضوع!!

وإليك نَصُّ كلامه:

«... وفيما أُلحِقَ برسالة (نُزهة أهل الحَرَمين في عمارة المشهدين) في النجف وكربلاء، المطبوعة بالهند، نَقلاً عن

(تحيّة أهل القبور بالمأثور) عند ذِكْر قبور أولاد الأئمة (عليهم السلام) ما لفْظُه:

ومنهم: زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) وكُنيّتُها أُمّ كلثوم، قبرُها في قُرْب زوجها عبدالله بن جعفر الطيّار خارجَ دمشق الشام مَعروف، جاءَتْ مع زوجها عبدالله بن جعفر أيام عَبد الملِك بن مروان إلى الشام سنة المَجاعة، لِيَقوم عبد الله بن جعفر في ما كان له مِن القُرى والمَزارع خارجَ الشام، حتّى تَنْقَضي المَجاعة، فماتَتْ زينبُ هناك ودُفنتْ في بعض تلك القُرى، هذا هو التحقيق في وَجْه دَفْنها هناك، وغيرُهُ غلَطٌ لا أصلَ له، فاغتَنِمْ.. فقد وَهَمَ في ذلك جماعة فَخَبَطوا العَشواء».

وفي هذا الكلام مِن خَبْط العَشواء مَواضع:

أوّلاً: إنّ زينبَ الكُبرى لم يَقُلْ أحَد مِن المُؤرّخين أنها تُكنّى بأُمّ كلثوم، فقد ذكرَها المَسعودي والمفيد وابن طلحة وغيرُهم ولم يَقُلْ أَحَدٌ منهم أنّها تُكنّى أُمّ كلثوم (1)، بل كلّهم سَمّوها: زينب الكُبرى وجَعَلوها مُقابل أُمّ كلثوم الكبرى، وما استَظْهَرْناهُ مِن أنّها تُكنّى أُمّ كلثوم ظهَرَ لنا – أخيراً –فَسادُه.

1- كلامٌ عَجيبٌ وادّعاءٌ غَريب، تَشْهَدُ الوثائقُ التاريخيَّة الكثيرة على خِلافِه. المُحقّق

ثانياً: قولُه: «قبرها في قُرب زوجها عبدالله بن جعفر» ليسَ بِصَواب ولم يَقُلْه أحَد، فقَبْرُ عبد الله بن جعفر بالحجاز، ففي «عُمْدة الطالب» و«الإستيعاب» و«أُسد الغابة» و«الإصابة» وغيرها: أنّه ماتَ بالمدينة ودُفنَ بالبقيع. وزادَ في «عُمْدة الطالب» القولَ بأنّه ماتَ بالأبواء ودُفنَ بالأبواء، ولا يوجَد قُرْبَ القبر المَنْسوب إليها بالراوية قَبْرٌ يُنسَب لعبد الله بن جعفر.

ثالثاً: مَجيؤها مع زوجها عبد الله بن جعفر إلى الشام سنة المَجاعة .. لم نرَهُ في كلام أحدٍ مِن المؤرِّخين، مع مَزيد التَفتيش والتَنْقيب. وإنْ كان ذُكرَ في كلام أحَدٍ مِن أهل الأعصار الأخيرة فهو حَدْسٌ واستِنْباط كالحَدس، والإستنباطُ مِن صاحب (التحيّة). فإنّ هؤلاء لَمّا تَوَهَمُوا أنّ القبر الموجود في قرية راوية خارجَ دمشق مَنسوب إلى زينب الكبرى، وأنّ ذلك أمْرٌ مَفْروغ منه – مع عدم ذِكْر أحدٍ مِن المؤرّخين لذلك استَنبَطوا لِتَصْحيحه وجوهاً بالحَدْس والتَخْمين.. لا تَسْتَنِدُ إلى مُسْتَنَد، فبعضٌ قال: «إنّ يزيد (عليه اللعنة) طلبها مِن المدينة فعَظُمَ ذلك عليها، فقال لها ابنُ أخيها زينُ العابدين (عليه السلام): «إنّك لا تَصِلين دمشق» فماتَتْ قبلَ دخولها. وكأنّه هو الذي عَدَهُ صاحبُ (التحيّة) غَلَطاً لا أصْلَ له ووَقَع في مِثْله، وعَدَهُ غَنيمةً وهو ليسَ بها، وعَدّ غيرَه خَبْط العَشواء وهو منه. فاغتَنِمْ .. فقد وَهَمَ كلُّ مَن زَعَمَ أنّ القبر الذي في قرية راوية مَنسوب إلى زينب الكبرى، وسَبَبُ هذا التوهُّم: أنّ مَن سَمع أنّ

في راويـة قبراً يُنسَب إلى السـيّدة زينب سّ بَقَ إلى ذِهْنه زينبُ الكبرى، لِتَبادر الـذِهْن إلى الفَرْد الأكمَل، فلمّا لم يَجِدْ أثراً يَدلّ على ذلك لَجا إلى اسـتنباط العِلَل العَليلة. ونظيرُ هذا أنّ في مصـر قبراً ومَشْ هَداً يُقال له: «مَشْ هَد السيّدة زينب»، وهي زينب بنت يحيى، وتأتي ترجمتُها، والناس يَتَوهَمُون أنّه قبر السيّدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا سَبَب له إلّا تَبادرُ الذِهْن إلى الفَرْد الأكمَل.

وإذا كان بعضُ الناس إختَلَقَ سَبَباً لِمَجِيء زينب الكُبرى إلى الشام ووَفاتها فيها، فماذا يَخْتلِقون لِمَجيئها إلى مِصْر؟ وما الّذي أتى بها إليها؟

لكنّ بعضَ المؤلّفين مِن غيرنا رأيتُ له كتاباً مَطبوعاً بمِصْ ر – غابَ عنّى الآن إسمُه – ذكرَ لذلك توجيهاً «بأنّه يَجوزُ أنْ تكون نُقلتْ إلى مصر بوَجْهٍ خَفي على الناس». مع أنّ زينب التي هي بمصر هي زينب بنت يحيى حَسَنيّة أو حُسَينيّة كما يأتي، و حالُ زينب التي براوية حالُها.

رابعاً: لم يَذكرْ مؤرّخ أنّ عبد الله بن جعفر كان له قُرى ومَزارع خارجَ الشام حتّى يأتي إليها ويَقوم بأمْرها، وإنّما كان يَفِدُ على معاوية فيُجيزُه، فلاـ يَطولُ أمْرُ تلك الجوائز في يَـده حتّى يُنفِقَها بما عُرِف عنه مِن الجُود المُفْرط. فمِن أينَ جاءَتْه هـذه القُرى والمَزارع؟ وفي أيّ كتابٍ ذُكرتْ مِن كُتُب

التواريخ؟!

خامساً: إنْ كان عبـد الله بن جعفر له قرى ومَزارع خارجَ الشام – كما صَوّرته المُخيّلـة – فما الـذي يَدعوه للإتيان بزوجته زينب معه؟! وهي التي أُتيَ بها إلى الشام أسيرةً بزَيّ السَبايا وبصورة فظيعة، وأُدخلتْ على يزيد مع ابن أخيها زين العابدين وباقي أهل بيتها بهَيأةٍ مُشْجِية؟!

فهلْ مِن المَتصوّر أن تَرغَب في دخول الشام ورؤيتها مرّةً ثانية وقد جَرى عليها بالشام ما جَرى؟!

وإنْ كـان الـداعي للإتيان بها معه هو المجاعـة بالحجاز .. فكان يُمكنه أن يَحمل غَلّات مَزارعه – الموهومـة – إلى الحجاز أو يَبيعها بالشام ويأتي بثمنها إلى الحجاز ما يُقوّتها به، فجاء بها إلى الشام لإحْراز قُوتها، فهو ممّا لا يَقبله عاقل، فابنُ جعفر لم يكن مُعدَماً إلى هذا الحَدّ، مع أنّه يَتكلّف مِن نَفَقة إحضارها وإحضار أهله أكثر مِن نفقة قُوتها، فما كان لِيُحضرها وَحْدَها إلى الشام ويَترك باقي عياله بالحِجاز جِياعاً!!

سادساً: لـم يُتَحقّق أنّ صاحبة القبر الّذي في راوية تُسـمّى زينب لولـم يُتحقّق عدمُه، فَضْلاً عن أن تكون زينب الكبرى، وإنّما هي مشهورة بأُمّ كلثوم». (1) إنتهى كلامُه.

1- أعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين، ج 7 ص 140

دراسة القول الثالث:

نُذكّرُ أنّه كانَ القول الثالث: هو أنّ مَرقد السيّدة زينب الكُبرى (عليها السلام) في مِصْر.

وقد كانَ هذا القولُ – ولا يَزالُ – إحدى الإحتمالات لِمَكان المَرقَد الشَريف، ولَهُ أدلّتُه والأفراد القائلُون به.

لكنّ بَعْدَ إكتِشاف وانتشار كتاب «أخبار الزَينبات» – لِلعُبيدلي – صارَ هذا القول أقوى الإحتمالات الثلاثة لِمكان قبْر السيّدة زينب الكُبرى، لِقوّة الأُسُس المَبْنيّة عليها هذا القول، وإليك بعضَ التوضيح لِهذا الكلام:

لقد ذكرَ العُبيدلي أخباراً وتصريحاتٍ كثيرة ومُهمّة حولَ رِحْلَة السيّدة زينب (عليها السلام) إلى مِصْر، وذلك في كتابه «أخبار الزينبات».

لكنْ بَقيَ هـذا الكتاب – طيلةَ هذه القُرون – في زَوايا الخُمول والنِسيان، وفي أروقة المكْتَبات في رُفُوف الكُتُب المَخْطوطة الّتي يُظلّلُ عليها غُبارُ الجَهْل والإهْمال.

وقد أمَرَ بطبْعه بصورة مُستقلة – ولأول مرّة – المَرحوم آية الله السيّد شهاب الدين المَرعشي النَجفي (رحمه الله) في مدينة قم عام 1401هـ، مع تعليقات مُفيدة جداً. فقال – في مُقدّمتِه على هذا الكتاب – ما خُلاصتُه:

ص: 610

مَن هو العُبيدلي؟

وما هو كتاب «أخبار الزينبات»؟

الجواب: هو العلّامة الجليل، الشريف الطاهر، المُحدِّث المُفسِّر، النَسّابة، الثِقة الأمين، ابوالحسين: يحيى العُبيدلي المَدَني، العقيقي الأعرجي، بن الحسن بن جعفر الحُجّة بن عبيد الله الأعرج، ابن الحسين الأصغر، ابن الإمام السجّاد زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام).

وُلدَ العُبيدلي سنة 214ه- في المَدينة المنوّرة، وتوفّي سنة 277 في مكّة المكرّمة. وهو يُعتَبَرُ مِن عُلمائنا بالمدينة المُنوّرة، وساداتها الشُرفاء الكُرَماء في القَرن الثالث الهجري.

وقد رَوى عنْه النجاشي المُتوفّى سنة 450ه-، والحافظ أحمدُ بن محمّد بن سعيد ابن عُقدة الهمداني، المتوفّى عام 333 والشيخُ المفيد، والشيخُ الصدوق في كتابه: «مَن لا يحضره الفقيه»، والشيخُ الطوسي، وابنُ شهر آشوب، والعلّامةُ الحِلّي في «تذكرة الفُقهاء» وغيرهم مِن عُلَماء الرِجال.

كتاب اخبار الزَينَبات

يُعتَبَرُ كتاب «أخبار الزينبات» مِن أهمّ كتُب التَراجم والرجال، ومِن الوَثائق القَويّة، وأقدَم المَصادر في هذا

الشان، وقد اشتَمَلَ على فَوائد لـمْ توجَد في غيره.

وإليك بعضَ المعلومات حولَ النُسخة المَخْطوطة لهذا الكتاب :

وُجـدَ هـذا الكتاب في مدينة حَلَب، قد كُتبَ بتاريخ سـنة 676 ه- بِخَـط الحاج محمّـد بلتاجي الطائفي، المُجاور للحَرَم النَبَوي الشـريف، والكتابُ مَنْقول عن أصلٍ مُؤرّخٍ بتاريخ سنة 483ه-، وبخَط السيّد محمّد الحسيني الواسطي الأصل.

مُقتَطفات مِن (اخبار الزَينَبات)

ونحن نَذكُرُ بعضَ المُقتَطفات مِن هذا الكتاب الثَمين، وهي تُشَكّلُ الادلَّة على قُوّة القول الثالث:

«زينبُ الكُبرى بنتُ علي بن أبي طالب، أُمّها: فاطمـة الزهراء بنت رسول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) وُلدتْ في حياة جَدّها، وخَرجَتْ إلى عبد الله بن جعفر، فوَلدتْ له أولاداً ذكرْناهم في كتاب النَسَب». (1)

«حـدّثنا زهران بن مالك، قال سـمعتُ عبـدالله بن عبـدالرحمن العتبي يقول: حدّثني موسـى بن سـلمة، عن الفضل بن سـهل، عن علي بن موسى، قال:

1- كتاب «أخبار الزينبات» ص111، طبع ايران عام 1401ه-

أخبرني قاسم بن عبد الرزّاق، وعلي بن أحمد الباهلي، قالا: أخبرنا مُصعَب بن عبدالله قال:

كانتْ زينبُ بنتُ علي - وهي بالمَدينة - تُؤلّبُ الناسَ على القيام بأخذِ ثارِ الحسين. (1)

فلمّا قام عبدُ الله بن الزبير بمكّة، وحَمَلَ الناسَ على الأخذ بشار الحسين، وخَلع يزيد، بَلَغَ ذلك أهلَ المَدينة، فخَطبتْ فيهم زينبُ، وصارتْ تُؤلّبهُم على القيام للأخذ بالثار، فبَلَغَ ذلك عمروَ بن سعيد، فكتَبَ إلى يزيد يُعْلِمُهُ بالخَبَر.

فكتَبَ [يزيد] إليه: «أنْ فَرّقْ بينَها وبينَهم» فأمَرَ أن يُنادى عليها بالخروج مِن المدينة والإقامة حيث تَشاء».

فقالتْ: «قد عَلِمَ اللهُ ما صارَ إلينا، قُتِلَ خَيرُنا، وانسَقْنا كما تُساقُ الانعام، وحُمِلْنا على الاقتاب، فوالله لا خَرجْنا وإنْ أُهريقَتْ دِماؤنا».

فقالَتْ لَها زينبُ بنت عقيل: «يا ابنَة عَمّاه! قد صَدَقَنا اللهُ وَعدَه وأورثَنا الأرضَ نَتَبوّأُ منها حيثُ نَشاء.

فطِيبي نَفْساً وقَرّي عَيناً، وسَيَجْزي الله الظالمين.

أتُريدينَ بَعْدَ هذا هَوانا؟!

إرحَلي إلى بَلَد آمِن»

1- تُؤلّبُ: تُحَرّضُ. المُعْجَم الوَسيط

ثمّ اجتَمَعَ عليها نِساءُ بَني هاشم، وتَلَطّفْنَ معَها في الكلام، وواسَينَها. (1)

وبالإسناد المذكور، مَرفوعاً إلى عُبيد الله بن أبي رافع (2)، قال: سمعتُ محمّداً أبا القاسم بن علي يقول:

«لمّا قَدِمَتْ زينبُ بنت علي مِن الشام إلى المدينة مع النساء والصبيان، ثارتْ فِتْنَةٌ بينَها وبين عمرو بن سعيد الاشدَق (والي المدينة مِن قِبَل يزيد).

فكتَبَ إلى يزيد يُشيرُ عليه بنَقْلها مِن المَدينة، فكتَبَ له بذلك، فجَهّزَها: هيَ ومَن أرادَ السّفر مَعَها مِن نِساء بَني هاشم إلى مِصْر، فقَدِمتْها لأيّام بَقيتْ مِن رجَب». (3)

حَدّثني أبي، عن أبيه، عن جَدّي، عن محمّد بن عبدالله، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن الحسن بن الحسن، قال: «لمّا خَرجَتْ عَمّتي زينب مِن المدينة خَرجَ مَعَها مِن نِساء بَني هاشم: فاطمة إبنة عمّي الحسين، وأُختها

1- أخبار الزينبات ص 115 - 117

2- مَرْفوعاً: السَنَد المَرْفوع: هي الرواية التي لم تُذكرْ فيه اسماء الوسائط - مِن الرُواة - أو أسماء بعضهم

3- أخبار الزَينَبات ص 118

سكينة». (1)

ورُويَ بالسَنَد المَرْفوع إلى رقيّة بنت عقبة بن نافع الفهري، قالتْ:

«كنتُ فيمَنْ استَقبَلَ زينبَ بنتَ علي لَمّا قَدِمَتْ مصر.. بَعْدَ المُصيبة، فتَقدّم إليها مُسلمة بن مُخلّد، وعبدالله بن الحارث، وأبو عميرة المزني، فعَزّاها مُسلمة وبَكي، فَبَكتْ وبكى الحاضِرون وقالت: «هذا ما وَعَدَ الرّحْمنُ وصَدَق المُرسَلون».

ثمّ احتَمَلها إلى داره بالحَمْراء، فأقامتْ به أحَدَ عَشَرَ شهراً، وخمسة عشر يوماً، وتُوفّيَتْ، وشَهِدْتُ جنازتَها، وصلّى عليها مُسلمة بن مُخلّد في جَمْعٍ [مِن الناس] ب- [المَسْجِد] الجامع، ورَجَعوا بها فدَفنُوها بالحمراء، بِمَخْدَعها مِن الدار بوصيّتها». (2)

حدّثَني إسماعيل بن محمّد البصري - عابِدُ مصر ونَزيلُها - قال: حدَّثَني حمزة المَكفوف قال: أخبرَني الشريف أبو عبدالله

1- نَفْس المصدر ص 119

2- المخدَع - بضَمّ الميم وفتحه -: البيتُ الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير. كما في مجمع البحرين للطريحي. والمَقصود: الحُجرة الصغيرة التي لَها بابٌ في الحُجرة الكبيرة. وكان هذا مُتعارفاً في هندسة البناء في الزمن القديم. وكان يُعبّر عنها ب- «الخزانة»

القرشي قال: سمعتُ هند بنت أبي رافع بن عبيدالله بن رقيّة بنت عقبة بن نافع الفهري تَقول:

«تُوفّيتْ زينبُ بنتُ علي عَشيّةَ يوم الأحد، لِخَمسة عشَر يوماً مَضَتْ مِن رَجَب، سنة 62 مِن الهجرة، وشَهِدْتُ جنازتَها، ودُفنتْ بمَخْدَعها بدار مُسلمة المُسْتَجِدة بالحَمْراء القصوى (1)، حيثُ بَساتين عبدالله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري. (2)

مُناقَشات حَول القول الثالث

أقول: لقد قَرأتَ أنّ العُبيدلي ذكرَ هجرتَها إلى مصر، وأنّ مسلمة بن مُخلّد استقبَلَها ... إلى آخر كلامه.

وتَرى بعضَ المؤلّفين يُضعّف سَفرَها إلى مِصْر، ويَسْتَدلّ لِكلامه «أنّ مسلمة بن مُخلّد كان مِن أصحاب معاوية، ومِن المُنحرفين عن الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فكيف يَستقبلُ السيّدة زينب ويُنزلهُا في داره»؟

1- الحمراء القصوى: منطقة كانت بين القاهرة ومدينة الفسطاط، في الزَمَن القديم، وكانت تُعرف ايضاً ب- «قناطر السباع» كما يُستفاد مِن المقريزي في كتابه «المواعظ والاعتبار» ج 2 ص 202

2- أخبار الزَينَبات ص 121 - 122

ونَحنُ نَقول: إنّ هذا الكلام لا يُضعّفُ القولَ الثالث، لانّ مُجرَّدَ إستقبال الوالي – وهو مُسْلمة بن مُخلّد – لِشخصِيّة في مُستَوى السيّدة زينب الكُبرى.. ليسَ بأمْرٍ عجيب!

مَعَ الإنتِباه إلى أنّه: أوّلاً:

إنّ مُسْلمة كانَ والياً مِن قِبَل بَني أُميّة، وكان اللازمُ عليه أنْ يَستَقْبلَ السيّدة زينب (عليها السلام) تَنْفيذاً مِنْه لِلْمُخطط الأموي الّذي أمَرَ بإبعاد السيّدة زينب مِن المدينة المُنوّرة.

ولَعلّ يزيد هو الّذي أمَرَ مُسلمة باسْتقبال السيّدة زينب، وإسْكانِها في قَصْره، لِكي تكونَ تَحرّكاتِها تحتَ مُراقبَتِه وإشرافِه المُباشِر.

يُضاف على هذا، أنّنا نَقول:

أما كان النعمان بن بَشير والياً على الكوفة مِن قِبَل معاوية ثمّ مِن قِبَل يزيد بن معاوية، ومع كلّ ذلك فإنّنا نَقرأ – في التاريخ – أنّه لمّا أراد يزيد إرجاعَ عائلة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى المدينة أمَرَ النعمان بن بَشير أنْ يُهيّىء لَهنّ وسائلَ السَفر؟

وأن يُرافِقهنّ مِن الشام إلى المدينة، مُراعياً الإحترام والتأدّب؟

فهل مِنَ المَعقول أنّ النعمان بن بشير – مَعَ سوابقه – يُرافقُ

عائلةَ الامام الحسين مِن الشام إلى كربلاء، ثمّ إلى المدينة المنوّرة مَعَ مُراعاة التأدّب والإحترام اللائق بِهِن؟!

فإذا كانَ ذلك مُمْكناً، فلا مانع مِن أن يَستقبل مسلمة بن مُخلّد السيّدةَ زينب (عليها السلام) ويُنزلها في داره.

ثانياً: إنّ مُسْلمة كان يَعلَمُ تَعاطُفَ أهل مِصْر مَعَ أهل البيت النَبَوي، وكان يَسمَعُ بإستِعْداد الناس رجالاً ونِساءاً لإستِقْبال السيّدة زينب (عليها السلام)، فهو لا يَتَمَكّن مِنْ أن لا يَخْرج لإستقبال هذه السيّدة العظيمة، الّتي يَعْلَم مَدى مَحَبّة وتَعاطف المِصْريين لِوالدها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وخاصّةً وأنّه يَسمَع بِخُروج الجُمُوع الغَفيرة مِن مُختَلَف طبَقات الشَعْب لإستِقبالِها .. إستِقبالاً مَقروناً بالبُكاء والدُموع وهِياج مَشاعِر الحُزْن لِما جَرى على آل الرسول الطاهرين في فاجعة كربلاء الدامية.

ص: 618

الفَصل الواحِد والعِشْرون

بعضُ ما قيلَ فيها مِن الشِعْر

ص: 619

بعضُ ما قيلَ فيها مِن الشِعْر

هناك أسبابٌ وعَواملُ مُتعدّدة كان لها الدَورُ الكبير في إثارة مَشاعِر وعوَاطف الشُعراء، وتَفَتّح قَرائحهم، لكي يَنْظموا القصائد الرائعة في مَدْح ورثاء السيّدة زينب (عليها السلام).

فمِن جملة تلك الأسباب:

1 – الشُعورُ بالمَسؤوليّة تِجاه نُصْرة آل الرسول الكريم.

2 – إزدحامُ الفَضائل، وتَجَمُّع مُوجِبات العظمة والجَلالة في شخصيّة السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام).

3 – الشعور الإنساني بالإنْدِفاع لِنُصْرة المَظْلوم.

إنّ هـذه الأسـباب – وغيرها – جَعَلتْ الشُّعَراء يَحُومون حولَ هذه الشخصـيّة العظيمة، لِكي تَجُولَ أفكارُهم على مَسْرَح الخِيال والتَصَوُّر، تَمهيداً للوَصْف ولِصياغَة المَعاني في

قَوالب الكلمات، وصَبْغها بطابع الشِعْر والأدَب .

إنّ العَواصِف والأعاصيرَ العانية الّتي عَصَفتْ بحياة السيّدة زينب (عليها السلام) حَفّزَتْ في الشّعَراء شُعُورَ القيام بنُصْرة المظلوم، ليَقوموا بواجِبِهم الإنساني والإسلامي تِجاهَ ثاني أعظم سيّدة مِن سيّدات نساء التاريخ، وليُلَبّوا نِداء ضمائرهم في نُصرة أخيها سيّد المظلومين الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ هؤلاء الشّعراء الشّرَفاء سَجّلوا أسماءَهم في قائمة الّذين نَصَروا أهلَ البيت النَبَوي، ونالَوا شَرفَ خِدْمة آل الرسول الطاهرين، فمَدَحُوا مَن مَدحَهم الله تعالى في قُرآنه المَجيد، ورَثَوا مَن بكتْ عليه الأرضُ والسماء، والملائكةُ والأنبياء، وحيتانُ البِحار وطيورُ الفَضاء!

وإليك بعضَ ما قيلَ مِن الشِعْر في السيّدة زينب الكبرى عليها السلام:

قصيدة في ذكرى ميلاد السيدة زينب الكبرى (سلام الله عليها) للشاعر الأديب السيّد محمد رضا القزويني (1):

وُلدتِ كما يُشْرقُ الكوكبُ *** فأُمٌّ تُباهي و يَزْهو أبُ

عليٌ وفاطمةٌ انْجَباكِ *** عَيناً مِن الخَير لا يَنضَبُ

وجاءآ بكِ جَدّكِ المُصطفى *** لِيَختار لاسْمِكِ ما يُعْجِبُ

1- السيّد محمد رضا بن العالم الجليل المجاهد السيّد محمد صادق القزويني، ابن عمّ مؤلّف هذا الكتاب. شاعرٌ لامع، وأديبٌ بارع، يَجري في دَمه حُبّ اهل البيت الطاهرين (عليهم السلام). وُلد في تاريخ 1940/8/20 م، بَدأ نَظْمَ الشعر مع بِداية مَرحَلة المراهَقة، يَتميّز شِعره بمُميّزات منها: قوّة المعنى ورَوْعة الإبداع، وجمال الإبتكار، ونكْهة الإخلاص. له ديوان شعر مَخطوط، جمَعَ فيه ما نَظمَه حول النبي الكريم وآله المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين). وقد نَظَم هذه القصيدة في سوريا بمناسبة ذكرى ميلاد السيّدة زينب الكبرى (عليها السلام) عام 1411ه- الموافق لسنة 1990م

فقال : ولَسْتُ – كما تَعْلَما *** نِ – أسْبقُ ربّي بما يَنسِبُ

وهذا أخي جَبرئيلُ أتى *** بأمْرٍ مِن الله يُسْتَعذَبُ

يَقولُ إِلهُكَ رَبُّ الجَلال: *** تَقبّلْتُها واسْمُها زينبُ

وكفّلْتُها بأخيها الحسين *** ويومٍ يَعُزّ بِه المَشْربُ

لِتَحْمِلَ أعباءَهُ كاللُيوث *** فيَسْري بأطفاله المَرْكَبُ

أُسارى إلى الشام مِن كربلا *** ءَ و سَوطٌ على ظَهْرهم يَلْهَبُ

****

أقائدةَ الرَكْب يازينبُ *** تَغَنّى بكِ الشَرْقُ والمغربُ

خَطبْتِ فَدَوّى بسَمْع الزَما *** ن صوتٌ إلى الآن يُسْترهَبُ

أخافَ الطُغاةَ على عَرْشهم *** فَظَنّوا عليّاً بَدا يَخطبُ

وأسقَطتِ قبلَ فَناهُ يزيد (1) *** وضاقَ على رأيه المَذهبُ

و وَلَّت أُمَيّةُ مَدْحُورةٌ *** وماظَلّ ذِكْرٌ لهُمْ طَيّبُ

و أنتِ الّتي كُنتِ مّأْسورةً *** وما لكِ في الشام مَن يُنسَبُ

لكِ اليومَ هذا النَدى و الجَلا *** ل مِثالاً لأهلِ النُهى يُضرَبُ

و قبْرٌ يَطوفُ به اللاّئذو *** نَ رَمْزاً و ما عنده يُطلَبُ

مناراً يَشِعُّ بأُفقِ السماء *** فيُعْلِنُها: هذه زينبُ

1- فَناه: أي قبلَ فَنائه وهَلاكه

وللسيّد محمّد رضا القزويني قصيدة أخرى يقول فيها:

تَتَراءى له الأُسارى فتَبْدُو *** زينبٌ أمسَكتْ بطفلٍ يَتيمِ

وهي تَرعى الرؤوسَ فوقَ رماحٍ *** طابَ منها النَجوى لأُختٍ رَؤومِ (1)

حَمَلَتْها مِن كربلاء و قالتْ: *** يا سَماءُ اهتَدي بهذي النجومِ

إنّها مِن مُحمّدٍ وعليّ *** قَدّمَتْها البَتولُ في تكريمِ

وسِياطُ الاعداء لم تَمنَعِ الأُختَ *** وداعَ الحسين بينَ الجُسُومِ

هُرعَتْ والخِيام مُشتَعَلاتُ *** تَتَحَرّى الأطفالَ بين الرَميمِ

رَفَعتْ رأسَها إلى اللّه تَشْكو *** فأتاها الجَوابُ عَبْرَ النّسِيمِ

جَدُّكم أسّسَ القَواعدَ للبَيتِ *** و إسماعيلُ ذبحُ الحُلُومِ

1- رَؤوم: مُشتَقٌ مِن المَحبّة والعَطْف، قال الفيروز آبادي - في القاموس -: رَئمت الناقةُ وَلدَها: عطَفتْ عليه، فهي رائمة ورؤوم

وانتَهَتْ فيكُم النُبوّةُ و البيتُ *** وما في السِتار و المَعْلُومِ

ورأى اللهُ في الحسينِ عظيماً *** فافتَدى دينَه بِذِبْحٍ عَظيمِ

ص: 626

وللشاعر الحُسيني اللامع، المرحوم الحاج محمّد علي آل كمّونة (رضوان الله عليه) (1) قصيدة نَقتَطِفُ منها الأبيات التالية:

لم أنسَ زينبَ بعْدَ الخِدْر حاسِرةً *** تُبْدي النياحةَ الْحاناً فالْحانا

مَسْجُورةَ القلْب إلّا أنّ أعينَها *** كالمُعصراتِ تَصُبُّ الدَمْعَ عِقْيانا (2)

1- الحاج محمّد علي آل كّمونة الاسدي الكربلائي، شاعرٌ بَليغ، واديب فَصيح، كان مِن الشعراء المتألّقين في عَصْره، والأدباء اللامعين بين اقرانه وزُملائه، إستعمَلَ قريحتَه الشِعريّة - بنسبة كبيرة - في خِدمة النبي وآله الطاهرين، وله قصائد كثيرة في رثاء سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، مِن مميّزات شِعره: طابع الشِجاوة، ونكْهة الإخلاص، وسلاسة التعبير. عند التأمّل في ديوان شعره نَجد أنّ اشعاره تَهزّ المشاعِر والعواطف مِن الأعماق، وتَنقل ذهنَ القارىء إلى أجواء الحرب والقتال. ولِلمُميّزات المُتوفّرة في شعره - ونَخصّ منها: كونه شَجيّاً - تَهافَتَ خُطباء المنبر الحُسيني على قراءة أشعاره في بداية ونهاية مجالسهم ومُحاضراتهم الحسينيّة. له ديوان مطبوع، جُمعَ فيه بعض أشعاره. ولد سنة 1202ه-، وتوفّي سنة 1282ه-، ودُفنَ في حَرَم الإمام الحسين عليه السلام

2- عِقياناً. العِقْيان: الذَهَب الخالص. شَبّه الشاعرُ قَطَراتِ دُموعِهِنّ الصافية الغالية بِحَبّات الذَهَب الخالص مِن الشَوائب

تَدْعو أباها أميرَ المؤمنينَ ألا *** يا والدي حَكمَتْ فينا رَعايانا (1)

وغابَ عنّا المُحامي والكفيلُ فمَنْ *** يَحمي حِمانا ومَن يُؤوي يَتامانا

إنْ عَسْعَسَ الليلُ وارى بَذْلَ أوجُهنا *** وإنْ تَنفّسَ وَجْهُ الصُبح أبْدانا

نَدعوا فلا أحَدٌ يَصْبُو لِدَعْوتِنا (2) *** وإنْ شكَوْنا فلا يُصْغى لِشَكْوانا

قُمْ يا عليُّ فما هذا القُعودُ وما *** عَهْدي تَغُضّ على الأقذاء أجفانا

عَجِّلْ لعَلّكَ مِن أسْرٍ أضَرّ بِنا *** تَفُكّنا أو تَوَلّى دَفنَ قَتْلانا

وتَثْنَى تارةً تَدعو عَشيرتَها *** مِن شَيْبة الحَمْدِ أشْياخاً وشُبّانا (3)

1- رَعايانا. رَعايا - جَمْع رَعيّة -: عامَّة الناس الذين عليهم راع وحاكم، يُدبّر أُمورَهم ويَرعى مَصالحهم

2- يَصْبو: يَميل ويَحِنُّ. وفي نسخة: «نَدعوا فلا أحَدٌ يَرنُو لِدَعْوتنا»

3- شَيْبَة الحَمْد: هو عبد المطلب بن هاشم، جَدُّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

قُوموا غِضاباً مِن الأجْداثِ وانْتَدِبوا *** واستَنقِذوا مِن يَد البَلْوى بَقايانا (1)

وله قصيدة أُخرى يَقول فيها:

ولَئن نَسِيتُ فلَستُ أنسى زينباً *** ودَوامَ مِحْنَتها وطولَ عَنائها

حَمَلَتْ مِن الأرزاء ما أعيا الورى *** حَمْلَ اليسير النَزْرِ مِن أعبائها

عن كَرْبها و بَلائها سَلْ كربلا *** سَلْ كربلا عن كرْبها وبَلائها

طَوراً على القتْلى تَنوحُ وتارةً *** تَحْنو مُحافِظةً على أبنائها

و تَطوفُ حولَ حِمىً أبادَ حُماتَه *** صَرْفُ الرَدى وأباحَ هَتْكَ نسائها

مَن مُبْلغٌ عنّي سَرايا هاشمٍ *** خَبَراً يَدُكّ الشَمّ من بَطْحائها

سُبَيتْ، وأعظمُ ما شَجاني غَيرةٌ *** – يا غَيرةَ الإسلام – سَلْبُ رِدائها

و وقوفُها في مَجلسٍ جُلّاسُه *** أهوى بها الشيطان في أهوائها (2)

1- المصدر: ديوان ابن كمّونة طبع قم – ايران عام 1411ه- ص 95. ورياض المدح والرثاء، للشيخ حسين البحراني، طبع ايران، عام 1420ه- ص 648

2- ديوان ابن كمونة، ص3

وله (رضوان الله عليه) شِعر آخَر يُخاطبُ فيه الإمامَ الحسين (عليه السلام) بقوله:

وأمسَيتَ رَهْنَ الحادثات وأصبَحتْ *** نِساؤك بَعْدَ الصَوْن بينَ الاجانب

حَيارى يُرِدِّدْنَ النُواح سَواغِباً *** عُطاشى فلهفي للعُطاشى النَوادب

ومِن بينها مَأوى البَلَيّات رَبّة الرزيـّ *** -ات حَلْفُ الحُزن أُمّ المصائبِ

فَريسةُ أفواه الحَوادثِ زينبٌ *** ومَنهَبُ أنياب الرَدى والمَخالبَ

تُنادي وقد حَفّ العَدوُّ برَحْلها *** وتَهْتِفُ لكن لم تَجِدُ مِن مُجاوبِ

فمَن مُبْلغ عنّي الرسولَ وحيدراً *** وفاطمةَ الزهراء بنتَ الاطائبِ

بأنّا سُبينا، والحسينُ عمادُنا *** غَدا مَوطِئاً للعادياتِ الشَوازِب (1)

1- الشَوازب - جَمْع شازِب -: الخَيل الغَضْبان، الذي يُسْرع في ركْضه للغارَة والهجوم. كما يُستفاد مِن كتاب «العَين» للخليل بن أحمد

ويُسْرى بنا نَحوَ الشآم فلا سَقَتْ *** مَعاهدَ أرضِ الشام جونُ السحائب

ونُهْدى إلى الطاغي يزيد نتيجة ال- *** -دَعيّ ابن سفيان لَئيم المَناسِب

ويَنكُتُ ظُلْماً بالقضيب مَراشِفاً *** تَرشَفَها المُختار بين المُصاحِبِ (1)

وله قصيدة أُخرى يَصفُ - فيها - مُصيبةَ الهجوم على مُخيّمات الامام الحسين (عليه السلام) ومنها قولُه:

حُماةٌ حَمَوا خِدْراً أبى الله هَتْكهُ *** فعَظَمَه شأناً وشَرّفَه قَدْرا

فأصبَحَ نَهْباً للمَغاوير بعْدَهم *** ومنه بناتُ المصطفى أُبرزتْ حَسْرى

يُقنّعها بالسَوط «شمرٌ» فإنْ شَكَتْ *** يؤنّبها «زَجْرٌ» ويوسِعُها زَجْرا

نَوائحُ إلّا انّهُنّ ثَواكلٌ *** عوَاطشُ إلّا أنّ أعينَها عَبْرى

1- ديوان ابن كمّونة، ص 12 - 13

يَصونُ بيُمْناها الحَيا ماءَ وَجْهها *** ويَسترُها إنْ أعوزَ السِتْر باليُسْرى

وقُلْ لِسَرايا شَيْبة الحَمْد ما لَكم *** قَعَدتُم و قد ساروا بِنسْوتكم أسْرى

وأعظمُ ما يُشْجي الغَيورَ دخولُها *** إلى مَجلسٍ ما بارَحَ اللّهوَ والخَمْرا

يُقارِعُها فيه يزيدُ مَسَبةٌ *** ويَصرفُ عنْها وَجْهَهُ مُعْرِضاً كِبْرا

ويَقرَعُ تَغْرَ السبط شُلّتْ يَمينُه *** فأعظِمْ به قَرْعاً وأعظِمْ به ثَغْراً

أينكُتُ ثَغراً طيَّبَ الدَهرُ ذِكْرَه *** وما بارَحَ التسبيح والحمْدَ والشُكرا (1)

1- ديوان ابن كمّونة، ص 58 - 60

وللعالم الجليل الشيخ جعفر النَقْدي (1) قصيدة نَختار منها هذه الأبيات

يا دهرُ كُفّ سِهامَ خَطبك عن حَشىّ *** لم يَبقَ فيها مَوضعٌ للأسْهُم

في كلِّ يومٍ للنَوائب صارمٌ *** يَسْطو على قلبي و يَقطر مِن دمي

و أبيتُ و الارزاء تَنْهشُ مُهجَتي *** نَهْشاً يَهونُ لديه نَهشُ الأرقم (2)

1- الشيخ جعفر بن الحاج محمد بن عبدالله التقي الربعي، المعروف ب- «النقدي»،: عالم خبير مُتبحّر، وأديب واسع الإطّلاع، له مؤلَّفات كثيرة تَشـهَد له بغَزارة العِلْم والأدَب، وُلِد في مدينة العمارة بالعراق سـنة 1303ه-، هاجر إلى مدينة النجف الأشـرف، ودَرسَ فيها حتّى بَلَغ مرتبة عالية مِن العِلم والثقافة. شَغَل مَنصِبَ القضاء في مسقط رأسه (العمارة) حوالي عشر سنوات. أمّا شِعره: فهو مِن الطَبَقة الممتازة، وأكثر شِعره في مَـدْح اهل البيت (عليهم السـلام). توفّي (رضوان الله عليه) بتاريـخ 9 / محرم / 1370ه-، إقتطفْنا ترجمـة حياته مِن كتاب (أدَب الطف) للخطيب السيّد جواد شُبّر، ج 10 ص 8

2- الأـرقم: إخبَثُ أنواع الحَيّـات، وأطلَبُهـا للنـاس، أو: مـا في لونه سَواد وبَياض، أو: ذكرُ الحَيّات.. والأُنثى رَقْشاء. كما في كتاب القاموس المحيط للفيروزآبادي

أوَ كان ذَنبي أنّني مُتمَسّكٌ *** بالعُروة الوثقى التي لم تُفْصَمِ

آلِ النبّي المُصطفى مَن مَدْحُهُم *** ورْدي وفيهِمْ لايَزالُ تَرنّمي

وإلى العقيلة زينب الكُبرى ابنة ال- *** -كرّار حيدَر بالولاية أنتَمي

هي رَبّة القَدْر الرفيع رَبيبة ال- *** -خِدْر المنيع وعِصْمةُ المستَعصِمِ

مَن في أبيها الله شَرّفَ بيتَه *** وبجَدّها شَرَفُ الحطيمِ و زَمزَمِ

مَن بيتُ نشْأتها به نَشَأ الهُدى *** وبه الهداية للصراط الأقوم

ضُرِبَتْ مَضاربُ عِزّها فوق السُها *** وسَمَتْ فضائلُها سُموّ المرزمِ (1)

فَضْلٌ كشمسِ الأُفق ضاءَ فلو يَشا *** أعداؤها كتْمانَه لم يُكْتَمِ

كانتْ مَهابتُها مَهابةَ جَدّها *** خيرِ البَريّة و الرسولِ الاعظمِ

1- المِرْزَمَ: السَحاب الّذي لا يَنقَطع رَعْده. كما في «لسان العرب»

كانتْ بلاغتُها بلاغةُ حيدر ال- *** -كرّار إنْ تَخْطبْ و إنْ تتكلّمِ

قد شابَهَتْ خيرَ النساء بهَدْيها *** و وقارِها و تُقي و حُسْنِ تكرُّمِ

و مُقيمَةَ الأسحار في مِحْرابها *** تَدعو و في الليلِ البَهيمِ المُظْلمِ

شَهِدَتْ لها سُوَرُ الكتاب بأنّها *** مِنْ خَير انصار الكتاب المُحْكمِ

زَهِدَتْ بدُنياها و طيب نَعيمِها *** طَلَباً لِمَرضاتِ الكريم المُنْعِمِ

وتَجرَّعتْ رَنقَ الحياة و كابَدَتْ (1) *** مِن دَهرها عَيْشاً مَريرَ المَطعَمِ

فأثابَها رَبُّ السماء كرامةً *** فيها سِوى أمثالُها لم يُكرِمِ

فلَها - كما للشافعين - شفاعةٌ *** يومَ الجَزاء بها نَجاةُ المُجْرِمِ

بَلغتْ مِن المَجْد المُؤثّل مَوضعاً *** ما كانَ حتّى للبتُولة مَريمِ

1- رَنقَ الحياة: كدَرَ الحياة، يُقال: رَنَقَ عَيشُه: أي كَدِرَ

كلّا ولا لِلطُهْر حَوّا او لآ *** سيةٍ وليسَ لأختِ موسى كلثَمِ

هذي النساءُ الفُضْلَيات و في العُلا *** كلٌ أقامتْ في مَقامٍ قَيّمِ

فاقَتْ به كلَّ النساء، ورَبّها *** في الخُلْد أكرَمَها عظيمَ المَغْنَمِ

لكنّ زينبَ في عُلاها قد سَمَتْ *** شَرَفاً تأخّرَ عنه كلٌ مُقَدّم

في عِلْمِها و جَمالها و كمالها *** والفَضْلِ والنَسَبِ الرَفِيعِ الأفخَمِ

مَن أرضَعَتْها فاطمٌ دَرّ العُلى *** مِن ثَديها فَعَنِ العُلى لم تُفْطَمِ

عن أُمّها أخذَتْ علومَ المُصطفى *** وعلومَ والدها الوَصيّ الأكرم

حتّى بِها بَلَغَتْ مَقاماً فيه لَمْ *** تَحْتَجْ لِتَعْليمِ ولا لِمُعلّمِ

شَهِدَ الإمامُ لها بذاك وأنّها *** بَعْدَ الإمام لَها مَقامُ الأعلمِ

ولَها بِيَومِ الغاضريّة مَوقفُ *** أنسى الزمان ثَبات كلِّ غَشَمْشَمِ

حَملَتْ خُطوباً لو تَحمّلَ بعضَها *** لانهارَ كاهِلُ يذبل ويَلَمْلَمِ

و رأتْ مُصاباً لو يُلاقي شَجْوَها *** العَذبُ الفرات كساهُ طعْمَ العَلْقمِ

في الرُزء شاركتِ الحسينَ و بعْدَه *** بَقِيَتْ تُكافحُ كلّ خَطْبٍ مُؤلمِ

كانتْ لنِسْوته الثَواكل سَلوةً *** عُظمى و للأيتام أرفَقَ قَيّمِ

و مُصابُها في الأسْر جَدّد كلّما *** كانتْ تُقاسِيه بعَشْر مُحرّمِ

و دخولُ كوفانٍ آبادَ فؤادَها *** لكنْ دخول الشام جاءَ بأشامِ

لمْ أنسَ خُطبتَها الّتي قَلَمُ القَضا *** في اللَوح مِثْلَ بَيانها لم يُرقمِ

نَزلتْ بها كالنار شَبَّ ضَرَامُها *** في السامِعين، مِن الفؤاد المُضْرَمِ

جاءَتْ بها علويّةٌ وقَعَتْ على *** قلب ابن ميسون كوقع المِخْدَم

أوداجُه انتَفَختْ بها فكأنّما *** فيها السيوف أصبنَه في الغلصمِ (1)

****

أشقيقةَ السِبطين دونكِ مِدْحةً *** قِسٌّ الفَصاحة مِثْلَها لم يَنْظِمِ

تَمتازُ بالحقّ الصَريح لو أنّها *** قِيسَتْ بشِعْر البُحْتري و مسلمِ

يَسلُو المُحِبُّ بها وتَطعنُ في حَشا *** أعداء أهلِ البيت طعنَ اللهْذمِ (2)

بيَمينِ إخلاصي إليكِ رَفعْتُها *** أرجو خَلاصي مِن عَذاب جَهَنّمِ

وعليكِ صلّى الله ما رُفعَتْ له *** أيدي مُحِلّ بالدُعاء ومُحْرِمِ

1- الغَلْصَم: رأس الحُلْقوم. كما في «لسان العرب»

2- اللَهْذم: سَيفٌ لَهْذم: أي حادّ، وقيل: كلّ شيء قاطع .. مِن سَيف أو سنان. «لسان العرب»

رَغمَ كَثْرة ما قيلَ مِن الشِعْر في مَدْح ورِثاء آل رسول الله الطاهرين.. فإنّ قصائد السـيّد حيدر الحلّي لازالَتْ متألّقة ومتفوّقة في سَماء الشِعر والأدَب، فقوّة التعبير، وجمالُ الوَصْف ومُميّزات أُخرى تَجْعلُ الإنسانَ حائراً أمامَ هذا المُسـتوى الرفيع مِن الشعر، والبيان الساحِر، والصِياغة الرائعة الفَريدة!

ولا ـ عَجَبَ مِن ذلـك، فقـد كَتَبوا عن هـذا الشـاعر العظيم أنّه – رغم مَواهبه وثِقَته بنَفْسه وشِعره – كـانُ يُجري على بعض قصائـده لَمَسات فاحِصـة، يقوم خِلالَها بالتغيير والتعـديل والتجميل، ويَسـتمرّ على هـذا المنوال مُدَّة سـنة كاملة، ولذلك جاءَ التعبيرُ عن بعض قصائده ب– «الحَوليّات»!! (1)

أمّا شِعره عن السيّدة زينب الكُبرى:

فالجَدير بالذِكْر أني قرأتُ (ديوان السـيّد حيدر الحلّي) ولم أجِدْ فيه التصـريح باسم السيّدة زينب (عليها السلام) رغمَ أنّه يَتحدّث عنها وعن مَصائبها الأليمة في كثير مِن قصائده الحُسينيّة الرائعة!

فكانّ التَهيُّب والحَياء ورِعاية الأدَب في السيّد، وجَلالة

1– السيّد حيدر بن السيّد سليمان الحلّي، وُلدَ في مدينة الحِلّة بالعراق سنة 1246هـ، وتوفّي سنة 1304، كان عالماً جليلاً، وشاعراً مُجيداً، وكان سيّد الأدباء في عصْره

وعظمة مقامِ السيّدة زينب، وَضَعَتْ أمامَه حُدوداً ألى على نفسه أنْ لا يَتخَطّاها، ومنها التصريح باسم السيّدة زينب عند ذِكْر مَصائبها، إذْ مِن الصـعْب عليه – وهو الإبنُ البارُّ لأهل البيت الطاهرين الغَيور عليهم – أنْ يُصرّح بتفاصيل المأساة، فشخصيّة السيّدة زينب عظيمة فوقَ كلّ ما يُتصوَّر، والمصائب الّتي انصَبّتْ عليها هي في شِدَّة الفظاعة، فهو لا يَذكر اسـمَها بلْ يُشـير ويُلمّح ، ويَرى أن التلْميح خَيرٌ مِن التصريح، «والكناية أبلَغ مِن التَصْريح»، ولعلَّ الرعْشة كانت تَستولي على فِكْره وقريحته وقلَمه، فتَمنَعه مِن التصريح، وانهمارُ الدموع لم يكن يَسمَح له أن يُبصِر ما يَكتُب! فاكتفى أن يَحُومَ حولَ الحِمى والحُدود فقط.

ففي إحدى قصائده الخالدة يَقول:

خُذي يا قلوبَ الطالبيّين قُرْحَةٌ *** تَزولُ الليالي و هي داميةُ القِرْفِ (1)

فإنّ التي لَم تَبْرَحَ الخِدْر أَبرزَتْ *** عَشِيّةَ لا كهْفٌ فتأوي إلى كَهْفِ

1- القِرْف – بكَسْر القاف، وقيلَ: بفَتْح القاف –: القِشْر، يُقال: تَقَرّفَت القُرحَة: أي تَقشّرتْ بعد يُبْسها. دامية القِرْف: أي دائمة التَقشّر بسبب عدم بُرئها، واستمرار نَضْح الدم والقَيْح منها

لقدْ رَفَعَتْ عنها يَدُ القومِ سَجْفَها *** وكانَ صَفيحُ الهِند حاشيةَ السَجْف (1)

وقد كانَ مِن فَرْطِ الخَفارَة صوتُها *** يُغَضُّ فغُضِّ اليوم مِن شِدّة الضَعفِ

وهاتِفةٍ ناحَتْ على فَقْدِ إلْفِها *** كما هتَفتْ بالدَوْح فاقِدُة الإلْف

لقد فَزِعَتْ مِن هَجْمَة القوم وُلّهاً *** إلى ابن ابيها وهو فوقَ الثَرى مُغْفى

فنادتْ عليه حِينَ الْفَتْهُ عارياً *** على جسمه تَسْفي صَبا الريح ماتَسْفي

حَملْتُ الرزايا – قبْلَ يومكَ – كلّها *** فما أنقَضَتْ ظَهْري ولا أوهَنَتْ كَتْفي (2)

1- الصّفيح: السّيفُ العَريض، وقيل: الصّفيح الجَنْب. الهِنْد: السّيف. السّجْف – بفَتح السين وكسْرها: السِتْر المُرخى، وقيلَ: هو السِتْر المُؤلّف مِن قماشين مَقْرونَين، أو قماش وبِطانة للقماش

2- ديوان السيّد حيدر الحلّي، طبع لبنان عام 1404 ه-، ج 1 ص 96

ويقول (رحمة الله تعالى عليه) – في قصـيدة أخرى، يَصِفُ فيها ساعةَ الهُجوم على مُخيّمات الامام الحسين (عليه السلام) بَعْدَ مقتل الامام :-

و حائراتٍ أطارَ القومُ أعينَها *** رُعْباً غَداةَ عليها خِدرَها هَجَموا

كانتْ بحيثُ عليها قومُها ضَربتْ *** سُرادقاً أرضُه مِن عِزّهِمْ حَرَمُ

يَكادُ مِن هَيبَةٍ أنْ لا يَطوفَ به *** حتّى المَلائك لولا أنّهم خَدَمُ

فَغُودِرَتْ بين أيدي القوم حاسِرةً *** تُسْبى وليسَ تَرى مَن فيه تَعتَصِمُ

نَعمْ لَوَتْ جِيدَها بالعَتْب هاتفةٌ *** بقَوْمِها و حَشاها مِلؤُهُ ضَرَمُ

عَجَتْ بِهم مُذ على أبرادِها اختَلَفتْ *** أيدي العَدوّ، ولكنْ مَن لَها بِهِم (1)

1- ديوان السيّد حيدر الحلّي، ج 1 ص 105

وله قصيدة أَخرى يقول فيها:

و أمَضُّ ما جُرِعَتْ مِن الغُصَصَ التي *** قَدَحتْ بجانحة الهُدى ايراءَها

هَتْكُ الطُغاة على بَنات محمّدٍ *** حُجبَ النبوّةِ خِدْرَها و خِباءَها

فتَنازعَتْ أحشاءَها حَرْقُ الجَوى *** و تَجاذَبتْ أيدي العدوِّ رِداءَها

عَجَباً لِحِلْم الله، وهي بعَينه *** بَرزتْ تُطيلُ عَويلَها وبكاءَها (1)

1- ديوان السيّد حيدر الحلّي، ج 1 ص 54

إنّ الإنسان المُنصِف إذا وقَفَ موقفَ الحِياد، ونَظرَ نَظرةٌ فاحِصة إلى مَلَف رجالات الشيعة، وتَتبَّع أحوالَهم في أيّ مجالٍ مِن مَجالات العلوم والفنون، يَجـد أمامَه الكفاءات العَظيمـة، والقابليّات الفَريدة الّتي تُناطحُ السّحاب عُلوّاً وسُموّاً، في كلِّ مجالٍ مِن المجالات، وفي مُختلف العُلوم والفَنون.

أجَل ..

إنّ الكفاءات عند المسلمين الشيعة كثيرة جداً وجدّاً وجداً، ولكن ينْقصها شيئان:

1 – التشجيع الكافي مِن القيادات الشيعيّة العُليا!!

2 – الحُريّات الكافية والمناخ المناسب، الذي يُساعد على نموّ الطاقات، وبُروز المَواهِب، وظهور القابليّات، وتَبَلْور العَبقريّات.

بعد هذا التمهيد .. أقول:

لا نَجـدُ في تاريـخ العَرب والإسـلام شاعراً نظَمَ مَلْحمة شِعريّة والتَزَم فيها بقافية واحدة، وكان طويلَ النَفَس إلى أقصـى حَدّ.. سوى العلّامة الأديب الشيخ عبد المنعم الفرطوسي (رحمة الله تعالى عليه) فإنّ مَلْحمتَه الشِعريّة – رغمَ بساطتها وسلاسة التعبير فيها – فَريدة .. ولا مَثيلَ لها في التاريخ، حيث إنّ أبياتها تُناهِزُ الخمسين

ألف بيتاً (1)!!

وقد أختَرنا مِن مَلْحمتِه الفَريدة بعضَ الأبيات حول سيّدتنا زينب الكُبرى (سلام الله عليها):

هي أزكى صِدّيقةٍ قد تَربّتْ *** بين حِجْر الصدّيقة الزهراءِ

وتَغَذّت مِن فَيض عِلْم عليّ *** وعلومِ النبيِّ خَيرَ غذاءِ

وارتَوَتْ بالمَعين نَهْلاً وعلاً *** مِن علوم السبطين خيرَ أرتواء

وتَبنّتْ نهْجَ البلاغة نَهجَاً *** وهو فَيضٌ مِن سيّد البُلغاء

1- هو الشيخ عبد المُنعم بن الشيخ حسين الفَرطوسي . شاعرٌ مُجيد، وأديب شهير، خَدَم آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بقَريحته الشِعرية المُميّزة. وُلدَ في مدينة النجف الأشرف عام 1335 ه-. كان مِن أبرز صِفاته: التواضع ونُكران الذات .. رغم عِلْمِه الوافِر ومَواهبه الكثيرة. فارق الحياة سنة 1404 ه- رضوان الله عليه

وهي كانتْ تُفْضي بعَهْدِ عليّ *** بعُلوم الأحكام بينَ النِساء

و رآها الوَصيُّ تُروي ظِماءً *** مِن علوم القرآن خَيرَ رواء

قال: هذي الحُروف رَمزٌ خَفيّ *** لمُصابِ الحسين في كربلاء

وبعَهْدِ السَجّاد للناس تُفتى *** بُدُلاً عنْه وهو رَهْنُ البَلاء

وعليُّ السجّاد أثنى عليها *** وعليٌ مِن أفضل الأُمَناء

كان يَروي (الثَبْتُ ابنُ عباس) عنها *** وهو حَبْرٌ مِن أفضلِ العُلَماء

حيثُ كانتْ في الفِقْه مَرْجَعَ صِدْقٍ *** لِرُواة الحديث والفُقهاء

****

هي قُدسٌ به العَفافُ تَزكّى *** وهي أزكى قُدْساً مِن العَذراء

هيَ قَلْبُ الحسين صَبراً وبأساً *** عند دَفْع الخُطوب والأرزاء

وهي أُختُ الحسين عَيناً وقلْباً *** ويَداً في تَحَمُّل الأعباء

شاركَتْهُ بِنهضة الحقّ بِدْءاً *** وختاماً وفي عظيم البَلاء

وجِهادُ الحسينِ أصبَحَ حَيّاً *** بجِهاد الحَوراء للأعداء

وعظيمُ الإيمانِ مِنْها تَجلّى *** حينَ قالتْ والسبطُ رَهْنَ العَراء:

رَبِّ هذا قُربانُنا لك يُهْدى *** فَتَقَبّلْ مِنّا عظيمَ الفِداء

وعِباداتُها وناهيك فيها *** و هي أسمى عِبادةٍ ودُعاء

حِينَ تأتي بوِرْدها مِن جُلوسٍ *** وهي نضوٍ مِن شِدّة الإعياء (1)

1- كتاب «مَلْحَمَة أهل البيت» للشيخ الفرطوسي، ج 3 ص 372 و 373

وللشاعر البارع العلّامة الجليل السيّد رضا الموسوي الهِنْدي (1) هذه القصيدة الشَهيرة:

إنْ كانَ عندكَ عَبْرة تُجْريها *** فانزِلْ بأرض الطفّ كي نَسقيها

فعسى نَبُل بها مَضاجعَ صَفْوَةٍ *** ما بُلّت الأكبادُ مِن جاريها

ولقد مَررتُ على مَنازل عِصْمةٍ *** ثِقْلُ النبوَّة كان أُلقيَ فيها

فبكيتُ حتّى خِلْتُها ستُجيبُني *** ببُكائها حُزْناً على أهليها

وذكرتُ إذْ وَقَفَتْ عقيلةُ حيدرٍ *** مَذْهولة تُصغي لِصوتِ أخيها

بأبي التي وَرِثَتْ مَصائبَ أُمّها *** فغَدتْ تُقابلُها بصَبْر أبيها

لم تَلْهُ عَن جَمْع العِيال وحِفْظِهم *** بفِراقِ إخوتها وفَقْدِ بَنيها

1- هو السـيّد رضا بن السـيّد محمّد بن السـيّد هاشم المُوسَوي المَعروف بالهِندي، لِهِجْرة احد آبائه إلى الهِنْد. وُلِدَ عام 1290ه- في مدينة النجف الأشـرف . درسَ علومَ العَربيّة وعِلْمَ الفِقْه والكلام والمَنْطِق حتّى بَلَغَ درجةً عالِيَة، فكانَ عالماً جَليلاً، وشاعِراً قديراً، وأديباً مُتَفَوّقاً. وله مؤلّفات مخطوطة. مِن أشهَر أشْعاره: «القَصيدة الكَوْثَريّة» الّتي اشتُهِرَتْ شُهْرةً عالَميَّة. فارقَ الحياة سنة 1362ه- في مدينة النجف الاشرف، وشُيّعَ جُثمانه تَشْييعاً عَظيماً، رَحمة الله تعالى عليه

لم أنسَ إذ هَتَكوا حِماها فانثَنَتْ *** تَشْكُو لَواعِجَها إلى حاميها (1)

تَدعو فتَحترقُ القلوبُ كأنَّها *** يَرمي حَشاها جَمْرةُ مِن فيها

هذي نساؤك مَن يكونُ إذا سَرَتْ *** في الأسْرِ سائقَها ومَن حادِيها

أيسوقُها «زَجْرٌ» بضَرْب مُتُونها *** و «الشمرُ» يَحْدُوها بسَبّ ابيها

عَجَباً لها بالأمس أنتَ تَصُونُها *** واليومَ آلُ أُميّة تُبْديها

وسَرَوا برأسِك في القَنا وقلوبُها *** تَسْمو إليه، ووَجْدُها يُضْنيها

إنْ أخَّروه شَجاهُ رؤيةُ حالها *** أو قَدّموه فَحالُه يُشْجيها (2)

1- لواعجَها. لواعج - جَمْع لَعْج - آلامَها وأحزانَها . قال ابنُ دريد - في كتابه: جَمْهَرة اللغة -: «اللَعْج: ما وجَدَه الإنسان في قلبه مِن ألَمٍ أو حُزْن». وقال إبن مَنظور - في كتابه: لسان العرب -: «لعَجَه الضَرْب: آلَمَه وأحرَقَ جِلْده، واللَعْج: ألَم الضَرْب وكلّ مُحْرِق»

2- المصدر: ديوان السيّد رضا الموسوي الهِندي، الطبعة الأُولى ، بيروت - لبنان، عام 1409ه-، ص 47

وللسيّد رضا الموسوي الهِندي قصيدة رائعة أخرى، في رِثاء الإمام الحسين عليه السلام، وفيها يَصِفُ حالَ السيّدة زينب حينما حَضرتْ عند جَسَد أخيها العزيز، وإليك هذه الأبيات المُختارَة:

حَرّ قلْبي لِزَينَب إذْ رَأتْهُ *** تَرِب الجسمِ مُثْخَناً بالجُراحِ

أخْرَسَ الخَطّبُ نُطقَها فَدَعَتْه *** بدُموع بِما تُجِنُ فِصاحِ (1)

يا مَنارَ الضُلّالِ والليل داجٍ *** وظِلالَ الرَميض واليوم ضاحي (2)

كُنت لي – يومَ كُنت – كَهْفاً مَنيعاً *** سَجْسَجَ الظِلّ خافِقَ الارواحِ (3)

1- بما تُجِنّ: أي بما تُخفي، بمعنى: أنّ الدموع تُفْصِح وتُخْبِر عمّا تُخفيه - في قلبها – من الهُموم والأحزان. ويَقرأ البعض: بما تُكِنُّ

2- الرَميض: اليوم الشديد الحَرّ، والشمس الشديدة الحرارة. واليوم ضاحي: أي: عَديم السّحاب. قال ابن زكريّا – في كتاب مُعجَم اللغة –: «الرَمْضَ: حَرّ الحجارة مِنْ شِدّة حَرّ الشمس

3- سَجْسَجَ الظِلّ: لا حَرّ فيه ولا بَرْد، بلْ هواءٌ مُعتَدِل طَيّب. المُعْجَم الوَسيط

أتَرى القومَ إذْ عليك مَرَرْنا *** مَنَعُونا مِن البُكا والنِياحِ

إنْ يَكُنْ هَيّناً عليكَ هَواني (1) *** واغْتِرابي مع العِدى وانْتِزاحي

ومَسِيري أسيرةً للأعادي *** ورُكوبي على النِياق الطِلاحِ (2)

فَبِرَغمِي أنّي أراكَ مُقيماً *** بين سُمْرِ القَنا و بيضِ الصِفاح

لكَ جسمٌ على الرمال، ورأسٌ *** رفعوه على رؤوسِ الرِماحِ (3)

1- لعلّ الأولى قراءتُه هكـذا: لم يكُنْ هَيِّناً عليك هَواني. رَغمَ كونِ هـذا الكلام لسان الحال، وهو لُغَة عاطفيَّة.. تُستَعمَلُ حِينَ التّكلُّم عند جُثمان أو قَبْر الميّت

2- الطِلاح: الإبل الهَزيلة المُتْعَبة

3- ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي، ص 54

وله قصيدة أَخرى يَقولُ فيها:

هذا ابنُ هندٍ – وهو شَرٌّ أُميّة– *** مِنْ آلِ أحمَدَ يَسْتَذِلُّ رِقابا

ويَصُونُ نِسُوتَه ويُبدي زينَباً *** مِن خِدْرها وسكينةً ورَبابا

لَهفي عليها حِين تَأسِرُها العِدى *** ذُلاًّ (1) وتُركبُها النياق صِعابا

وتُبيحُ نَهْبَ رِحالها وتُنيبُها *** عنْها رِحالَ النيب والأقْتابا

سَلَبَتْ مَقانعَها وما أبقَتْ لها *** حاشا المَهابةَ والجَلال حِجابا (2)

وهناك قصيدة أُخرى مَنْسوبَةٌ إلى السيّد رضا الموسوي، قد عُثرَ على خمسة أبيات منها، فأعجبَ بها الخطيب الجليل الشيخ محمد سعيد المنصوري، فأشَدَ أبياتاً شِعريّة على نَفْس الوَزن والقافية وأضافَها إليها، وإليك الابيات الخمسة ثمّ الأبيات المُضافة إليها:

«سلامٌ على الحَوراء ما بَقيَ الدَهرُ *** وما سَطعَتْ شمسٌ وما أشرقَ البَدرُ

سلامٌ على القلب الكبير وصَبْره *** بيومٍ جَرتْ حُزْناً له الأدمعُ الحُمْرُ

1- لعلّ الأولى قراءتُه: ظُلْماً.. بَدَلاً عن: ذُلّاً

2- ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي، ص 43

جَحافِلُ جاءَتْ كربلاء بأثْرها *** جَحافلُ لا يَقوى على عَدّها حَصْرُ

جَرى ما جَرى في كربلاء وَعَينُها *** تَرى ما جَرى ممّا يذوبُ له الصَخرُ

لقد أبصَرتْ جِسمَ الحسين مُبضّعاً *** فجاءَتْ بصَبرٍ دونَ مَفْهومِه الصَبرُ»

رأتْه ونادتْ يابنَ أُمّي ووالدي *** لك القتلُ مكتوبٌ ولي كُتبَ الأسرُ

أخي إنّ في قلبي أسىً لا أُطيقُه *** وقد ضاقَ ذَرعاً عن تحمُّلِه الصَدرُ

أيدري حُسامٌ حَزَ نَحْرَك حَدَهُ *** به حَزّ مِن خير الورى المصطفى نَحرُ

عليّ عزيزٌ أن أسيرَ مع العِدى *** وتَبقى بوادي الطفّ يَصْهَرُكَ الحَرُّ

أخي إنْ سَرى جسمي فقلْبي بكربلا *** مُقيمٌ إلى أن يَنتَهي مِنّيَ العُمْرُ

أخي كلُّ رُزءٍ غيرُ رُزئكَ هَيّنٌ *** وما بسِواهُ اشتدّ واعصَوصَبَ الأمرُ

أ أَنعَمُ في جسمٍ سَليمٍ من الأذى *** وجسمُك منه تَنهلُ البيضُ والسُمْرُ

أخي بَعدك الأيّامُ عادتْ لياليا *** عليَّ فلا صُبحٌ هناك ولا عَصْرُ

لقد حاربَتْ عيني الرُقادَ فلمْ تَنَمْ *** ولي يا أخي إنْ لم تَنَم عينِيَ العُذرُ

أخي أنتَ تَدري ما لأُختك راحةٌ *** وذلك مِن يومٍ به راعَها الشِمْرُ

فلا سَلْوةٌ تُرْجى لها بعدَ ما جَرى *** وحتّى الزُلال العَذْب في فَمِها مُرٌ

أيمنَعُك القومُ الفُراتَ ووُردَهُ *** وذاك إلى الزهراء مِن ربّها مَهْرُ

أخي أنتَ عن جَدّي وأُمّي وعن أبي *** وعن حَسَنٍ لي سَلْوةٌ وبك اليُسْرُ

متى شاهدَتْ عَيناي وَجَهَكَ شَاهَدتْ *** وجوهَهُمُ الغَرّاء وانكشَفَ الضُرّ

و مُذْ غِبْتَ عنّي غابَ عنّي جميعُهم *** ففَقْدُك كسْرٌ ليس يُرجى له جَبْرُ (1)

1- كتاب (مِيراث المنبر) للخطيب الأديب الشيخ المنصوري، ص 274

وللشاعر الأديب، المُوالي المُخلِص الحاج هاشم الكعبي (1) قصيدة غَرّاء تُعتبر مِن أقوى وأشهَر ما قيلَ مِن الشِعر في رِثاء سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين (عليه السلام) وهي تتجاوز 136 بيتاً، وفيها يَصِف حالَ حفيدات الرسالة وبنات الإمامة بَعْدَ مَقتل سيّد الشهداء، وخاصّة سيّدتنا الحوراء العقيلة زينب الكُبرى (عليها السلام) فيقول:

وثَواكِلُ في النَوْحِ تُسْعِدُ مِثْلَها *** أرأيتَ ذا ثَكْلٍ يكونُ سعيدا

حَنّتْ فلم تَرَ مِثْلَهنّ نَوائحاً *** إذْ ليسَ مثلُ فَقيدهِنّ فَقيدا

عَبَراتُها تُحيي الثَرى لو لَم تكُن *** زَفَراتُها تَدَعُ الرياضَ هُمُودا

1- الحاج هاشم بن حردان الكَعْبي، وُلِدَ في «الدَورق» في ضواحي مدينة الأهواز - جنوب ايران - ثمّ هاجَرَ إلى مدينة كربلاء المقدّسة، فدَرسَ في الحوزة العِلميّة هناك، حتّى صار مِن أهل العِلْم والفَضل، وبَرَعَ في الشعر والأدَب، ولَمعَ نجمُه حتّى حَلَّق في عِداد أبرز الشعراء المُتألّقين .. ليسَ في عصْره فحَسْب، بل في تاريخ الشِعر والأدَب. وفي مُختلف العصور! توفّي سنة 1231ه-، رحمة الله تعالى عليه

وغَدَتْ أسيرةُ خِدْرِها ابنةُ فاطمٍ *** لم تَلْق غيرَ أسيرها المَصفُودا

تَدعو بلَهْفَةِ ثاكلٍ لَعِبَ الأسى *** بفُؤاده حتّى انطَوى مَفْؤدا

تُخفي الشَجا جَلَداً فإنْ غَلَب الأسى *** ضَعُفتْ فأبدَتْ شَجوَها المكمُودا

نادَتْ فقَطّعتِ القلوبَ بصَوتها *** لكنّما انتَظمَ البَيانُ فَريدا

إنسانَ عيني يا حسين أُخَيّ يا *** أمَلي وعِقْدَ جُمانيَ المَنْضودا

مالي دعَوتُ فلا تُجيبُ ولَمْ تكُنْ *** عَوَّدتَني مِن قبْلِ ذاك صُدودا

اِلمِحْنةٍ شَغَلَتْك عنّي أمْ قِلىً *** حاشاك إنّك ما بَرِحْتَ وَدودا (1)

1- رياض المدح والرثاء، ص 481

وللعالم الجليل الأديب النَبيل الشيخ علي بن الحسين الحِلّي الشفهيني (1) قصيدة رائعة نَختار منها هذه الأبيات:

وعليكِ خِزْيٌ يا أُميّةُ دائماً *** يَبقى، كما في النار دامَ بَقاكِ

هَلّا صَفَحْتِ عن الحسين ورَهْطه *** صَفْحَ الوَصيِّ ابيه عن آباكِ

وعَفَفْتِ يوَم الطفّ عفّةَ جَدّه ال- *** -مَبعوث يومَ الفَتْح عن طُلَقاكِ

أفهَلْ يَدٌ سَلَبَتْ إِمَاءَكِ مِثْلَما *** سَلَبَتْ كريماتِ الحسين يَداكِ

أمْ هَل بَرَزْنَ بفَتْح مكّةَ حُسّراً *** - كنِسائه يومَ الطفوف - نَساكَ

1- هو الشيخ علي بن الحسين الحِلّي الشَفَهيني (رحمة الله تعالى عليه). لم يُعْرفْ - بالضبط - تاريخُ ولادته أو وَفاته، إلّا أنّه يُعَدُّ مِن شُعَراء القَرْن الثامن الهِجْري، كانَ عالماً جليلاً، وشاعِراً أديباً، مَدَحَ أهلَ البيت (عليهم السلام) بِقَريحَتِه الشِعْريّة بنِسْبةٍ كبيرة، حتّى سُجّل إسمُه في سِجِل شُعَرائهم المُتألّقين في رُتْبَة شِعْره

بئسَ الجَزاءُ لأحمدٍ في آله *** وبَنيه يومَ الطَفّ كان جَزاكِ

لَهفي لآلكَ يا رسولَ الله في *** أيدي الطُغاة نَوائحاً وبَواكي

مابينَ نادِبَةٍ و بينَ مَرْوعَةٍ *** في أسْرِ كلِّ مُعانِدٍ أفّاكِ

تالله لا أنساكِ زينبَ، والعِدى *** قَسْراً تُجاذِبُ عنكِ فَضْلَ رِداكِ

لم أنسَ – لا والله – وَجْهَكَ إذْ هَوَتْ *** بالرُدْنِ ساتِرةٌ لَهُ يُمْناكِ (1)

حتّى إذا هَمُّوا بِسَلْبِك صِحْتِ باس– *** –م أبيكِ، واستَصْرختِ ثُمّ أخاكِ

تَستَصْرِخيه اسىً و عَزّ عليه أنْ *** تَستَصرِخيه ولا يُجيبُ نِداك (2)

1– الرُدْن: الكُمّ

2– رياض المدح والرثاء، ص 22 و 23

وللسيّد محمّد بن السيّد مال الله القَطيفي (1) قصيدة غَرّاء، جاءَ فيها:

قُتِلَ الحسينُ فيا سَما ابكي دَماً *** حُزْناً عليه ويا جِبالُ تَصَدّعي

مَنَعوهُ شُرْبَ الماء، لا شَربوا غداً *** مِن كَفّ والدِه البَطينِ الأنزَعِ

ولِزَينبٍ نَدْبُ لِقَقْد شَقيقِها *** تَدْعوهُ يابنَ الزاكياتِ الرُكّعِ

اليومَ أصْبعُ في عَزاكَ مَلابِسي *** سُوداً وأسْكُبُ هاطِلاتِ الأدْمُعِ

اليومَ شَبُّوا نارَهم في مَنْزِلي *** وتَناهَبُوا ما فيه حتّى بُرْقُعي

اليومَ ساقُوني بِظُلْم يا أخي *** والضَربُ الَّمَني و اطفالي مَعي

1- السيّد محمّد بن السيّد مال الله، المشهور بلقَب (أبو الفلفل) مِن أهل مدينة القطيف، هاجَرَ إلى العراق، وسَكنَ في مدينة كربلاء المقدّسة، إلى أنْ وافاه الأجَل عام 1261ه-. كان شاعراً حُسَينيّاً مُجيداً، رحمة الله عليه

لا راحِمٌ أشكو إليه مُصيبَتي *** لَمْ أَلْفَ إلّا ظالما لَمْ يَخْشَعِ

حالَ الرَدى بَيني وبَينَك يا أخي *** لو كُنتَ في الأحياء هالَك مَوضعي

أنعِمْ جَواباً يا حسينُ أما تَرى *** شِمْرَ الخَنا بالسَوط ألَّمَ أضلُعي

فأجابَها مِنْ فَوقِ شاهِقَةِ القَنا *** قُضِيَ القَضاءُ بما جَرى فَاسْتَرْجِعِي

و تكفّلِيْ حالَ اليتامى وانظُري *** ما كُنتُ أصنَعُ في حِماهُمْ فَاصْنَعي (1)

1- موسوعة (أدَب الطَف) للعلّامة الخطيب المُجاهد السـيّد جواد شُبّر، ج 6 ص50، والأبيات الثلاثة الأخيرة غير مَذكورة في كتاب (أدَب الطف)

وللشاعر الأديب الشيخ عبدالحسين بن أحمد شكر (1) (رحمة الله عليه) قصيدة يَستَنْهضُ فيها الإمامَ المهدي المنتظر (عجّلَ الله تعالى فَرَجه الشريف) ويَطلُب منه أن يُعجّل بالظهور، لكي يَطلبَ بثار جَدّه الشهيد الإمام الحسين عليه السلام، يقول فيها:

أتَنسى – وهل يُنْسى – وُقوف نسائكم *** لَدى ابنِ زيادٍ إذْ أماطَ حِجابَها

وَعَمّتُك الحَوراء أنّى تَوَجَهَتْ *** رَأتْ نائباتِ الدَهْرِ تَقْرعُ بابَها

فما زينبٌ ذاتُ الحِجال و مَجْلساً *** به أسمَعَ الطاغي عِداها خِطابَها

لَها الله مِن مَسْلُوبةٍ ثَوبَ عِزّها *** كَسَتْها سِياطُ المارِقين ثيابَها

1- جاء في كتاب (أدب الطف) ما مُلَخّصه: الشيخ عبد الحسين بن الشيخ أحمد بن شكر، له قصائد كثيرة في رثاء أهل البيت، وقد نالتْ أكثرُ قصائده إعجابَ خطباء المنبر الحسيني الكرام، فهُم يُزينون مَجالسَهم ومُحاضراتهم بها. لانَعلم سنة ميلاده بالضبط. فارق الحياة سنة 1285ه-. حُكي أن (آل شكر) أُسرةٌ شريفة سكنتْ مدينة النجف الأشرف، منذ زَمَن قديم، واصلُهم مِن عَرَب الحِجاز. لمعرفة المزيد عن حياته يُراجع كتاب (أدب الطف) للسيّد جواد شُبّر ج 7 ص 187

تُعاتِبُ آساداً فُنُوا دونَ خِدْرها *** تَخوضُ المنايا لو يَعُون خِطابَها (1)

بَني هاشمٍ هُتِّكْنَ مِنكُمْ حَرائرٌ *** حَميْتُم، ببِيض المُرهَفات قُبابَها (2)

ولَه قصيدة أُخرى يَقول فيها:

وتَرى مُخدّرةَ البَتولةِ زينباً *** والخَطْبُ يَصفِقُ بالأكفّ جَبينَها

مِن حولها أيتامُ آلِ مُحمّدٍ *** يَتفَيّؤون شِمالَها ويَمينَها

لا تَبزَغي يا شمسُ مِن أُفُقِ حَياً *** مِن زينبٍ فلقد أطّلْتِ أنينَها

ذُوبي فانّك قد أذَبْتِ فُؤادَ مَن *** كانت تُظلِّلُها الأُسودُ عَرِينَها

وتَقَشَعِي يا سُحْبُ مِن حَجَلٍ ولا *** تَسقي الظُماة مَدى الزمان مَعينَها

فبَناتُ أحمدَ في الهَجير صَواديا *** أودى بها ظمأٌ يُشيبُ جَنينَها

حرَمٌ لِهاشم ما هَتَفْنَ بهاشمٍ *** إلّا وسَوّدَت السياطُ مُتونَها (3)

1- لعلّ الأصحّ: بِخَوضِ المنايا

2- رياض المدح والرثاء ص 651

3- نَفْس المصدر، ص 337

وله قصيدة أَخرى يَقول فيها:

أيّها الراكِبُ المُجِدُّ إذا ما *** نَفَحَتْ فيك للسُرى مِرقال (1)

عُجْ على طيبَةٍ فَفيها قُبورٌ *** مِن شَذاها طابَتّ صَبا وشمالُ

إنّ في طيّها أُسوداً إليها *** تَنْتَمي البيضُ والقَنا والنِبالُ

فإذا استَقبلَتْك تَسألُ عنّا *** مِن لُؤيٍ نساؤها و الرِجالُ

فاشْرحِ الحالَ بالمَقالِ وما ظنّ- *** -يَ يَخفى على نزار الحالُ

نادِ ما بينَهم بَني الموت هُبّوا *** قد تَناهَبْنَكُم حِدادٌ صِقَالُ

تلك أشياخُكم على الأرض صَرعى *** لم يُبِلّ الشِفاءَ مِنها الزُلالُ

1- المِرْقال: الإبل الّتي تُسْرِعُ في السَير، المُعْجَم الوَسيط

غَسّلَتْها دِماءُها، قَلّبَتْها *** أرجُلُ الخَيل كفّنَتْها الرِمالُ

ونساءٌ عَوَدْتُمُوها المَقاصي- *** -رَ ركِبنَ النِياقَ وهي هِزالُ

هذه زينبٌ و مِن قَبْلُ كانتْ *** بِفِنا دارِها تُحَطُّ الرِحالُ

والّتي لمْ تَزَل على بابَها الشا *** هِقِ تُلْقِي عِصِيّها السُوّالُ

أمْسَت اليومَ و اليتامى عليها *** يالَقومي تَصَدّق الأنذالُ (1)

1- رياض المدح والرثاء، ص 324

ولخَطيب المنبر الحَسّيني العلّامة المُجاهد المرحوم الشيخ هادي الخَفاجي الكربلائي (1) قصيدة في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) ومنها هذه الأبيات:

خَرّ قُطْبُ الوَغى على التُرْب ظامٍ *** جسْمُه بالضُبا جَريحاً كَليما (2)

فَبَكتْه السَما هناكَ نَجيعاً *** وبها مأْتمُ العَزاء أُقيما (3)

1- هو الشيخ هادي بن الشيخ صالح بن مهدي الخفاجي. وُلدَ سنة 1908م. أكمَلَ دراستَه في الحوزة العِلْميّة بمدينة كربلاء المقدّسة، وتتلْمَذَ - في الخطابة - على يد خطيب كربلاء الشيخ محسن أبو الحَب. كانتْ له قُدرة عجيبة على تَهييج العَواطف وإبكاء العيون، حتّى فاقَ زُملاءَه ومُعاصريه في هذه المزيّة. وكان ناجحاً - بنسبة عالية - في تَجسيد ووَصْف المَشهَد الذي يَذكره مِن لَقطات فاجعة كربلاء الدامية. لَحِقَ بالرفيق الأعلى ليلة 1412/6/30 ه- الموافق ل- 1992/1/4 م، وجَرى لجنازته تَشييع مَهيب في مدينة كربلاء. ودُفنَ في (وادي كربلاء). تَغمَّدهُ الله برَحمته الواسعة

2- كليما: مَجْروحاً

3- هذه الجملة إشارة إلى حادِثة كونيّة وواقعة غَيبيّة! ورَدَ ذِكْرها في كلمات زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وهي: «وفُجِعَت بك أُمُّك فاطمة الزهراء، واختَلَفتْ جُنودُ الملائكة المُقرّبين تُعزّي أباكَ أميرَالمؤمنين، وأقيمَتْ لك المَآتِم في أعلى عِلّيّين، تَلْطِمُ عليك فيها الحورُ العِين، وتَبكيكَ السماواتُ وسُكَانُها ....». المصدر: بحار الانوار للشيخ المجلسي، ج98 ص 241، باب 35

وبناتُ الهُدى بَرَزْنَ حَيارى *** تَندِبُ النَدْبَ والهُمام الكريما

وأمامَ النِساء حِلْفُ الرَزايا *** زينبٌ مَن غَدَتْ تُقاسي العَظيما

تَنْدبُ السِبطَ والدموعُ هَوامي *** ولَظى الوَجْدِ في الفؤاد أُقيما

حَرّ قلبي لِقَلْبها مُذرَاتُه *** وبَنُو الشِرْكِ مِنْهُ حَزّوا الكريما

يا أخي مَن تَرى يَذودُ الأعادي *** بَعدكم مَن تَرى يُحامي اليَتيما (1)

وللشيخ هادي الخَفاجي الكربلائي قصيدة أُخرى، نَقتطف منها هذه الأبيات:

لو كانَ يَبقى للمُحِب حَبيبُه *** ما عادَ حَيراناً سَليلُ محمّدِ

فَقَد الأحِبّة و الحُماة بكربلا *** وبَقي فَريداً لا يرَى مِن مُنْجِد

لم انسَه لَمّا رأى أهلَ الوَفا *** صَرعى على حَرِّ الثَرى المَتوقِّدِ

قَطَعَ الرَجا منْهم وعادَ مُودّعاً *** حَرَمَ المُهيمِن مِن عَقائل أحمد

فبَرزْنَ مِن حَرَم الإله بنَدْبها *** وَلْهى بنَعْي مُوجِعٍ وتَوَجُّد

1- كتاب «ذِكْرى خطيب كربلاء» بقلم نُخبة مِن أُدباء كربلاء، طبْع بيروت، دار الكتاب والعِتْرة، ص 19

وعليه دُرْنَ صَوارخاً و نَوادبا *** ولِنَعْيها قد ذابَ صُمُّ الجَلْمَدِ

وأشَدُّها حُرْقاً عَقيلةُ أحمدٍ *** تَدعو أخاها السبط في قلْبٍ صَدي

مَن بَعْدَ فَقْدِكَ يا حِمانا مَلْجا *** للحائرات و لليَتامى الفُقّدِ

مَن ذا تَرى يَحمي حِماها إِنْ غَدَتْ *** مِن ضَرْب أعداها تُدافِعُ باليَد

مِن بَعْدكم قد عِيلَ صَبْري وانفَنى *** عُمْري لِرُزْئكُمُ و بانَ تجلّدي

أمْ كيف سُلواني و خَيلُ بَني الشِقا *** تَعْلو صدوركمُ تَروحُ وتَغْتدي (1)

1- كتاب «ذِكْرى خطيب كربلاء»، ص 20

ولسماحة الخطيب البارع العَلّامة الشيخ حسين الطُرْفي (1) هذه القصيدة المُميّزة بروح الولاء ونكْهة الإخلاص وسَلامة العقيدة:

ص: 668

1- هو الشيخ حسين بن المَرحوم الشيخ عبّد العالي. عالمٌ جَليل، وخَطيب بارع، وشاعرٌ أديب. وُلدَ في مدينة مِن مُدُن جُنوب ايران، في اليوم الثالث مِن شهر شعبان عام 1356ه-. في السّنة العاشرة مِن عُمره هاجَرَ - بِرفْقة والده - إلى مدينة النجف الأشرف، لِيَنْهَلَ العِلْم في مدينة «باب مَدينة العِلم»: الإمام أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب (عليه السلام). بَقيَ في النجف أربع سَنَوات، ثمّ عادَ إلى وَطنه في جنوب ايران، ثمّ بعد مُدّة .. هاجَرَ إلى مدينة قم المقدّسة في ايران، لإكمال دراسته العُليا هناك، وبَقي فيها أربع سنوات. بَدأَ نَظم الشِعْر في السابعة عشرة مِن عُمره، وافتَتَحَ قَريحَتَه الشِعْريّة بِقَصيدة في مَدْح رسول الله سيّدنا محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم). هو اليوم.. خَطيبٌ بارز يَرقى المنبر في الكويت، ويَتصدّى لتاسيس وإدارة مَشاريع دِينيّة وحُسّينيّة في جُنوب ايران. مِن أبرز صِفاته: التَواضُع وسِعة المَعلومات، وإتْقان علوم اللُغة العربيّة. نَسألُ الله تعالى لَه مَزيدَ التوفيق، وطولَ العُمر .. مَقْروناً بالصحّة والسَلامة

بَضْعةَ البَضْعةِ البَتولة فاطمْ *** وكفى تلك نِسْبةً للمَكارمْ

بكِ يَعْتَزُّ هاشمٌ حِينَ تُعْزَين *** إليه إنْ قيلَ يا بنةَ هاشمْ

يابنةَ المُصطفى الذي اختارَهُ اللهُ *** رَسولاً وللنَبيّين خاتِمْ

وابنةَ المُرتضى عليّ و اسمى *** والِدٍ لابنَةٍ نَمَتْها الأعاظمْ

ثمّ يا صَنْوة الإمامين طوبى *** لكِ أُختَ العبّاسِ بَدْرِ الهَواشِمُ

إئذَني يا عَقِيلةَ الطالبيّين *** لِمُستَاذن على البابِ جاثِمْ

يَبتغي الإذنَ في اقتِحام رِحابٍ *** مِن مَزاياكِ واضحاتِ المَعالمْ

حَرَمٌ لا يَحُومُ فيه سِوى المَأذونُ *** منكُم بأنْ يُرى في المَحارمْ

آيةُ الإذْنِ عِنْدَهُ أنْ سَيُهْدى *** لِصَوابِ المَقال فيكِ الناظِمْ

لِيَقول الّذي لهُ أنتِ أهلٌ *** أسعِفيه يَسْعُدْ بكِ المُتَشائمْ

شَفِّعيْ فيهِ حُبّهُ ووِلاهُ *** ورَجاهُ في أنْ يكون الخادِمْ

****

خَصّكِ اللهُ باصطفائكِ رِدْءاً *** لإمامٌ على الشَريعة قائمْ

قد أقامَ السِبطُ القَوائمَ للدين *** لِيَعْلُو وكُنتِ إحْدى القَوائمْ

رامَكِ السبطُ للبِناء وللْهَدْم *** لكِ الله مِن مُشِيدٍ و هادِمْ

شِدْتِ ما أسَّسَ الحسينُ، وهُدّتْ *** بكِ ممّا شاءَ الطُغاةُ دَعائمْ

يا لِذاكَ اللسانُ يُفرغُ عَمّا *** بَينَ لِحْيَيْ أبيكِ سيفاً صارِمْ

مِقْوَلُ طاحَ بالعُتاةِ فأودى *** بابن مَرجانةَ الكفورِ الظالِمْ

واغتَدى في الشِآم مِعْوَلَ هَدْمٍ *** فُلّ فِيهِ عَرشُ البَغيضِ الحاكِمْ

واحَلْتِ الغُرورَ فيهِ انهزاماً *** حِينَ في دارِهِ أقَمْتِ المَآتِمْ

****

لكِ قلْبٌ ما ضاقَ وُسْعَاً برُزءٍ *** لم تُطِقْ حَمْلَهُ قلوبُ العَوالِمْ

فَبَكاهُ مَن في السَماء ومَن في ال- *** أرض حتّى لقد بَكتْهُ البَهائمْ

ولَكَم كُنْتِ إِذْ تُعانينَ ضَعْفاً **** مِن لغُوبٍ تُبدينَ أقوى العَزائمْ

جُدْتِ بالجُهْد كلّما تَستطيعي- *** -نَ وبَذْل القُوى لِحِفْظِ الفَواطمْ

لكِ عَينٌ تَرعى اليَتامى وتَبكي *** للأيامى وما اغتَدَتْ عَين نائمْ

بَينَ حِرْصٍ على العِيال وجُودٍ *** بدُموعٍ سَخِينَةٍ وسَواجِمْ

ولقدْ أذهَلَ العُقُول وقوف *** لكِ عند الحسين و الفِكْرُ هائمْ

مَعَكِ الحائراتُ قد حُمْنَ مِن حو *** لكِ ذُعْراً كما تَحُومُ الحَمائمْ

فَفَزِعْتُنّ للصَريع على الرمضاء *** يَشكو الظَما عن الماء صائمْ

و شَهِدْتِ الذي جَرى مِن عظيم ال- *** -خَطبِ لم يَجْرِ مِثْلُه في العَظائمْ

وتَحمّلْتِ تَرْكَ شِلْوِ حسينٍ *** عاريا و المَسِيرَ فوقَ السَوائمْ

و تَهَيّات للتَحَمّلِ فيما *** سوفَ يأتي مِن البَلاء القادمْ

ما نَسِيتِ الحسينَ للموت حتّى *** مِتِّ و القلْبُ فيه ما اللهُ عالِمْ (1)

1- المصدر: ديوان الشيخ حسين الطرفي، مَخطوط

وللشاعر الأديب، الخطيب البارع، المرحوم الشيخ مُحسن أبو الحَب (1) قَصيدةٌ في رثاء سيّد الشُهَداء الإمام الحسين (عليه السلام) نَقْتَطِفُ مِنْها هذه الأبيات:

واذكُرْ ولَسْتُ أراكَ تَنْسى زَينَباً *** وعَساكَ تَذكُرُ قَلْبَها الحَرّانا

أحسين! سُلْواني عليّ مُحرّمٌ *** أمْ بَعْدَ فَقْدِك أعرِفُ السُلْوانا

أخشى البِعادَ وأنتَ أقربُ مَن أرى *** حَولي و أشكو الصَدَّ والهّجْرانا

هذا عَليلُكَ لا يُطيقُ تَحرُّكاً *** مِمّا دَهاهُ مِن الضَنا و دَهانا

وتَهُونُ رِحْلَتُنا عليك وراسك ال- *** سامي نَراهُ على القَنا ويَرانا؟!

1- الشـيخ مُحسن أبو الحَب: خطيبٌ بارع، وشاعِرٌ أديب، وعالم مُتَنوّع في علومه، ومُتكلّم مُتمكّن في خِطابَته. له ديوان شِ عر مَخطوط، كلُّه في مَدْح ورثاء الأئمّة الطاهرين. وُلدَ سـنة 1235ه-، في أسـرَةٍ عَربيّة تُعرَف ب- «آل أبي الحَب». فارقَ الحياةَ ليلة الإثنين 20 / ذي القعدة/ 1305 ه-، ودُفِنَ في مدينة كربلاء المقدّسة

ليَ إِخْوَةٌ كانوا وكُنْتُ بِقُربِهِمْ *** أحمِي النَزيلَ وأمنَعُ الجِيرانا

واليومَ أسالُ عَنْهمُ البِيضَ الّتي *** صارتْ نُحُورُهمُ لَها أجفانا

واليومَ أسالُ عنْهمُ السُمْرَ الّتي *** صارتْ رؤوسُهُمُ لَها تِيجانا

واليومَ أسالُ عَنْهمُ الخَيلَ الّتي *** صارتْ صُدُورُهُمْ لَها مَيْدانا

ذَهَبوا كأنْ لم يُخْلَقوا وكأنَّني *** ما كنْتُ آمِنَةٌ بِهِمْ أوطانا

أنا بِنْتُ مَن أنا أُختُ مَن أنا مَن أنا *** لَو أنصَفَ الدَهرُ الّذي عادانا

ولسماحة الخطيب الأديب الشيخ محمّد باقر الإيرواني (1) القصيدة التالية:

يا زائراً قبرَ العقيلةِ قِفْ وقُلْ: *** منّي السّلام على عَقيلةِ هاشمِ

هذا ضَريحُكِ في دمشقَ الشام قد *** عَكَفَتْ عليه قلوبُ أهلِ العالَم

هذا هو الحقُّ الذي يَعلُو، ولا *** يُعلى عليه، بِرَغم كلّ مُخاصِم

سَلْ عن «يزيدَ» و أين أصبَحَ قبرُه *** و عليه هَلْ مِن نائحٍ أو لاطِم؟؟

أخْزاهُ سُلْطانُ الهَوى و أذلّهُ *** و مَشى عليه الدهْرُ مِشْيَة راغمِ

أينَ الطُغاةُ الظالمون وحُكمُهم؟ *** لم يُذْكَروا إلّا بلَعْنٍ دائمِ

أينَ الجُناةُ الحاقِدون ليَعلَموا *** هُدِمَتْ مَعالمهُمْ بِمِعْوَل هادِم

1- الشيخ محمّد باقر الإيرواني: خطيبٌ مُعاصِر، وأديب شاعر، يَصْرفُ كثيراً مِن أوقاته في إغاثَة الفُقَراء والمساكين. نَسأل الله تعالى له مَزيداً مِن التَوفيق لما يُحبّه الله ويَرضاه

و مَصيرُهم أمسى مَصيراً أسوداً *** بِئْسَ المصيرُ إلى العقاب الصارِمِ

يا وَيَحَهُمْ خانوا النَبيَّ وآلَهُ *** كم مِن جِناياتٍ لَهُم و جَرائمِ

عَمَدوا لهَدْم الدين بُغْضاً منهُمُ *** للمُصطفى و لِحَيدرٍ و لِفاطمِ

كم مِن دَمٍ سَفَكوا وكم مِن حُرْمَةٍ *** هَتَكوا كذِي حَنَقٍ و نِقْمَةِ ناقِم

و بَناتُ وَحْيِ الله تُسْبى بينَهم *** مِن ظالمٍ تُهْدى لالعَن ظالمِ

والَهفَتاهُ لِزَينبٍ مَسْبِيّةٌ *** بين العِدى تَبكي بدَمعٍ ساجِم

و تَرى اليتامى والمُتُون تَسَوّدَتْ *** بسياطهم ألَماً و لا مِن راحمِ

فإذا بكتْ ضُربتْ، وتُشْتَمُ إنْ شَكَتْ *** مِن ضاربٍ تَشكو الهَوانَ و شاتِم

وللخطيب الجليل الشاعِر النَبيل الشـيخ محمّد سعيد المنصوري (1) هذه الأبيات الشـعريّة، وقد نَظمَها بمناسبة وفاة السيّدة زينب الكبرى عليها السلام

اليَوم يَومٌ حُزنُه لا يَذهَبُ *** ماتَتْ به أُمُّ المَصائبِ «زينبُ»

ماتتْ ونارُ الوَجْد بينَ ضُلوعِها *** ممّا جَرى في الغاضِريّة تَلهَبُ

قد واصَلتْ أيّامَها بأنينها *** وحَنينِها، ودُموعُها لا تَنْضَبُ

ما انفَكَ رُزءُ الطفّ يأكلُ قلْبُها *** ذاك الصَبور لَدَى الخَطُوب، الطيّبُ

1- هو الشـيخ محمّد سـعيد بن الشـيخ موسـى المَنصوري: خَطيبٌ كبير، وشاعرٌ شَـهير، ومؤلّف قَدير. وُلدَ في مدينة النجف الاشـرف سنة 1350ه-، ونَشا فيها، وأكمَلَ دراسـتَه الحَوْزَويّة والخِطابيّة، ثمّ هاجَرَ منها إلى مدينة عبّادان .. جنوب ايران. له قُدْرة عَجيبة في سَـرْعة وسُهولة إنشاد الشِـعْر، بحيث يَتـذكّرُ الإنسانُ قولَ الله تعالى: «وألَنّا لَهُ الحَديـد»! لَهُ مُؤلَفات مُتعدِّدة تَنْفَع الخطباء بشـكلٍ خاص. نَتمنّى له مَزيداً مِن التوفيق لخدمة الدين والعقيدة

قلْبٌ تَحَمّلَ مِن صُروف زَمانه *** ما منه يَذبُلُ خِيفَةً يتهيّبُ

مِحَناً ثِقالاً قد تَحمّل قلْبُها *** مِن حادثاتٍ أمْرُها مُستَعَبُ

رأتِ الأحِبّةَ والحسين بجَنْبهم *** ثاوٍ وكلٌّ بالدِّماءِ مُخَضّبُ

فوقَ الصعيد جُسومُهمْ وعلى القنا *** رأتِ الرؤوس، وخَصْمها يَتقلّبُ

فَرَحاً بقَتْلِ ابنِ النبي و ذلكُمْ *** مِن كلّ ما لاقتْهُ «زينبُ» أصعَبُ

وَمَشَتْ وسائقُ ظعْنها شمرُ الخَنا *** فإذا بكتْ وَجْداً تُسَبُ وتُضرَبُ

فقَضتْ زمانَ الأسر مِن بلَدٍ إلى *** أُخرى تُؤنّبُ في الخُصومِ وتَخْطبُ

قد أوضَحَتْ بِخطابها عَمّا خَفَى *** للناس مِن فَضْلٍ لَها فتَعَجّبوا

لِمْ لا تكونُ أميرةً بِخِطابها *** و أميرُ كلّ المُؤمنين لَها أبُ

بَقِيَتْ ببَحْرِ الحُزن تَسبحُ والأسى *** بعدَ الحسين وللمَنيّة تَطلُبُ

حتّى انتَهتْ منها الحياة وقلْبُها *** سِفرٌ كبيرٌ بالشُّجُون ومَكْتَبُ

ماتتْ وما ماتتْ عقيلةُ هاشمٍ *** فَلَها الوجودُ مِن المُهيمن مُوهَبُ

فهي الّتي إنْ غُيّبتْ في لَحْدِها *** فَلَها مَواقفُ شَمْسُها لا تَغرُبُ

دَعْها تُنعّمُ في الجِنانِ لَعَلّهُ *** يَرتاحُ مِنْها اليوم قلْبٌ مُتْعَب (1)

1- ديوان مِيراث المنبر، للشيخ المنصوري، الطبعة الأُولى، ص 260

وللشاعر الأديب الحاج عبد المجيد العسكري الكربلائي (1) هذه الأبيات الّتي تَنبُع عن قلبه المُفعَم بولاء أهل البيت (عليهم السلام):

لِزَينبٍ مَرقَدٌ يَزهو لِشيعَتها *** و نورُه صاعِدٌ لِلَّوْحِ والقَلَمِ

يَزورُها مَن لَهُ عِلْمٌ بِشَوْكَتِها *** إنّي لَها و مُواليها مِن الخَدَمِ

هي ابْنةُ المرتضى والطُهْر فاطمةٍ *** حَفيدةٌ لنبيّ سيّدِ الأُمَمِ

في الشام بنتُ رسول الله حاوِيةٌ *** اسمى سُموّ و عِزّاً غيرَ مُنعَدِمِ

1- هو الحاج عبد المَجيد بن علي أكبر العسكري. وُلِدَ في مَدينة كربلاء المُقدّسة، عام 1347ه-، شاعِرٌ مُعاصِر، وأديبٌ مُشابِر . مِن أشهَر صِفاتِه: التَواضُع، ورِقّةَ قلْبه الّتي تَجعَلُه - حِينَ إستماعه إلى مَصائب أهل البيت (عليهم السلام) - تَتَسابَقُ دُموعُ عَيْنَيْه بالإنْهِمار، فَهَنيئاً له على هذه الصِفة. لَه ديوانُ شِعْر مَخطوط، يُقيمُ - حالِيّاً - في مدينة قم المشرَّفَة - بإيران. نَتَمَنّى لَه مَزيدَ التوفيق والسَلامة مِن آفات الزمان

إنّا نُضحّي نُفوساً والنَفيسَ لَها *** وليسَ يُدركُنا شيءٌ مِن السَام

هذي الولايةُ خَصّ الله شيعتَها *** بها، و ليسَ لهمْ في الحُبِّ مِن نَدَم

إنّا نُعادي مُعادي زَينبٍ أبَداً *** وإنّه يَستَحقّ الدَوسَ بالقَدَمِ (1)

ص: 681

1- ديوان الحاج عبدالمجيد العسكري، مَخطوط

مِن مصادر هذا الكتاب

1 – الإحتجاج للشيخ الطبرسي، طبْع بيروت – لبنان، عام 1403ه–، مَنشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.

2 – أخبار الزَينبات، للسيّد يحيى بن الحسن العُبيدلي، طبع قم – ايران، عام 1401ه–، مَنشورات مكتبة السيّد النجفي المرعَشي.

3 – أدب الطف، للسيّد جواد شُبّر، طبع بيروت – لبنان، عام 1409ه–، مَنشورات دار المُرتضى.

4 ـ الإرشاد، للشيخ محمّد بن النعمان المُفيد، طبْع ايران قم، مَنشورات مكتبة بصيرتي.

5 – أسرار الشهادات، للفاضِل الدَربندي، طبع البحرين، سنة 1415ه–، مَنشورات شركة المصطفى للخَدمات الثقافيّة.

6 ـ الإيقاد، للسيّد محمّد علي الشاه عبْد العظيمي، طبْع قُم ايران، عام 1411ه‍ـ، مَنشورات مكتبة الفيروز آبادي.

7 – بحار الأنوار، للشيخ المجلسي، طبْع بيروت – لبنان، عام 1403ه‍ـ، مَنشورات مؤسّسة الوفاء.

8 – تذكرة الخواص، لسبط ابن الجَوزي، طبْع طهران ايران، مَنشورات مكتبة نينوى الحديثة.

9 – تَظلُّم الزهراء، للسيّد رضي بن نبي القزويني، طبْع بيروت – لبنان عام 1420ه‍ـ.

10 – الخَصائص الزَينبيّة، للسيّد نور الدين الجزائري، طبْع قم – ايران سنة 1418ه‍ـ، مَنشورات مكتبة الشَريف الرضي.

11 – الدُرُّ النَظيم، للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، طبْع قُم – ايران، عام 1420ه‍ـ، مَنشورات مؤسّسة النشر الإسلامي.

12 – ديوان إبن كمّونة، الحاج محمّد علي آل كمّونة الأسَدي الحائري، طبْع قم – ايران، عام 1411ه‍ـ، مَنشورات مكتبة الشَريف الرضي.

13 – رَياحين الشريعة، للشيخ ذَبيح الله المَحلّاتي، طبع طهران – ايران، عام 1370ه–، مَنشورات دار الكُتُب الإسلاميّة.

14 – زينب الكُبرى، للشيخ جعفر النَقْدي، طبْع قُم ايران، عام 1420ه–، مَنشورات المكتبة الحَيدريّة.

15 – الطرائف، للسيّد ابن طاووس، طبع قم ـ ايران، عام 1400ه–، منشورات مطبعة الخَيّام.

16 – عَبَرات المصطفين، للشيخ محمّد باقر المحمودي، طبْع قم – ايران، عام 1417ه–، مَنشورات مَجْمَع إحياء الثقافة الإسلاميّة.

17 – عِلَل الشرائع، للشيخ الصدوق، طبْع بيروت لبنان، عام 1408ه–، مَنشورات مؤسّسة الاعلمي للمطبوعات.

18 ـ الغيبة، للشيخ الطوسي، طبْع قم – ايران، عام 1408ه–، مَنشورات مكتبة بصيرتي.

19 – كامل الزيارات، لجعفر بن محمّد بن قولويه، طبْع النجف الأشرف، عام 1356ه–، منشورات المكتبة المُرتَضويَّة.

20 – المَلْهوف على قَتْلى الطفوف، للسيد ابن طاووس، طبع قم – ايران، عام 1414ه–، منشورات دار الأسوة للطباعة والنَشْر.

21 – مَناقب آل أبي طالب، لإبن شهر آشوب، طبْع قم ايران، عام 1379ه–، مَنشورات مكتبة العلّامة.

22 – المُنْتَخَب للطُريحي، للشيخ فخر الدين الطُريحي النجفي، طبْع قم - ايران، عام 1413ه–، مَنشورات مكتبة الشَريف الرضي.

23 – مَعالي السبطين، للشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري، طبْع قم – ايران، عام 1419ه–، مَنشورات مكتبة الشريف الرضي.

24 – نَفَسُ المَهموم، للشيخ عباس القُمي، طبْع قم ايران، عام 1405ه–، مَنشورات مكتبة بَصيرتي.

25 – وَقائعُ الأيّام، للشيخ المُلاّ علي الخيباني، طبْع قم ايران، عام 1362ه–، منشورات مكتبة المصطفَوي.

الفِهْرس

تَقديم: حول الكتاب والمؤلّف ... 3

مؤلّف الكتاب ... 12

الإهداء ... 21

المقدّمة ... 23

الفَصْل الأول ... 29

تاريخ ميلاد السيّدة زينب ... 31

ولادة السيِّدة زينب ... 35

إسمُها وكُنْيتُها ... 37

الفَصْل الثاني ... 41

السيِّدة زينب في عَهْد جدِّها الرسول ... 43

السيِّدة زينب في عَهْد أُمِّها البتول ... 51

السيّدة زينب في عهْد والدها أمير المؤمنين ... 53

ص: 687

السيّدة زينب مع اخيها الإمام الحسن المُجتبى ... 67

العلاقات الودّية بين السيّدة زينب وأخيها الإمام الحسين ... 69

الفَصْل الثالث ... 73

زواج السيّدة زينب عليها السلام ... 75

عبد الله بن جعفر ... 85

لِماذا لم يخرج عبد الله مع الإمام الحسين عليه السلام ... 95

الفَصْل الرابع ... 99

أولاد السيّدة زينب (عليها السلام) ... 101

مروان يَخطب بنت السيدة زينب عليها السلام ليزيد بن معاوية ... 103

الفَصْل الخامس ... 125

إستعراض موجَز لحياة السيّدة زينب الكبرى ... 127

الفَصْل السادس ... 131

السيّدة زينب وفاجِعة كربلا ... 133

مَجيء ابن زياد إلى الكوفة ... 137

يومُ التَرْوية ... 139

الإمامُ الحسين يَصْطحِبُ العائلة ... 151

الإمامُ الحسين في طريق الكوفة ... 157

الفَصْل السابع ... 159

وصولُ الإمام الحسين إلى أرض كربلاء ... 161

زَحفُ الجيش الأمَوي نَحو خِيام آلِ محمّد (عليهم السلام) ... 169

الفَصْل الثامِن ... 173

ليلة عاشوراء ... 175

أزْمَة الماء ... 189

الفَصْل التاسع ... 193

يوم عاشوراء ... 195

مَقتل سيّدنا علي الأكبر ... 197

مَقتل أولاد السيّدة زينب ... 199

مَقتل سيّدنا أبي الفضل العباس ... 203

مَقتل الطفل الرضيع ... 207

الفَصْل العاشِر ... 211

الإمامُ الحسين يُودَعُ ولَدَه المريض ... 213

الإمامُ الحسين يودّع السيّدةَ زينب ... 219

الإمام الحسين يَخرج إلى ساحَة الجِهاد ... 223

عَودَة فَرَس الإمام الحسين إلى المُخيّم ... 231

ذهاب السيّدة زينب إلى المعركة ... 233

الفَصْل الحادي عَشَر ... 239

الهجوم على المخيّمات لسَلْب النساء ...241

إحراق خِيام الإمام الحسين عليه السلام ... 247

السيّدة زينب تَجمَع العِيال والأطفال ... 251

ليلة الوَحْشة ... 253

تَرحيل العائلة مِن كربلاء ... 257

نياحة السيّدة زينب على سيّد الشهداء ... 261

الفَصْل الثاني عَشَر ... 267

مدينة الكوفة ... 269

قافلة آل الرسول تَصِلُ الكوفة ... 273

الفَصْل الثالث عَشَر ... 277

خُطبة السيّدة زينب في الكوفة ... 279

نَصُّ خطبة السيّدة زينب في الكوفة ... 283

شرح خُطبة السيّدة زينب في الكوفة ... 287

كيف ولماذا قطعوا على السيّدة زينب خطابها؟ ... 335

نَصُّ خطبة السيّدة زينب برواية أُخرى ... 339

الفَصْل الرابع عَشَر ... 243

دار الإمارة ... 345

السيّدة زينب في مجلس ابن زياد ... 347

ماذا جَرى بَعْدَ ذلك؟ ... 353

الفَصْل الخامس عَشَر ... 359

تَرْحيل آل رسول الله إلى الشام ... 361

السيّدة زينب الكُبرى في طريق الشام ... 363

السيّدة زينب الكُبرى في الشام ... 371

الدخول في مجلس الطاغية يزيد ... 379

ماذا حَدَث في مجلس يزيد؟ ... 381

رأس الإمام الحسين (عليه السلام)

في مَجلس الطاغية يزيد ... 385

الفَصْل السادس عَشَر ... 389

لماذا خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد؟ ... 391

خُطبة السيّدة زينب عليها السلام في مجلس الطاغية يزيد ... 395

شَرح خُطبة السيدّة زينب في مجلس يزيد ... 407

نَصّ خُطبة السيّدة زينب على رواية أُخرى ... 485

الفَصْل السابع عَشَر ... 491

آلُ رسول الله في خُرِبُة الشام ... 393

حِوارٌ بين مِنهال والإمام زين العابدين ... 495

مَجيء زوجة يزيد إلى خَرِبَة الشام ... 497

آلُ رسول الله يُقيمونَ المَآتِم على الإمام الحسين (عليه السلام) في الشام ... 503

بين الإمام زين العابدين (عليه السلام) ويزيد بن معاوية ... 507

تَرحيل عائلة آل الرسول مِن دمشق إلى المدينة المُنوّرة ... 509

الفَصْل الثامِن عَشَر ... 513

يوم الأربعين ... 515

الرجوع إلى مدينة الرسول ... 521

الفَصْل التاسع عَشَر ... 527

بعضُ ما رُويَ عن السيّدة زينب ... 529

1 – خُطبة السيّدة فاطمة الزهراء ... 531

2 – حديث أُمّ أيمَن ... 563

3 – مُتَفَرّقات ... 577

الفَصْل العِشْرون ... 589

تاريخ وفاة السيّدة زينب عليها السلام ... 591

مَرقد السيّدة زينب الكبرى ... 595

دراسة القول الأول ... 597

دراسة القول الثاني ... 601

دراسة القول الثالث ... 610

الفَصْل الواحِد والعِشْرون ... 619

بعضُ ما قيلَ فيها مِن الشِعْر ... 621

مِن مَصادر الكتاب ... 683

الفِهْرس ... 687

ص: 693

كُتُب مَطبُوعَة للمؤلّف

1 – الإمام علي (عليه السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

2 – فاطمة الزهراء (عليها السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

3 – الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

4 – الإمام علي الهادي (عليه السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

5 – الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

6 – الإمام المهدي (عليه السلام) مِن المَهْد إلى الظهور

7 – زينب الكُبْرى (عليها السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

8 – الإسلام والتَعاليم التَربَويّة

9 – فاجعة الطَف، أو مَقْتَل الحسين (عليه السلام)

10 – شَرْح نَهْج البَلاغة – صَدَرَتْ مِنْه ثلاثة أجْزاء –

11 – موسوعة عن حياة الإمام الصادق (عليه السلام) تبلُغُ ستّين مُجدّداً:

المُجَلّد الأول: الإمام الصادق (عليه السلام) في كُتُب العامّة

المُجَلّد الثاني: سِيرة الإمام وسُلُوكه، وحَياته الفَرْديّة، والعائليّة، والتَربَويّة، والإقتصاديّة، والعِلْمِيّة.

المُجَلّد الثالث: الإمام الصادق والمَذاهب والحكومات المُعاصِرة له، وحياته السِياسيّة.

المُجَدّد الرابع: كتاب العَقْل والجَهْل. العِلْم. التوحيد. العَدْل

المُجَلّد الخامس: كتاب النبوّة والأنبياء (عليهم السلام)

المُجَدّد السادس: تاريخ الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

المُجَلّد السابع والثامِن: الإمامة

المجلد التاسع: تاريخ الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام)

المُجَلد العاشر: تاريخ فاطمة الزهراء والأئمّة الطاهرين (عليهم السلام)

المُجَلد الحادي عشر: كتاب المعاد

المُجَلّد الثاني عشر: كتاب الإيمان والمؤمنين

المُجَلّد الثالث عشر: كتاب مكارم الاخلاق

المُجَلّد الرابع عشر: كتاب الكفر ومَساوىء الاخلاق، كيفيّة التَعامُل مَعَ الناس

المُجَلّد الخامس عشر: كتاب العِشْرة (أي: كيفيّة التعامُل مَعَ الناس

المجلد السادس عشر: كتاب الآداب والسُنَن الإسلاميّة

المجلد السابع عشر: أحاديث الإمام حولَ السماءُ وما في العالَم

المُجَلّد الثامن عشر: كتاب الطِب

المُجَلّد التاسع عشر: كتاب الزيارات

المُجَلّد العشرون: كتاب الدعاء

المُجَلّد الواحد والعشرون: أبواب الفِقْه / كتاب الطهارة

المُجَلّد الثاني والعشرون: أبواب الفِقْه / كتاب الطهارة

المُجَلّد الثالث والعشرون: أبواب الفِقْه / كتاب الطهارة

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹